بلغ تبيضه تكميل
١٣٠

يا كبيكج

تصوف

قد انما وقف وضمت الى
كتب حضرت الوالد
عليه الرحمة
لسرولله

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العلم وهو الكتاب الاول من جملة كتب احياء علوم الدين قال الامام زين الدين شرف الائمة حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله وجزاه عنا وعن المسلمين خيرا

احمد الله اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد المرسلين سائر النبيين واستخيره سبحانه ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وانتدب لقطع تعجبك ايها العاذل المغالي في العذل من بين زمرة العاذلين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه ولعمري انه لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر اد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان فاصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام

اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف مما سماه الله في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وايضاحا لماهية العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيان على طلبه اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم واميز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب اسرار الطهارة وكتاب اسرار الصلوة وكتاب اسرار الزكوة وكتاب اسرار الصيام وكتاب اسرار الحج وكتاب تلاوة القرآن وكتاب الاذكار والدعوات وكتاب الاوراد في الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الاكل وكتاب آداب النكاح وكتاب آداب احكام الكسب وكتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفة الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفة اللسان وكتاب آفة الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والرياء وكتاب ذم العجب والكبر وكتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضا وكتاب النية والاخلاص والصدق وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت فاما ربع العبادات فاذكر فيها من خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيها اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب عنه واذكر فيه كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها يترتب ثم

العلامات التي بها يعرف ثم طرق المعالجة التي بها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد
الايات والاخبار والاثار واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب
فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين و
اذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها والسبب الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد و
علامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد
الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب
عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه الثاني ترتيب ما
بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه الرابع حذف ما كرروه الخامس تحقيق
امور غامضة اعتاصت على الافهام ولم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان
تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبه
لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه له ولكن يسهو عن ايراده
في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا
الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تاسيس هذا الكتاب على اربعة
ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم
كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الاخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة
واعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه
مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة
التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين
وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه
واما المكاشفة فلم يتكلموا فيها الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم
بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول
عن نهج التاسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر اعني العلم
باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما
عبادة واما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم
الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن
اما الظاهر المتعلق بالجوارح اما الباطن عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق
باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع اربعة
اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام الباعث الثاني اني رايت
الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله للتذرع
الى المباهات والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع
والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم يبعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في

استدراج

استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب
فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم
الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب
القلوب الى العلم الذي يفيد حيوة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب
الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به
الى حيوة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة
بالضرورة للفساد في اقرب الاماد فنسأل الله التوفيق للرشاد والسداد انه
الكريم الجواد **كتاب العلم** وفيه سبعة ابواب الباب الاول في فضل العلم والتعلم
والتعليم الباب الثاني في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه
والبيان والكلام من علم الدين وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا الباب الثالث فيما
يعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم
وقدره الباب الرابع في افات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل
الباب الخامس في اداب المعلم والمتعلم الباب السادس في اداب العلم والعلماء
والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والاخرة الباب السابع في العقل وفضيلته
واقسامه وما جاء فيه من الاخبار **الباب الاول** في فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده
في النقل والعقل اما شواهد ذلك من القران قوله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم
وناهيك بها شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنهما للعلماء درجات
فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال
تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال الذي عنده
علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك تنبيها على انه اقتدر عليه
بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن بين ان
عظم قدر الاخرة يعلم بالعلم وقال عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها
الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم
برتبة الانبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم
لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء

وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى وقال تعالى فلنقصن
وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان
علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال عليه السلام العلماء
ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك
الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب
يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول
بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد
الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك حتى يدرك مدارك الملوك
في السموات وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى وقال
عليه السلام خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت وفقه في الدين ولا
تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته
وسيأتي بيان معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا وهذه
المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته عن النفاق والرياء وقال عليه السلام افضل
الناس المؤمن العالم الذي اذا احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه وقال
عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم
وقال عليه السلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد واما
اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وقال عليه السلام لموت قبيلة
ايسر من موت عالم وقال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام
يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على
امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا
يوم القيامة وقال عليه السلام من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم
القيامة فقيها عالما وقال عليه السلام من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه
من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام اوحى الله الى ابرهيم يا ابراهيم اني عليم
احب كل عليم وقال عليه السلام العالم امين الله في الارض وقال عليه السلام
صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء
وقال عليه السلام اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله عز وجل فلا بورك
لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عليه السلام في تفضيل العلم على العبادة
والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف نزل

العلم

العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان
العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال عليه السلام
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال عليه السلام
يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق
الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال عليه السلام ما عبد الله بشيء افضل
من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد
وعماد هذا الدين الفقه وقال عليه السلام خير دينكم ايسره وافضل العبادة
الفقه وقال عليه السلام فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة
وقال عليه السلام انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه
كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل
معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال عليه السلام بين العالم والعابد
مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله
اي الاعمال افضل فقال العلم بالله تعالى فقيل اي العلم تريد قال العلم بالله تعالى
فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير
العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء
ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا
فقد غفرت لكم الآثار قال علي رضي الله عنه يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق
وقال ايضا العالم افضل من الصائم القائم المجاهد فاذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة
لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى
لمن استهدى ادلاء وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم
اعداء ومن تعلم لا يبغي به بدلا فالناس موتى واهل العلم احياء وقال
ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك
وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم
والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس
فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون بدينهم
ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم
هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه
فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان الاسد
اشجع منه ولا بانه يأكل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان احسن العصافير
اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم منه وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء

ادرك من فاته العلم واى شيء ادرك من فاته العلم واى شيء فاته من ادرك
العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت
قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت ولقد صدق
فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد
العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل
احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجراح في الحال وان كان واقعا
فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه
وذلك كاحساس المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حال السكر والخوف
فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال
الحسن رضي الله عنه يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح وقال ابن مسعود
رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي
بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من
كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضي الله
تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل
وقال الحسن في قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي
الاخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتني قال الاشياء التي
اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة
هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما
ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه
من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه
حزن وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء يحبه فمن
طلب بابا من العلم رداه الله بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب
ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه كيلا يسلبه رداءه ذلك وان
تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا
وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي
بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف قال بالعلم قال فاحترفت
بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم اذن له وقال الزبير
ابن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا
وان استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني
جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض
بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء

ويفقد

ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر لا يحبه الا ذكور الرجال
فضيلة التعلم اما الايات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واما
الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به
طريقا الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
رضا بما يصنع وقال لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة
وقال صلى الله عليه وسلم لباب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها
وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو
بالصين وقال صلى الله عليه وسلم العلم خزائن مفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه
يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي
للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وفي حديث ابي ذر
رضي الله عنه حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف
مريض وشهود الف جنازة فقالوا يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل
ينفع القرآن الا بالعلم وقال عليه السلام من جاءه الموت وهو يطلب العلم
ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة واما الاثار
قال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي
مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها فاذا تكلم
فاعرب الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن
لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا
كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو
الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان
في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا
ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو
وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون من
موت عاقل بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم
افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك اقرا عليه العلم فدخل
الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه
اذا صحت النية وقال ابو الدرداء من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد
فقد نقص في رايه وعقله **فضيلة التعليم** اما الايات فقوله تعالى
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد به التعليم والارشاد وقوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهذا

ايجاب التعليم وقال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم
الكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ومن هنا روي في الروايات
انه صلى الله عليه وسلم قال ما آتى الله عالما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ على النبيين
ان يبينه ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا
وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال والموعظة
الحسنة اما الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان
يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال من تعلم بابا من العلم
ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا وصديقا وقال عيسى عليه السلام
من علم وعمل بما علم وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا
الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى انتم عندي
كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون
بالعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال ان الله لا ينزع العلم
من الناس انتزاعا بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب
عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا
بغير علم فيضلون ويضلون وقال من علم علما فكتمه الجمه الله بلجام من نار
وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ
مسلم لك تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما
فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال ان الله وملائكته واهل السموات
والارض حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير
وقال ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال
كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون
اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسألون الله ان شاء اعطاهم
وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل
اليهم وجلس معهم وقال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير
اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير و
كانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله به الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا
وكانت منها طائفة لا تمسك الماء ولا تنبت كلأ فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني
ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منها وقال اذا مات ابن ادم انقطع عمله
الا من ثلاث علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعو له وقال الدال على الخير

كما قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو
يقضي بها ويعلمها الناس ورجل اتاه الله مالا فسلطه عليه فهو ينفق منه
سرا وجهرا وقال على خلفائي قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي
ويعلمونها عباد الله الاثار قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل
به فله مثل اجر ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنه معلم الخير يستغفر له
كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين
خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفيان الثوري رضه قدم عسقلان فمكث
شهرا لا يسأله انسان فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت
فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال
عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد
يسألني عن شيء وقال بعض العلماء العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه
يستضيء به اهل عصره وقال الحسن رضي الله عنه لولا العلماء لصارت الناس
مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال
عكرمة رضي الله عنه ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا
يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة احمد من ابائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك
قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل
اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل
وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما
علمت وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في التعليم والتعلم ورأيته ايضا مرفوعا
تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه
جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب
في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار
سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يهتدى بهم ادلة في
الخير تقتص اثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم
وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه
والسماء ونجومها لان العلم حيوة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان
من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى في الدنيا والاخرة والتفكر
فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه
يتورع وبه توصل الارحام هو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء
في الشواهد العقلية اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته
ومن لم يفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان يعلم وجودها صفة

او لغيره من الحصاد فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا اشترك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقال انه افضل لان ذلك زيادة في الجسم هي ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لا يخفى عليك ان العلم فضيلة لان الفرس له فضيلة ان اخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق فالعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه شرف الملئكة والانبيا بل الكيس من الفرس خير من البليد فهو فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره فالمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانت والحصباء بمثابة واحدة واما الذي يطلب لذاته فالفوز والسعادة في الاخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الاخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشيا رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل الاشيا ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا وقد يعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملئكة ومقارنة الملا الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم يختلف العلوم كما سياتي بيانه ويتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها اما فضيلة التعليم والتعلم فظاهر مما ذكرناه فان العلم

اذا كان

اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي الالة الموصلة الى الله لمن اتخذها الة ومنزلا ولم يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الادميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلثة اقسام احدها اصول لا قوام للعالم الا دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبنا وهو للمسكن والسياسة وهي للتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها والثاني امور هي مهياة لكل واحد من هذه الصناعات فما لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد الاتها وكالحلاج والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها الثالث هي امور متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلثة اضرب اما اصول كالكبد والقلب والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتا[illegible] ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والاخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفا والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة العلما بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبيا وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربعة بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق الحميدة المسعدة وهي المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الصناعات والحرف لان شرف الصناعة يعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة

اذ يحمل احدهما الذهب ويحمل الاخرى جلد الميتة ولا يخفى ان العلوم الدينية هي فقه طريق الاخرة انما تدرك بكمال العقل وصفا الذكا والعقل اشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى وبه يصل الى جوار الله و اما عموم النفع فلا تستريب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم فاشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته من القرب الى الله تعالى فتعليم العلم من عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى فهو اجل خلافة فان الله قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو مأذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى الجنة المأوى

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم واقسامها واحكامها وفيه بيان ما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الاخرة

بيان العلم الذي هو فرض عين

قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وافترقوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يعرف التوحيد وتعرف ذات الله وصفاته وقال الفقها هو علم الفقه اذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل و عنوا به ما يحتاج اليه الخلق دون الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم اي علمنا وقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك عن لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه

في خطبة

في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد من هذا العلم الا علم المعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ ايها انها ثلاثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه امر وراء ذلك في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من اول النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان نقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه بتقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب النية والامساك عن الاكل والوقاع الى غروب الشمس وان الواجب النية والامساك وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال وانما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذا في سائر الاصناف فاذا دخل وقت الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون عليه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان صعلوكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت

عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج
في علم سائر الافعال التي هي فرض عين فاما التروك فيجب علم ذلك بحسب
ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما
يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحرم
الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما
يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو
كان عند الاسلام لابسا للحرير وجالسا في الغصب وناظرا الى المحرم فيجب
تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب
كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل الخنزير
فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه
واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر
له شك في المعاني التي تدل عليها كلمة الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به
الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام
الله قديم وانه مرئي وانه ليس محل الحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات
فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات
بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع
فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عنها
بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك
كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربوا وجب عليه تعلم
الحذر من الربوا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية
العمل الواجب فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض
عين وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا
ولكن في حق من يتصدى له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك
عن دواعي الشر والريا والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات
ما يرى نفسه محتاجة اليه وكيف لا يجب وقد قال صلى الله عليه وسلم
ثلاث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من
مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه الثلاث من
المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها
ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لم يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو
مقابلة السبب بضده وكيف يمكن ذلك دون معرفة السبب والمسبب
فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة

اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر اليه في تنبيهه عليه اذا لم يكن قد انتقل
عن ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق
وهي من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم
الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه
فله النار واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هذا وتحققت
ان كل عبد في مجاري احواله في يوم وليلة لا يخلو عن وقايع في عباداته
ومعاملاته يتجدد بها لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر
ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعها على القرب غالبا فاذن تبين انه
صلى الله عليه وسلم انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم
فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه
التدريج في وقت وجوبه **بيان العلم الذي هو فرض كفاية** اعلم ان الفرض
لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي
نحن بصدده ينقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد
من الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب
ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة والعلوم التي ليست شرعية تنقسم
الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا
كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض على الكفاية والى ما هو فضيلة
وليس بفرض اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا
كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان على الصحة وكالحساب
فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي
العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى
وسقط الفرض عن الآخرين ولا تتعجب من قولنا ان الطب والحساب من
فروض الكفاية فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة
والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم
وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله
واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد
فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقايق الحساب وحقايق الطب وغير ذلك
مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما
المذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما
المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه

وأما العلوم الشرعية وهي المقصود بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس
بها ما تظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة أما
المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي أربعة أضرب الضرب
الأول الأصول وهي أربعة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع
الأمة وآثار الصحابة والإجماع أصل من حيث أنه يدل على السنة فهو أصل
في الدرجة الثانية وكذلك الآثار فإنه أيضاً يدل على السنة لأن الصحابة
رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب
عن غيرهم عيانه وربما لا يحيط العبارات بما أدركوا بالقرائن فمن هذا الوجه
رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى الوجه
وعلى وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني
الفروع وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها
العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله
لا يقضي القاضي وهو غضبان أنه لا يقضي إذا كان حاقناً وجائعاً ومتألماً
بمرض وهذا على ضربين أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه
والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم
أحوال القلب وأخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله
وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من إحياء علوم الدين ومنه العلم
بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر
الأول الضرب الثالث المقدمات وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة
والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليست
اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشرع
إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم
تلك اللغة آلة ومن الآلات علم الكتابة إلا أن ذلك ليس ضرورياً إذ كان
النبي صلى الله عليه وسلم أمياً ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى
عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً الضرب الرابع المتممات
وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف
وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن الاعتماد فيه على النقل إذ اللغة بمجردها
لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص
والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي هو
أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً وأما المتممات في الأخبار والآثار
فالعلم بالرجال وأساميهم وبأسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في

والعلم

والعلم بأحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليتميز المرسل
عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة
بل كلها من فروض الكفايات فإن قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت
الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله تعالى أخرج آدم من التراب وأخرج ذريته
من سلالة من ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم
إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدأهم وهذه غايتهم وهذه
منازلهم وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها
بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت
منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم
به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم
الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم
لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضاً بالدين لكن لا بنفسه
بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والدين والملك
توأمان والدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له
فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه
وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين
على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة
تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام
بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء
رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسنداً
لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف فالأمير هو الإمام وكانوا هم المفتون والمأمور
نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان
الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان أحدهم يحيل على صاحبه
وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات
بدل المتكلف المرائي فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا
طلب الجاه والمال فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الحدود والجراحات
والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان
الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة
الإسلام والصلاة والحلال والحرام وإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت
أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها

انما الاسلام فيتكلم الفقيه فيه بما يصح منه وما يفسد وفى شروطه وليس
يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه وهذا نهى النبى
صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة حيث قال هلا شققت عن قلبه
فى الذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف
له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب
السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان
تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال عليه
السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى
دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك فى الدم والمال واما الاخرة فلا ينفع فيها الاقوال
بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض
الفقيه كان كما لو خاض فى الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه واما الصلوة
فالفقيه يفتى بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان
غافلا فى جميع صلاته من اولها الى اخرها مشغولا بالتفكر فى حساب معاملته
فى السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع فى الاخرة كما ان القول
باللسان فى الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة وان ما فعله حصل
امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير فاما الخشوع واحضار القلب
الذى هو عمل الاخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان
خارجا عن فنه واما الزكوة فالفقيه ينظر الى ما يقطع عنه مطالبة السلطان حتى
انه اذا امتنع فاخذ السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته وحكى ان ابا يوسف
كان يهب ماله لزوجته فى اخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكوة فحكى لابى حنيفة
فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى
الاخرة اعظم من كل خيانة ومثل هذا العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع عن
الحرام من الدين ولكن الورع اربعة مراتب الاولى الورع الذى يشترط فى عدالة
الشهادة وهو الذى يخرج به الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو
الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات
التى يتقابل فيها الاحتمالات قال عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى
يخاف منه ادائه الى الحرام قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين
حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال
الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان
النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين

فيكشف ذلك

ينكشف فى ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة فيتضح اذ ذاك
حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته الباقيات التامات وبافعاله وبحكمته فى خلق الدنيا والاخرة و
وجه ترتيبه فى الاخرة على الدنيا ومعرفة النبوة والنبى ومعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة والشياطين
ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله ان الدار الاخرة لهى الحيوان ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه
الكريم والقرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملا الاعلى ومقارنة الملائكة
والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدرى فى جو السماء
الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات متفاوتة فبعضهم
يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذى اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها
يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته و
بعضهم يدعى امورا عظيمة فى المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام
وهو انه موجود عليم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى يتضح له جلية
الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا ان
مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا ونعنى بعلم طريق الاخرة العلم بكيفية صقل
هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله تعالى وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته وتطهيره
بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء فى جميع احوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق
يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعه وبالتعلم وهذه هى العلوم
التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشىء منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل
المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفى هو الذى اراده عليه السلام بقوله ان من العلم كهيئة المكنون
لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما فان
الله لم يحقره اذ آتاه العلم واما القسم الثانى وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر
والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة فى جميع الاحوال
والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه
الاحوال وحدودها واسبابها التى تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما
زال حتى يعود من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش
وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة و
العداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة
بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة
الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس و
زوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار

واما القسم الثانى

للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله تعالى في سلب ما اعطى والاتكال على
الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها
والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه و
امثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة
منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة
وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا
بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة
الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه
الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سألته عن اللعان
والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى
شيء منها وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيه ليلا و
نهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم
الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر
من فروض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها
طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا يرى احد
يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل
بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة
واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر به الوصول الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال
الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد
اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي
يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن
وارباب القلوب وكان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي في المكتب و
يسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان
احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا
يسألانه كيف نفعل وقد قال عليه السلام لما قيل كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله ولا سنة
فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الدنيا والارض وعلماء
الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي شيخي سري يوما اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت
المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول
جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث
والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت فلم لم تورد في اقسام العلوم
الكلام والفلسفة فتبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه الكلام من الادلة التي

واضدادها

مطلب ولو سئل فقيه

صح

التوصل

١٢

ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتمل عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي
بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات
تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر
الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى
القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا
فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة و
ذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا **واما الفلسفة** فليست علما برأسها بل هي اربعة
اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما
الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان
الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار
خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه
الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته وهو
داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها
بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا
بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس
بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها
وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم
ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما
علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة
لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث استئجار البذرقة في
طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من
شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة ف
ليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم
يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب
واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه فيها سائر
العوام وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة
الله وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا
مانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا الاية فان قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة
كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به
يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء

واما الفلسفة

فان قلت

والعلماء المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه سائر الناس بكثرة صلوة ولا صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواعي يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الآف من الصحابة كلهم علماء بالله واثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس ووضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم ارد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر رضي الله عنه وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجره واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الخلق شيء آخر ولقد كانت شهرة ابي بكر بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكانت شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه احد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء وسمعة فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك اتكون يوم القيمة في حزب عمال الله او علماء الله او في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا اهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وقد شوهد من

احوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة مع كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نذكر من احوال فقهاء الاسلام ما يعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذهبهم وهو مخالف لهم في عملهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربعة لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا وللآخرة ان اريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربعة فان معرفتهم بالفقه ظاهرة **اما الشافعي** رحمه الله فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلوة وثلثا للنوم وقال الربيع كان الشافعي رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة وكان البويطي احد اصحابه كان يختم القرآن في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي رحمة الله عليه غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا اكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله لنفسه ولجميع المؤمنين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكانما جمع له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجلها ورأس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسئل الشافعي رحمه الله عن مسئلة فسكت فقيل الا تجيب رحمك الله فقال حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء واعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين انه لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي رحمه الله الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شيء في انائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي رحمه الله كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة وكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه

اليه الكثير فاعطاه جميعه ... ورأس الزهد السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه فلم يفرق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روي ان سفيان بن عيينة روى حديثا في الرقائق فغشي على الشافعي رحمه الله فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قام وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط اتوضأ للصلاة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك يحسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي فقال هل لك حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه غدا ... افلا ازيدك قلت بلى قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله فانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روي انه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا فكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر تمكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابراهيم ثم مكنه وامتحن موسى ثم مكنه وامتحن ايوب ثم مكنه وامتحن سليمان ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض وايوب بعد المحنة العظيمة مكن كما قال وآتيناه اهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الانبياء والاولياء

وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجمعة فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله وعلوم الآخرة واما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شيء فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطئ وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني احد على الحق ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمسة على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤون مثل الشافعي وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان احمد يقول ما مس احد بيده محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناها من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي في مناقب الشافعي رحمه الله تعالى فاما مالك فانه كان متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه قول الشافعي اني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين سأله فقال هل لك دار فقال لا

ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأل الرشيد هل له دار
فقال لا فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك
ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال اما
حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لان اصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم افترقوا بعده في الامصار
فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقال عليه السلام اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال عليه السلام
المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان
شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته فلا اوثر الدنيا على مدينة
رسول الله صلعم هكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه
واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه الدنيا وليس الزهد فقد المال
انما الزهد فراغ القلب ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي
عن الشافعي انه قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت
لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني
استحيي من الله تعالى ان اطأ تربة فيها نبي الله بحافر دابة فانظر الى سخائه اذ وهب جميع ذلك دفعة والى
توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله واستحقاره للدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هارون
الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت اعز الله
الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت
اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة رحمة الله عليه فلقد كان عابدا زاهدا عارفا بالله
خائفا مريدا وجه الله بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له
مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار
انسان اليه وهو يمشي وقال لآخر هذا الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله
ان اوصف بما ليس فيّ من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن
هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده ان يكون حاكما على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر
كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان
من اعظم الناس امانة واراده السلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم
على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا
بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين
بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى
بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد
الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع
بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك
التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك فلقد كان شحيحا على دينه

وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح فقيل ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله
لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح للقضاء وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء واما علمه بامور
الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله فيدل على شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا وقال ابن جريج قد بلغني
عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم
الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي
[الصمت والزهد فقد اوتي صح]
العلم كله فهذه احوال الائمة الثلثة واما احمد بن حنبل وسفيان فاتباعهما اقل من هؤلاء وسفيان اقل
اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما
فلا حاجة الى التفصيل فانظر الآن الى سير هؤلاء الائمة وتامل ان هذه الاحوال والاقوال والافعال والاعراض
عن الدنيا والتجرد لله هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها
علم آخر اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء اصدقوا في دعويهم ام لا ه تم الباب الثاني

[الباب الثالث]

الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذي
يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة
وبيان قدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول العلم معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما
فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر
اما لصاحبه واما لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة
بين الزوجين وسحر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومرض حتى اخبره جبريل واخرج السحر من تحت
حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ هيكل
على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في الطالع ويقول به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش
المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة
في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق
والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى
منه في موضع حريز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد و
افادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب
الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق به القرآن بان مسير الكواكب
محسوب اذ قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض
على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن ذمه الشرع قال
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال اخاف على امتي بعدي ثلثا حيف الائمة وايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر وقال عمر تعلموا من
النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه احدها انه يضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم

التي تعلم أن الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتاً إليها ويرى الخير والشر محذوراً أو مرجواً من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر مسخرات بأمره ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهو ينظر إلى سواد الخط يتجدد فيعتقد أنه فعل القلم ولا يترقى نظره إلى مشاهدة الأصابع ثم منه إلى اليد ثم منه إلى الإرادة المحركة لليد ثم منه إلى الكاتب القادر المريد ثم منه إلى الخالق لليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم ولقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم والمحق وما يتفق من إصابة المنجم على الندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة وإن لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافياً في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتماداً على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية وهو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي أيضاً عن النجوم وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة فإذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فإن ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ولا خطر فيه السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على بعض طرقها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلاوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى الطبيب عقم زوجته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة بك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوماً وقد دل عليه النبض فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها فإنها تلد فقال كيف ذلك قال رأيتها سمينة وقد

انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله عليه السلام نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثاً عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أني أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأي ضرر في التفكر في العلم فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذا الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في إصبعه فيقتضي عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابها وفي عقائدها التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الإحاطة بها كما أن في خواص الأحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة إليها وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إليه تعالى وعن الأعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به ولذلك قال عليه السلام إن من العلم جهلاً وإن من القول عياً ومعلوم أن العلم لا يكون جهلاً ولكن أثر تأثير الجهل في الإضرار وقال أيضاً قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله

ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون والإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون
تفريعات الطلاق واللعان والسلم والإجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام
يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وأراد بها
معاني الإيمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة بمعنى واحد وإنما نتكلم في عادة الاستعمال
قديما وحديثا وقال تعالى لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون فأحال قلة
خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات
الفتاوى أو نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلام علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعيد
بن إبراهيم أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى
والأقضية وقال عليه السلام ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله
ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه ولما روى أنس بن
مالك قوله عليه السلام لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق
أربع رقاب قال فالتفت إلى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم
وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه
في الدين ونعد نعم الله علينا تفقها فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها وقال عليه السلام لا يفقه العبد كل الفقه
حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وهذا روي أيضا موقوفا على أبي الدرداء
مع قوله عليه السلام ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا وسأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فأجابه فقال
إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد في
الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن أعراض المسلمين العفيف
عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه
لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان
إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم
الآخرة وأحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل
إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة
تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله
وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة
أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن
يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في
العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا
أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد في فضل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله وبأحكامه وبأفعاله
وصفاته وقد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بها من فحول العلماء
مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم

اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة
بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى
لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة
هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من يفتح بابا من الجدل والمماراة
فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك
معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن
فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله يقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ولا يرى الخير و
الشر إلا منه وهذا مقام شريف إحدى ثمرات التوكل كما سيأتي في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق
وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله وكان من ثمراته قول أبي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه نطلب
لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وقال آخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك قال قال لي
إني فعال لما أريد وسيأتي شواهد ذلك في كتاب التوكل وباب التوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن
اللب من الآخر فخص الناس القشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الأول أن تقول
بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من
المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل
ظاهر القلب على اعتقاده وذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر
عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسائط
وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج من هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ
هواه معبوده قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال عليه السلام أبغض إله عبد في الأرض عند الله هو
الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه
فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على
الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام
وهو من مقامات الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر
بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق المدح الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه ويقول
ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه
متوجها إلى الله على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر
الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه تعالى عن أن تحده
الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في
أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية
إليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا
يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم ولست أعني به القول باللسان
إنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موضع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب وهو معدن

التوحيد ونتيجته اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل
وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملائكة سياحين في الهوا سوى ملائكة الخلق اذا راوا
مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الذكر الا فاذكروا
الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه من القصص والاشعار
والشطح والطامات اما القصص فهو بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا
لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة
وظهر القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد فقال ما اخرجني الا القصاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة
قلت للثوري نستقبل القصاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين
فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا
يقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة ونتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحيي فقال لم انا في
سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج
علي كرم الله وجهه القصاص من مسجد البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة
والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر
بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره وتعريف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة
واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر
افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف
جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر
يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم
التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي تتطرق اليها الاختلافات
والزيادة والنقصان وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه
ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع
بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رحمه الله ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت
القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلا ارى به باسا وليحذر الكذب وحكاية
احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة
بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه
عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد المعاصي فلا عجب ان عصيت
الله فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين
فلا باس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الاخبار
ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيها دعوة الخلق الى الحق فهذا
من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن

الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد
سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور ما زاد على كلمتين
ولذلك لما قال ذلك الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك
يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله
والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ
من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا
اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار
من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع
فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن
معهم غيرهم فان اولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي
على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر فاذا كثروا لم يتكلم وما تم
اهل مجلسه عشرين وحضر جماعة باب دار الاسلام فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هؤلاء اصحابي انما هم
اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما
الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه وتعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم
الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا
كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق
وربما يحكى عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك
جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا امثال هذه الدعاوي فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة عن
الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات
مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب
والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في بعض
البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي
فلا يصح عنه ما يحكى عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع
وهو يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف
الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك
اما ان يكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام
قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان يكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل
على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا
الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني ما

الاذهان بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم
قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون
اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله
فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة فى غير اهلها فتظلموها
ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة
فى غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذى حق حقه واما الطامات
فيدخلها ما ذكرناه فى الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة
لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية فى التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ
اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل
العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله فان ما يسبق
منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا
ايضا من البدع الشائعة العظيمة ضررها وانما قصد اصحابها الاغراب فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة
له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من
مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تاويل الطامات قول بعضهم فى تاويل
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله
عصاك اى كل ما يتوكا عليه ويعتمده مما سوى الله فينبغى ان يلقيه وفى قوله عليه السلام تسحروا فان فى السحور
بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره
المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب
فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابى لهب وابى جهل وغيرهما من الكفار وليس من
جنس الملائكة والشياطين ومما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار
بالاسحار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك
بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة
وافساد الدين على الخلق ولم ينقل من ذلك شىء عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على
دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله عليه السلام من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا
النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان
يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغى ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن
بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة معان وسبعة
معان ونعلم ان جميعها غير مسموع من النبى صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك
مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه فى الدين
وعلمه التاويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم
انه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه

حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسألة يراها حقا حديثا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم
من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر فى تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم
لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد
عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك
بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامى فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير
التفات الى ما عرف فى العصر الاول كنت كمن طلب الشرف فى الحكمة باتباع من يسمى حكيما فى هذا
العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ الخامس وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب
والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على اكف السوادية فى شوارع الطرق والحكمة هى التى
اثنى الله عليها فقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وقال عليه السلام كلمة من الحكمة
يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر الى ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس بقية
الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر
الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما
سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال هم علماء
السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس فاليك الخيرة فى ان تنظر لنفسك
فتقتدى بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف وكل ما ارتضاه السلف
من العلوم فقد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول النبى
صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء
قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتى والذين يحيون ما اماتوه من سنتى وفى خبر
آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفى خبر آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس
كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة ولذلك قال الثورى
اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه لو نطق بالحق لابغضوه بيان القدر
المحمود من العلوم المحمودة اعلم ان للعلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم
قليله وكثيره وقسم هو ممدوح قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم
يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن
فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه
ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان
التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة وكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره
ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا اذ فيه ضرر يغلب نفعه كالسحر والطلسمات والنجوم فبعضه
لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذى هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة له و
اضاعة النفيس مذموم ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر

في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه واما القسم المحمود الى اقصى
غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب
الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى
اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على
سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم
على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون
الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما سياتي علامتهم
هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق
الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا
بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها
واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم
منها اقتصارا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر
العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك و
اياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك وان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل
الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق به من الاعمال الظاهرة
من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها
وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحسد والحرص والرياء والكبر والعجب
واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال
بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد و
الاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء
ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها
وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب
لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى الطلاء الظاهر من يستصعب
شرب الادوية المرة فلا يزال مريد الاخرة وطالب النجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل
بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك الى المقامات
المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود و
الارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها الزرع والرياحين وان لم يفرغ من ذلك فلا
تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي الخلق من قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح
غيره وما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب
مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات
والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم
وباطنه وصار ذلك عادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات
وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسوله ثم بعلم التفسير وسائر علوم
القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في
السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول
الفقه وكذا الى بقية العلوم على ما يتسع به العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك
في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم الات
ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى
فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب
ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب

والسنة

والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه
والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي
النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك
استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الى انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة
على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان
تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه
عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة واما
الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة
الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واسمائهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه ما
يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو
القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من
المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء
ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد
مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ
قدر مائة ورقة وهو القدر الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع
ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد
تعصبهم اما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك
مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عنده جوابا ما هو عاجز عنه وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة
واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا
اشتد تعصبهم وقع الياس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهذا ايضا من آفات علماء
السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم
الدعوى بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا
اليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه
لكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا
التعصب عادتهم والتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة
في النفوس واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات
والمجادلات ما لم يعهد مثله في السلف فاياك وان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال
وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام
ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه
النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده
واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم

الخلاف فان علم المذهب مذكور في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين وقد كانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها غير مغنية في علم المذهب فهي
ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته
على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان
لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي
العمر ولا ينصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا
شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك
مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتتامل فيما يعنيك مما بين يديك ودع
عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل
فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت الا بركعتين خلصتا
لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم اهل الجدل
الذين عناهم الله تعالى بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب
العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون
الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا
منعوا العمل والله اعلم

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا
ائمة علماء بالله تعالى فقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء
الا نادرا في وقائع لا يستغني فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون
الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت سيرتهم
الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة
بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين
من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا
واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز
العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه
من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات
منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان
كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه
الله تعالى في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة
الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في
قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على

علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات
وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال
بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور
من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة
والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه
وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على
المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا
ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف
والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن ولسنا ندري ما
الذي قدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات
لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا
معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق
مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم
في مسألة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المرأة
جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك
وابي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات ثمان الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان
ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة
في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان
ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون
بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم
بالصلاة التي هي اقرب القربات الى الله تعالى فقد عصى بذلك فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله
من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب الثاني ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة
فان رأى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس
وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد
عنها لهلك الناس واذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه
فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل
بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فاما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة
من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد

الاعتماد على شهادته

بشهادته فيما يقول على قول الطبيب فيه شرعاً ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فانه من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهداً للحرير
ملبوساً ومفروشاً وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء
ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله تعالى بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهر الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في
صغاركم والفقه في ارذالكم الثالث ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة
وغيرهما رضي الله عنهم حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر
له كما كان يفعله الصحابة والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم جميع اهل العصر وانما يفتي فيما يسأل
عنه ناقلاً عن مذهب صاحبه ولو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه
معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني
لست مستقلاً بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه
لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلاً الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية
فيها قط بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتاً الرابع
ان لا يناظر الا في مسألة واقعة او قريبة الوقوع غالباً فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع
او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها
بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون
هذه مسألة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب ان يكون المطلب
هو الحق ثم يتركون المسألة لانها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار او لانها ليست من الطبول فلا نطول الكلام فيها
والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول الخامس ان يكون المناظرة في
الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى
بصفاء الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد
نفسه محقاً كان او مبطلاً وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا
يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعاً حتى يكون
هو المتخصص بالكلام السادس ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده
او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق كما لو اخذ طريقاً
في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويفرح به ويكرمه فهكذا
كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امرأة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ
من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل علياً كرم الله وجهه فاجابه فقال ليس كذلك يا
امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على
ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن
رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقام ابن مسعود فقال اعيدوه على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه فاعاد الجواب فقال ابن مسعود وانا اقول ان قتل فاصاب

اعيدوا على امير المؤمنين فلعله لم يفهم فاعادوا فاعاد الجواب فقال ابن مسعود وانا اقول

الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال فهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل
فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى
مناظري زماننا اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته
بأقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر في الحق السابع
ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات
السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول
فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي
في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم في الاصل
معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منه واولى فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض
ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيه
وراءه ويصر المعترض على انه لا يلزمه وتتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا
يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرفه ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى وانما
يدعي ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عاص لله تعالى متعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان
صادقاً فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قوياً
رجع اليه وان كان ضعيفاً اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف ان اظهار ما علم من علوم الدين
بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة
في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بالامتناع عن الذكر اما كاذب
واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع
احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ
كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه الثامن ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن
هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفاً من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون
فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية
ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له
ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة
للشياطين وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها
ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق

اعلم ان المناظرة
الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة
وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش
الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى
الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش
استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب

الاقدام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهات يدعوه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس
ويهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وشواهد ذم هذه الاخلاق من الاخبار والآيات في ربع
المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة
يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر او يظن
انه احسن منه كلاما واقوى نظرا فلا بد وان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب
عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم
ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون
كما يتغاير التيوس في الزريبة ومنها الكبر والترفع على الناس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من
تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون
على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منه
والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان
المؤمن منهي عن الاذلال لنفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وسائر انبيائه بالذل وعن
الكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما
ومنها الحقد ولا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد
في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه على كلام خصمه ويتوقف
في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية
تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق
جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه ادنى
سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه ابد الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها
الله باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه
ان يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو
الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه
ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس
قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر
عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم والتفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله
لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير
ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذمومان شرعا
وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب
عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى البلد فيطلب من يخبر بواطن احواله

ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجته حتى انه ليستكشف
عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى
غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح
به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما يحكى عن اقوام من اكابر المناظرين المعدودين من فحولهم
ومنها الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق
المؤمنين فكل من طلب المباهات باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه في
الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما ان احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد
ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره وكانه
يشاهد شيطانا ماردا او سبعا ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء
وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل
الفضل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان
ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشر شرا ان يلزمك اخلاق
المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين المتقين ومنها النفاق فلا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه
وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد اليهم باللسان واظهار
الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم ان ذلك كذب
وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب ونعوذ بالله من ذلك فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا
في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحال ومنها
الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر
على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة
لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الى الاعتراض عليه
حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل
محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل
بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى
على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى
فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم
وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والمناظر
لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من امهات الفواحش الباطنة
سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى
وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وانما
الاكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط

او هو ظاهر

عنه وظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقا[رنين]
له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشرة عشرة اخرى من الرذايل لم نطول بذكرها وتفصيل
آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة
والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب
المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة
من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقرأه ومن الذي يناجيه ولا
يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من
تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون
فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه
الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذايل لازمة للمشتغل بالتذكير
والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة
لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه ولقد ضره مع انه لم ينفعه وليته
نجا منه راسا براس هيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك
من الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع في سلامة الاذلال بل لا بد من
لزوم افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لو
لا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة
والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولو
لا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال فيهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان
ظاهر حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره
فصلاح غيره في هلاكه واما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلثة اما
مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله
سبحانه ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره
وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد
له فلا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات
ما ينفي عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم
اما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل
الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله وكما لا تصح الصلاة
التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن

وتحرص

وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على
ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول
البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه و
خبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات
الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة
وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة
الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما
عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب
والصفات ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن
من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك
العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره
فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره
من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق
الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية
ونجاسة الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب
عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ
المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع
الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس
كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة النمر وطالب الرياسة في صورة الاسد
وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من طالب
رديء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة
فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه
سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى
وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال
بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشار الى اخص ثمرات
العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى و[امتنع]
علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت اني ارى جماعة من العلماء الفقهاء
المحققين برزوا في الاصول والفروع وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا

عرفت مراتب الاخرة ... استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وغناء من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان ان شاء الله

الوظيفة الثانية ان يقلل علايقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلايق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقايق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهوا بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع

الوظيفة الثالثة ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجا ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلما والكبرا فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليس من اخلاق المومن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي لطالب العلم ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المومن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كاينا من كان ولذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقا السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القي اليه بحسن الاصغا والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزايها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار اليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقايق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فاسالوا اهل الذكر فالسوال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السوال عنه فان السوال عما لم يبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عن السوال اي دع السوال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السوال عنه وقد قال علي كرم الله وجهه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السوال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض

ولا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته

الوظيفة الرابعة ان يحترز الخايض في العلم في مبدا الامر عن الاصغا الى اختلافات الناس سوا كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويويسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفا ان الاقتدا بالاقويا فيما ينقل عنهم من المساهلات جايز ولم يدر ان وظايف الاقويا تخالف وظايف الضعفا وفي ذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض فيتراى للناظر انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى في ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بان اضعاف هذه النجاسات قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلايه الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفتها ولمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسايه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله في طلب رضاهن فما افلح من قاس الملايكة بالحدادين

الوظيفة الخامسة ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعدا ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الما الزلالا والعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله

الوظيفة السادسة ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم فالمبادر الحزم ان ياخذ من كل شي احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصينه عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين

بل من ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى درجة ايمان
ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم
فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته
كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وسائر الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب
ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم
انه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان يتئد في هذا ففيه ضيعت راس المال فكن حريصا
على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى
الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة
الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد و
في يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله وتعلم انه مسبب
الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان اعرف الله سبحانه اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت
بلا شرب **الوظيفة السابعة** ان يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلم وان ذلك يراد به شيئان
احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة
الابدية وثمرة الآخر الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب اشرف
لوثاقة ادلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار
ادلته وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف
العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك ان ترغب الا
فيه وان تحرص الا عليه **الوظيفة الثامنة** ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله
بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه وتعالى والترقي الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين
ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة
الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني
علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات و
المتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه
العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله
فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد
منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا
الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم للاولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة
الوظيفة التاسعة ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كيلا يؤثر الرفيع القريب على البعيد

والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ
الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى
ابد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله
ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله
والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على
ثلث مراتب تفهم بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل
له ان حججت واتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك
في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة
اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والآخر الثاني
ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد
النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من
اول اعداد الاسباب الى آخرها ومن اول سلوك البوادي الى آخره ومن اول اركان الحج الى آخره وليس قرب
من ابتدأ باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك
بل هو اقرب منه فالعلوم ايضا ثلثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه
وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن
كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقين فهذا
سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون
سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث
يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة
وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك الطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة
اما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة
نعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال تعالى فاما ان
كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من
لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من
اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين
اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد
السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان
ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك
طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم
طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع
والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به الى المطعم والملبس والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط

الناس على نهج المعرفة والسياسة في ناحية الفقه واما استنباط الصحة فهي خاصية الطبيب [illegible]
العالم [illegible] علم الادوية والابدان واشار الى الفقه [illegible] العلوم الظاهرة الشايعة [illegible]
[illegible] على الفقه والطب [illegible]

[illegible]

الدنيا فالمتعلم حتى يرى صنوف الاعتراضات الى الحق طبقة من المتقدمين الثالثة ان لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بان
يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب
الى الله تعالى دون الرياسة والمباهات والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه
العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو
علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم
ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما
كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا
فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع لكن ينتبه في اثناء الامر او آخره اذ فيه العلوم المخوفة
من الله المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك ان يؤدي الى الصواب بالآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري
حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل
الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم
فاما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا
قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم
الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد
والله المستعان وقد رئي سفيان الثوري رحمه الله حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا
احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة الرابعة** وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر
المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك
حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد
كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء
عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل
النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم
ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي ان لا يقبح
في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث و
التفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه
ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة
للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا
بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر
بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد
البشر صلوات الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر
عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه واشار الى
صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي

ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه
وقد قال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر
من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع
الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء
من يفقهه فكتمته فليلجمني وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره
اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق. شعر: فمن منح الجهال علما اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم **الوظيفة السابعة** ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق
به ولا يذكر له وراء هذا تدقيق وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويخيل اليه
ان بخلا به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله واشدهم حماقة
واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه
العقائد الماثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من
ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد
العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه
وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في
الصناعة التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة
فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه
يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص **الوظيفة الثامنة** ان يكون المعلم
عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا
خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه
وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين
مثل النقش من الطين والعود من الظل فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج ولذلك
قيل: لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فلذلك
كان وزر العالم في معاصيه اكثر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها ولذلك قال علي كرم الله وجهه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم
يغرهم بتهتكه والله اعلم

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت
على انهم اشد الناس عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة
ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وآله وسلم
قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم

وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا
تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار
وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده الجمه الله بلجام من نار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال
فقيل وما ذلك فقال من الائمة المضلين وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال
عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على
عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان
لم يدرك السعادة واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق
العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء
وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال
كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول ندما قال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف
الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك
عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك
مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فان
اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل
اني لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وانشدوا
شعر عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما
يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر و
آتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا ثالث ثلثة الا انهم انكروا
بعد المعرفة قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في قصة
بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي
كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال
عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع
ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى
فهذه الاخبار والاثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين
هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا
وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما
كالضرتين مهما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى
وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت عن الآخر وانهما كقدحين احدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب

منه الاخر حتى يمتلي يفرغ الاخر من هذا فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها
وامتزاج لذاتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة
والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر
الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له
ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل
بشريعة الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء
ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته
وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار
داود عليه السلام ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرمه
لذيذ مناجاتي يا داود لا تسئل عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق
محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما
يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ولم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن
عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ
الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه
اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال
مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ان الله تعالى يقول ان اهون ما اصنع
بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له
انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم
يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن ادم بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا
قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية
ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية
فاين المحمدية وانشدوا شعر ورعاة الشاة يحمي الذئب عنها
فكيف اذا الرعاة لها ذئاب وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ما
يصلح الملح اذا الملح فسد وقيل لبعض العارفين اترى ان من يكون المعاصي قرة
عينه لا يعرف الله قال لا شك ان من تكون الدنيا اثر عنده من الاخرة
انه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي في اللحوق
بعلماء الاخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب
الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث
بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث
ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث
فلا تحدث واذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد

أعظم من كل نعيم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا
ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد
وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلى الله عليه وسلم ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا
والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال ايضا الناس
موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين
والمخلصون على وجل حتى يختم لهم به وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
اذا طلب الرجل الحديث وتزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا
وانما اراد به طلب الاسانيد العالية وطلب الحديث الذي لا يحتاج في
طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره
الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر
به لا ليعمل به وقال صالح بن البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون
بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب عرضا من الدنيا
لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل
الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد وقال
في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
الى قوله تعالى ثمنا قليلا وقال تعالى في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن
يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال
بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة
السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى
ابو الدرداء رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله تعالى
الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون
الدنيا بعمل الآخرة وقلوبهم كقلوب الذئاب والسنتهم احلى من العسل وقلوبهم
امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون وروى الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله
علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير
السماء وحيتان البحر ودواب الارض والكرام الكاتبين ويقدم على الله تعالى
يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن
به عن عباد الله تعالى واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يأتي يوم القيمة ملجما
بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان اتاه الله علما

٣٠ 30

للاعمال فيقول كم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد
ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فعرف اهل العلم بايثار
الآخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى
اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى في قصة
شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا ان الله
واسمعوا وقال الله تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت
من انتم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وآله وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل
وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار
فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل الحنفي ان نفسه من العلماء يبدا بهم
يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال
الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم وانما ادخلنا الله الجنة
بفضل تأديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل
علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت
موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تأتيها
وقيل لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال ابرهيم ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني
تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس
لله وكم من مخوف بالله جرئ على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من
تال كتاب الله منسلخ من آيات الله وقال ابرهيم ابن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب
وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم رحمة الله عليهما انه قال
حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم
العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى
يوم القيمة على رؤوس الاشهاد وقال معاذ بن جبل وابن الصامت لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسأل عن اربع وقال
عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون
وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون
قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب
العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم
فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب
فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل لا تطلبوا

العلم خلوا حتى يعملوا به [illegible] وقال ابن [illegible]
على عشرة [illegible] وذلك كثرة [illegible] من علم [illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم
القضاة ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهو في النار
وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون
عن غشيان الولاة ويأتون ويؤثرون الدنيا على الآخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء
يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون
اعداء الرحمن وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله
وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال
سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي الى
كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على
العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله
لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان
نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر الى ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا
وقال ابن مسعود انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم
والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذايذ الاطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى
ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن ومنها ان يكون عنايته
بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة مجتنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال
فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في
وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي
هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب
العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال وما رأس العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال فما صنعت في حقه قال
ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك
من غرائب العلم بل ينبغي ان يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم
صحبتني قال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثماني مسائل قال شقيق له انا لله وانا
اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها واني لا احب ان اكذب فقال
هات هذه الثماني مسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يحب محبوبا فهو مع محبوبه
الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت
يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
المأوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة اني
نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله عز وجل
ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة اني نظرت

الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت
الى قول الله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما والخامسة نظرت
الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله
عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله
فتركت عداوة الخلق عني والسادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت
الى قول الله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان
الله تعالى شهد عليه انه عدو لي فتركت عداوة الخلق والسابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب
هذه الكسرة ويذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده والثامنة نظرت الى
هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق
متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبي قال شقيق
يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم فوجدت جميع انواع الخير
والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الآخرة فاما
علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بعث الله بها الانبياء
كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها ان لا يكون
مائلا الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك و
يتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه
وارتفع في علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت
مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا
على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني
اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة وانا ايضا اجيء
معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب
عالم على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا
الى المجلس الذي هو فيه واذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي وسأل
حاتم قائم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم وما هي قال مسألة
قال سل قال قم فاستو جالسا حتى اسألك فاستوى جالسا فقال علمك هذا من اين اخذته قال من الثقات حدثوني
به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ورسول الله عمن قال عن جبريل عن الله
تعالى قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله الى اصحابه
واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت فيه من كان في داره اشراف وكانت سعته اكثر كان
له عند الله عز وجل المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة و

المبارك يوم ... كان ... عبد الله عز وجل ... قال حاتم فانت ... [illegible]
[illegible] ... الدنيا ... [illegible]
[illegible]
ما جرى بينه وبين ابن مقاتل ... الطنافسي ... [illegible]
عليه فقال ... [illegible]
[illegible] ... الطنافسي ... [illegible]
حاتم ... تمام الطنافسي ... حاتم ... [illegible]
[illegible] الطنافسي ... قال له حاتم ... قال حاتم يا سبحان الله
[illegible] ... الطنافسي ... [illegible]
[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ... [illegible]
[illegible] ... بالنصيحة ... [illegible]
التوفيق ... ولا قوة الا بالله العلي العظيم ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ... السلام ... [illegible]
[illegible] ... النصيحة ... [illegible]
[illegible]
[illegible] ... المباح خطر عظيم ... الخوف والخشية ... [illegible]
[illegible] ... السلاطين ... [illegible]

[illegible]

يرزق من هو أتم ولو أخرج بالدين قليلة وفيه نجاة لا اشتغلهم وكثر دخولهم عليه وكان نجاة العبد
زمنهم قال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص قال وكان يغشى السلطان فتقعد عنهم فقال له بنوه يا ابت هؤلاء الذين
ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن
استطعت لا اشاركهم فيها فقالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من
ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفيه
اشارة الى ان الدخول على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة
لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة
للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه
ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم
من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين
وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا اشتغلوا فاذا اشتغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا
هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه
اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه
بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف
يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن ادهم ويوسف
بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون
مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب
الله او بنص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد
وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم
وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري
لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان
ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان
الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطاها اصيبت مقاتله وقال
ابراهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون
حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال
من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم
الذي اذا سئل عن المسألة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا
الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيامة من اين اجبت

ما يكره من الاستفتاء

وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابراهيم بن ادهم
والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا وما ادري ذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى
نزل عليه جبريل فسأله فقال لا ادري حتى اعلمه الله تعالى ان خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر يسأل
عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء
من يقول لا ادري اكثر ممن يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن
عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ما منهم احد يسأل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت
المسألة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة
اهدي الى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فاهداه الى آخر واهدى الآخر الى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع
الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز
من تقلد الفتوى ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون
اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم
دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة اشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر
الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن
آدم عليه لا له الا ثلاث امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير في كثير من
نجواهم الآية ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الرأي من اهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتوى
والرأي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في مسألة
لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا
رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب
السلاطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون وكان يقال
مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد
وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر عملا وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت
اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء وكان قد آخى بينهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك
شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس يقول سلوا مولانا
الحسن وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي
في حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا
حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسألوني عن العلم
وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة
وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة ودقائق
علم القلوب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب آداب الكتب والتعليم واما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة
عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع

خضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا لي بأخلاق الصديقين أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تنفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن يخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة إليه وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي كرم الله وجهه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال تنقصه النفقة والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال هاه إن هاهنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذة سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه أقرب شبها بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم وأين أولئك الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله من خلقه وأمناؤه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذي ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الإيمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين

فاسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات **فإن قلت** فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه **فاعلم** أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات **المقام الأول** أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا **المقام الثاني** أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا **المقام الثالث** أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله **المقام الرابع** المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء **ومثاله** أنه إذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضروريا مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضا ضروري فحق غريزة العقل أن يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمؤدي إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهو أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديما وبعضها حادثا

[illegible]

يخشى الله من عباده العلماء وهذا لان العلماء ثلثة كما قال سفيان الثوري عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون
في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين
وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته
الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه
وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم
من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما اتى الله عبدا علما الا اتاه الله معه
حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الخبر من اتاه الله علما وزهدا وتواضعا و
حسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من
خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة
ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من
طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض وروي في الاسرائيليات ان
حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له
قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط
العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الآن وافقت
رضائي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه و
ينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي
انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب
خير قال صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيته ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك
وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا
رؤوا ذكر الله قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى
الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الآخرة اكثرهم بكاء في الدنيا
واشد الناس فرحا في الآخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه في خطبته ذمتي رهينة وانا به زعيم
انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق
الى الله تعالى لرجل قمش علما اغار به في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يعش في العلم يوما سالما
تكثر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس
على غيره [illegible] العشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع
[illegible] تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام [illegible]
[illegible] قال علي كرم الله وجهه [illegible]
[illegible]
[illegible] والتواضع وحسن الخلق [illegible] على العلم

العقل والادب وحسن الفهم وتخلي الجبلة عن الاخلاق التي وردت بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون
القرآن للعمل لا للرواية وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة
فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن
قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يوقف عنده ينثره نثر الدقل
وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم
قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا
فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة
مفهومة من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد اما
الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات
الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن
قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير و
لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا
الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها
ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها بل اعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب
واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة
اليه ويعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والاقضية
ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان في القائمين بها
كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة
من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون
من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه
صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيمة مفلسا متحيرا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو
الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم هديا من الصحابة اتفقت
الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية
الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن اين اخذته قال من حذيفة
ابن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته قال خصني به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان الناس يسألونه عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا
يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر وكانوا يقولون يا رسول الله
ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسأل عن
آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق ودقائق الفتن

ويرد في التعيين فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان
يسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئا من النفاق
فبرأه من ذلك وكان عمر إذا دعي إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر
فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله وقد صار هذا
الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق
ويرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال شعر الطرق شتى وطريق الحق مفردة
والسالكون طريق الحق أفراد ... لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم ... فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد ... وعلى الجملة لا يميل أكثر الخلق إلا إلى
الأسهل والأوفق لطباعهم فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة
صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع الروح على الدوام وصاحبه نازل منزلة شارب
الدواء الصبر على مرارته رجاء الشفاء ونازل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند
الموت فمتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ و
التذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلب وصفات الباطن إلا ثلاثة سهل التستري والصبيحي
وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة
لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب ومنها أن يكون اعتماده في علومه
على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل على السماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه في تلقي أقواله وأفعاله
بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعله والرسول صلى الله عليه وسلم فعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال
والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم
ولا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار
بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ما من أحد
إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على
أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال
وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت
بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما
يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف
أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد
سنة عشرين ومائة من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن

وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن
الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر الصديق رضي الله
عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء
ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس
وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر
أبي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ ويقول
ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن
مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ثم
كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر
الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين
في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد
الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات
المسجعة عالما وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم يكن سيرة الصحابة
وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن
السلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم
فكان يقول فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام
هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف
النسبة إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت ومنها أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور
وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال
الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية
وتولي الأوقاف ومال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أو في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة
ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان
إلى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق
السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال علي كرم الله وجهه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما أن قيل له خالفت فلانا
ولا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا
فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى
الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سوء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف
يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل
عن أفعالهم ويقتص آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه

قال [illegible] انما هما اثنتان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن
عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبته صلى الله عليه
وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة
طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول انتم
في آخر الزمان ... كثير من العلماء وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم
زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ولم يتوقف
ثم تابع الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم
منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم
فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات
في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها
ولقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم
وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه من اعظم
القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقرآن ومن ذلك التعسف في النظافة
والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها
الى نظائر لذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم
زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم
الله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم
ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم كانوا ينظرون في دقائق
الكراهية والاجتناب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا
فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني رحمه الله يقول
لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال
هذا لان ما قد ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل
حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى
قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة انها خير مما تعلم ان الناس
قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك
اليوم وانما انكر ذلك عليه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس
او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد وفي خبر آخر من غش
امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل
الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى
من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة
معينة وذلك قد يغفر واما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت
عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر
عنه عجز ومن وقف عنه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي
يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الضلالة لها
حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة
فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا
اليه محسورين فقال ما شأنكم فقالوا ما راينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتعبونا
فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم
تنالون حاجتكم منهم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا
اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار
اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا
لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم
بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم لا يستغفرون فيغفر
لهم ولا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم
الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون
عنها فسلط عليهم الاعداء وقادتهم حيث شاؤوا فان قلت من اين عرف قائل هذا ما
قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار
الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا
يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني
بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة
العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك
وان يكون حظك من هذا العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون
من العلماء الزاعمين بانهم احاطوا بعلوم العقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار
مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر الاولياء لزمه انكار الانبياء وكان
خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض
واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم
جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه
ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل

لعد المتحذلقين

خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغي الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان
يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا
من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي معترف بتقصيره
فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم ما هو مشتغل به من العلوم التي
هي وسيلة الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا
عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من
اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة
بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد
احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معه معصية وذلك انه
لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة
او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل علم ان المستفيد
انما يريد ان يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له و
ردءا وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم
كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن
يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة
من علماء الآخرة يجمع كل واحد منها جملة من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين
اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون
الثالث فتلبس على نفسك بان تلقب آلة الدنيا وسيرة البطالين بسيرة العلماء
الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع
الشيطان فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا
يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف
العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من
الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة
في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل
حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا رأى صورة
الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما يختص به من ادراك الحيل ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله
ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي زيادة عقله هي ثمرة عقله
ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ

بالطبع

بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على
ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف
العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الآيات والاخبار
في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم
المستفاد منه روحا ووحيا وحيوة في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل
كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا
عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم
عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة
رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة
حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه و
لا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما
خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي
ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب
فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا
فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق
ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال اثنى
قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل
الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال
صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما ترتفع العباد
غدا في الدرجات الزلفى عند ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه انه عليه
الصلاة والسلام قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى و
يرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال عليه
السلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن
خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة
المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد
فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك
فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البراء رضي الله عنه

قد كثرت المسائل يوما على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شيء
فطنة واحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة افضلهم عقلا وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع
من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم
لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل
وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا
كان يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب رضي
انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملئكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المؤمنون
واجتهدوا من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عائشة
رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل
قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عائشة وهل عملوا
الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر
ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل
شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع
وراعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم
بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب
ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل
سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله
من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام
حيوته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما
امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا
على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل
اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا
المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول
الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية
وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في
حد العقل انه غريزة يتهيأ بها العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب يستعد لادراك
الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن
العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحيوة

غريزة

غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة
بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة
ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها
في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحيوة ويقال لا فرق الا ان
الله عز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر
الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله تعالى قادر ان يخلق
قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد
في الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحيوة فكذا مفارقة الانسان البهيمة
في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق
غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة
وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فـ
نسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة
نور الشمس الى البصر فكذلك ينبغي ان تفهم هذه الغريزة **الثاني**
العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة
المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون
في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض
العلوم الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا
صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما
الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم
الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال
فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل ومن لا
يتصف به يقال انه غبي فهذا نوع آخر من العلوم تسمى عقلا
الرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور
ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت
هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا
من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوانات فالاول
هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب
اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية
تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى
فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي

كرم الله وجهه رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم
يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والأول هو المراد بقوله
صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والأخير
هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم إذا تقرب الناس بأبواب البر
فتقرب أنت بعقلك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء
رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال رضي الله عنه
بأبي أنت وأمي يا رسول الله وكيف لي بذلك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا وتنفل
من الصالحات بالأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها
من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب أن عمر وأبي
ابن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل فقالوا من أعبد الناس
قال العاقل فقالوا من أفضل الناس قال العاقل فقالوا أليس العاقل من
تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته
فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الحيوة
الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو المتقي وإن كان
في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث آخر إنما العاقل من آمن بالله
وصدق رسله وعمل بطاعته فالأول الذي يفارق الإنسان كأنه البهائم
وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وسائر الصناعات الخفية
الفكرية وهو الذي أراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة
يتهيأ بها العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك
الأشياء ولم ينكر ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية
فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة
مع فقد العلوم وكما أن الحيوة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية
والإدراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات
ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق إلا أن الله
بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوما وليس يخلقها في الحمار لجاز أن يسوى
بين الجماد والحمار في الحيوة ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الحمار حركات
مخصوصة بحكم إجراء العادة فإنه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن
كل حركة تشاهد منه وأن يكون الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا
في الاستعداد وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى

الله

الله تعالى الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود
أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول
والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود
إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت
مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض فإنه يظهر بحفر القنى ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها
شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فإنهم انقسموا
في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها أي كل آدمي
فطر على الإيمان بالله بل على معرفة الأشياء على ما هي عليها أعني أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للإدراك
ثم لما كان الإيمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى من أعرض فنسي وهم الكفار وإلى من أجال خاطره
فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر
أولو الألباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود
في القلب لكن غابت بعد الوجود والآخر أن يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة
للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه
يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل إليه في
الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد
فيها التهافت ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالأواني المصفوفة بالدار فيقول ما لهذه
الأواني ما ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإنما الخلل في بصرك فكذلك خلل
البصيرة يجري مجراه وأتم منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس
ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال وكذلك نري إبراهيم
ملكوت السموات والأرض وسمى ضده عمى فقال فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وقال ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر
وبعضها بالبصيرة وسمي الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته
دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما يطلق اسم العقل عليها [illegible] **تفاوت الناس في العقل**
قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى المبادرة إلى
التصريح بالحق ونقول إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم
الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة
كون الشخص في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكا
محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع

لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا ايضا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد فاما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوتا في الغريزة واما تفاوتا في الممارسة فاما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفيا على التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وذلك مثل الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اذ يتضح لهم في بواطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب والمريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فما كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا تنبيهه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه

عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج في القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف في النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان عبد الله بن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث طويل في آخره عن وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم من اعطي الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم من اعطي اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة به فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله عز وجل ويعرف صدق رسوله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى ادرك بها حقائق الامور واكثر هذه التخبطات نشات من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم آخر كتاب العلم ويتلوه كتاب قواعد العقائد والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا

كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتاب قواعد العقائد وفيه اربعة فصول

الفصل الاول

في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق الحمد لله المبدى المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد

التوحيد

المعرف اياهم انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن

التنزيه

وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله

موجود وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا
تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة
والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون
في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو
رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد
من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذوات الاجسام وانه لا يحل
في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان
وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير
والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله
مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا
بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة** وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه
قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة
والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته
وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم
لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته
العلم وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السماء وانه لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ويدرك
حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير وحركات الخواطر وخفيات السرائر
بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة**
وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر
نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره
وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ
المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته
ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم
ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته لعجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك
موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من
غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص
زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن **السمع والبصر** وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا
يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام
يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير
آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق **الكلام** وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد

بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال الهواء واصطكاك
الاجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه
المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك
قائم بذات الله لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام الله
بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا
عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات
الافعال وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن الوجوه واكملها
واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم
في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من
انس وجن وملك وشيطان وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه
بقدرته بعد العدم اختراعا وانشأه انشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث
الخلق بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته
وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل
والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب
الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم
والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان
حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم
بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به معنى الكلمة
الثانية وهي شهادة الرسول وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم برسالته الى كافة العرب
والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرره وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال
الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول
الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة وانه لا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر
عنه بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد
فيسألانه عن التوحيد والرسالة فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما
اول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن
بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم انه مثل طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله
والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور
فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان
بعدل الله ويؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام
الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوي بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار ويؤمن بالحوض المورود
حوض محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم **الايمان** يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه

يترنج لم يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عدد نجوم السما
فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح
والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شا من الانبيا عن تبليغ الرسالة ومن يشا من الكفار
عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال ويومن باخراج الموحدين
من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويومن بشفاعة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا ثم سائر
المومنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المومنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد في
النار مومن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل
الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم اجمعين
ان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار
وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال
وحزب البدعة فنسال الله تعالى كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم ان ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا
فشيئا فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان
فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك
وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال
عن نوع من الضعف في الابتدا على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في
نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته في نفس الصبي ان يعلم صنعة
الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات
فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال
من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات
ووظايفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهياتهم في الخضوع لله والخوف منه
والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء البذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى
ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السما وينبغي ان يحرس سمعه من
الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل
تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجا تقويتها بان تكثر اجزاوها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب
والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس
بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق
وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهوا تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا
الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق في التقليد بين
تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شي والاستدلال بالنظر شي آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على

هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع
اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم
يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى
ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف عن حقايق هذه العقيدة
بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في
قلب ابي بكر رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب
درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين و
ذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد وباختلاف
الفطرة في الذكاء والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه **مسئلة** فان قلت فتعلم الجدل
والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن
قايل يقول انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله بكل ذنب خير له من ان يلقى الله بالكلام ومن قايل انه واجب
وفرض اما على الكفاية واما على الاعيان وانه افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن
دين الله والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفين وجميع اهل الحديث من السلف قال
ابن عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفص الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله العبد بكل ذنب
ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشي من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا
قد اطلعت من اهل الكلام على شي ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان
ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان الشافعي سيل عن شي من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفص
الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي رحمه الله دخل عليه حفص الفرد وقال من انا فقال حفص الفرد
لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهوا لفروا منه
فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا
دين له وقال الزعفراني قال الشافعي رحمه الله حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف
بهم في العشاير والقبايل ويقال هذا جزا من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح
صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده
وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة فقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل
الناس بتصنيفك على المطالعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث وقال احمد علما
الكلام زنادقة وقال مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال
المتجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهوا فقال بعض اصحابه في تاويله انه اراد باهل
الاهوا اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا
اهل الاهوا ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من
التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقايق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا

مهم

مطلب

نطقهم بما ينوا لسنة من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك
المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم
ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويعلم طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم
الى حفظ الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة
على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة **واما الفرقة الاخرى**
فاحتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ العرض والجوهر وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها
الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير و
الفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفقهونه فاحداث
عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في المباح وان كان المحذور هو
المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن
اين يحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه
الكلام فكذلك يحرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم التفسير و
الحديث والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة
والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك عن بينة
هل عندكم من سلطان بهذا اي حجة وبرهان وقال قل فلله الحجة البالغة وقال الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه
الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال وتلك
حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال في قصة فرعون
وما رب العالمين الى قوله او لو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن من اوله الى آخره محاجة مع الكفار
ادلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي انشأها
مرة الى غير ذلك من الادلة ولم يزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم وقال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
فالصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة
بالمجادلة الى الحق علي كرم الله وجهه اذ بعث ابن عباس رضي الله عنه الى الخوارج يكلمهم فقال ما تنقمون على
امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في يوم
الجمل فوقعت في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا
فرجع منهم بمجادلته الى الطاعة الفان وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه وكرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان قال
عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل
الايمان الا ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلوة والصوم والزكوة ولنا
ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة
فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني لزلة فينبغي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند
الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صنعة فيقال اما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم يكن البدعة

مهم جدا

تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان غاية الافحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال
الخصم او لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها واما
عدم تصديهم للتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع
الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور واما ادخارا ليوم وقوعها وان كانت نادرة او تشحيذا للخاطر فنحن
ايضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع او تشحيذ الخاطر او لادخار الحجة
حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر
للفريقين فان قلت [illegible] فما المختار فيه عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل
حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي
لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا
يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى
الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه
من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى
ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق
التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد
عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت
الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام
اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء و
رجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد
المبتدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة
التعصب الذي يثور من الجدال ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال عنه اعتقاده باللطف في
اسرع زمان الا اذا كان نشوءه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم
يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون وبغض خصوم
المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله
الغطاء ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم
الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته
فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب
الشريف ولعل التخبيط والتضليل اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما
خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل
فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق
الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض
الامور ولكن على الندور في امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد

بغوايته المنفرة التي ترجحها على العوام وتحميها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف
يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة
التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ
ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت
الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا
في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب ان
يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر
محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد
للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب
من سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين
اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر
ان المجادلين من اهل مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من وقع له
شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء
الجدل وانما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل
بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات
العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا الدواء فجاز ان يلقى اليه واما في بلاد تقل فيها البدعة
ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع
شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا بأس بان يعلموا
القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة
ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه لذكائه
لموضع سؤال او ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس ان يرقى منه الى القدر
الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد
العقائد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد صارت
العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله فيه الى
ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك
الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد
العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الاكوان وعن الادراكات والخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع
او العمى وان كان كذلك فهو واحد هو منع عن جميع ما لا يرى او ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده
الى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد وزيادة
اسئلة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام
يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ

بالخاطر الكدر الذي كالسيف الكال عن الجهاد فلا بأس به كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين
وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والمحمود
من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فان قلت
مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدعة والان قد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا بد
وان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية
وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في
مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفايات بخلاف
زمان الصحابة فان الحاجة لم تكن ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه
المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس
الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا
فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال احديها التجرد للعلم والحرص
عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة
والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه
نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا يكون الشهوات غالبة عليه فان
الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة
الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات
اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة
للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوها
شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي رحمه الله
وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس
من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة
وذلك محمود في كل حال نعم قد يختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا
حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبهة وكشف الحقائق
ومعرفة الاشياء على ما هي عليها وادراك الحقائق التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا
المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة
من الله تعالى تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك
البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسئلة فان قلت هذا الكلام يشير الى ان هذه العلوم لها
ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر
الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع
ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية
وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اوائل الصبا شيئا وجمدوا عليه فلم

مطلب تخصيص علم الكلام بمن فيه ثلث خصال

مطلب الاسرار

ان يرتقى الى شأو العلى بمقامات الصلحاء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال على رضى الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وآله وسلم نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال عليه السلام ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العالمون بالله الحديث الى آخره كما اوردناه فى كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعرى ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك فى انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلوة ولكن بسر وقر فى صدره ولا شك فى ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التسترى رحمه الله للعالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض فيه وان الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ومدار الورع على النبوة فان قلت هذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفى والجلى واحدا الجواب فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التى ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه فى هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه فى الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز فى حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التى يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون فى علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام القسم الاول ان يكون الشىء فى نفسه دقيقا تكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من

مطلب قول ابن عباس

مطلب للعالم ثلثة علوم

لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفات الله تعالى من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شىء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبى او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هو حاضر له فى الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى انى عاجز عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله ولعل مثل هذا هو المشار اليه فى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره القسم الثانى من الخفيات التى يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذى منع اهل العلم عن افشائه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله وارادته ومشيئته حق فى نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو افشى لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيمة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال فخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم القسم الثالث ان يكون الشىء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع اغلب وله مصلحة فى ان يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر فى اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ومن هذا قول الشاعر شعر

فيه اشارة الى انه بهذا الكلام لم يصدر عن رسول الله الا بالاستغراق فصدوره عن الادراك مع انه مدرك الا انه يخفى عن ادراكه تعالى وهو حال فنائه

رجلان خياط وآخر حائك * متقابلان على السماك الأعزل * لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر * ويخيط صاحبه ثياب المقبل
فإنه عبر عن سبب سماوي في الإقبال والإدبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التي
تتضمن عين المعنى أو مثله ومنه قوله عليه السلام إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وأنت
ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد
معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة وكذلك قوله عليه السلام أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام
أن يحول الله رأسه رأس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار
لم يكن بحقيقته لونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس
حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحمق
أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فإنهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي
أو شرعي أما العقلي فبأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام قلب المؤمن بين أصبعين من
أصابع الرحمن ... السلف على ظاهره من غير تفسير وخالف فيه ... وقال لو فتشنا عن صدور المؤمنين
فلم نجد فيها أصابع فعلم أنه كان كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الخفي وكنى بالأصابع عن القدرة
لأن ذلك أعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله إنما قولنا لشيء إذا
أردناه أن نقول له كن فيكون فإن ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال إذ
المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية
أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا
ولكن يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى وأنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
الآية وأن معنى الماء هو القرآن ومعنى الأودية القلوب وأن بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم
يحتمل والزبد مثل الكفر فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا
القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية
وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** أن يدرك الإنسان الشيء جملة ثم يدرك
تفصيله بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان فيكون الأول كالقشر والثاني كاللب
والأول كالظاهر والآخر كالباطن وذلك كما يتمثل للإنسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع
علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له فكذلك
في العلم والإيمان والتصديق إذ قد يصدق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه
به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للإنسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة
وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر بعد تصرمه فإن تحققك
بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن
بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام الأربعة تتفاوت
الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام **القسم الخامس**
أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر

مطلب معنى قوله عليه السلام أما يخشى اه

ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني
فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللأرض
ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلا وفهما
للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الأرض فتجيب بصوت وحرف وتقول أتينا طائعين والبصير
يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى كما قيل
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا
أنها تقول أشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه
ويديم أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين
على الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء
الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر
عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملات فهذا الفن أيضا مما تتفاوت أرباب الظواهر
وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الظاهر للباطن وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد
فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد
أرجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وكذا المخاطبات
التي تجري بين منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم أفيضوا علينا
من الماء زعموا أن كل ذلك لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل حتى منع تأويل كن فيكون
وزعموا أن كل ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه
يقول إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود يمين الله في الأرض وقوله قلب
المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله إني لأجد نفس الرحمن من قبل جانب اليمن ومال إلى حسم الباب أرباب
الظواهر والظن بأحمد بن حنبل أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع
التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق فخرج الأمر من الضبط وجاوز
الاقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط ولا بأس بهذا الزجر وتشهد له سيرة السلف فإنهم كانوا يقولون أمروها
كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال
عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله تعالى وتركوا ما يتعلق
بالآخرة على ظواهرها ومنعوا عن التأويل وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفات الله تعالى الرؤية
وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط
وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشروبات والمنكوحات
والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم
إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة وردوها إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية
وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس
وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه

الا انهم يفترقون في ان الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وانه غير مخالف له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة كثير من الامور واذا راينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيترقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي مودعة في هذا الفصل من الكتاب ان شاء الله تعالى

الفصل الثالث من الكتاب في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بقواعد العقائد فنقول

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ان لم يتحققوا بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الله واثبات صفاته وافعاله واثبات صدق الرسول وعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول

الركن الاول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه يرى وانه واحد

الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة

الركن الثالث في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي العلم بان افعال العباد مخلوقة لله وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تكليف ما لا يطاق وان له ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات

الركن الرابع في السمعيات وهي اثبات الحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة

الركن الاول من اركان الايمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول معرفة وجوده تعالى واول ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض

لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة من عقل اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوئهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداهة العقول ان الحادث لا يستغني عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب فاما قولنا ان الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديمه وتاخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى الاولى قولنا ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا والثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث مما لا يشك فيه

الاصل الثاني العلم بان البارئ تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى ما لا نهاية له وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وبارئه ومحدثه ومبدئه

الاصل الثالث العلم بانه تعالى مع كونه ازليا ابديا ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه

لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز
ان يتصور حدوثه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم
بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده
وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث
في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من
القطع والقديم اقوى واولى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن
مناسبة التحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا
يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم
لعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمى جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى
الاصل الخامس العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر
واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل
خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز ان يعتقد ان
صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته
تعالى جسما من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم
الاصل السادس العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم
فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده
وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف
تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم
بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه
شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر مقدره والمصور مصوره والاجسام
والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته **الاصل السابع** العلم بانه
تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف
وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض
ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى
ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا
وخلق للانسان اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله
وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم
القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق
الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا
بجهة والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم تحته وتعالى ان يكون له فوق اذ تعالى
ان يكون له رأس والفوق عبارة عما يلي الرأس والتحت عبارة عما يلي الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولانه لو كان مختصا بجهة

بالحيز اختصاص الجواهر او مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه عرضا او
جوهرا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة
على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه
او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدار ويتعالى عنه الخالق والمدبر فاما رفع الايدي في
السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو
من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل
موجود بالقهر والاستيلاء **الاصل الثامن** العلم بانه تعالى مستو على العرش بالمعنى الذي
اراده تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات
الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان
وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر استوى بشر على العراق من غير
سيف ودم مهراق واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله
تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم
الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه
المحال وكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما للعرش اما
مثله او اكبر او اصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه
مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار
في الدار الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا
لقوله تعالى لا تدركه الابصار ولقوله في خطاب موسى عليه السلام لن تراني وليت شعري
كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى الرؤية
مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة والاغبياء اولى من الجهل بالانبياء اما
وجه اجراء آية الرؤية على الظاهر انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه
اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وكما
يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز
ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير صورة وكيفية **الاصل
العاشر** العلم بان الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع
واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساويه ولا ضد له ينازعه ويناويه وبرهانه
قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما
امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها
قادرا على مدافعته ومخالفته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها
قادرا **الركن الثاني** العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول**

العلم بانه صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم
محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب
التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او من انسان لا
قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل الاصل
الثاني العلم بانه تعالى عالم بجميع المعلومات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عنه
مثقال ذرة في الارض والسموات صادق في قوله تعالى وهو بكل شيء عليم ومرشد الى
صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم
لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير
الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله تعالى فهو المنتهى في
الهداية والتعريف الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة
حيوته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حيوة
الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حيوة ارباب الحرف والصناعات
وذلك انغماس في غمرة الجهالات الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا
وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد وكيف لا
يكون مريدا وكل فعل صدر عنه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر
ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد
من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص
المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى
يقال وجد بغير قدرة الاصل الخامس انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس
الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء
على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص
فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة
مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته وكيف تستقيم حجة ابراهيم عليه
السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغواية فقال له يا ابت لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لاضحت حجته
داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على
قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا
حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما الاصل السادس انه تعالى متكلم بكلام وهو
وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده
وجود غيره والكلام بالحقيقة القائم بالنفس كلام وانما الاصوات قطعت حروفا
للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من العلما

ولم يلتبس

ولم يلتبس على الجهلة حتى قال قائلهم ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ومن لم يعقله
عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع
عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء
وان الباء قبل السين في قوله بسم الله فلا يكون السين المتاخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات
اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان
يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر ان يرى في الاخرة موجودا ليس بجسم
ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بجسم ولا لون ولا قدر ولا كمية وهو الى الان لا يرى غيره فليعقل
في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد بجميع المعلومات
فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه العبارات وان عقل كون السموات
السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة في القلب وان كل
ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة والورقة فليعقل مقروا بالالسنة مكتوبا في المصاحف
محفوظا في القلوب من غير حلول ذات الكلام اذ لو حل ذات الله تعالى اسمه في الورق لحل ذات النار
بكتبة اسمها في الورق ولاحترق وهذا كلام على اهل الحق مخلق فان من يعتقد ان الذات مستوية
على العرش لم يزل ولا يزال كيف يطلق عليها بالانتقال بل كلامه القديم في الاوراق مكنون يظهر مسموعا
بالالسن ومنظورا بالاعين الاصل السابع ان كلامه القديم قديم قائم بنفسه قديم وكذا
جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من النعوت
ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات
ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها
مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه تعالى قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات
الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق
ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات
ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالى فاخلع نعليك
بذات الله تعالى ويصير موسى مخاطبا به تعالى بعد وجوده اذا خلقت له معرفة بذلك الطلب
وسمع لذلك الكلام القديم الاصل الثامن ان علمه القديم قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته
وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي
اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما بذلك العلم من غير تجدد علم اخر فكذا ينبغي
ان يفهم قدم علم الله تعالى الاصل التاسع ان ارادته تعالى قديمة وهي في القدم تعلقت
باحداث الحوادث في اوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محلا
للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في
ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذا الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى

ويستدعي الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة.

الاصل العاشر ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل وقتيل بلا قاتل لا يتصور عالم بلا علم وعالم بلا معلوم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن بعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف.

الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول.

الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا [illegible] فيها فهي متعلقة بحركات ابدان العباد فالحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يحكمها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها وكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي العقول فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض والسموات.

الاصل الثاني ان انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار واما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركات فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها.

الاصل الثالث ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا

في ان يخلقهم [illegible] فاما ان يخلقهم في [illegible] ويعرضهم [illegible] حول العرض [illegible] الاصل [illegible] ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يامره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده.

الاصل السادس ان الله يؤلم الخلق ويعذبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وصب انواع العذاب عليها من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله فنقول من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب.

الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرنا من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه في مسألة نعرضها عليه وهو ان يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب ذلك عليه عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي انت امتني في الصبي فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبي هذا عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون يا رب اما علمت انا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبي فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل فاذا قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى انه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري تعالى فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك على الله تعالى محال.

الاصل الثامن ان معرفة الله تعالى وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل وان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث

يقال انه يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الاغراض
والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو
محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المآل الا الثواب ومن
اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان
اذ ليس له الى احدهما ميل ولا به لاحدهما اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من
المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما
دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال
المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول
قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان
قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي
ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر على
الهادي المرشد فكذلك النبي يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تأخذوا
حذركم وتعرفوا صدقي بالالتفات الى معجزتي والا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك
وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع
بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من
الضرر ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع والعقل
لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب
ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة
الاصل التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم اذ في العقل
مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق
الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة
الاصل العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من
شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح
الحصى وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن
فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في
قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانباء
عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم
ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة
على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي
ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك
اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك

حصل للحاضرين علم ضروري بانه نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السمعيات والتصديق فيما اخبر عنه
صلى الله عليه وسلم ومداره على عشرة اصول الاصل الاول الحشر والنشر وقد ورد
بهما الشرع وهو حق فيجب التصديق به لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله
تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة فاستدل
بالابتداء على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء
الاول الاصل الثاني سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ
ليس يستدعي الا اعادة الحيوة الى جزء من الاجزاء الذي يفهم به الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك
ما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا السؤال فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من
الآلام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام
ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية
لم يدركوا الاصل الثالث عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعن السلف
الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء
الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى
على اعادة الحيوة اليها الاصل الرابع الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال
عند الله فيصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف
الثواب الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال
الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان
يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط الاصل السادس ان الجنة والنار
مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ففي
الحديث دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء
لان الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون الاصل السابع ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الامامة
اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك
فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير
النص على غيره فهو نسبة الصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لم
يستجرئ على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه
ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة
من معاوية في الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب
امر الامامة في بدايتها فرأى التأخير اصوب وظن معاوية ان تأخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة

[illegible] الدوماتر [illegible] وقد [illegible] وافضل [illegible] كل مجتهد مصيب [illegible]

[illegible] ان افضل الصحابة [illegible]

[illegible] عند الله تعالى [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

[illegible] ان شرائط الامامة [illegible] والتكليف [illegible] والعلم

[illegible] صلى الله عليه وعلى آله وسلم [illegible] من قريش واذا اجتمع [illegible]

[illegible]

من قواعد العقائد في الايمان

[illegible] الاسلام هو الايمان [illegible]

[illegible]

[illegible] الايمان [illegible] الاسلام [illegible] التصديق [illegible]

[illegible]

البحث الثالث

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن [illegible] على الايمان [illegible] فلان ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال النبي عليه السلام فيما يروى في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى عقائد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال شعر

رق الزجاج ورقت الخمر … فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح … وكانما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين ايضا اتصال وتعلق فلذلك ترى علوم المكاشفة تسترق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الاية

الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه يؤثر فيه

الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما فان اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي بعض المواضع في خبر اخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت

مسئلة فان قلت ما وجه قول السلف انا مؤمن ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثوري رحمه الله من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما ان من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان يقول امنا بالله وما انزل الينا وبين ان يقول انا مؤمن وقيل للحسن امؤمن انت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابراهيم بن ادهم اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امؤمن انت قال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه وجهان يستندان الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك

الوجه الاول الذي لا يستند الى الشك الاحتراز عن الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم وقال تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فا

... فيه اكثر منه والتضعيف لمعنى العجز ومثله التضعيف اللازم من لوازم الجبن وهو المزكية وبهذا كان يقول عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء الوجه الثاني التأدب بذكر الله تعالى في كل حال واحالة الامور كلها الى مشية الله وقد ادب الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكان الله عالما بانهم يدخلون لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التأدب بذكر الله كيف ما كان الامر

الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال اما العمل فقد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الآية فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى اولئك الذين صدقوا وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقال هم درجات عند الله وقال عليه الصلوة والسلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر ومنه حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث آخر الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس الى النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن البصري يقولون لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشت في الطريق وقال هو او غيره لو نبتت للمنافقين اذناب

ما قدرنا ان نطأ على الارض باقدامنا وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا يسمع اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا في جماعة فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل هو الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وآله ارى على وجهه سفعة من الشيطان ... نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت وما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات وكانت في كفة السيئات وقال السري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكر فخشيت ان يأمر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات عليين ويحط عن رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون

الباعث الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق اذ هو موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان بكاء اكثر الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما من احد يأمن ان يسلب ايمانه

... [illegible] من الذنوب ذنوب [illegible] عن سبيل سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل [illegible] عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار. وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد. وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل. وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك. وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الامور. فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما يفسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان. بل لا يبعد ان يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله تعالى. فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب فيحسن الشك فيه. فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد ويتلوه كتاب اسرار الطهارة. والحمد لله حق حمده والصلوة على رسوله محمد وآله وعترته وسلم تسليما.

كتاب اسرار الطهارة وهو الربع من العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة. وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة. اما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان ... عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقائه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات. فالطهارة لها اربع مراتب: المرتبة الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات. المرتبة الثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام. المرتبة الثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة. المرتبة الرابعة تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين. والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله في السر ما لم يرتحل ما سوى الله عنه ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة فتطهيره احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني

فكان

فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني. فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات. وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا. نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشرة الاخيرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخيال العقل ان الطهارة المطلوبة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه على علو منصبه توضأ من ماء في جر نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء. وقال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشواء فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر. وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما كانت مناديلنا بطون ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها. ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع المناخل والاشنان والموائد والشبع. فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعليه في صلاته باخبار جبرئيل عليه السلام له ان عليهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال لم خلعتم نعالكم. وقال النخعي في الذين يلتمسون النعال وددت لو ان محتاجا جاء اليها واخذها منكرا لخلعها. فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن احد منهم سؤال في دقائق النجاسات بل هكذا تساهلهم فيها. وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين واكثر اوقاتهم في تزيين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه القيامة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه. فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول ان هذا التنظيف والتكلف واعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن بها احوال ونيات

تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه
ونفسه فيفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة ولا اسراف واما مصيره منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر به قوله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين وان يكون القصد
به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين
واما كونه معروفا فان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه
الصلوة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تعلم علم او غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك
فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات
اليه لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله فلا باس
به اذا لم يخرج الى منكر او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة
عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك
فان حسنات الابرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة
ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ الا لما هو اهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح
لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس
الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء المدبوغة ولم
يعلم منهم فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون
نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق
له كان يمشي معه فنظر الى باب مرفوع معمور لا تنظر اليه فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى
هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق في الرياء لا في
احتمالات النجاسات فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير
وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال
والنفس ان لم تشغل بشيء شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم
اشرف من ان يصرفه الى مثله فينبغي ان يحفظ عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر على الجانبين
فلنقتبس بهذا المثال نظائره من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في
حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة وعرفت
ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر
لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن
الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره

القسم الاول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة

الطرف الاول في المزال وهي النجاسة والاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزاء الحيوانات اما الجمادات فطاهرة
كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة
الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء

وغيرهما والشعر لا ينجس بالموت والجز والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو
طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض واما
القيح والدم والروث والبول فنجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها
الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع وغبار
الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى
تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة
الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته
الخامس دم البثرات وما يترشح منها من قيح وغيره ودلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها
الدم وصلى ولم يغسله وفي معناه ما يترشح من الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من
خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع
في هذه النجاسات الخمسة تعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا اصل لها

الطرف الثاني في المزال به وهو اما جامد او مائع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط
ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا تزال النجاسة بشيء منها الا الماء ولا كل الماء بل الطاهر
الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه
او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رحمه الله هذا
في الراكد اما الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة
وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن القلتين
وان كان جري الماء اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا
اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي
رحمه الله وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة
اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه
من يجربه ويتامله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة
والمدينة اذ لا تكثر بها المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الى آخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني
مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء
في جرة نصرانية وهذا كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة تعلم
بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل ثان والدليل الثالث
اصغاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفارة
ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار والرابع ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة
طاهرة اذا لم تتغير ونجسة اذا تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه وفي

ينبغي لكونه الغالب ان قوة الورود ودفع النجاسة من الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة
فالحاجة ايضا ماسة الى الكل فلا فرق بين ان يطرح الماء في اناء فيه ثوب نجس او يطرح الثوب النجس في
الاناء وفيه ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه
الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان
كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب
الجريان ثم ما حد تلك القوة أتجري في انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق والى [illegible]
[illegible] الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم البول اشد
اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذا قضى بان يجري عليها فان لم يتغير [illegible]
[illegible] فاي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط اشد من المجاورة السادس انه اذا وقع
رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل
[illegible] تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال الجامع تحقق بقاء
اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي
والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه
الامور مع الحاجة الشديدة تشوش في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله
عليه وآله وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه وفيه تحقيق وهو ان
طبع كل مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما نرى الكلب يقع في المملحة
فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه وكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع
فيه وهو قليل يبطل صفته ويصير على صفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة
طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة حقيق بان يقلب
[illegible] ونظيره معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بلغ القلتين
في الغسالة وفي الماء الجاري وفي اضعاف الاناء المطهر ولا يظن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان
كسائر الاشياء [illegible] حتى يصير الملاقي له نجسا [illegible] بالغسالة ولا [illegible] الماء القليل
واما قوله عليه السلام لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير قلنا [illegible]
[illegible] لا تغيره النجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين
وترك المفهوم [illegible] الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهر في نفي الحمل اي يقلبه الى صفته كما يقال
المملحة لا تحمل كلبا [illegible] وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون
الاواني القليلة فيها [illegible] اذا كان قلتين لا تغيره هذه النجاسات
[illegible] كثرت حملها [illegible]
[illegible] المعتادة [illegible] النجاسات [illegible]
[illegible]
[illegible] النجاسة [illegible]

الماء على جميع موارده وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء
اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى
عنها الا اذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متوالية يقوم مقام الحت والقرص
في اللون ولمزيل الوسوسة ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا
يصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات **القسم الثاني** في طهارة الاحداث
ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب
الوضوء وهو قضاء الحاجة **آداب قضاء الحاجة** ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان
يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان
لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا احب وان استتر في الصحراء
براحلته جاز وكذا بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة
ولا في الجحرة وان يتقي المواضع الصلبة ومهاب الرياح احترازا من رشاشه وان يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى
وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها
من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه رآني النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلام
بال قائما فاتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه السلام عامة الوسواس منه وقال ابن
المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس
وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي
اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ
من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق
عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا
يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش الماء وقد كان
اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل شيء حتى الخراءة فامرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او
ببول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني لاحسنها
ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب
الرائحة يكون بالبادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة
ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع شدة حيائه
ليبين للناس ذلك **كيفية الاستنجاء** ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعا فان نقى
والا استعمل خامسا لان الايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم
قبل موقع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمره الى المقدمة
ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى المؤخر اجزأه ثم يأخذ

كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع
او في ثلاثة احجار او في ثلاثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك
ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من موضعه الى موضع آخر
ويستنجي بالماء فيفيض باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء
فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل الماء اليه فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة
للفضلات الباطنة ما لم تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى
للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده
بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لاهل قبا ما هذه
الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر كيفية الوضوء اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل
بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك
تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلاة وقال عليه السلام صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين
صلاة بغير سواك وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال عليه السلام ما لي اراكم
تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال
لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة
للرب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان
الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء
وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وآله وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله عليه اي لا وضوء كاملا
ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما
الاناء ويقول اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة
الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا
ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة
الذكر لك ثم ياخذ غرفة لانفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق
اللهم اوجد لي رائحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روائح النار ومن سوء
الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسل من مبدأ سطح الجبهة الى منتهى
ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان على طرفي الجبين
فهما من الرأس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في
جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء

الى منابت

الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب والعذاران
ما يوازي الاذنين من مبتدأ اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما
الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من
اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه عليه السلام فعل
ذلك ويرجو عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك
يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند
غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعلى العضد فانهم
يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام من استطاع ان يطيل غرته
فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا
يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه
بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما
الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني
تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي
اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرر ذلك ثلاثا ويقول اللهم اجعلني
من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلام
مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل و
الاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل الاصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل
اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند
غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين
فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك
وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب
الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا
واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع
له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة ويكره في الوضوء امور منها
ان يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء
وقال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور وقال الحسن ان شيطانا
يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال ابراهيم بن
ادهم يقال ان اول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء الوضوء وان يلطم
وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا ماء الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى
معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة رضي الله عنها انه كانت له منشفة ولكن طعن في الرواية
عن [illegible] ويكره ان يتوضأ من اناء صفر [illegible]

المني ولا لنقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام
ولوقوف عرفة ومزدلفة ودخول مكة وثلثة اغسال ايام التشريق ولطواف الوداع [illegible]
اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق [illegible] **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال
[illegible]

ماموراً بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كي لا تزدري نفوسهم وتحسين صورته في
اعينهم كي لا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على
كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل
هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب
وترك الشعث في اللحية اظهاراً للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلاً بما هو اهم منه محبوب
وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى
هذه الامور التفاتاً الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون
الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى الله تعالى بهذا امر ينكشف يوم
تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من
البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت
العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه
وسلم بغسل البراجم السابع تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم به العرب وهي رؤس الانامل وما تحت
الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت لهم صلى الله عليه وسلم
قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوماً لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي
صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم
ولا تنظفون رواجبكم وقلحاً لا تستاكون مر امتك بذلك فالاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى
ولا تقل لهما اف اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر الثامن
الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخوله دخل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر
النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام
يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لافته وذاك لفضيلته ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز
عن افته ولكن على داخل الحمام من السنن والواجبات وظائف فعليه واجبان في عورته وواجبان في
عورة غيره اما الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى
امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفي اباحة ما ليس بسوءة
لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان تكون بقية العورة
اعني الفخذ والواجبان في عورة الغير ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب
وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او مما يجري عليه مما هو
حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراماً يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد
ولا يعمل به فهذا لا يكون عذراً بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التاثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عن
التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول
الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس

غيره اما الواجبات في عورته فهو ان يصونها [illegible]

[illegible]

[illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم [illegible]
[illegible]

[illegible] من الفم [illegible] جهة الطلب [illegible] اما
[illegible] في كل شهر [illegible] ويزيد في الجماع [illegible] في الحمام [illegible]
[illegible] الصيف بعد الحمام [illegible] بارد
[illegible] الخروج من الحمام [illegible] عند الخروج وكذا [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الحمام وفي البيت
[illegible] حرام على المرأة دخول الحمام الا [illegible]
[illegible] ولا تدخل [illegible] ويكره للرجل ان [illegible]
[illegible] على المكروه

النوع الثاني مما يعرض من الاجزاء [illegible] وهي ثمانية

[illegible] لمن اراد [illegible] الا ان تركه [illegible] فانه [illegible]
اهل الشطارة [illegible] على هيئة اهل الشرف [illegible] فانه اذا لم يكن [illegible] كان ذلك
الثاني شعر الشارب [illegible] النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصوا الشوارب [illegible] الشوارب [illegible]
[illegible] اللحى [illegible]
[illegible] الاستيصال [illegible]
[illegible] فلم [illegible] الاحفاء [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
تعالى [illegible]
[illegible] الطعام [illegible] اللحى [illegible] ان اليهود يعفون شواربهم و[illegible]
[illegible] الحلق [illegible] الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين [illegible]
[illegible] الحلق [illegible]
[illegible] الرابع شعر العانة ويستحب ازالة
[illegible] الخامس الاظفار [illegible]
[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا هريرة اقلم اظفارك فان [illegible]
[illegible] الوضوء [illegible]
[illegible] على البراجم [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] بالقلم [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] المسبحة [illegible] الخنصر [illegible] بابهام
[illegible]
[illegible]

[illegible] عند الله [illegible] اشرف [illegible]
[illegible] الابهام [illegible] اليمنى [illegible] الاصابع [illegible]
ان [illegible] الطهور [illegible]
اليمنى واليسرى [illegible] الارض [illegible]
[illegible] الكف [illegible] الاصابع [illegible]
[illegible] الذهاب [illegible] المسبحة [illegible]
[illegible] بابهام اليمنى [illegible] الكف [illegible]
[illegible] ترتيبها [illegible] وضع الكف على ظهر الكف [illegible]
[illegible] الاصابع [illegible] الخنصر اليمنى [illegible]
[illegible] فان المعاني التي ذكرناها [illegible] الاصابع
[illegible] على الارض [illegible] اليمين فان [illegible]
[illegible] الترتيب [illegible]
[illegible] صلى الله عليه [illegible]
الحكم [illegible] على المعنى [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم في جميع حركاته [illegible]
[illegible] وترتيب [illegible] جميع الامور [illegible]
[illegible]
[illegible] المعاني [illegible] حركات [illegible]
[illegible] الى مرتبة الاولياء والانبياء [illegible]
[illegible] من الله [illegible] وان يكون [illegible]
ان يكون [illegible] الشيطان [illegible] الهوى [illegible] حركات [illegible]
عليه وآله وسلم [illegible] اليمنى [illegible] اليسرى [illegible] باليمنى [illegible]
[illegible] قال الله تعالى [illegible] الوتر [illegible]
[illegible] الاوصاف [illegible]
[illegible] اليسرى [illegible]
[illegible] اليمنى [illegible]
[illegible] اليسرى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على جميع معاني [illegible] النبوة [illegible]
بين الوارث والموروث [illegible]

[illegible]

أقول لم يحصل ولم يعقد عليه ولكن ... [illegible] ... وأما ... المنافي ... آخرها

[illegible]

مكرمة للنساء وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم ... [illegible]

[illegible]

حتى انكشف له ... [illegible]

[illegible]

... الخمسة و الاستنشاق والسواك وقص الشارب وذلك ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والصلوة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب ... [illegible]

كتاب اسرار الصلوة ان شاء الله تعالى ... وهو حسبي ... عليه توكلي في جميع الاحوال ... [illegible]

كتاب اسرار الصلوة من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم ... [illegible] الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

... الاعظم ... [illegible]

... مفاتح الهدى ومصابيح ... [illegible]

... الصلوة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ... [illegible]

[illegible]

لوقتها واسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما
حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء
مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها
وجهه وقال عليه السلام اسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلوته وقال ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن
وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين **فضيلة الجماعة** قال رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة روى ابو هريرة انه صلى الله
عليه وآله وسلم فقد ناسا في بعض الصلوة فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون
عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشاء و
قال عثمان من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وروي مرفوعا وقال صلى
الله عليه وآله وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ
عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلاثة اخا ان تعوجت قومني
وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة
بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي آنفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا أؤم ابدا وقال ال
حسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في
البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد
لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع
المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال ابو هريرة لان تملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من
ان يسمع النداء ثم لا يجيبه ويروى ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا
لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى اربعين يوما
في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان
يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب فتقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان
قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت
ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروي ان السلف كانوا يعزون انفسهم
ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة **فضيلة السجود** قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقرب العبد الى الله بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله
سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ويروى ان رجلا قال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني
من اهل شفاعتك وان يرزقني مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود وقيل اقرب ما يكون العبد الى الله اذا
كان ساجدا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما
يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح
وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت انا بالسجود فعصيت فلي النار

علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز
كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي احد
احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده فقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا
على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها
اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك
بيان فضيلة الخشوع قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به
ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا
يعلم ما يقول في صلوته وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له
ما تقدم من ذنبه وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم
وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي في الكتب السالفة ان الله تعالى يقول ليس كل مصل اتقبل
صلوته انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي واطعم الفقير الجائع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك
للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم واذا صليت فصل
صلوة مودع اي مودع لنفسه ومودع لهواه ومودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من لم
تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن
عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك
فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة
الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل عليه
السلام اذا قام الى الصلوة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع
من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع
قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال
بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك الذباب في الصلوة فتطردها
فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلوتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت
السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار انه
كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة
فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب رضي
الله عنه اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة
عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملتها وروي عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ

بالعرف والاطراف الى جانب الكشح ويغض البصر ولكن نظره محصور على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى

فليعين بين يديه ... خطا بان ذلك ليقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر ...

[illegible]

ركبتيه في الركوع واصابعه منضمة موجهة نحو القبلة [illegible] وان ينصب ركبتيه [illegible]

ظهره مستويا وان يكون عنقه ورأسه [illegible] الواحدة [illegible]

[illegible] العظيم ثلث [illegible]

[illegible] ثم يرفع من الركوع الى القيام [illegible] سمع الله لمن حمده [illegible]

[illegible]

التشهد

[illegible]

تمييز الفرائض والسنن

[illegible]

السورة ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود
والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير
ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمعها اسم السنة فلها درجات تتفاوت إذ يتشعب جملتها إلى أربعة
وهي من الأفعال فواحد وهو الجلسة الأولى للتشهد الأول فإنها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين
الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض
وقيل الأبعاض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال
عنهما لأن الركوع والسجود في صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار
وتكبيرات الانتقالات فعدم تلك الأذكار لا يغير صورة العبادة وأما الجلسة للتشهد الأول فهو فعل معتاد وما
زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح فتركها لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة
ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال
في الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد جلسة للتشهد الأول فبقي هذا قياما ممدودا
معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي المد احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام
في الصلاة فإن قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة
ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود
على الكل فما معناه فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك لك
بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة
والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل
عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن تفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب
وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب
خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع
وتعبدنا باكتسابها وروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص كما سيأتي ونحن الآن
في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ تفوت
وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري
منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء
ولكن يصير الشخص بسببه مشوها الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما تجزي من
الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف وأما الهيئات وهي ما وراء السنن
فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون وأما وظائف الآداب في تلك
السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها والصلاة عندك قربة وتحفة
تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فإن أحسنت فلنفسك
وإن أسأت فعليها ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك

من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فإن ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقء العين لا يبطل وجود الإنسان
ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي أن
تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب وكل صلاة لم يتم ركوعها وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها تقول
ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها والله أعلم

الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب ولنذكر في هذا الباب
ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها
ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى أقم الصلاة لذكري
وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل عن جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله
ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل
المستغرق الهم بالوساوس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم إنما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالألف و
اللام وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله إنما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والإثبات والنفي و
قوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من
الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به إلا الغافل وقال
أيضا ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل والتحقيق فيه أن المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس
بمناجاة البتة وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على
النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منهما
مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام كان القلب حاضرا
مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود أما الذكر فإنه محاورة
ومناجاة مع الله تعالى فإما أن يكون المقصود منه كونه خطابا أو محاورة أو المقصود الحروف والأصوات
امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب
بإخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان ما
أخفه على الغافل وليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقا إلا
إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور القلب فأي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب
غافلا وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأي مشقة في حركة اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم
الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأثني عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة
على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف
حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه إذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان تجري
هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد
توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء و
التضرع والدعاء والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب

لسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله
ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق
وتميزه بها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود منهما التعظيم قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله
وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحائط الذي بين
يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة
ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب
القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها
مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة النفس
بتنقيص المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت
على القلب حتى حملت على امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها فهذا ما يدل من
حيث المعنى على اشتراط حضور القلب **فان قلت** ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب
شرطا في صحتها خالفت اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير **فاعلم** انه قد تقدم في كتاب
العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا يطلع لهم على ما في القلوب ولا في طريق الاخرة
بل يبنون ظاهر احكام الدين على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل او تعزير السلطان فاما
انه ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما
رواه عنه ابو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وروي عن الحسن انه قال
كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا
وهو في الصلوة فلا صلوة له وروي ايضا مسندا وقال عليه السلام ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها
ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال
عبد الواحد بن زيد اجمع العلماء على انه ليس للعبد من صلوته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس
عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والاثار
الظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط
على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب
للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير
فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك
بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة
عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال
التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض
عن الخدمة واذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة
بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك
من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق

بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل
ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة واما
المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به
رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في اجزاء الصلوة و
كم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير كمثل حي لا حراك به نسأل الله حسن العون

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلوة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل
وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في
اكتسابها **اما التفاصيل** فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم
به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه
وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور
القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو
الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات
وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة
ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور
القلب والتفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم
زائد عليهما واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة
من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم
يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال واما الرجاء فلا شك انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه
او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره
عقاب الله واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف و
الرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب **اما** اسباب هذه المعاني الست فاعلم ان حضور
القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب فيه شاء ام ابى
مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من
امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين
ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه فاذا
اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة
يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة
مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد
الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان
الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع
الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر

الدنيا وما لم تنقطع تلك الموارد لا ينصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على
القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو له الصلوة عن الخواطر اما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من
معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس
لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة
والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم
والخشوع والتعظيم حالته لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة
والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك
الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع
البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما تشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية و
الهيبة وسياتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات اما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه و
عميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه
انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله
ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها
مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه
المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب
تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واعني به هذه المعارف
التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في باب اليقين من كتاب العلم وبقدر
اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة
كانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله تعالى اوحى الى موسى يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض
اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا فاذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم
قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي انه اوحى اليه قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني
آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة
والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في
لحظة والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم
يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من
على يمينه ويساره وقد كان وجيب قلب ابراهيم الخليل عليه السلام كان يسمع على ميلين وجماعة تصفر وجوههم
وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع
ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه بمهمته ثم
يخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن
الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر
الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم في

الصلوة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على
ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا
ينجو الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المؤمن لا بد ان
يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت
قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة
والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة والدواء في احضار القلب هو دفع تلك
الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته
باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة
الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته
لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض
بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا تتسع مسافة
بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون
يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد و
يغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان
ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من
تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا
يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلوة و
يشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر
المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت
اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان بن شيبة اني نسيت ان اقول لك ان تخمر القدر الذي في
البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا
يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان
ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت
مهمات بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد
دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي انه صلى الله عليه وسلم
لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم
فانها الهتني آنفا عن صلوتي وائتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه وآله وسلم بتجديد شراك نعله
ثم نظر اليه في صلوته اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام قد احتذى
نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كي لا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا
ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه
وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان ابا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في

الدبسي يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اصابه من
الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط آخر والنخل مطوقة
بثمرها فنظر اليه فاعجبه ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل
الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة
وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم
الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا
ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل التجاذب ومثاله
رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة
في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان
اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا تشعبت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار
انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب
ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب
الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في
الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا
انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة
فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا
ان يصلوا ركعتين لا يحدثوا انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم من الصلاة
شطرها او ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب
مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بالخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج من الخل لا محالة ولا يجتمعان والله اعلم

ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة

فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة واركانها واما الشروط
السوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء
المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين
الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوءا بالفرح
والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال
صلى الله عليه وآله وسلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها واما الطهارة
فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهي غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك
الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم
على الترك في المستقبل وطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية
مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك
التي لا يطلع عليها الا ربك فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله

ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء
من مكامنهما فتذل به نفسك وتستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء
الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك
عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات
فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة
واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت
به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن
غيرها فلا ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ عما سواه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام العبد الى
صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه واما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص و
القلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا مطاطئا متطامنا وليكن وضع الراس
عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التكبر والترؤس وليكن على ذكرك ههنا
خطر القيام بين يدي الله في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع
عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام
قيامك في صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك
بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز
المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل
لها انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عبيده او تخشين الناس ولا
تخشينه وهو احق ان يخشى ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء فقال صلى الله عليه وآله وسلم تستحيي
كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك وروي اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلاة
واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا
للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر
من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة
ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء
هو اكبر من الله فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم
رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك
ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة
والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس
عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر
السموات فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات
واياك ان تكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه

فاجتهد في الحال ان تصرف اليه وان عزمت عليه على الدوام ليكون قلبك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا
مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من يده ولسانه فان لم تكن كذلك كنت كاذبا
فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك
الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد
بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك
لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي
لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده و
رغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم
انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة
تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما تحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من
قصده سبع او عدو ليفترسه او ليقتله فقال اعوذ منك بهذا الحصن الحصين وهو على مكانه فان ذلك لا
ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا
يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال الله تعالى فيما
اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه
فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكائده ان يشغلك في الصلوة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات
ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم ان كل ما يشغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود
معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان
فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهي درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان
القلب فيترجمه ففرق بين ان يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل
ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان
معناها ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله و
معناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله
ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك جميع انواع
لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين
اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص
بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه
ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته
ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله
الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم
الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة
الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى

والصابئين

والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم
فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول
العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الى آخر
الحديث فلو لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه
من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل
عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق
الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار
حق اخبار الانبياء وروي ان زرارة بن اوفى لما انتهى الى قوله فاذا نقر في الناقور خر ميتا وكان ابرهيم
النخعي اذا سمع اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا
وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني
بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب
فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة
فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد
والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره
بكل شيء لا يليق به وروي انه يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام القيام فانه تنبيه
على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت و
كما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات كذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة
فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع
للقلب فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه
وسلم وقد رأى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في
الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلوته كانه وتد و
كذلك كان ابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك
يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك
وكل من يطمئن بين يدي غير الله خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن
اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال
قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد عندهما ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا
بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك
وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك
فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك
راجيا انه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك
بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الارض ثم تهوي الى السجود وهو

ودرجات الاستكانة فمكّن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل
بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل
فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه ترد فعند هذا جدد على قلبك عظمة
الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق
رجاؤك في رحمة الله فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا
حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود
ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات اي
الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما
هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده
الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة
ومستانفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال
وصدق الرجاء بالاجابة واشرك في دعائك ابويك وساير المسلمين والمؤمنين واقصد عند التسليم السلام على
الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك
هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال صلى الله عليه وسلم صل صلوة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في
الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجو
مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه وكان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلوة
وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين
هم على صلوتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على
هذه الصلوة فبالقدر الذي يتيسر له منها ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي
ان يجتهد واما صلوة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض فنسال الله
تعالى ان يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص
الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء
سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات
والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لاسيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال الله تعالى
واسجد واقترب وانما يكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف
والقلة والكثرة والجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة
والكلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله
وبعضهم من افعاله وبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية
واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه
الامور لا تتراءى الا في المرآة الصقيلة وكانت المرآة كلها صدية فاحتجب عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم

بل لخبث متراكم على مصب الهداية فتسارعت الالسن الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر و
لو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه
من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر
طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر احد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة الكلامية
المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل
من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب
بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على
دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المناجي من يناجي ما التفت
وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح ابواب السماء ومواجهة الله
بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التورية مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا
الله الذي اقتربت من قلبك من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى
له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من
الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف ويباهي الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع في الصلوة بين القيام
والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك والقائمون لا يركعون الى يوم القيمة وهكذا
الراكعون والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة والقاعدون فان ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة
لازم لهم مستمر على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك اخبر الله عنهم انهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق
الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيد قربة وباب المزيد
مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر
عنها فلا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوة قال الله تعالى
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم
ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال في آخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال تعالى في ثمرة تلك
الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا
وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجته الى هذا الحد ولذلك قال الله تعالى في
اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله
تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم فنسال الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت
اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان بمنه وجوده **حكايات واخبار في صلوة الخاشعين**
اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة
وفي غيرها بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد
ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة ولذلك روي عن
بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله تعالى وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه
البصر واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت

الفصل الرابع في الامامة والقدوة وعلى الامام وظائف قبل الصلوة وفي القراءة وفي اركان الصلوة وبعد السلام

اما الوظائف قبل الصلوة فستة اولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه

بحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة
لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وآله
عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم قد احسنتم
هكذا فافعلوا وقد تاخر في صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جاء وهم في الصلوة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار
المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله عز وجل
ومؤديا امانة الله في طهارته وجميع شروطه اما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال صلى الله عليه وآله وسلم واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا
والاذان طريق الى الصلوة فهي اولى بان لا يوخذ عليها اجرا فان اخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم
بامامته او من السلطان او آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهة في الفرايض اشد منها في التراويح
ويكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلوة واما
الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك
بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا
يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلوته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل ياخذ بيد من يقرب
منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنابة في اثناء صلوته فاستخلف واغتسل ثم رجع
ودخل في الصلوة قال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسق او عاق لوالديه او صاحب
بدعة او عبد آبق الخامسة ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية
قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر
الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس للصلوة ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر
ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على
العشاء طلبا لفراغ القلب السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وساير التكبيرات ولا يرفع الماموم صوته الا بقدر
ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلوة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل
القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليوخر تكبيره عن تكبير الامام فيبتدي بعد فراغه [illegible]
ثلث اولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح واولتي المغرب
والعشاء الآخرة وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلوة الجهرية وكذا الماموم ويقرن الماموم تامينه
بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة ومذهب الشافعي رحمه الله
الجهر الثانية ان يكون للامام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اوليهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت
قراءته دعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلوتهم فان لم يقرءوا
الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة
في السكتة الاولى وهي نصف السكتة الاولى والسكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك

بقدر ما ينفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرا الماموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم
يسكت الامام لقراءة الفاتحة معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع الماموم في الجهرية لبعده او كان في السرية
فلا باس بقراءته السورة الثالثة ان يقرا في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة
الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس بان يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلثين
او العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما
كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قرا بعض سورة يونس
فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قرا في الفجر آية من البقرة
وهي قوله آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الآية وسمع صلى الله عليه وآله وسلم
بلالا يقرا من ههنا ومن ههنا فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وآله
وسلم احسنت ويقرا في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب باواخر
المفصل وآخر صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب قرا فيها المرسلات ما صلى بعدها حتى
قبض وبالجملة التخفيف اولى سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرخصة اذا صلى
احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وكان معاذ بن
جبل يصلي بقوم العشاء فقرا البقرة فخرج رجل من الصلوة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فزجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاذا وقال افتان انت يا معاذ اقرا سورة
سبح والسماء والطارق والشمس وضحيها واما وظايف الاركان فثلثة اولها ان يخفف الركوع والسجود
فلا يزيد في التسبيحات على ثلث قال انس ما رايت اخف من صلوة رسول الله في تمام وروي ان انس بن مالك
صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان امير المدينة فقال ما صليت وراء احد اشبه بصلوة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن فاذا لم يحضر الا المتجردون للدين
فلا باس بالعشر هكذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده
الثانية الماموم ينبغي ان لا يساوق الامام في الركوع والسجود بل يتاخر عنه ولا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة
الامام الى المسجد هكذا كان اقتداء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يهوي الى الركوع حتى يستوي الامام
راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلوة على ثلثة اقسام طائفة بخمس وعشرين صلوة وهم الذين يكبرون
ويركعون بعد الامام وطائفة بصلوة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسابقون
الامام وقد اختلف في ان الامام هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وادراك تلك الركعة ولعل الاولى
انه اذا سمع الاخلاص فلا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم الثالثة
لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه بالدعاء بل ياتي بصيغة الجمع فيقول
اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس
الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة
المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل [illegible]

يخرج الانس بطولها وقيل لا يمسح العين اي بطرسوسا واما وظايف التحلل فثلثا ولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملايكة الثانية ان يثب عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابي بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه عليه السلام لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام الثالثة اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للماموم القيام قبل انفتال الامام فعن طلحة والزبير انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلوتك واتمها الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن صلوتكم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوات اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن الماموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التامين لانه ثناء فيقرا معه قوله او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين او صدقت وبررت وما اشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد اذ لا يرفع فيها اليدين بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا فلا يبعد ان يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء والله اعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة

اعلم ان هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تبارك وتعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من ترك الجمعة ثلثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يساله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا الجماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يساله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اولى الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اتاني جبرئيل عليه السلام وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك ليكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله اياه او ليس له قسم ذخر الله له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم القيمة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه وقال صلى الله عليه وآله وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملايكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستماية الف عتيق من النار وفي حديث انس انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلوة كله وان جهنم لا تسعر

وقال كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة كتب الله اجر شهيد ووقي فتنة القبر

بيان شروط الجمعة

اعلم انها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا عن الوقت ففيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في الصحارى والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه الثالث العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى بقي اقل من اربعين اما في الخطبة او في الصلوة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الآخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدركها اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلثة بقدر الحاجة فان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلوة خلف الافضل من الامامين فان تساويا فالجامع الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقلها الحمد لله والثانية الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرايض الثانية اربع الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب على الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلوة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائمة السيف والعنزة كيلا يعبث بهما او يضع احديهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون خطبته قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرأ آية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة واما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة ومن حضر الجمعة من مريض او مسافر او عبد او امرأة صحت جمعته واجزأت عن الظهر

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة

وهي عشر جمل الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد عصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان

لتخفيفه وليكن صوما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه والاشتغال باحياء هذه الليلة بالصلوة
وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد
استحب ذلك قوم وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل
الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا يتم ادب الاستقبال ويخرج عن زمرة
الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم وقال بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها
وراعاها من الامس واخسهم نصيبا من اذا اصبح قال ايش هذا اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجل
الجمعة الثاني اذا اصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر فان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا
بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وآله وسلم غسل
الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل وكان اهل المدينة يتسابون بينهم فيقول احدهم لصاحبه لانت
شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك
البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمرنا بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما روى انه
صلى الله عليه وآله وسلم قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة
فليفض الماء على جسده مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى
كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال اللجمعة فقال لا
من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان
لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل في الشرع
قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك الثالث
الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك
وحلق الشعر وقلم الاظفار وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره
يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود
وليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بذلك الروح والراحة الى مشام
الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه وروي
ذلك في الاثر وقال الشافعي رحمه الله من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما
الكسوة فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله تعالى البياض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس
من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعمامة
مستحبة في هذا اليوم وروى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله وملائكته
يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلوة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت
السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت الصلوة ولا عند صعود الامام المنبر ولا في حال الخطبة الرابع البكور
الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلث وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم

وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلوة قاصدا
للمبادرة الى جواب نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة
ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت
الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى
الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى
الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلوة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة وقال احمد بن
حنبل افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة
واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن
وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره
فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه
الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون
فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف
لا يستحيي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا
كيف يبكرون الى رحاب الجوامع للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة وقيل ان الناس يكونون في
قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضي الله عنه الجامع بكرة فرأى
ثلثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها رابع اربعة وما رابع اربعة من الله ببعيد
الخامسة في هيئة الدخول ينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك فقد
ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا
ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس
فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلوته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا
قال يا نبي الله قد جمعت فقال اولم ارك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفي حديث مسند
قال ما منعك ان تصلي معنا فقال اولم ترني فقال رأيتك آنيت وآذيت اي تأخرت عن البكور وآذيت
الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع
الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانهم لا حرمة لهم
واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم لانه تكليف جواب في غير محله السادس ان لا يمر بين يدي
الناس ويجلس حيث هو الى قرب من اسطوانة او حائط حتى لا يمر الناس بين يديه اعني بين يدي المصلين فان ذلك لا يقطع
الصلوة ولكنه منهي عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان يقف اربعين سنة خير له
من ان يمر بين يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا رمددا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي رجل يصلي
وقد روي في حديث آخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي

في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح
صح

[illegible] وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب انصت فقد لغى [illegible]
والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على انه [illegible]
[illegible] رضي الله عنهما والنبي عليه السلام يخطب [illegible] هذه السورة [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
[illegible] عليه السلام [illegible] الامام [illegible] في العلم [illegible]
[illegible]
[illegible] الصلوة في وقت خطبة الامام [illegible] قال علي رضي الله عنه [illegible]
[illegible] والصلوة والامام يخطب [illegible]
[illegible] الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ [illegible] الجمعة [illegible]

[illegible]

[illegible]

فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه كان رجل ابن عمر الى صاحب [illegible] فلما
كان ذلك من السنة لما [illegible] فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يخلفه
فيه ولكن يقول تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وبن
ان قام كان يجلس فيه [illegible] حجرة عايشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان [illegible]
عن سبحي [illegible] ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم [illegible] الثاني ان يكون [illegible] المراقبة للساعة الشريفة في يوم
الجمعة وان الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي
يختلفون فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ
في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلوة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبيل غروب الشمس وكانت
فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمتها ان تنظر الى الشمس فتوذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء
والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن ابيها صلى الله عليه وآله وسلم
وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل انها
تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي
ان يصدق بما قال صلى الله عليه وآله وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة
الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس
الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند
المغرب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يوافقها عبد
وهو يصلي وليس حين صلوة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قعد ينتظر الصلوة فهو في الصلوة
قال بلى قال فذلك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق
هذا اليوم وقيل [illegible] العمل [illegible] الجملة هذا وقت [illegible] وقت صعود الامام المنبر [illegible]
[illegible] ان يكثر الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك
قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو
اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين
[illegible] سبع مرات [illegible] سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله
عليه وآله وسلم [illegible] الصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي
بركاتك وزكوات تحننك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به
قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة
الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع
اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من

اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين
ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وعلى الجملة فكل ما اتى به من الفاظ
الصلوة ولو بالمشهور في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه الاستغفار فان ذلك مستحب ايضا في
اليوم الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة ليلة الجمعة فقد روى ابن عباس وابو هريرة
عن رسول الله من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى
الجمعة الاخرى وفضل ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب
والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن
في ركعتي الفجر او بعد المغرب او في ركعتي المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون
يستحبون ان يقرؤوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين ركعة فهو افضل
من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى عنه عليه السلام انه كان
يقرأ باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد وكان يقرأ في صلوة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي انه كان يقرأهما
في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة السجدة وسورة هل اتى على الانسان الخامس الصلوة
يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين
مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا
يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وفي حديث
غريب انه صلى الله عليه وآله وسلم سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ويستحب
ان يصلي في هذا اليوم اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة
الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع السور ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن
قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح كما سيأتي في باب التطوع
كيفيتها وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمه العباس رضي الله عنه صلها في كل جمعة وكان ابن عباس
لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر بجلالة فضلها والاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلوة
وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم
خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد
رحمه الله سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل ابي قطعة ليناولها اياه
فلم يأخذها منه ابي وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن
فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما او
قاعدا من غير تخطي وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم
رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي
لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا

يوم الجمعة ثم غفر له [illegible] قال [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك
ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة ويكف
فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي انه من سافر ليلة الجمعة دعا
عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في
المسجد من السقاء ليشربه او يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا
لا بأس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة فينبغي ان يزيد في يوم الجمعة في
اوراده وانواع خيره فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال
واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة
الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في يوم الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات ان شاء الله

الباب الخامس [illegible] في مسائل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد
الى معرفتها فاما المسائل التي يقع نادرا فقد استقصيناها في كتب الفقه مسألة [illegible] الفعل القليل وان
كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك مثل دفع المار وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة
او ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلوة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما
وكذا حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلوة وكان ابن
عمر يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها
قال ابن المسيب [illegible] يأخذها فيخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله
عن صلوته فيوهنها قدر ما لا تؤذيه ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال في الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك
كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلوة وقد سمعت ان الفساق يصبرون
بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان
عطس حمد الله في نفسه ولا يحرك لسانه وان تجشأ فينبغي ان لا يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي
ان يسويه وكذا اطراف عمامته وكل ذلك مكروه الا لضرورة مسألة الصلوة في النعلين جائزة وان كان
نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم لم خلعتم
نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان جبرئيل اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا
اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلوة
في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا
على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلع نعليه فاذا قد فعل كليهما
فمن خلع فينبغي ان لا يضع عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما
وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من رأى الصلوة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما
روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة
للمغيرة اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يساره و

كان اماما فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن
قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة
مسألة اذا بزق في صلوته لم تبطل صلوته لانه فعل قليل وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام
الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ روى بعض الصحابة ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني
بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال صلى الله عليه وآله وسلم ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا
لا احد قال صلى الله عليه وآله فان احدكم اذا دخل في صلوته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة
واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان
بادرته فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض مسألة [illegible] لوقوف المقتدي سنة
وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام
فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل على اليمين وهي خلف
الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف
منفردا صحت صلوته مع الكراهة اما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة
جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال الصف بل الى ان يعرف
افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلوة الامام وادا كان المأموم على فناء المسجد في طريق او صحراء مشتركة
وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم فهي رابطة بينهما اذ يصل فعل احدهما الى الآخر
وانما يشترط ان يقف في صحن دار على يمين المسجد وبابها لاصق بالمسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في
دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلوة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه فهذا
حكم الابنية المختلفة واما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء مسألة [illegible] المسبوق اذا ادرك آخر صلوة
الامام فهو اول صلوته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلوة نفسه وان قنت مع الامام
وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها
على الجملة في اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فيسقط عنه
بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر للاحرام ثم
جلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبير
للانتقالات الاصلية في الصلوة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن راكعا في الركوع
والامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة
مسألة [illegible] من فاتته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزأه
ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان [illegible] يصلي العصر ثم يصلي الظهر بعده لان الجماعة اولى
وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى في الجماعة ونوى الصلوة الوقت [illegible]
ولكن [illegible] فليعتبر [illegible] وان كان قد صلى في جماعة [illegible] فلينو الفائتة او النافلة فان
[illegible] بالجماعة لا وجه له [illegible] ذلك [illegible]

يجعل نعليه الى جنب تغطية الصلوة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في اثناء الصلوة رمى بالثوب واتم والاحب الاستيناف لو حمل هذا قصة خلع النعلين حين اخبر جبرئيل بان عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يستانف الصلوة. مسألة من ترك التشهد الاول او القنوت او ترك الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد الاول او فعل فعلا سهوا وكانت تبطل الصلوة بتعمده او شك فلم يدر اصلى ثلثا ام اربعا اخذ باليقين ويسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وبعد ان احدث بطلت الصلوة فانه لما شرع في السجود كانه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلوة فلذلك يستانف السلام بعد السجود وان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات. مسألة الوسوسة في نية الصلوة سببها خلل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله تعالى مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر او في غفلة واشتراط كون الصلوة ظهرا اداء وفرضا في كونها امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد مدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم الى التقدم والتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة تثور الوسوسة فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حال واحد مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة تندفع الوسوسة وهو ان يعلم ان امتثال امر الله تعالى في النية كامتثال امر غيره ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة واقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي ان يقنع بها حتى

يتعود ذلك ثم تفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد في الوسوسة وقد ذكرنا في كتاب الغرور وجوها من التحقيق في تحصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفتها واما العامي فربما يضره سماعه ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه. مسألة لا ينبغي ان يتقدم المأموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الاعمال ولا ينبغي ان يساويه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلوته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه فان تقدم عليه ففي بطلان صلوته خلاف ولا يبعد ان يحكم بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية اذ اللائق بالمقتدي ان يتاخر فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وآله التكبير وقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلوته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول. مسألة حق على من حضر الصلوة اذا رأى من غيره اساءة في صلوته ان يغيره وينكر عليه وان صدر عن جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد من الوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من يسيء صلوته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وقال بلال بن سعد الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا ظهرت ولم تغير اضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر قال تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة فلا ينبغي ان يتساهل فيه فقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى بيت من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتاخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم عليه الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه من الصف الى خلف ويدخل مكانه اعني اذا لم يكن بالغا فهذا ما اردنا ان نذكره في المسائل التي يعم بها البلوى وسيأتي احكام الصلوة المتفرقة في كتاب الاوراد

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلوة الضحى والوتر والتهجد لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلوة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله تعالى بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكانه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا بالاصطلاح عليه تعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من

الاهتمام بها وتشتد رجاءه في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة لفضله والمواظبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبحسب صحة الاخبار الواردة فيه واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعات صلوة العيد ثم الخسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر وركعتا الفجر فيما بعد تحمل النور تشتمل تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق بالاسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق بالاوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة والمجموع اربعة اقسام القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوة الخمس وثلثة وراءها وهي صلوة الضحى وتحية ما بين العشائين والتهجد الاولى راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وآله وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكوكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنتي عشرة من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهي طلوع الشمس ولكن السنة ادائهما قبل الفرض فان دخل المسجد والصلوة قد اقيمت فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انهما اداء ما وقع ذلك قبل طلوع الشمس لانهما تابع للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقي اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثانية راتبة الظهر وهي ستة ركعات ركعتان بعدها سنة مؤكدة واربع قبلها سنة ايضا وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا يزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس

عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله تعالى وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن يحسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط مائلا على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في اول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط ا ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى الجانب المشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند الانحراف علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته في علم الزوال الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى قبل العصر اربعا ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوته صلى الله عليه وآله وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته مستجابة لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة راتبة المغرب وهي ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلوة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا قد صلينا فيسأل اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلوة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلوة المغرب خاصة وان اخرت واديت قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقعت اداء ولكنه مكروه واخر عمر رضي الله عنه صلوة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة راتبة العشاء الآخرة وهي



[illegible]

... ركعات ... الظهر ... عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ...
... بسبع ركعات ... الروايات سبع عشرة ركعة
... ركعتين قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتين بعدها واربع قبل العصر وركعتين بعد المغرب
... الاخيرة ... الوتر ... الاحاديث الواردة فيه ... صلى الله عليه وآله
... اكثر ومن شاء اقل ... الصلوات ...
... بعض وترك ...
... الوتر قال ... كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
... في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي ...
... يصلي بعد الوتر ... ركعتين ...

[illegible]

في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم يكتب عليه الخطايا اربعين يوما فان مات
الى اربعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة. يوم الاربعاء روى ابو ادريس الخولاني عن معاذ
بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار
يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى
ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع الله عنه عذاب القبر وضيقه
وظلمته ودفع عنه شدائد يوم القيمة ورفع له من يومه عمل نبي. يوم الخميس عن عكرمة عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة
الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة اعطاه الله
ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن
بالله وتوكل عليه حسنة. يوم الجمعة روى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يوم
الجمعة صلاة ... من قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح او اكثر من ذلك فتوضأ فاسبغ
الوضوء وصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحى عنه مائتي سيئة ومن صلى
اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع له في الجنان ثمانمائة درجة و
غفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحى عنه الفا ومائتي سيئة
ورفع الله له الفا ومائتي درجة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى يوم
الجمعة صلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد مرة وخمسين مرة قل هو الله احد لم يمت حتى
يرى مقعده من الجنة او يرى له. ليلة السبت قال انس قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكانما تصدق على
كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له. ليلة الاحد قال صلى الله عليه وآله
وسلم من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة
مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته
والتجأ الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل
الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه
الله يوم القيمة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين. ليلة الاثنين روى الاعمش عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرأ في الركعة الاولى
الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة
الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة اربعين ثم سلم وقرأ قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة و
استغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله
حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله ... ليلة الثلثاء يصلي ركعتين يقرأ
في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة
آية الكرسي ويستغفر الله خمس عشرة مرة. ليلة الاربعاء ... عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى

ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في الاولى بعد فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة
الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه
الى يوم القيمة. وروت فاطمة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ست ركعات
يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلوته يقول جزى
الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار. ليلة الخميس قال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في
كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي وقل هو الله احد والمعوذتين خمسا فاذا فرغ من صلوته استغفر الله خمس عشرة
مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء.
ليلة الجمعة قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء
اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات فكانما عبد الله اثنتي عشرة سنة صيام
نهارها وقيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الجمعة صلوة العشاء
الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد والمعوذتين
مرة مرة ثم ثلث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر وقال صلى الله عليه وآله وسلم
اكثروا من الصلوة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة ...
ما يكره ... وهي اربعة صلوة العيدين وصلوة الاستسقاء وصلوة رجب وشعبان ...
... ومن شعائر الدين وينبغي ان يراعي فيها ستة امور الاول التكبيرات ثلثا نسقا
فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك
له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلوة العيد وفي العيد
الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار من يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقوال ويكبر عقيب
الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد الثاني اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين
ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز التزين
عند الخروج الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وكان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس
ان كان يوم مطر فلا بأس بالصلوة في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد
ويخرج بالاقوياء مكبرين الخامس يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا
ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى لاجل
الذبح وتأخير صلوة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السادس
في كيفية الصلوة فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل والناس يشتغلون
ثم ينادي مناد الصلوة جامعة ويصلي الامام بهم ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات
يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ... عقيب تكبيرة الافتتاح
... بعد الاستعاذة ... الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى واقتربت في الثانية والتكبيرات في الثانية ...

وفي الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها السابع أن يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمتي وقال صلى الله عليه وآله وسلم من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا وقال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشاة عن أهل بيته فيأكلون ويطعمون وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ست ركعات وقال هو من السنة **الثالث التراويح** وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال أخاف أن توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل إن الجماعة أفضل لفعل عمر ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فإلحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت وروي أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما إلا الله عز وجل وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر فإن بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر والالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان **الرابع صلاة رجب** فقد روي بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد فيقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل الله تعالى حاجته في سجوده فإنها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين وإن كانت رتبتها لا تبلغ رتبة

التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكني رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها **الخامس صلاة شعبان** ليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة **القسم الرابع** من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول إليه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن الأولى صلاة الخسوف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة قال ذلك لما مات ولده إبراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت يكره فيه الصلاة أو لم يكره نودي الصلاة جامعة وصلى الإمام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيامي الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين آية وفي الثالث قدر سبعين آية وفي الرابع قدر خمسين آية وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر فإن انجلى في أثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول الثانية صلاة الاستسقاء فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فيصلي بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فصل اعادة الشملة وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويذهبون في حزن
الساعة ثم يستقبلهم فيجعل المستسقي يدعون والامام يحوله كما هي حتى يرجعوا منها حتى تنزعوا الثياب
ويقول في الدعاء اللهم انا [illegible] ودعونا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن
علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلثة
قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشرائط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها الثالثة الجنازة وكيفيتها
مشهورة واجمع ماثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
صلى على جنازة فحفظت من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله
بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا
خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف
تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب صلوة نفسه ويكبر مع
تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيرة الفائتات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة
في هذه الصلوة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجديرة بان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات
هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة
فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فروض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم تتعين عليه
بحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية واسقطوا الحرج
عن غيرهم فلا يكون ذلك كفعل ما لا يسقط به فرض عن واحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية
واشتمال الجمع على ذي دعوة مستجابة لما روي عن ابن عباس انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من
الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله
شيئا الا شفعهم الله فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال السلام على اهل الديار من
المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف
حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام وقال اللهم عبدك رد اليك فارءف به وارحمه اللهم
جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منه بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف
في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه الرابعة تحية المسجد ركعتين فصاعدا وهي سنة مؤكدة حتى انها
لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الى الخطيب ولو اشتغل بفرض
او قضاء تادى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما
بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي انه لا يكره التحية في اوقات
الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وآله
صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما
الوفد فافاد هذا الحديث فائدتين احديهما ان الكراهية مقصورة على صلوة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب

قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فات هل يكون قضاء فاذا انتفت
الكراهية باضعف الاسباب فبان تجري بما ينتهي به تحية المسجد وهي سبب قوي ولذلك لا يكره صلوة الجنازة
اذا حضرت ولا صلوة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفائدة الثانية قضاء النوافل
اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ولنا فيه اسوة حسنة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلوة
ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول انه مثل
الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وقت الكراهة نعم من
كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه
الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه صلى الله عليه وسلم قال احب الاعمال الى
الله تعالى ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروي عن عائشة رضي الله عنها انه قال من عبد الله
بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى فليحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله
تعالى فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبتان
لان الوضوء قربة ومقصودها الصلوة والاحداث عارضة فربما طرأ الحدث قبل الصلوة فينتقض الوضوء
ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات [illegible] حديث بلال اذ قال النبي صلى
الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقال صلى الله عليه وآله وسلم لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال
[illegible] شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين [illegible] السادسة ركعتان عند دخول المنزل
وعند الخروج منه روى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خرجت من
منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدا به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان
عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك
ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب
شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبدايات الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله تعالى وهي على ثلث
مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدا فيه باسم الله تعالى قال صلى الله عليه وآله وسلم كل امر ذي بال لم يبدا
فيه باسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان
يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلوة
على رسول الله قبلت هذا النكاح وقد كانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشرى دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم
ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب السابعة صلوة الاستخارة فمن
هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخيرة في تركه او فعله فقد امره رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بان يصلي ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو
الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك [illegible] فانك تقدر ولا اقدر وتعلم
ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله

اللهم وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله

فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير اينما كان انك على كل شي قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال اذا هم احدكم بامر
فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع
المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب
الثامنة صلوة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل
هذه الصلوة فقد روى عن وهب الورد انه قال من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل
ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي
تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شي بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل
سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك
الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته
التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معاصي
الله تعالى وهذه الصلوة رواها ابن مسعود عن رسول الله صلعم التاسعة صلوة التسبيح وهذه الصلوة مأثورة
على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او في الشهر مرة روى ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشي اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك
اوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب
وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع وتسجد فتقولها عشرا
ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت
ان تصليها في كل يوم فافعل وفي كل جمعة مرة او في كل شهر مرة وفي رواية انه يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعدها والباقي كما
سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين
ثلاثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلوة
الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد روى ذلك
فهذه هي الصلوات المأثورة ولا يستحب شي من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما
اوردناه قبل التحية وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلوة السفر والخروج من المنزل والاستخارة
فلا لان النهي مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت
بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا
للصلوة بل الصلوة سبب الوضوء فينبغي ان يتوضأ ليصلي لا انه يتوضأ وكل محدث يريد ان يصلي في وقت الكراهية
فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية
بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء
وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل ان ينوي بالصلوة

الوضوء بل ينبغي ان ينوي بالوضوء الصلوة وكيف ينتظم ان يقول في وضوئه اتوضأ للصلوة وفي صلوته
يقول اصلي للوضوء بل من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطل في وقت الكراهية فلينو قضاء ان كان في
ذمته صلوة تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضاء الصلوة في اوقات الكراهة
غير مكروهة فاما نية التطوع فلا وجه له ففي النهي في الاوقات المكروهة مهمات ثلثة احدها التوقي
من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الشمس
لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت
فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة في هذه الاوقات ونبه به
على العلة والثالث ان سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوة في جميع الاوقات والمواظبة
على نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان
حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت
هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا عن الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى
نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شي واحد استثقال وملال ولذلك لم
تكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادة من اعمال مختلفة واذكار متباينة
فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشي الواحد لتسارع اليه
الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن ارتكاب الكراهة الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوة
والاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم به مقصود النهي هذا هو الاوفق
عندنا والله اعلم تم كتاب اسرار الصلوة ويتلوه كتاب اسرار الزكوة ومهماتها الحمد لله والصلوة على

كتاب اسرار الزكوة من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي اسعد واشقى واماتت واحيى واضحك وابكى
واوجد وافنى وافقر واغنى واضر واقنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف
الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم من نعمه ما ايسر به واستغنى واحوج اليه من اخفق في رزقه
واكدى اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكوة للدين اساسا ومبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى
ومن غناه زكى ماله من زكى والصلوة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى اصحابه المخصوصين بالعلم
والتقى وسلم كثيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردف بذكرها الصلوة
التي هي اعلى الاعلام فقال تعالى اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم بني الاسلام على خمس
شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق

الزكوة قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم وقال ابو ذر انتهيت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت اليه اولاها حتى يقضى بين الناس واذ كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عنه من معرفتها مؤدي الزكوة وقابضها ونكشف ذلك في اربعة فصول

الفصل الاول في انواع الزكوة واسباب وجوبها **الفصل الثاني** في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة **الفصل الثالث** في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه **الفصل الرابع** في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الاول في انواع الزكوة واسباب الوجوب

والزكوة باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكوة النعم وزكوة النقدين والتجارة وزكوة الركاز والمعادن وزكوة المعشرات وزكوة الفطر

النوع الاول زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال الشرط الاول ان يكون نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والبغال والحمير والمتولد بين الظباء والغنم فلا زكوة فيها الشرط الثاني السوم فلا زكوة في معلوفة فاذا اسيمت في وقت واعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكوة فيها الشرط الثالث الحول قال صلى الله عليه وآله وسلم لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكوة فيه بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول او وهب انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في الماشية المرهونة لانه هو الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكوة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغني ما يفضل عن الحاجة الخامس كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت مائة واحدى وعشرين ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلثين تبيع

واما الغنم فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلث شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على الجميع وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن بشرط ان يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكوة فلا حكم للخلطة مع المكاتب والذمي ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة ولسنة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يؤخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كرائم ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غرائز المال

النوع الثاني زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة فيه ثمانمائة من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذه الحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف

النوع الثالث زكوة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة وفيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكوة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا بعد حلول الاجل

النوع الرابع زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ويؤدي الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان يؤدي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجب الزكوة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما في النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجار

وزكوة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة على اظهر الاقيس

الركاز والمعادن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك مسلم فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يخصص بالنقدين على الصحيح واما المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتخليص ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين نماء ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين المعدن ايضا حذرا من الخلاف فانها ظنون قريبة من التعارض والجزم بالفتوى فيها خطر التجاذب

النوع السادس صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته او افضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزأه وقسمتها كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من يجب عليه نفقته من الآباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وآله وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر واذا تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزأتها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها فان فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم ادى عن بعضهم واولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد تقع وقائع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار

الفصل الثاني في الاداء وشروطها الظاهرة والباطنة

بيان الشروط الظاهرة اعلم انه يجب على مؤدي الزكوة مراعاة خمسة امور الاول النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا في قطع المطالبة عنه اما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستأنف الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية الثاني البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر ان لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت تعجيلها بدخول شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جائز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك

او مات فالمدفوع ليس بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامر وسلامة العاقبة الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رحمه الله عليه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع تنقسم ثلاثة اقسام **القسم الاول** هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استئناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه

القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **القسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رحمه الله فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما والشاتين وان كان الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا منشأ الغلط فيه الرابع ان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة كل مال في تلك البلدة ثم لا بأس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة

والعاملون على الزكوة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقرآء والمساكين والغارمون والمسافرون
اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة
اصناف مثلا قسم زكوتها ... متساوية وعين لكل صنف سهما ثم قسم كل قسم ثلثة اسهم فما فوقها اما
متساوية او متفاضلة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فله ان يقسم على عشرة وعشرين فينقص نصيب
كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف عن ثلثة ان وجد
ولو وجب صاع في الفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد
مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم
الزكوة وليخلط ماله بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهمون فيه فان ذلك لا بد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكوة اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكوته
وظايف **الوظيفة الاولى** فهم وجوب الزكوة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت
من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة
التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان
المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال
محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء
المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك
قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة
شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس الى ثلثة
اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا
لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقالوا اما على العوام بحكم الشرع فخمسة
دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى
الله عليه وآله وسلم ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر رضي الله عنه ماذا ابقيت لاهلك فقال الله
ورسوله فقال صلى الله عليه وآله وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى
المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثاني درجتهم دون هذا وهم الممسكون اموالهم والمراقبون لمواقيت
الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل
عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهه وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة من التابعين
الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال
حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما
رزقناهم ينفقون وبقوله وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل هو داخل في حق
المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي
يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقته حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان
يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض اي لا يجوز له تكليف

الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة
القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب ولا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد
اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسألكموها
فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي
لبخله فهذا احد معاني امر الله عباده ببذل الاموال المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال
صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصي عنه وانما تزول صفة
البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا
المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره
بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان الله تعالى على عباده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية
شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم
لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى باغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله

الوظيفة الثانية في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا
للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقرآء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوقه عن الخيرات
وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية
الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما
اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة
فيه وليعين لزكوته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا
لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى
الله عليه وآله وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيها شيئا ولرمضان فضيلة ليلة
القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا
شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي
العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام
ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى
الله عليه وآله وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلث من كنوز البر منها اخفاء
الصدقة وقد روي ايضا مسندا قال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى
سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث
المشهور سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله بما اعطت يمينه وفي
الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال الله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة
الاخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث
بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ

في قصدوا الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرفوا القابض المعطي وكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه
في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم
وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بان
لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب والاحتراز من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص
واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في
معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب
المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل
تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغة وصفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال افعى من الافاعي وهو مأمور بتضعيفهما
او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية
فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه
الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي
فائدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الاقوى وسياتي اسرار هذه المعاني
في ربع المهلكات **الوظيفة الرابعة** ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس في الاقتداء
ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء قال الله تعالى ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الاقتداء واما الان السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي
ان يترك التصدق عليه خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا
لانه في الاظهار محذور ثالث سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بان يرى في صورة
المحتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق
على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة
ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وآله وسلم من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال
الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد
دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان
في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق
بكل حال **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى ثم اختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من
فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر
وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او يوبخه بالمسألة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل
الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس وهو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة
على اللسان والجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول
حق الله تعالى منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد المنة من الفقير اذ جعل
كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض حق الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان

يقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته الى الله ولو كان عليه دين
لانسان فاحال به عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت
منته سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق
نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة او احدها لم ير نفسه محسنا
الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد
وكيف ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان رأى نفسه
محسنا اليه تفرع منه الى ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء
والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة
ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر
بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على
نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس
منه وكلاهما منشأه الجهل اما كراهيته تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو
شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله والثواب في الدار الآخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله
لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهية لا وجه لها واما الثاني فهو ايضا
جهل لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء
الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة
فقال ابو ذر من هم يا رسول الله فقال عليه السلام هم الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله
الله تعالى مسخرة له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير
قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد
المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكلها اعداؤه فاذا مهما انتفت عنه الكراهية
وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله عز وجل له في اداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته
بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ
المن والاذى فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه
لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او والى
عدوا له عليه مثلا هل يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد لم يخل صدقته عن
شائبة المنة لانه توقع بسببها ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه
فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب
وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال
التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سياتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان
بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين
وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي

العليا وكانت عائشة رضي الله عنها وام سلمة اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذاك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكاة تجري مجرى الخشوع من الصلوة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله صلوة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذه الشريطة فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة

الوظيفة السادسة ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى وقيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد بعضها لان المال كله لله تعالى وبذل جميعه هو الاحب الى الله وانما لم يامر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى فيحفكم تبخلوا

الوظيفة السابعة ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله عنده واطيبه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس بن مالك طوبى لعبد انفق مالا اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله تعالى وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يوثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى والذي ياكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا توثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يوثر الله تعالى بما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ويجعلون لله ما يكرهون

وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدا وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار

الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ست

الصفة الاولى ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وآله اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ آخر اضف بطعامك من تحبه في الله تعالى وكان بعض العلماء يوثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال لا هؤلاء قوم همتهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله تعالى احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت كلاما منذ زمان احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه

الصفة الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل

الصفة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله تعالى وهو ان يرى النعم كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله تعالى اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله خالق للبواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواه واعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع واما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء واحواله متفاوتة وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وآله وسلم عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ آخر انها قالت لابي بكر رضي الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله

عليها ذكر ويمتنع ان لو نحى وصل الى اهل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورؤية الا خشية من غير الله وفي
الكافرين بكتاب الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين
من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكانه لم ينفك عن
الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه **الصفة الرابعة** ان
يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته
فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس
الحافا اي لا يلحون في السؤال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل
محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين
بالسؤال **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الآخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون
ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف بهذه الاسباب كان عمر يعطي اهل البيت القطيع من
الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر عن جهد البلاء فقال
كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فيكون صدقة
وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي
من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا
يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهي الصفات المطلوبة وفي
كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة
العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه
عن صفة البخل وتأكيد حب الله تعالى في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه
الى لقاء الله تعالى والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في
الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطأ حصل الاول دون الثاني فبهذا يتضاعف اجر المصيب في
الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع

الفصل الثالث في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان اسباب الاستحقاق اعلم انه لا يستحق الزكوة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا
مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى ولا تصرف زكوة
الى كافر ولا الى عبد ولا هاشمي ولا مطلبي اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات
الاصناف الثمانية **الصنف الاول** الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب وان كان
معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان له
قميص وليس له منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو
فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة
سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر وان قدر على الكسب بآلة فهو
فقير ويجوز ان يشترى له آلة وان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان

متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا يعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من
وظائف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب فان الكسب اولى من ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الكسب فريضة بعد الفريضة واراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب فيه شبهة خير من المسئلة
وان كان مكتفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهو اهون من الكسب فليس بفقير **الصنف الثاني** المساكين
والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فأسا وحبلا وهو
غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج
اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة
الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة الى الكتاب
والكتاب يحتاج اليه لثلثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء
كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستيناس
فهذا يباع في الكفارة وزكوة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم
والمدرس باجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كادوات الخياطة وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض
الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره
كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى
عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب
ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت
باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء ولا ثياب
الشتاء في الصيف والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون من كتاب نسختان فلا حاجة الى
احديهما فان قال احديهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج
والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احديهما بسيط والآخر وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف
بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر
ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه
الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن
وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيه برأيه ويقرب في التحديدات
بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة
المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث** العاملون
وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ
والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجرة المثل فان فضل شيء من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص
كمل من مال المصالح **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم الاشراف الذين اسلموا وهم مطاعون في قومهم
وفي اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظرائهم واتباعهم **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع الى السيد سهم
المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه عبد له **الصنف السادس**

الغارم وهو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا
تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان استقرض لمصلحة او اطفاء فتنة الصنف السابع الغزاة الذين
ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو الصنف
الثامن ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان
له مال ببلد آخر اعطي بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ
ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى
بانه غاز فان لم يف به استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما
مقادير ما يصرف الى كل واحد فسياتي ان شاء الله تعالى **بيان وظايف القابض وهي خمسة**
الاولى ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرف الزكوة اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله
الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله واليوم الآخر وهو المعنى بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة
تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاته
فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه متن الخطر ومنهم من احبه فحماه عن الدنيا كما يحمي الشفيق مريضه وزوى
عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفي
نصيب الى الفقراء المتجردين لعبادة الله تعالى والاستعداد لما بعد الموت ولا يصرفهم عنها فضول الدنيا ولا
يشغلهم عن التاهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله
عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه ان شاء الله تعالى فليأخذ
ما ياخذه من الله تعالى رزقا له وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه ان يتقوى على طاعته فان لم يقدر عليه
فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من
الله تعالى الثانية ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه
واسطة ولكنه طريق وصول نعم الله اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي
رؤية النعمة من الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى الله تعالى
على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل
القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح
الشهداء وقد قال صلى الله عليه وآله من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد
كافيتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ٢
ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة منه والاستعظام
وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي
اسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله تعالى فان من لا يرى
الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا الثالثة ان ينظر فيما ياخذه فان لم يكن من حل
تورع عنه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال

فلا ياخذن من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان
ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما
سياتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا يقع زكوة
عن مؤديه وهو حرام الرابعة ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما ياخذه فلا ياخذ الا المقدار المباح ولا
ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على قدر الدين
وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل فان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع منه
وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من
خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان
اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه او يستغني عن نفاسته
فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف
آخر مقابل يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن
حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا والمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في
التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا
الى فنون من التوسيع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من
وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر
على حاجة شهره او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ بحكم الزكوة والصدقة
مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل ابن الحنظلية
انه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنا فسئل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه وقال آخرون ياخذ
الى حد الغنا وحد الغنا نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله الزكوة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل
واحد من عياله نصاب زكوة وقال قائلون حد الغنا خمسون درهما لما روى ابن مسعود انه صلى الله عليه وآله وسلم
قال من سال وله مال يغنيه جاء يوم القيمة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون درهما او قيمتها من
الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما رواه عطا بن يسار منقطعا انه صلى الله عليه وسلم قال من سال وله
اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به
طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني بها طول عمره لان هذا هو الغنى وقد قال عمر اذا اعطيتم فاغنوا حتى
ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد
الاعتدال ولما شغل ابا طلحة بستانه عن الصلوة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وآله وسلم اجعله في قرابتك
فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر رضي الله عنه اعرابيا ناقة
معها ظئرها فهذا ما حكي فيه فاما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الابواب
وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى ان يشتري ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف
والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير

جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للمتورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه وآله وسلم الاثم حواز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيئا مما يقبضه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة الخامسة ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذ منه لانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل واما التساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسياتي ذكر مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها

فضيلة الصدقة من الاخبار

قوله صلى الله عليه وآله وسلم تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله تعالى ياخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال صلى الله عليه وآله [illegible] لابي ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وآله وسلم صدقة السر تطفي غضب الرب وقال صلى الله عليه وآله وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا ولعل المراد بالذي يتصدق من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الصدقة افضل فقال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال صلى الله عليه وسلم انفقه على نفسك فقال ان عندي آخر فقال انفقه على زوجتك قال ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم انت ابصر به وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقال صلى الله عليه وآله وسلم ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وآله لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرأوا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله ما دامت عليه منه رقعة

الآثار

قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على اولي الحاجة منا وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة

لتدفع سبعين بابا من الشر وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل سبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا اخطأت خطيئة فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان الشيء لله لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة احوج ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى باسا بشرب الوضوء من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص وقيل ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى وثمنها الدرهم او الدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله تعالى رضي في الحور العين بالفلس واللقمة

بيان اخفاء الصدقة واظهارها

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى ان الاظهار افضل ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك لستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف الثاني انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابرهيم التيمي انه رأى على رجل قميصا جديدا فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء كثير والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطي دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء معروفه فقبلته وذلك اساء ادبا في عمله فرددته عليه واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملاء فرده فقال لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما كان لله تعالى ولم تقنع بعين الله تعالى فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته الرابع ان في الاظهار ذلا واهانة وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء ياخذ في السر ولا ياخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم واهانة لاهله فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس الحذر عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وآله وسلم من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية لقوله صلى الله عليه

لفضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فالتفرد بما يعطى في الملا مكروه الا برضا
جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم عن هذه الشبهة واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة الاول
الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة الثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة
والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ
على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه
اسلم للدين واقل للآفات النفس او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذي يريده اخوك لانه
يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا نظر له
الا الى الله تعالى والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا بدعاء من
ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا او غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا
على الواحد الفرد وحكي ان بعض الشيوخ كان يكثر الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين ذلك فاراد ان
يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد
فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا ما امرنا الشيخ فقال ذلك المريد لم
اقدر عليه فان الله كان يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله تعالى والرابع ان
الاظهار اقامة لسنة الشكر قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله تعالى من
كتم ما آتاه الله تعالى وقرنه بالبخل فقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا انعم الله عز وجل على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين
في السر شيا فرفع بذلك يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيه افضل والسر في امور الآخرة افضل ولذلك قيل اذا اعطيت
في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وآله وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم
تستطيعوا فاثنوا عليه خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافاتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما
راينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال صلى الله عليه وآله وسلم كلا ما
شكرتم لهم واثنيتم عليهم به فهو مكافاة فالآن اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس
اختلافا في المسالة بل هو اختلاف حال وكشف الغطا في هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفا في المسالة افضل في كل
حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص
فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر و
الخداع اغلب في معاني الاخفا منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل
الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدرا والى
المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين يستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير
حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تالمه بانكشاف اخذه الصدقة
كتالمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسو
الظن او يتقي هتك الستر او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف
صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل

من مكر الشيطان وخدعته فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة
محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن ملاحظة هذا ربما
يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب
المعطي واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا
دا مدفون في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له
الشكر من السنة والاخفا من الريا ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده في الباطن ما ذكرناه
ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي والى من يرغب في عطائه وبين
يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت
هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه
السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا
يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك
يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربت عنقه لو سمعها ما افلح
مع انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم
في الخير فقال صلى الله عليه وآله وسلم لواحد انه سيد اهل الوبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم في آخر اذا اتاكم
كريم قوم فاكرموه وسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال عليه السلام اذا علم احدكم من اخيه
خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري
من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا وكنت انا اسر به منك ورايت
ذلك نعمة من الله عز وجل علي فاشكر والا فلا تشكر فدقايق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال
الجوارح مع اهمال هذه الدقايق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال
فيه ان تعلم مسالة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم يحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر
وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات الا ان
يكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان ان الافضل من اخذ الصدقة او الزكاة

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل
فان في اخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذه صفة الاستحقاق كما وصف في كتاب
الله واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قايلون ياخذ الزكاة دون الصدقة لانها اعانة على واجب ولو ترك المساكين
كلهم اخذ الزكاة لاثموا ولان الزكاة لا منة فيها وانما هو حق واجب لله تعالى رزقا لعباده المحتاجين ولانه
اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي
من يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد من التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في
معرض الهدية ولا يتميز عنها وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته والقول الحق في هذا انه يختلف باحوال الشخص
وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكاة فاذا
علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير ولم يكن له وجه في قضايه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين

الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا محالة ... [illegible]
[illegible] يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المستحقين وان كان المال [illegible]
ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيه متقارب واخذ الزكوة اشد في كسر النفس [illegible]
في اغلب الاحوال والله اعلم هذا آخر كتاب اسرار الزكوة ويتلوه كتاب اسرار الصيام والحمد لله والصلوة على رسول الله

كتاب اسرار الصيام من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي عظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلوة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الآراء الثاقبة والعقول المرجحة وسلم تسليما

اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين ساير الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وآله وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه قال صلى الله عليه وآله وسلم للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم يقول الله تعالى انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن

بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال لعائشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسياتي فضل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى ففي قمع عدو الله نصرة لله ونصرة الله للعبد موقوفة على النصرة له قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلثة فصول

الفصل الاول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

اما الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلثين من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رؤي ببلدة ولم ير باخرى فان كان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه لانها ليست نية جازمة الا ان يستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب حال كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنع من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره فانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه ترديد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها الثالث الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والاكتحال والحجامة وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق الى جوفه او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار [illegible]
الرابع الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج وان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم [illegible]

بجماع لم يفطر وان طلع الفجر وهو مجامع فعليه نزع في الحال صح صومه وان صبر فسد ولزمته الكفارة الخامس
الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا
بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركها اولى واذا كان
يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني فطر لتقصيره السادس الامساك عن اخراج القيء فان الاستقاء
يفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او صدره لم يفسد رخصة لعموم البلوى بها
الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما لوازم الافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية
وامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر
فالحائض تقضي الصوم وكذلك المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء
رمضان ولكن يقضي الصوم كيف شاء متفرقا ومجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع اما الاستمناء والاكل
والشرب وما عدا الجماع فلا تجب به الكفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين فان عجز فاطعام
ستين مسكينا مدا مدا واما امساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا
طهرت امساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية
النهار ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بالغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم
الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم
اذا قدم صائما واما الفدية فتجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين
واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا واما السنن فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر
بالتمر او بالماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكوة
ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاواخر فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب وداب اهله اي داموا النصب في العبادة اذ فيها ليلة
القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه الاوتار ليلة احدى وثلث وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف
اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او
لشهادة او جنازة او زيارة او لتجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضا في البيت
ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض
الا مارا ولا ينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالاكل
والنوم وغسل اليدين في الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدني راسه فترجله عائشة وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء
حاجته فاذا عاد فينبغي ان يستانف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد
[illegible] في اسرار الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان الصوم ثلث درجات
صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن
قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر
الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية و

كفه عما سوى الله تعالى بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر
في الدنيا الا دنيا يراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته
بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين
برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في
تحقيقها عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واما
صوم الخصوص وهو صوم الصالحين وهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر
عن الاتساع في النظر والى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن
انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين
الكاذبة والنظر بشهوة الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء و
الخصومة والمراء والزامه السكوت واشغاله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة
تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله او
شاتمه فليقل اني صائم وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجهدهما
الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستاذنانه في
الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت
الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما
وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث
كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله بين المستمع واكل
السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال ايضا انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
المغتاب والمستمع شريكان في الاثم الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن
الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو كف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال
من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من
الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر
كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل
هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل
هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ فما من وعاء
ابغض الى الله من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم
عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادة بان تدخر جميع الاطعمة لرمضان
فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على

التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشا حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلا ينتفع بصومه بل من الاداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السما وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها من الملكوت وهو المراد بقوله انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدا جميع ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شا الله تعالى السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجا اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او رد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها وروي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه والمسي باسايته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقها صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقها الظاهر يثبتون الشروط الظاهرة بادلة هي اضعف من هذه الادلة التي اوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقها الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علما الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله تعالى وهو الصمدية والاقتدا بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلا الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله تعالى والذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشا مع الانهماك في الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدردا يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلما كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذي يحفظ

جوارحه من الآثام وياكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من اعضائه في الوضو ثلث مرات فقد وافق في الظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلوته مقبولة لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومن جمع بينهما كمن غسل اعضايه مرة مرة فصلوته مقبولة لاحكامه مردودة عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضايه مرة مرة فصلوته متقبلة لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلى قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل اني صايم اي اني اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا وللقشور درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب القلوب

الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه

مطلب فواضل الايام

اعلم ان استحباب الصوم يتاكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشورا والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه في رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم لانه ابتدا السنة فبناوها على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وآله وسلم صوم يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلثين من شهر حرام وفي الخبر من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة سبعمائة عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلثة الا ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان

مطلب الاشهر الفاضلة

والاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان

مطلب الاشهر الحرام

والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلثة سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج

الحج

وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا من عقر جواده واهريق دمه

مطلب الايام البيض

واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه وآخره ووسطه الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجرها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والثاني ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله يحب ان توتى رخصه كما يحب ان توتى عزائمه فاذا لم يكن شي من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين

بالاخبار وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعري رضي الله عنه من صام الدهر كله ضيقت عليه
جهنم وعقد تسعين فهذه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما
ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم
وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت
اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صيام
اخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر في الصوم وهو يقول
اني اريد افضل من ذلك فقال عليه السلام صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل فقال لا افضل من ذلك وقد
روي انه صلى الله عليه وآله وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف
الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين فاذا صام ثلثة من اول الشهر وثلثة من اوسطه
وثلثة من آخره فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث
واذا ظهرت اوقات الفضيلة فالكمال ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله
تعالى فالفقيه بدقائق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي
مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح
قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر
حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور
النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد
وايام التشريق فذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد رديء العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو
كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب صوم التطوع
والله اعلم بالصواب تم كتاب اسرار الصوم ويتلوه كتاب اسرار الحج والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

كتاب اسرار الحج من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا
وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتخصيصا ومنا وجعل زيارته
والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه
قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومباني العبادات
العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان
شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر
بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها وفضائلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله

في ثلثة ابواب الباب الاول في فضائل الحج وفضل مكة والبيت العتيق وجمل اركانها
وشرائط وجوبها الباب الثاني في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر الى الرجوع
الباب الثالث في آدابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة فلنبدأ

الباب الاول وفيه فصلان الفصل الاول في فضائل الحج وفضل البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المشاهد

فضيلة الحج

قال الله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما امر الله تعالى ابرهيم عليه السلام وعلى نبينا ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا
ايها الناس ان لله بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم فاسمع الله تعالى نداءه كل من يريد الله عز وجل ان يحج
من الذرية الى يوم القيمة وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في الآخرة ولما
سمع بعض السلف هذا قال غفر الله لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
اي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حج البيت ولم يرفث ولم
يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما رؤي الشيطان في يوم هو فيه اصغر و
ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال
ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين
مقصوف الظهر فقال له ما الذي ابكى عينيك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف
ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان
احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما
الذي قصف ظهرك قال قول العبد اسئلك يا الله حسن الخاتمة اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان
يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وآله وسلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى له اجر الحاج المعتمر الى
يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ايضا حجة مبرورة خير من
الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة وقال ايضا عليه السلام الحجاج والعمار وفد الله
وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث
من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون
للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة
واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا
كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر للعبد
في الموقف غفر لكل من اصاب ذنبه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر
لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع وكان واقفا
اذ نزل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قال اهل الكتاب لو انزلت هذه الآية علينا
لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له
الحاج وروى ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حججا قال فرأيت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك
بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء
ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال
الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن
استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان
يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام ويروى عن
علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كان ملكين قد نزلا
من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت
ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال ستة انفس قال
ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون
انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر الحرام جعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني
النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا
حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل
عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد
وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت
السخاء والاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل
حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة

قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله سبحانه وتعالى
قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر
كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان
الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق
وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقبله كثيرا وروي انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل
طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات
فقال علي يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا
ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد على الكافرين بالجحود قيل فذلك معنى قول الناس عند الاستلام
اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم بمكة بمائة الف وصدقة
درهم بمائة الف درهم وكذلك كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي
الخبر الصحيح عمرة في رمضان كحجة معي وقال صلى الله عليه وآله وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم آتي اهل البقيع
فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك

يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الخبر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول
من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا
غفر له ومن رآه نائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاولياء فقال رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت
عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة
الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى
الناس لها اثرا وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح
ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم
يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادها وفي الخبر استكثروا
من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره والله اعلم

فضيلة المقام بمكة وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة
الاول خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه
يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر بمنع الناس
من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود
فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون
في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر
وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله عبادا تطوف بهم الكعبة
تقربا الى الله تعالى الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور وبالحري ان يورث مقت الله
لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار
يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم
ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ العبد
فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة
ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد وقيل الكذب
ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة و
الطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة
وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور دور مكة ولا تظنن ان
كراهة المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى
قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه
فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه السلام الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني
اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

فضيلة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسائر البلاد

ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة رسول الله صلى الله

والاعمال فيها تضاعف قال صلى الله عليه وآله وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام
وكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة بخمسمائة وكذا سائر الاعمال وعن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال صلوة في مسجدي المدينة بعشرة الف صلوة وصلوة في المسجد
الاقصى بالف صلوة وصلوة المسجد الحرام بمائة الف صلوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لم يصبر على شدتها ولأوائها
احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له
شفيعا يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلثة فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تشدوا الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد
ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء
وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وآله وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة ولا بلد الا
وفيها مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد واما المشاهد فلا يتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان
في موضع لا مسجد فيه فله الرحلة الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل
من شدّ الرحال الى قبور الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الاحالة
واذا جوّز ذلك فقبور الاولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة
العلماء في الحيوة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر
استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم تسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ
للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وآله وسلم البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فاي
موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء
فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري قد جعل جرابه على كتفه واخذ قلته بيده فقلت
الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املاء فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت
وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا
زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه
من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان قال مذاهب مختلفة واراء فاسدة
قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس
والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن
قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيخالط عمله التزين والتصنع

الفصل الثاني في شرائط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته اما الشرائط

فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان
صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة
الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذا الوقت فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا
على المناسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شرط وقوعه

عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي او العبد ثم اعتق العبد وبلغ الصبي
بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الا شاة
ويشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن عمرة الاسلام الا الوقت ولما شرط وقوع الحج تطوعا عن الحر البالغ بعد
براءة ذمته عن حجة الاسلام فحجة الاسلام تتقدم ثم القضاء لمن افسده في حال الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا
الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة
ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل
باعمال عمرة او حج واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان
يكون مخصبا آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم
يكن لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر
على راحلة او كراؤها بمحمل او زاملة ان يستمسك على الزاملة واما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو ان
يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام في نفسه ويكفي نفقة الذهاب بالراحلة في هذا النوع والولد اذا
عرض طاعته على الاب المعضوب صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيه شرف للولد
وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره
سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في
سنة ولم يحج حتى هلك الناس او هلك ماله في تلك السنة فقبل الحج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج
مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع
اليه سبيلا وقد روي عن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس انهم قالوا لو علمنا رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات
قبل ان يحج ما صلينا عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يحج
ولم يزك سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج واما الاركان التي لا يصح
الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف
والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي ففي تركه
الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة
تجبر بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلثة الاول
الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل للاحرام بالعمرة الجعرانة
ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة
معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى
قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما الطواف فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد
الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع وهو
ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمسة
شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلوة الثاني
تقديم العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا

ان يكون مسابقة للاحرام بالحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الشروط كان متمتعا
ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان
لم يصم الثلثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع
ثم القران واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول اللبس فيحرم لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس
ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبا فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال في المحمل
ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان حرمه في الراس والمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان
احرامها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق
والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو
مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه
الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الوضوء مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء
ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام
فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه والله اعلم

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي

عشر جمل الجملة الاولى في السير من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية الاولى في المال فينبغي ان يبدأ
بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع
ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد
والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها
فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق فينبغي ان
يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره
صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه ويودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل له في دعائهم خيرا والسنة
في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وآله وسلم لمن اراد السفر في حفظ الله
وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار فينبغي وجنبك الردى
اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا
فرغ رفع يديه ودعا الله عز وجل عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة
في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك في مسيرنا هذا البر
والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا
سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم اللهم انا
نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك
ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله
ولا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا
ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا

الى لقائك اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي
فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني
التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا
ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ
لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله
اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم
انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر
سيره في الليل قال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه
بالليل حتى يكون ذلك عونا له على السير ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب
الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك
خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه
ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه
الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من كل اسد واسود
وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ومن والد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم السابعة في الحراسة
ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان
نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في اسفاره فانه ربما يستغرق في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة
افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة
فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء
الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا
ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت
بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا
فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين
الثامنة مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف
ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح
جللت السموات بالعزة والجبروت الجملة الثانية في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي
خمسة الاولى ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتم غسله
بالتنظيف فيسرح لحيته ورأسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثانية ان يفارق
الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله عز وجل ويتطيب
في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رؤي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فيه الاحرام مهما كان ابتداؤه قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او
يبتدئ بالسير ان كان راجلا فعنده ينوى الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفى مجرد النية لانعقاد
الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان
الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك
لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب
ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني
من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم
فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء
والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي
ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند
اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه
لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلثة فانها مظنة
المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت
وكان صلى الله عليه وآله وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة

الجملة الثالثة

في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغسال المستحبة المسنونة
في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلثة اغسال لرمي الجمار
الثلث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف
الوداع فيعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك
فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وامني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث
ان يدخل مكة من جانب الابطح وهو من ثنية كدا بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جادة
الطريق اليها فالتاسي به اولى واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي
العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم
انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته
وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم
افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب
بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم
خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسألك في مقامي هذا في اول مناسكي ان
تقبل توبتي وان تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا
وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم ان العبد عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك
اسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك السادس ان يقصد الحجر الاسود

بعد ذلك فيقف بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان
لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ثم لا يعرج بعد ذلك على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا
ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة

في الطواف فاذا اراد الافتتاح
بالطواف اما للقدوم او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة الاول ان يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث
في الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله اباح فيه الكلام وليضطبع قبل
ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره
وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها الثاني اذا فرغ من
الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر
في ابتداء الطواف وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون
طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به وان الطائف
عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق
على الجدار نحو اعلاه ومنه يبتدئ الطواف الثالث ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله
والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا
الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم اللهم ان بيتك عظيم
ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من هول
يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ
بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب
قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وآله وسلم شربة لا اظمأ
بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا
عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك
من الكفر واعوذ بك من الفقر واعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا
والآخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين
والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوطا واحدا فيطوف كذلك سبعة اشواط ويعيد
هذه الادعية في كل شوط الرابع ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي في الاربعة الاخيرة على الهيئة المعتادة
ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطى وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن
الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت السنة
والافضل الرمل مع القرب من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل
ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعه
الزحمة اشار باليد وقبل اليد وكذلك يستحب استلام الركن اليماني من بين سائر الاركان وروي انه عليه السلام

ثم يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على
الاستلام أعني اللمس باليد فهو أولى إذ هو الأشهر في الروايات الخامس إذا تم الطواف سبعاً فليأت الملتزم
وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه
بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقبتي
من النار وأعذني من الشيطان الرجيم وأعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم إن هذا
البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك ثم يحمد الله كثيراً
في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الرسل كثيراً وليدع بحوائجه الخاصة
وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي
السادس إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية
الإخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة أن يصلي لكل سبع ركعتان وإن قرن بين أسابيع
صلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف
ويقول اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى اللهم اعصمني بألطافك حتى لا
أعصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني إلى ملائكتك
ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم كما هديتني إلى الإسلام فثبتني عليه بألطافك وولايتك واستعملني
لطاعتك وطاعة رسولك وأجرني من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وآله
وسلم من طاف بالبيت أسبوعاً وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة هذه كيفية الطواف والواجب منه
بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعاً بجميع البيت وأن يبتدئ بالحجر ويجعل البيت على يساره
وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها
تفريقاً خارجاً عن المعتاد وما عدا هذا فهي سنن وهيئات **الجملة الخامسة** في السعي فإذا
فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر فإذا خرج من ذلك
الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عليه حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن
بعض تلك الدرج محدثة فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمماً للسعي وإذا ابتدأ من هنا سعى
بين المروة والصفا سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما
هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين
له الدين ولو كره المشركون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون اللهم
إني أسألك إيماناً دائماً ويقيناً صادقاً وعلماً نافعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وأسألك العفو والعافية
والمعافاة في الدنيا والآخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا

الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينة حتى ينتهي إلى الميل الأخضر وهو على زاوية
المسجد الحرام فإذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي إلى الميلين
الأخضرين ثم يعود إلى الهينة فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل
ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعاً ويرمل في موضع
الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد
فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى
ينبغي أن لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركناً فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك
شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كان **الجملة السادسة**
في الوقوف وما قبله الحاج إن انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف
وإذا وصل قبل ذلك بأيام وطاف طواف القدوم فيمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة
خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها إلى
عرفة لإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي
أن يخرج إلى منى ملبياً ويستحب له المشي من مكة في المناسك إلى انقضاء حجه إن قدر عليه والمشي من مسجد إبراهيم إلى
الموقف أفضل وآكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة
بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات
ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإياك
رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة
قريباً من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة فليغتسل
للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن في الأذان والإمام في الخطبة
الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين
وقصر الصلاة وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة وأما مسجد إبراهيم فصدره في الوادي
وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات
كبار فرشت هناك والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبل القبلة راكباً وليكثر من أنواع التحميد
والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا
يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبي تارة ويكب على الدعاء أخرى ولا ينبغي أن يفيض من طرف عرفة إلا بعد
الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط في الهلال
فهو الحزم وبه الأمن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن إحرامه
بأعمال العمرة ثم يريق دماً لأجل الفوات ثم يقضي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة
ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف في
يوم عرفة أولى ما يدعو به فيقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير

وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي
امري ... اللهم ربنا لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك
مآبي واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدور وشتات الامور وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك
من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من
في تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى يا خير
من سئل عليه واكرم مسئول ما اعطى العشية افضل ما اوتي احد من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم
الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسماوات ضجت اليك الاصوات
بصنوف اللغات تسئلك الحاجات وحاجتي ان لا تنساني في دار البلى اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك
تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير
الوجل المشفق المعترف بذنبه اسئلك مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف
الضرير ودعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب
شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لائم نفسي الهي اخرست
المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار
وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت
[illegible]
كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها يا كريم الهي انت انت
وانا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون
الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب
حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة
الاسلام وبذمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي
عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذله مسكين بجرمه متضرع اليك بعمله تائب
اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك نجاح حوائجه راج اليك في موقفه
مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم اليك
خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا
وبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه
خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة
الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان
لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك
رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام
وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الانفس بتتابع
نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك و

واظهرت الآيات حتى افصحت السماوات والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت
الوجوه لعظمتك اذا اساءت عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصينا سترت واذا اذنبنا
عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا
انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم
الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه
الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك
بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك
وانت احق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا
ربنا اغفر لنا وارحمنا انك انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر
من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا يغلطه
السائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين اذقني برد عفوك وحلاوة
رحمتك ويدعو بما بدا له ويستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ويلح في الدعاء ويعظم الرغبة
فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع لاجلي وقال بكر المزني قال رجل
لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم **الجملة السابعة** في بقية اعمال
الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفات بعد غروب الشمس
فينبغي ان يكون على السكينة والوقار ويجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا ولا توطئوا ضعيفا ولا توطئوا مسلما
فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب
الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت
فيها السنة مختلفة تسئلك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين
المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب
والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الحضر وهكذا ينبغي للحاج
في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع التبعية بينها
وبين الفرائض واذا جاز ان يؤدى النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع
بالتبعية اولى ولا منع من هذا مفارقة النفل الفرض في جواز ادائه على الراحلة لما اومأنا اليه من التبعية
الحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت
فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات ثم اذا انتصف الليل يأخذ في التأهب
للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة ولا بأس بان يستظهر بزيادة
فربما يسقط منه بعضه وليكن الحصى خفافا بحيث يحتوي عليها اطراف البراجم ثم ليغلس بصلوة الصبح وليأخذ
في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق
المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام

يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب ان يحرك
دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي
تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم
النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهي
ظاهرة بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته ان يقف مستقبل القبلة وان استقبل
الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك
واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى
عقيب الصبح آخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصيغة التكبيرات ان يقول الله
اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له
الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي
ان كان معه والتقرب بذبحه بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك واليك تقبل مني كما تقبلت
من خليلك ابراهيم والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة والبقرة
والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من العفراء
والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منها ان كان من هدي التطوع ولا
يضحي بالعرجاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الانف والاذن القطع
منهما والعضب في القرن والعرج نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من اسفل والمقابلة
المخروقة من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة
ان يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي و
يقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر الشعر والاصلع
يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء و
الصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول
وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء ولكن يبقى
مقيدا بعلقة الاحرام فلا يحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية
ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا
الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف
القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق و
الطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم و
التاخير لهذه الثلاثة مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم
ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة يوم
السابع وخطبة يوم عرفة **الجملة السابعة** وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا
خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف وعاد الى منى للمبيت والرمي

فيبيت

فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني
من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع
حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر و
دعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء
ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف في الاولى ثم يتقدم الى الجمرة العقبة ويرمي
سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح
فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم
هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل فلا
يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدى وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي
اراقة دم وليتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يفعل ذلك ولا يترك حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا افاض من منى
فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة
فان لم يفعل فلا شيء عليه **الجملة الثامنة** في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع من اراد
ان يعتمر قبل حجه او بعده كيفما اراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل
مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء
ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا
فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا
دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله
ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيت ربي فكيف اراهما اهلا لان اطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا
والى اين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم
اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم
ماء زمزم لما شرب له اي يشفي ما قصد به **الجملة التاسعة** في طواف الوداع مهما عن له الرجوع
الى الوطن بعد الفراغ من تمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر اشغاله وداع البيت ووداعه
بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم
ثم ياتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما
سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني
فازدد عني رضا والا فمن الآن قبل ان تنأى عن بيتك داري هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا
ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك
ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته
آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه **الجملة العاشرة** في زيارة المدينة
وآدابها قال صلى الله عليه وآله وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال من وجد سعة ولم

فقد جفاني وقال من جاءني زائرا لا تهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة
فليصل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة او اشجارها قال
اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من
بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا متخشعا وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله
رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي
بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون
الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد
ان يصلي في مسجد الاول قبل ان يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان
يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويجعل على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر القنديل
على رأسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول
السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله
السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم
السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر
السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين
السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة
السلام عليك يا هادي الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المؤمنين
جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك
الغافلون وصلى عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه
كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له واشهد انك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة
ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل
بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان ثم
يتأخر قدر ذراع ويسلم على ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ورأس عمر عند منكب ابي بكر ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام
عليكما يا وزيري رسول الله والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده بامور الدين
تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده و
ليكثر من الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا
نبيك متشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا و

تقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين
والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم
الراحمين ثم يأتي الروضة فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين قبري ومنبري روضة
من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويقف عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب ان يأتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ويصلي الغداة
في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يخرج ويعود الى المسجد لصلوة الظهر فلا يفوته فريضة في جماعة في المسجد
ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويزور قبر عثمان وقبر الحسن
بن علي رضي الله عنهم وايضا قبر علي ابن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها
ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فتلك كلها بالبقيع ويستحب ان يأتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بئر اريس يقال ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على
الخندق وكذا سائر المساجد والمشاهد بالمدينة ثلثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذا
يقصد الآبار التي كان عليه السلام يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار طلبا للشفاء وتبركا به
صلى الله عليه وآله وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وآله وسلم
لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من
المدينة فالمستحب ان يأتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسأل
الله تعالى ان يرزقه العود اليه ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم
ويقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري السلامة
ويسر رجوعي الى اهلي سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما قدر
عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا في سنن

الرجوع من السفر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قفل من حج او غزاة او غيره يكبر على كل شرف
من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي
بعض الروايات كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا
اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كي
لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل
ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا
لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وآله

تلك النية بأن يعود إلى التعلق والتلوث بالخلق بعد الخلاص فإنه قد طلب علامة الحج ودليل علامته أن يعود
زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة متأهباً للقاء رب البيت بعد لقائه البيت

الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة

الأول أن تكون النفقة حلالاً وتكون اليد خالية عن التجارة فإنها تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجرداً
والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق أهل البيت إذا كان آخر الزمان
خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي
الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج
الخصوص لا سيما إذا كان متجرداً بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون
وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد
لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين وعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة
أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله عليه السلام يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي
بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن
نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فإن الله يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا
وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله ويأخذ أجراً مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها فمن كان مثاله في أخذ
الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل كما كانت
تأخذ ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم الثاني أن لا يعاون أعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون
عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين في الطريق فإن تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه
عليهم فهو كالإعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن
ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإن هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها
سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر
فإنه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ بل ربما يظهر أسباب الترفه فيكثر مطالبته فلو كان في زي الفقراء
لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطرار الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق
من غير تقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد وأعني بالإسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على
عادة المترفين فأما كثرة البذل فلا سرف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق
الحج نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول
أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقيناً وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحج المبرور ليس
له جزاء إلا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام وإطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق
والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء
ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظور
والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن
ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون
كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله
ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن
أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلاً هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق
قال لا فقال ما أراك تعرفه الخامس أن يحج ماشياً إن قدر عليه فذلك أفضل أوصى عبد الله بن عباس بنيه عند
موته فقال يا بني حجوا مشاة فإن للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما
حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه
في الطريق وإن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود
في معنى قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة ولأنه أبعد
عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول بل ينبغي أن يفصل
فمن سهل عليه المشي فهو أفضل فإن كان يضعف ويؤدي ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب أفضل
كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيها أو
يكتري بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم يشق عليه فالكراء أفضل من المشي وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء
فالمشي له أفضل وكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى
خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً عن ابتذال الدابة فإن كانت لا تتسع نفسه لجمع بين مشقة النفس ونقصان
المال فما ذكره غير بعيد فيه السادس أن لا يركب إلا زاملة أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف أن لا يستمسك
عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين المتكبرين حج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم
وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل إن هذه المحامل أحدثها
الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة إلى القادسية
للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت في جميعهم
إلا محملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر
إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر
غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين المترفين ويخرج عن حزب
الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى
عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث إنما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا إلى
زوار بيتي قد جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه
بالحلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد اخلولقوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقان
واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف
فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم
كان في سفر فنزل أصحابه منزلاً فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت

عليكم ولو اقتصر ايضا في حملها على الظهر ... الخامس الرفق بالدابة فلا يحملها ما لا
تطيق والمحمل الخارج عن حد طاقتها والنوم عليها يوذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب
الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتخذوا ظهور
دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو السنة وفيه آثار عن السلف
وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة
فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به
يوم القيمة قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق
طاقتك وعلى الجملة ففي كل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح
للدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استامر
الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وكانه طريق الحزم في الورع
فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه
في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان
كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن
الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروى ابن عمر ان عمر اهدى بختية
فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه
عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين
بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها
بجمال التعظيم لله تعالى فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة
في القيمة كثر العدد او قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج والعج هو رفع الصوت
بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما عمل
آدمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقة دم وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع
من الله بمكان قبل ان يقع على الارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة
من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي
وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال او بدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة
في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى
احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله ويقال ان من علامات قبول الحج ايضا ترك ما كان
عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

الباب الثالث في الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره

اعلم ان اول الحج
الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب
الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول

مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق
وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها
ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن
الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات
ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق طلبا
للانس بالله تعالى فتركوا له اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله تعالى عليهم
في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على
اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله تعالى وفتروا عنها بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لاحياء
طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى
الله عليه وآله وسلم ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله
على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده
وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده
وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين
لرب الكعبة ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد
ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها
النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار
وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر
للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله سبحانه بافعال
هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله سبحانه وتعالى فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال
فلا حظ للنفس فيها ولا انس للطبع بها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر
المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع
عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على
الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة
حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان يكون
اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى
الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع و
الاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره
الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج اما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق
بان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله تعالى وزائر له وان من قصد البيت
في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله
الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيا لقبول نور النظر الى وجه الله

ولا

يطيق احتماله ولا يستعد للاكتحال به في الدنيا وانها ان امدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب
التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم
الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى
محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحري ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب
لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل واما العزم فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة
الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم
على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد
بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه
رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير واما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة
الخالصة لله عز وجل عن جملة المعاصي وكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه
ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له او لا
تستحيي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره
ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها
اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن من سفرك اولا الا النصب
والشقاء وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب
وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله وليتذكر عند قطعه لسفر الحج قطع العلائق
لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر و
اليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما الزاد فليطلبه من موضع حلال
واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد
فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى فان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند
الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا
محتاجا لا حيلة له فليحذر ان يكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الريا
وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف
عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه
يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب
ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر
اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر
المستيقن واما شراء ثوب الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند
القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله الا مخالفا
عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك
الثوب اذ ليس فيه مخيط كما في الكفن واما الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن

الى الله في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه
الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق
وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب
البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا
باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج
انه ان لم يصل وادركته المنية في الطريق لقي الله تعالى وافدا اليه اذ قال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله واما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها
ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول
قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات
ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا
لمخاوف القبر واما الاحرام والتلبية من الميقات فليعلم ان معناه اجابة الله تعالى فارج ان يكون مقبولا واخش
ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبريا وعلى
فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن
الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل
له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك
حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا
فاخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من
ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله تعالى لا لبيك
ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات
اجابته لنداء الله تعالى اذ قال واذن في الناس بالحج ياتوك ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم
في عرصات القيمة مجيبين لنداء الله ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين
في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا
واما دخول مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم آمن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله و
ليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات
غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع واما وقوع البصر على
البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج
ان يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه
الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيمة الى جهة الجنة آملين
لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا
تغفل عن تذكر امور الآخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الآخرة واما الطواف بالبيت
فاعلم انه صلوة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم انك

فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا يظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما استلام الحجر فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الحجر يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا الى البيت والى رب البيت تبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك فخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء بهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق في استدرار رحمة الله

سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي القاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فاكمل الهدي واجزاءه وارج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك به من النار اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه عليه السلام وجعل اليها هجرته وانها داره التي شرع فيها فرائض ربه وسنته وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله تعالى ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موقع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه الا عن سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودعه الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وآله وسلم يرفع الي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحول الله بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى ان تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما اجدرك بان ينظر الله اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله لنبيه عليه السلام ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرائض الله تعالى اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل الخلق حيا وميتا فليعظم املك في الله ان يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما فما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة اليهود والنصارى

واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلواتك فمثل صورته الكريم في خيالك
موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه السلام ان الله تعالى وكل بقبره
ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا
الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم من
صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلوة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت
منبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر ومثل في قلبك
طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله بخطبته وسل الله ان لا
يفرق بينك وبينه في القيمة فهذا وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم
والحزن والخوف وانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف
ذلك من قلبه واعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله ووجد اعماله
قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته
وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون
حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله منه غفر الله لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
هذا آخر كتاب اسرار الحج ويتلوه كتاب آداب تلاوة القرآن والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

كتاب تلاوة القرآن من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل وكتابه المنزل
الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص
والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل من الاحكام وفرق بين الحلال و
الحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء الصدور ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن
ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط
بالقليل والكثير والصغير والكبير لا ينقضي عجايبه ولا يتناهى غرايبه لا يحيط بفوايده عند اهل الفهم تحديد و
لا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعته الجن لم يلبثوا ان ولوا
الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به
فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف التلاوة والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة
على الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب
الباب الاول في فضل القرآن واهله الباب الثاني في آداب التلاوة في
الظاهر الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة الباب الرابع في فهم

القرآن وتفسيره بالرأي وغيره الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين
في تلاوته فضيلة القرآن قال صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي
افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة
من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقال صلى
الله عليه وآله وسلم افضل عبادة امتي تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل ان
يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قال طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى
لالسنة تنطق بهذا وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة القرآن عن دعائي
ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم
حساب حتى يفرغ فيما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وام به قوما وهم به راضون وقال عليه السلم
اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها
فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال عليه السلام لله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته
الآثار قال ابو امامة الباهلي اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى
القرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرؤا القرآن
فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الم الحرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم
حرف وقال ايضا لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان
كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم و
قال ايضا من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي
يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق
باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يا
رب ما افضل ما يتقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم و
بغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الرحمن تعالى يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه قط
وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان يكون
حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو
ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال
عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع الدنيا ويروى ان خالد بن
عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال اقرأ علي فقرأ ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال له
اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال
الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم
مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن
عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما ههنا احد نستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن

اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة
صح

في ذم تلاوة الغافلين قال انس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال
ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو سليمان الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين
يعصون الله تعالى منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن
ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان اصحاب
القرآن يسألون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيمة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا
الناس نائمون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون و
بصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا
ينبغي ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر منافقي
هذه الامة قراؤها وقال اقرأ القرآن ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقرأه وقال بعض السلف ان العبد
ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه
والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين
وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل
جملا فانتم تركبونه وتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها
بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرأ القرآن من فاتحته
الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا
يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها
وما ينبغي ان يقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب
الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التورية يا عبدي
اما تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه
وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت
عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد
اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل
عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني اجعلتني
اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة

وهي عشرة الاول في حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما
جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه
بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلوة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال فان
قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه
من قرأ القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلوة فله بكل حرف
خمسون حسنة ومن قرأ في غير صلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات

وماكان

وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه اصفى للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول
القيام بالليل الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم في اليوم
والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات
قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال عليه السلام من قرأ القرآن في اقل من ثلث لم يفقهه وذلك ان
الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن و
لا سكت وامر النبي عليه السلام عبد الله بن عمر ان يختم القرآن في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون
القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات الختم في اليوم و
الليلة وقد كرهه جماعة والختم في شهر كل يوم جزء من ثلثين كانه مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان
احدهما في الاسبوع مرة والثاني في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار
ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما
ليستقبل بختمه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كان ختمه ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى
يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل
فلا ينبغي ان ينقص من ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين
بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر
بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتأمل الثالث في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة احزاب
فقد حزب الصحابة القرآن احزابا فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة
السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثاء
بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه اقساما لا على
الترتيب وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع
سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق
فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا قبل ان تعمل الاخماس
والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس
بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن اللحن والخطأ لمن يقرؤه وكان الحسن وابن
سيرين ينكران الاخماس والاعشار والاجزاء وروي عن الشعبي وابرهيم كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجرة
على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث
زيادات وحسما للباب وتشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محظور واستقر الامر فيه على
ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح
انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها
وبعضهم كان يقول اقرأ في المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القرآن
مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم احدثوا نقطا
كبارا عند منتهى الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر

الهذلي

سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالحمرة فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال اما اعراب القرآن
فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل
ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه
الى ثلثين جزءا والى اقسام اخر الخامس الترتيل هو المستحب في هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة
التفكر والترتيل عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة معين صح
حرفا حرفا وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله
هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا
وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلوة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرأ البقرة فقط والآخر
القرآن كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل يستحب لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن
يستحب له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تأثيرا في القلب من
الهذرمة والاستعجال السادس البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتلوا
القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المري قرأت
القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال ابن
عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف
البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وآله وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا
قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره
في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك
على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب السابع ان يراعي حق الآيات فاذا مر بآية السجود سجد وكذلك
اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان
وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية
التي قرأها مثل ان يقرأ قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك والمسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليائك واذا قرأ قوله ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة
ويشترط في هذه السجدة شروط الصلوة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث
والخبث ومن لم يكن على الطهارة عند السماع فاذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريم ثم يكبر
للارتفاع ثم يسلم وزاد الزائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلوة وهو بعيد فانه ورد الامر
بالسجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم المأموم ينبغي ان يسجد عند
سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه الثامن ان يقول في مبتدأ قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد
وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله الكريم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد وليقل
عند فراغه من كل سورة صدق الله العظيم الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر بآية

تسبيح سبح وكبر وان مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر بمخوف استعاذ ويفعل
ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية رحمة
الا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلى الله عليه وآله وسلم عند ختم القرآن اللهم
ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت و
ارزقني تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك في انه
لا بد وان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف فلا بد من صوت واقله ما
يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه اذ القراءة آية فان لم يسمع نفسه لم تصح صلوته فاما الجهر بحيث يسمع غيره
فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر يدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال
فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر
بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله خير
الرزق ما يكفي وخير الذكر ما يخفى وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد
ابن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلوته و
كان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس
لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله بصلوتك فاخفض صوتك و
ان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف
وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم سمع جماعة من اصحابه يجهرون
في صلوة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته
فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلوته ومر صلى الله عليه وآله وسلم على ثلثة من اصحابه
مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر
على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه
السورة وآيا من هذه فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه في
الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان
لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعلق
بالغير والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه
يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب
احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فيستنشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر
افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان
في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر في
تأمل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وقد
خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون في المصحف ويكرهون ان يخرج

ربما لم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه
عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح العاشر تحسين القراءة وترتيلها
بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وآله وسلم زينوا القرآن بأصواتكم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل
أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة ويروى أن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت
أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وآله وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال
هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله واستمع أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر
وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال إني أحب أن أسمعه من غيري
فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وآله وسلم إلى قراءة
أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع
لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه قال فقال لي أنت الهيثم الذي
تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لأبي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد
وقت الصلاة يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله تعالى
ولذكر الله أكبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كانت له نورا يوم القيامة
وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن
يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة

وهي عشرة فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري الأول
فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله
إلى درجة إفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى
أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول
إلى فهم صفات الله تعالى إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت
لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله سبحانه لموسى
عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة
الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله في اللوح أعظم
من جبل قاف وإن الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل وهو ملك اللوح
فيرفعه فيقله بإذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق
بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته
وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض الملوك الحكيم إلى شريعة الأنبياء فسأله الملك عن أمور فأجاب بما

احتمله فهمه فقال الملك أرأيت ما يأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله فكيف يطيق الناس
حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها
وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه
وبديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة
بها من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها التي يطيقون حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام
الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي
سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات
لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر
تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر
السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن
يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما
لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على
حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة المكنون عنصرها
وكالنجوم الزاهرة التي يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي
من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام
والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي أن يقتصر عليه الثاني التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن
ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية
الخطر فإنه تعالى قال لا يمسه إلا المطهرون وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا
كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور
التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب
ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام
تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر بباله العرش والكرسي
والسموات والأرضون وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها و
الرازق لها واحد وأن الكل في قبضة قدرته مرددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم
فبفضله وإن عاقب فبعدله وأنه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وهذا غاية العظمة
والتعالي فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل
في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه
عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال أو شيء أحب إلي من القرآن أحدث به
نفسي وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم
فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن
كان التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزه

لاتنكر بحرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياض وخانات فالميمات ميادين
القرآن والراآت بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحواميمات ديابيج القرآن
والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارى في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير
وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم
يعزب قلبه ولم يتفرق فكره الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر
على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القرآن التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل
في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها
واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام
بآية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في
تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قراها فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني
في الصلوة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي
ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا
يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما
اصطنع الله تعالى ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قرا بسم الله الرحمن الرحيم فردده عشرين مرة
وانما ردده للتدبر في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها
وهي ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية
وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة
فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الصبح وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي
فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال او
خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر
يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة
ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول
اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومشاهرة ومسانهة الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل
آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال الانبياء وذكر احوال المكذبين لهم وانهم
كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفة الله تعالى فكقوله ليس كمثله شي وهو السميع البصير
وكقوله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف
له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يوتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم
وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله وصفاته اذ
لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات
والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي

الى انه يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شي اذ كل شي فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على
التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شي ما خلا الله باطل وان كل شي هالك
الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث
انه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا من
مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرا التالي قوله افرايتم ما تحرثون افرايتم الماء الذي تشربون افرايتم النار
التي تورون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتامل في المني وهو نطفة
متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال
المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر
والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما
قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه العجائب ليترقى منها الى اعجب العجائب
وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع واما احوال الانبياء
فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم
وانه لو اهلك جميعهم لم يوثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله تعالى وارادته لنصرة الحق
واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه
منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا
سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد
منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض
مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو
في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا
قال آنفا فقال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطبع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم وقد قيل لا يكون
المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد السادس
التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم
فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا
الى ملكوت السماء ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت
وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان
وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ويخيل اليهم انه لم يخرج الحرف من مخرجه
فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل
هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع
للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير
معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان

التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك غرور من الشيطان فيتباعد
منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس
بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو
الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى الطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون
مانعا كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز
على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل
ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف
لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر
من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد الرابع ان
يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب
وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت
الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه
مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة
الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا عظمت امتي الدنيا والدرهم
هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله
تعالى الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال
انما يتذكر اولوا الالباب والذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا يكشف
له اسرار الكتاب الخامس ان يكون قد قرأ التفسير ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله
النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده
من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي
رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس
فيه السابع التخصص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمأمور
وان سمع وعدا او وعيدا فكمثله وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر
وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت به فؤاده بما يقص عليه من احوال
الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة
بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وهذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس

فليقدر انه المقصود قال تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه
القرآن فكانما كلمه الله واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي
كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض الحكماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها
في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما
زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس
هذا القرآن احد الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا
الثامن التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد
يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على
فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن
نيلها كقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن ثم اتبع ذلك باربع شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع
شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا
من يتصفح القرآن من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن و
الله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله
وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب
ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة
فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة
يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته
وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح
مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن
وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات
الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا
ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر او العزيمة عليه
حتى يجد حلاوة التلاوة فاذا لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة
حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا
وفي قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وقوله وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم

عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في قوله السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان لم يتصف باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رايت انه يخشى الله تعالى وقال ايضا لا يسمع القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن علي عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى فانظر بماذا يامرك وبماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وآله وسلم انصرف الرجل وهو فقيه وانما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على القلب عقيب فهم الآية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ التاسع الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجة اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجة الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته

في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق وسري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على الصحابة ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله العاشر التبري واعني به ان يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلى آية المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلى قوله ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن حتى يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته كشف له الملكوت قال ابو سليمان الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم صلى الله عليه وآله وسلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تأويل كلمات

القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما
معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم من فسر القرآن
برايه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه
وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه
بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يوتي الله عبدا فهما
في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان للقرآن
ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن
والحد والمطلع وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه
وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض
العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخرون القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم
ومائتي علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعة اضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها
والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقول ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر
القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القرآن
شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق
في تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف
فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها
فكيف تفي بترجمته وتفسيره ولذلك قال عليه السلام اقروا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث علي والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي على اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها
ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبا ما كان قبلكم ونبا ما ياتي
بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين
ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم و
لا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل
بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك ثلاثا فقال ثلاثا تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة
وقال علي رضي الله عنه من فهم القرآن فسر جمل العلم اشار به الى ان القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال
ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال تعالى ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله
مقدما على الحكم والعلم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول
من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وآله وسلم من فسر القرآن برايه ونهيه عنه
وقول ابي بكر رضي الله عنه اي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برايي الى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار

في النهي عن تفسير القرآن بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط
والاستقلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما
يسمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا
يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو
تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذا غيرهم من الصحابة والثاني ان الصحابة
والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فيتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى
بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل فقيل الر هي حروف الرحمن
وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا
والثالث انه صلى الله عليه وآله وسلم دعا لابن عباس وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان
التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض
هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله
واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القرآن
على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك
المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان ليس المراد بالآية
ذلك ولكن يلبس على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي
يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير و
لولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل
عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة
ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول
قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله
بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد
الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون
قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق
للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى دون الاجتهاد قد يخص باسم
الراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق
بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم و
التاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر
بالراي والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط
والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون

بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار
القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعى فهم مقاصد
الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم
وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا
بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة
ولم تكن عمياء ولا يدرى انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم العجل اى حب
العجل فحذف الحب وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب الاحياء وضعف
عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحيوة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة
وقوله واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها والاهل محذوف مضمر وقوله ثقلت في السموات و
الارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشئ اذا خفى ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام على واضمر
الاهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم وقوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى
على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر وقوله حتى
توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله الذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اى يقولون
ما نعبدهم اى يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك فان لم يرد هذا كان
مناقضا لقوله قل كل من عند الله وينسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله
وطور سينين اى طور سيناء سلام على آل ياسين اى على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على
ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان
ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله وقال الملأ الذين
استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا
ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه
لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله ويسئلونك كانك حفى وقوله لهم مغفرة
ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق
قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اى صارت الانفال الغنائم لك اذ انت راض
بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله تعالى حتى تؤمنوا
بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة او حرف اما الكلمة
فالشئ والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ
اراد به النفقة مما رزق وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شئ اى الامر بالاستقامة والعدل
وقوله فان اتبعتنى فلا تسئلنى عن شئ اراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السؤال عنها
حتى يبتدى العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله ام خلقوا من غير شئ اى من غير خالق فربما توهم به انه
يدل على انه لا يخلق شئ الا من شئ واما القرين فقوله تعالى قال قرينه هذا ما لدى عتيد اراد به الملك

الموكل به وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الجماعة كقوله
وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله
ان ابراهيم كان امة قانتا لله والامة الدين كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله
تعالى الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اى القامة وامة رجل
متفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وآله وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة
الام يقال هذه امة زيد اى ام زيد واما الروح فقد ورد ايضا في القرآن بمعان كثيرة فلا نطول بايرادها
وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية
عن الحوافر وهى الموريات اى اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهى المغيرات صبحا فوسطن
جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله تعالى وانزلنا به الماء يعنى بالسحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعنى
بالماء وامثال هذا في القرآن لا تنحصر ومنها التدريج في البيان كقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن
اذ لم يظهر به انه ليل ام نهار وبان بقوله انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر انه في اى ليلة فظهر بقوله انا
انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وامثاله لا يغنى فيه الا
النقل والسماع والقرآن من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على
اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا
في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور
فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه في
موضع آخر مال برأيه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون
منهيا دون التفهم لاسرار المعانى كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة
الالفاظ ولا يكفى ذلك في فهم حقائق المعانى ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو
ان الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه
اثبات للرمى ونفى له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى
لم يرم رماه الله وكذلك قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب
وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات
لا يغنى عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة
بقدرة الله حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء
جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم
من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد
في الترقى الى درجة فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله
لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك
في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغنى عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله عليه السلام اعوذ

أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت
على نفسك لمزيد القرب واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض
فإن الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات فقال أعوذ بك
منك ثم زاد قربه بما استحيا به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناء
عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها
أغوار وراءها وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه
به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليها وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له
ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريد بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم بالصواب
تم كتاب التلاوة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم ويتلوه كتاب الأذكار والاد

كتاب الأذكار والأدعية من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الشامل رأفته العامة رحمته الذي جازى عباده
عن ذكرهم بذكره فقال فاذكروني أذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ادعوني أستجب لكم
وأطمع المطيع والعاصي والقاصي والداني في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله
فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه
وسلم كثيرا أما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر
الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية إلى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان
الأذكار ثم شرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين و
الدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة

الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا **الباب الثاني**
في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله **الباب الثالث**
في أدعية مأثورة معزية إلى أصحابها وأسبابها **الباب الرابع** في أدعية منتخبة محذوفة
الأسانيد من الأدعية المأثورة **الباب الخامس** في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الأول في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني إني
أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله
ذكرا كثيرا وقال فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال فإذا قضيتم
مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال
ابن عباس أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية

وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس له
وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من
الآيات **وأما الأخبار** فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط
الهشيم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال أيضا ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب
الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى
ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أحب أن يرتع في رياض
الجنة فليكثر من ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك
رطب بذكر الله وقال عليه السلام أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال
سحا وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني
في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه
باعا وإذا مشى إلي هرولت إليه يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله
يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء
الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك
يا رسول الله قال ذكر الله دائما وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته
أفضل ما أعطي السائلين **وأما الآثار** فقد قال الفضيل بلغنا أن الله تعالى قال يا ابن آدم اذكرني
بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على
قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر
ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى
أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا
على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها **فضيلة مجالس الذكر** قال صلى الله عليه وآله وسلم ما جلس قوم
مجلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا
يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم
حسنات وقال أيضا ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان عليهم
حسرة يوم القيامة وقال داود عليه السلام وعلى نبينا إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين
فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وآله وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من
مجالس السوء وقال أبو هريرة إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله كما تتراءى النجوم
قال سفيان بن عيينة إذا اجتمع قوم يذكرون الله اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين

ما يصنعون فيقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق و
قال اراكم هيهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد
وتركوا السوق فلم يروا شيئا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم قال فما ذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله
تعالى ويقرؤون القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن
ابي هريرة او ابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في
الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون
بهم الى سماء الدنيا فيقول الله تعالى اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك
ويسبحونك فيقول وهل راوني فيقولون لا يا ربنا فيقول سبحانه وكيف لو راوني فيقولون يا ربنا
لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا فيقول سبحانه لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول
وهل راوها فيقولون لا فيقول تعالى وكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد
نفورا فيقول واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول كيف ولو راوها
فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول تعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان
لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم **فضيلة التهليل** قال صلى الله عليه وآله وسلم
افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال لا
اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب و
كتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما
جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه
الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب
الجنة يدخل من ايها شاء وقال ايضا ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كاني انظر
اليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله
فانها لا توضع في الميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون
السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب
الارض ذنوبا لغفر الله له وقال يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما
قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال من قال لا اله الا الله عالما دخل
الجنة وقال لتدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله شرود البعير على اهله فقيل يا رسول الله ما الذي يابى
قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة
الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله
تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذا
قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وروى البراء بن عازب انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب

عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال في يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال
[illegible] قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل
شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا
قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها
وفي الصحيح ايضا عن عبادة عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسماعيل وفي الصحيح ايضا
عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم
قال اللهم اغفر لي ودعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلوته **فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار**
قال صلى الله عليه وآله وسلم من سبح ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم
المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد
البحر وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاين انت عن صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت ما
ذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي
الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله
عليه وآله وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملات ما بين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملات ما
بين السماء السابعة الى الارض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه وقال رفاعة الزرقي كنا
يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل
وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صلوته قال
لقد رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلى الله عليه وآله وسلم الباقيات الصالحات
هن لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما على الارض
رجل قال لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت
مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال
الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه اولا يحب احدكم ان
لا يزال عند الله تعالى يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لان اقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية زاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا
وما فيها وقال صلى الله عليه وآله وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا
يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله يملا الميزان وسبحان الله والله اكبر يملان ما بين السماء والارض

والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه
فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اي الاعمال احب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال
الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال سبحان
الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر انه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس
قد جعل الله لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة
ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة قالوا يا رسول الله يأتي احدنا شهوته
ويكون له فيها اجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه فيها وزر كذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها
اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون
ولا ننفق فقال صلى الله عليه وآله وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت من قبلك وفتّ من بعدك
الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلثا وثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسيرة
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن
بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيمة وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وآله وسلم يعقد التسبيح
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري انه عليه السلام قال اذا
قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا
الله وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله
قال صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك فقال
يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عبد
الله بن قيس او يا ابا موسى او لا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة
قال عليه السلام اعمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي
واستسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه
وآله وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج
الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا
قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدي وكفي ووقي
فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة
المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر

النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه
ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور
القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو
غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب
ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن
الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا
فان من المشاهد في العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه
وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا
بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر
متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى
قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا
يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف
الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه والنفس
معتادة متحملة لما تكلف هي النفس ما عودتها تتعود اي ما كلفتها يتكلف ثم يصير لها طبعا آخر ثم اذا حصل الانس بذكر
الله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد
ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات
الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته
وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث
في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من
عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان تفنى في نفسها عند
بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء
وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله معه بعد الموت فيقول انه
اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم
الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة
من رياض الجنة وبقوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان
قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله
كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون
ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل
طيور خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله تعالى وقال تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم الآية ولاجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة

وقطع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره وان قدر عبد على ان يجعل همه
مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله
وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحيوته وقد هون على قلبه حيوته في حب الله وطلب مرضاته فلا
تجرد لله اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى من ذلك انه لما استشهد
عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله
بالخير قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على يا عبدي ما شئت
اعطيكه فقال يا رب ان تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضاء منى
بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات
الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم
ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر
الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان تبقى استيلاؤه عليه
فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه
ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال وان
يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالآخرة فحالة الشهيد توافق
معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصد له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل
بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصد له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشية الله
ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على ساير الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب
ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة
الحال للمقال فنسأل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا
غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين لقاء الله تعالى فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن
كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني

في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى
وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمان
ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم وقال الدعاء
مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شيء اكرم عند الله من الدعاء وقال صلى
الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر
له وقال ابو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وآله وسلم سلوا الله من فضله
فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج

آداب الدعاء

فهي عشرة الاول ان يترصد

لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت
السحر من ساعات الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ينزل الله
كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن
يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلام انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر
فقيل انه قام وقت السحر واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء الثاني
ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند
نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير
الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد
وقال ايضا الصايم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر
وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون
القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة
السجود ايضا جديرة بالاجابة قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه
وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني نهيت ان اقرأ
راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم
الثالث ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى
انس انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه وروى ابو
هريرة انه صلى الله عليه وآله وسلم مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وآله وسلم احد
احد اي اقتصر على الواحدة وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر
الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح
وجهه وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيآت
اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او
لتخطفن ابصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه وآله
وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غايب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت
عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله تعالى على
زكريا حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية الخامس ان لا يتكلف السجع في
الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال المتضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وآله وسلم سيكون
قوم يعتدون في الدعاء وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف
للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل

لما يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون
كيف يتمنون حتى يتعلمون من العلماء وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان
يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول و
عمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له اعلى الله
تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيمة
اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان
الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات
فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من الادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان
المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية الماثورة عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله عليه السلام اسالك الامن يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما
تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع
هو المحبوب عند الله السادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات و
يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه
السابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقل
احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم
فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا
ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفين بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله
قد اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الثامن ان يلح في
الدعاء ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا وينبغي ان لا يستبطئ
الاجابة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت
فاسال الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم اني اسال الله منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة
سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا سال احدكم ربه مسئلة فتعرف
الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال
التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله فلا يبدا بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه بقوله سبحان ربي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد ان
يسال الله حاجة فليبدا بالصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلوة عليه
فان الله يقبل الصلوتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا سالتم الله حاجة فابدءوا بالصلوة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احداهما ويرد
الاخرى رواه ابو طالب المكي العاشر وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والا
قبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة يروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد

على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى ببني اسرائيل ليستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات فلم يسقوا فاوحى
الله تعالى الى موسى اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا
فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا
فارسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا
فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء او لنوذينه قيل له وكيف تقدر ان توذيه وهو في السماء فقال اقتل
اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله السماء وقال سفين الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا
سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويبكون ويتضرعون فاوحى
الله الى انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني
لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن
دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة
وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملاتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني
الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة
قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال
سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد
فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم قال اللهم انا سمعناك تقول ما
على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا
فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ
الحجارة ويروى ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا
كلهم ولم يبق معه في المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى اما لك من ذنب فقال والله ما اعلم من شيء
الا اني كنت اصلي ذات يوم فمرت بي امراة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها
واتبعت بها المراة فقال له عيسى فادع الله حتى اؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا
وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود النبي عليه السلام فاختاروا ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى
يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف
عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توراتك ان نعتق ارقاءنا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث
اللهم انك انزلت في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا
ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر
الي فقال يا عطاء اهذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء
بقلوب ارضية ام بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء
بطرفه وقال الهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من
الائك الا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم
الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول

فهم الزاهدون والعابدون اذ لولاهم لجاعت البطون ايبسوا الاجين ايعليلة فيه فانقضى اليهم وهم ساجرونا بحفظ
شغلتهم عبادة الله حتى قيل ان الناس انهم جنونا وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد
فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتي خيش قد اتزر باحدهما والقى الاخرى
على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست
عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسئلك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم
الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك
فجئت الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح
الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس فلما فرغ عمر من دعائه
قال العباس اللهم لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من
نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي الذي لا يهمل الضالة
ولا يدع الكسير بدار مضيعة وقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم
فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى
ارتفعت السماء مثل الجبال **فضيلة الصلوة** على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفضله عليه السلم
قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه صلى الله
عليه وآله وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى على وجهه فقال انه جاءني جبريل عليه السلام فقال اما ترضى يا محمد
ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال
ايضا صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال ايضا
عليه السلام ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلوة وقال بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة وقال من صلى علي من امتي كتب له عشر حسنات ومحيت
عنه عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة
صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلم وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك
فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وروي
ان عمر بن الخطاب سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد
كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه
فسكن فامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

ومنك ومن نوح الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا
قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله
لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى
الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك
باعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليه وسلم
بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين
كلمتك وهي مشوية فقالت لا تاكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا ولقد وطئ ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله
لقد اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن
معه الا القليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا
ولو لم تؤاكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار
واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وقال بعضهم
كنت اكتب الحديث واصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه ولا اسلم فرايت النبي عليه السلام في المنام فقال
اما تتم الصلوة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت وروي عن ابي الحسن الشافعي قال رايت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة
وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال جزي عني انه لا يوقف للحساب
فضيلة الاستغفار قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الله تعالى آيتان ما
اذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقوله تعالى ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم
اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم
فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لاستغفر الله في اليوم
مائة مرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال حين ياوي الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
ثلث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا
وقال عليه السلام في حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة
كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي عليه السلم
فاين انت من الاستغفار اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وآله وسلم
يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي

هزلي وخطايي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني من الصحابة استحلفته فاذا حلف صدقته وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلى قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الآية وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زادت زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله ليرفع درجة لعبده في الجنة فيقول يا رب اني لي هذه فيقول الله تعالى باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي فيقول الله تعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال عليه السلام ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب اغفر لي قال الله تعالى قد غفرت لك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اذنب ذنبا علم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت واما الآثار قال خالد بن معدان قال الله تعالى ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم اما دائكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وقال علي رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري اللؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وكم اتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا

دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل ذنب عملته اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام

الباب الثالث في ادعية مأثورة ومعزية الى اسبابها واربابها

مما يستحب ان يدعو بها المريد صباحا ومساء وعقيب كل صلوة فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلوة الفجر قال اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسئلك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فاسئلك يا كافي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسئلك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا دعاء عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة عليك بجوامع الكلم قولي اللهم اني اسئلك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسئلك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستعيذك مما استعاذ منه عبدك ورسولك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واسئلك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين دعاء فاطمة عليها السلام قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله دعاء ابي بكر رضي الله عنه

علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا بكر ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابرهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني اقنيته او فقير اغنيته او ضال هديته واسئلك باسمك الذي انزلته على موسى عليه السلام واسئلك باسمك ثبتت به ارزاق العباد واسئلك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسئلك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت واسئلك باسمك الذي استقل به عرشك واسئلك باسمك المطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسئلك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين دعاء بريدة الاسلمي روي انه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني دعاء قبيصة ابن المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال عليه السلام اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من الغم والجذام والبرص والفالج واما لآخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلام اما انه اذا وافا بهن عبد يوم القيمة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل بها من ايها شاء دعاء ابي الدرداء قيل لابي الدرداء قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت وقال يا ابا الدرداء ان النار حيث دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من يقول هؤلاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم دعاء ابرهيم الخليل ابرهيم عليه السلام كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال من دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى شكر يومه دعاء عيسى عليه السلام كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني دعاء الخضر عليه السلام يقال ان الخضر والياس اذا التقيا في كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله

قال محمد بن الحسان قال ابو محمد الكرخي

ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها امن من الحرق والغرق والسرق دعاء معروف الكرخي رحمه الله الا اعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردودها عليك كما رددها علي بكر ابن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسالة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن ابي الدرداء انه قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر آخرته صادقا بها او كاذبا دعاء عتبة الغلام وقد روي في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين دعاء آدم عليه السلام قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس بمبنى بل ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها دعاء علي رضي الله عنه رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور ومني بدا كل شيء والي يعود اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعالي المقتدر القهار الحليم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى القادر الرازق فوق الخلق والخليقة فذكر قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك انت الله الذي لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين

ابي المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روي ان يونس ابن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما افضل ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله تعالى بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في

جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكرون فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات و
نسيم ونفس من الابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره دعاء
ابرهيم ابن ادهم روى ابرهيم ابن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح وامسى
مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله
الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا
ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا
والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه
هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق
وان النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم
انت ربي لا رب لي الا انت خلقتني وانا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم
من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق
فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير
كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم
بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله
اجمعين آمين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده
ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوبا علينا ولا ضالين اللهم
اعصمني من فتنة الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان
من سبحت له السموات باكنافها سبحان من سبحت له الجبال باصواتها سبحان من سبحت له البحار بامواجها
وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له
الاشجار باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن
عليهن سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك يا حي يا حليم وسبحانك لا اله
الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت سبحانك حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير

الباب [illegible] في ادعية مأثورة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

واصحابه رضوان الله عليهم محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن
المنذر رحمهم الله ويستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعاء كما ذكرناه في كتاب الاوراد فان
كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك
وفي اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ثلث مرات وقل
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ورب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك

من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي
اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ
بك من ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني
من الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت ربي خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما
استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت
وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسالك
الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة
مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكسب خطيئة او ذنبا لا يغفره اللهم اني اسالك
الثبات في الامر والعزيمة على الرشد اسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا
مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك
تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت
فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد
ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات وفعل
الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان
تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك
على الخلق احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب و
الشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق
الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما يدخلنا جنتك ومن اليقين
ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حيا وقلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من
عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلنا احب اليك مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل
يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذي
تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل
شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته
وبارك على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم
اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك
[illegible] بحسن اختيارك لنا اسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه
وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار و
بعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك
وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت الرحيم

الحسنى رشدى وقنى شر نفسى اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى اسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب و لا ينقصه المغفرة هب لى ما لا يضرك واعطنى ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفنى مسلما و الحقنى بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا الى آخر السورة رب اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وانت خير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل انواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم انى اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر و اعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم انى اعوذ بك من طمع يهدى الى طبع ومن طمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا اواهة مخبتة منيبة فى سبيلك اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك ومنجيات امرك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم انى اعوذ بك من التردى و اعوذ بك من الغم والغرق والهدم واعوذ بك ان اموت فى سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت فى طلب الدنيا اللهم انى اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء و الاهواء اللهم انى اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم انى اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم انى اعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيى اللهم انى اعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم انى اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم انى اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم انى اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا يستجاب لها واعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر اللهم انى اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء

في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء فى كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا و اجعل خلفى نورا وامامى نورا واجعل من فوقى نورا اللهم اعطنى نورا وقل ايضا اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تنقذنى من النار وان تغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل على بسم الله الرحمن الرحيم لا حول و لا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لى جميع ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى فى الدخول واذا رايت فى المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضالة فقل لا رد الله عليك امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتى الصبح فقل اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الدعاء الى آخره كما اوردناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربى خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين وان احببت قل سبحان ربى العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة و الروح فاذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شىء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى ابوء بنعمتك على وابوء بذنبى وهذا ما جنيت على نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان ربى الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال و الاكرام وتدعو بسائر الادعية التى ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير بسم الله اللهم انى اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له فاذا رايت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتى بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان و السلامة والاسلام ربى وربك الله وتقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم انى اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر فاذا هبت الريح فقل اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا اللهم اجعلها فى

اللهم انى اسئلك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما
ارسلت به فاذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه فى المحسنين
واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وتقول عند التصدق
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى الله راغبون وتقول
عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى و
يقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا الآية تبارك الذى جعل فى السماء بروجا الآية فاذا سمعت
صوت الرعد فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فاذا رايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك فاذا امطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا
اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبى واذهب غيظ قلبى
واجرنى من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم فاذا
غزوت فقل اللهم انت عضدى ونصيرى وبك اقاتل فاذا طنت اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله
من ذكرنى بخير فاذا رايت استجابة دعوتك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطأت
فقل الحمد لله على كل حال واذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك و
اصوات دعاتك وحضور صلواتك اسئلك ان تغفر لى واذا اصابك هم فقل اللهم انى عبدك ابن
عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او
انزلته فى كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استاثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع
قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى قال صلى الله عليه وآله وسلم ما اصاب احدا حزن فقال
ذلك الا اذهب الله همه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغى لمن سمعها ان
يتعلمها واذا وجدت وجعا فى جسدك او جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا اشتكى
الانسان قرحا او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة
بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا فى جسدك فضع يدك على الذى يألم من جسدك و
قل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله
الا الله العلى الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش
الكريم فاذا اردت النوم فتوضأ ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا و
ثلثين ثم قل اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا
استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا وباسمك اموت
رب السموات ورب الارض ورب كل شئ ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان
اعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر
فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين واغننى من
الفقر اللهم انك خلقت نفسى وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها
فاحفظها اللهم انى اسئلك العافية باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم

تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت امرى اليك والجات ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك
لا ملجا ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت وبنبيك الذى ارسلت ويكون هذا
آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ويقول قبل ذلك اللهم ايقظنى فى احب الساعات
اليك واستعملنى باحب الاعمال اليك التى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا اسئلك فتعطينى واستغفرك
فتغفر لى وادعوك فتستجيب لى فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذى احيانا بعد ما
اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة
الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وملة ابينا ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسئلك ان تبعثنا فى هذا
اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسئلك
خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله
ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال ذلك الا انه يقول امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات
الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها ان ربى على
صراط مستقيم واذا نظرت فى المرآة فقل الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى فحسنها وجعلنى من
المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم انى اسئلك خيره وخير ما جبل عليه
واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما
فى خير واذا قضيت الدين فقل للمقضى له بارك الله فى اهلك ومالك اذ قال عليه السلام انما جزاء السلف الحمد و
الاداء فهذه ادعية لا يستغنى المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلوة والوضوء ذكرناها
فى كتاب الحج والصلوة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد
البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج
النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط
الاعتراف بقضاء الله ان لا تحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وان لا تسقى الارض بعد بث البذر
فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذى هو كلمح
البصر او هو اقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير
قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم
فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك
قال صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله الا
عند ماسة حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء
يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء
موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه

ولما العشاء فيه للبطن في غالب الامر فان الانسان ليطيق ان ... استغنى فهذا ما اردنا ان نورده
من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والشرب والسفر وعيادة
المريض وغيرها فسيأتي في مواضعها ان شاء الله وحده تم كتاب الاذكار والادعية ويتلوه
كتاب الاوراد في الاوقات والحمد لله رب العالمين وصلوته على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

كتاب الاوراد في الاوقات من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين نحمد الله تعالى على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر
في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على
نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا
وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين وسراجا منيرا اما بعد فان الله تعالى
جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون فيها محترزين من مصايدها
ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة بركابها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم
المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه و
ايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه
وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الانكال
والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه
الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل
شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحكم تكرر الاوقات
وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار
فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق
شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الاول**
في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية احياء الليل وفضيلته
وما يتعلق به

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا
انه لا نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة
والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي
صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا
وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في
وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة

على الذكر والفكر بل اذا رد الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة
اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم
باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان
يستغرق جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته
الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح الميل الى جانب الدنيا لموافقته
الطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور
الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره
الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ومن اراد ان ترجح
كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا وآخر سيئا فامره مخطر
ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين
بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله تعالى لرسوله عليه السلام واقتبسه بنور الايمان فقد قال
لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا
وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه
وادبار النجوم وقال سبحانه تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح
واطراف النهار لعلك ترضى وقال واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز وجل كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد
في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات
وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم احب عباد الله الذين يراعون الشمس و
القمر والاظلة لذكر الله تعالى وقال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال الم تر كيف مد الظل ولو شاء لجعله
ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل
والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الاوقات فيشتغل فيها بالطاعات و
التجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في احدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيرهما وقال
تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل
المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان اعداد الاوراد وترتيبها** اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع

الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر
وردان وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب الى وقت نوم
الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق
فالورد الاول ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى
به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة
بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض الظل فيه الليل وبسط نور الشمس وارشاد
الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وبقوله ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ
من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه ينبغي ان يبتدئ بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور الى آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ في كتاب الدعوات ويلبس ثوبه
وهو في الدعاء وينوي ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة
ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في
كتاب الطهارة وعند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية
التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات كي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب
فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء اداهما في البيت او المسجد الدعاء المأثور الذي رواه
ابن عباس ويقول اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت
متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلوة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد
في الخبر ولا يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ويطلب
من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر
ان لم يصلهما في المنزل ويشتغل بالدعاء المذكور بعده فان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية و
جلس منتظرا للجماعة واحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان
يدع الجماعة في الصلوة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلوة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلي فيه الصلوة
كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس
كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة الفي الف
حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل
طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي
في اي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا
في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا

بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعته وهو منصرف يضرب
فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم ينبغي ان يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح
الى ان تقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يشتغل بالفريضة فيصلي ركعتي الفرض مراعيا جميع ما
ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة فاذا فرغ منها قعد في المسجد الى طلوع الشمس في
ذكر الله كما سنرتب وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى
طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروي انه كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا صلى الغداة قعد
في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها وصلى ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى و
روى ان الحسن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يذكر من رحمة الله يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني
من بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى
طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار نكررها في سبحة وقراءة
قرآن وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلوته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام
ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام
ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله سبحان ربي الاعلى الوهاب
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون ثم ينتهي بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو
بجميعها ان قدر عليها او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار
المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلاثا
او سبعا واكثره مائة او سبعون واوسطها عشرة فليكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر والاوسط الا
ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على
كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثل قطرات ماء
تتقاطر على الارض على التوالي فيحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة
او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية
قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله سبوح قدوس رب
الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم و
اسأله التوبة السادسة قوله لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة
قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو
السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك النبي الامي وعلى آل محمد العاشرة
قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون

فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحد عشر مرات يحصل له مائة مرة وهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة
لان لكل واحد من هذه الكلمات فضلا على حدة وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من
كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال واما القراءة فيستحب قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار
بفضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم
مالك الملك الآيتين وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
الى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلث من آخر سورة الحشر وان قرأ
المسبعات العشرة التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي واوصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل
وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني
اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من
اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت افلم تسأل ابرهيم من اعطاه قال بلى فقال كنت جالسا
في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن
منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا واطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت
فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية اريد
ان اهديها اليك فقلت ما هي فقال هي ان تقول قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة
الحمد سبع مرات وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية
الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله
عليه سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم
افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور
رحيم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من
اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا
لقيت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه رأى ذات يوم
في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما رآه في الجنة
قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها
قال فاتاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين
المشرق الى المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث
فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من
جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا
مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع
الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى
السنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم التيمي
يمكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها

شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن او اقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء
مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في كتاب التلاوة واما الافكار فليكن ذلك احد وظايفه وسيأتي
تفصيل ما يتفكر فيه في كتاب التفكر ولكن يجمعه فنان احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه
الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه
الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن
الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد
معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها
ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما نستقصي ذلك في
كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله مع زيادة امرين احدهما زيادة
المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه
ولا ينكشف عظمة الله وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجايب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن
المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة
اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال
شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف
شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة
الذي شاهده وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان
التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم
الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا لم يحط بكنه
جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية
لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه
قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال صلى الله عليه وآله وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل ما ادركه بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت
الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر
لابرهيم عليه السلام في ترقيه وقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر رأى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب
النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية
لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما لا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب المسماة
انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل
نوره كمشكوة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه الحقائق فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقيقتها
الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والميسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علم
المعاملة وذلك ايضا مما تكثر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظايف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة
والفكر ينبغي ان يكون وظيفة المريد بعد صلوة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس

مطلب مسبعات خضر

فايدة ويعظم نفعه فهذه الوظايف

بيتها

الصلوة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ ملاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي
تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلوة سوى ركعتى
الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه يشتغلون في هذا
الوقت بالاذكار وهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى لذلك فلا
بأس به الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال
وذلك بمضي ثلث ساعات للنهار اذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار
وظيفتان زائدتان الوظيفة الاولى صلوة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلوة ان الاولى ان يصلي ركعتين
عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت
الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق
فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازات البخارات والغبارات التي على وجه
الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هي الضحى الاعلى الذي اقسم الله به فقال والضحى
والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى
باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في
الصلوة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلوة بين طرفي وقتي الكراهية
وهو ما بين الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء فاسم الضحى يطلق
على الكل وكان ركعتى الاشراق يقع في مبداء وقت الاذن في الصلوة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله
عليه وآله وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها واقل الارتفاع الى ان ترتفع عن
بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس
التي جرت بها العادة بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما
يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظائف الاربعة التي قدمناها
من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوة المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست
مكروهة الان فصارت الصلوة قسما خامسا من جملة الوظائف هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد فريضة
الصبح فيكره فيه كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة
بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى بالضحوة منتصف
وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلث ساعات امر بصلوة فاذا انقضى ثلث ساعات بعد الطلوع فصلها
قبل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلثة اخرى فالظهر فاذا مضت ثلثة اخرى فالعصر فاذا مضت ثلثة اخرى
فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفرض
لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد
امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق
وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة [illegible] الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على
قدر حاجته ليومه مهما قدر ان يكسب كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع الى بيته ليتزود

ارتفاع

فينبغي ان يتفقد ونصح ولا ينسى ذكر الله

على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلث مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد منها
وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون ما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان
يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا
فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثاني القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر
سنة ليستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل
الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة
اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم
من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال
سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلب السلامة فاذا نومه على قصد طلب السلامة ونية
قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل
دخول وقت الصلوة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر
فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه
عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء
الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى واشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي
قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الآخر في الفضل والثاني انه يخلفه في
تدارك ما فات في احدهما الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر وراتبته وهو
اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن
فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله
تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة وهذه الصلوة وحدها
من بين سائر صلوات النهار نقل انه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية فيكفنا قاله بعض العلماء
ومذهب الشافعي انه يفصل بتسليمة وهو الذي صحت به الاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب
السماء كما اوردنا الخبر فيه في باب صلوة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة او سورة من المئين او
اربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يرفع
فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر
الركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة
آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء و
الذكر والقراءة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه
العكوف في المسجد مشتغلا بالذكر او الصلوة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلوة معتكفا فمن فضائل
الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان يستنه السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر
فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في
حقه والاحياء بهذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كالاحياء بالورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت

يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار فقال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثماني ساعات بالليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء البدن وكان العلم والذكر غذاء القلب لم يكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد وهو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا سجد لله الجمادات فكيف يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي اقسم الله به اذ قال والعصر ان الانسان لفي خسر هذا احد معنى الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذا منع عن الصلوة تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبار والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها دخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للاخرة ويستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسئله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران احب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل غروب الشمس والشمس وضحيها والليل اذا يغشى والمعوذتين وليغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك كما تقدم ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلوة المغرب بالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه امسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره او مترددا كان بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله لمشتغل

بتداركه تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحيوة فلا يكون بعد طلوع بعده فيه يغلق باب التدارك والاعتذار وليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

بيان اوراد الليل وهي خمسة

الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين وآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال تعالى فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه هي ناشئة الليل لانه اول نشو ساعاته وهو آني من الاناء المذكورة في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي زياد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وآله وسلم الصلوة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتي فضائل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر فان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وان عزم العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل ان كان آمنا من التصنع والرياء الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء الاخيرة الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيها من القران الايات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني ان يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ما روي انه عليه السلام صلى به من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلوة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان صلى الله عليه وآله وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الذي بيده الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور وبعضها قبل النوم فقد روي في ثلثة احاديث ما كان يقروه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلماء يجعلونها ستا ويزيدون سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرا في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات الثالث الوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلوة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وآله وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عائشة اوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين

بركعتين يعني انه يصير وترا بها ان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوتر
من آخر الليل وان شئت اخرت الليل الوتر ليكون آخر صلوتك هذا ما روى عنه والطريق الاول والثالث لا
بأس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروى مطلقا انه قال لا وتران في ليلة ولمن
يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند
النوم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم
لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرية وافراد العبادة لله
فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في آخر صلوته وكانه صار ما مضى شفعا
بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل
الوتر والعمل من آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ
وبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير شافع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ايتاره قبلهما واعادة الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وترتعينا مما
وتر ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد
بالموت وروى انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف
اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما الورد الثالث النوم ولا باس ان يعد
ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة وذكر الله
يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي
الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية
فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح
وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام فيه شيئا واتفوق القرآن
فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسبت في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله

وآداب النوم عشرة

صلى الله عليه وآله وسلم فقال لمعاذ افقه منك الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة
وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد
طهارة الظاهر والباطن جميعا فطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب الثاني ان يعد عند
رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما ينتبه يستاك كذلك يفعله بعض السلف
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه
فان لم يتيسر له الطهارة فيستحب له مسح الاعضاء بالماء وان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر
والدعاء والتفكر في آلاء الله وقدرته فهو يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اتى فراشه
وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله الثالث
ان لا يبيت الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يؤمن القبض في النوم فقال ان من مات من غير وصية لم يؤذن

له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يزوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين
مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت
بكونه مشغول الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم
احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وآله وسلم من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد
على احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان
بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا
ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يقولون يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم فمن
لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا
قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة النوم واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة و
لذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فان غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار لا يدري ما
يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من
الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير
هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر
هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا
تبغض الى نفسك عبادة الله السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو
المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام
على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن الثامن الدعاء عند النوم فيقول
باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات
ويستحب ان يقرا الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما ويقرا قوله والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله لعلكم تعقلون يقال ان من قراها عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينس
ويقرا من سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الآية وآخر بني اسرائيل قل ادعوا
الله الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرا المعوذتين وينفث بهن في يديه و
يمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليقرا عشرا من اول
الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى ان رجلا
مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع
وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى
وكما ان المستيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر
بباله ولا يشاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان
لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه

كما تنتبه من نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك
الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر
ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات
السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه في الدعوات فحق على العبد
ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا و
ليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب العاشر
الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري
على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب
في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت
هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر الله فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما
اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ الورد الرابع يدخل بمضي النصف الاول من الليل
الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو
النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى فقال والليل
اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوءه في هذا الوقت فلا يبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه
سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الليل
اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى
الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط
الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع اليّ حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الليل افضل فقال
نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات
عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير ذلك وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ
يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت
والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد
انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك
الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت
وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسئلك مسألة البائس المسكين
وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين

وقالت عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام اذا قام من الليل افتتح صلوته قال اللهم رب جبرئيل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني
لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين
ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عند تسليمه
بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالليل انه صلى
اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج
الى ثلثة عشر ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيام الليل او
يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عليه السلام صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال
صلوة المغرب اوترت صلوة النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيام
الليل ثلثة عشر ركعة ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه
ويمتد حكم هذا الورد الى ان يبقى من الليل السدس الاخير الخامس السدس الاخير من آخر الليل وهو وقت
السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب الفجر الذي هو
وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زاره
في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم
فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك
عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام بالليل قال فاتيا النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فذكرا له ذلك فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك
عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار
فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة الى
آخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه
الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم حط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك
ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون
ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من
جمع بين هذه الاربع في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع
بنيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت
عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها ينظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل
الذر كثيرة وكانوا يكرهون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه ما سئل شيئا
فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفاصل وفي
جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك
الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله

فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد
كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل
الآخرة فان لم يكن صرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر
وقبل الاشتغال بهموم الدنيا معين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر بالتصنيف والمطالعة
لا يتركها الا وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل
بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب
بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة وورده الرابع بعد
العصر في عمل التسبيح ليستريح فيه العين واليد فالمطالعة والكتبة بعد العصر تضر بالعين وعند الاصفرار
يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما الليل فاحسن
قسمته فيه قسمة الشافعي اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلثه للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلث
للصلوة وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا تيسر في ليالي الشتاء واما الصيف فربما لا يحتمل ذلك
الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد العالم الثالث المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل
من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل
العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب اوقاته كما ذكرناه في فضيلة
التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما
بل كان من العوام فحضوره مجالس العلم والذكر والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح
وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث ابي ذر ان حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة و
شهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل
يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليها
حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج
من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع على الذنوب انصرف الى منزله
وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس
العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة في قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهد
الطفاوة في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات ذهبت
المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ما تسأل عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالس
اهل الذكر وعلى الجملة فما يحل من القلب من عقدة حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة
اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله
فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق و
الاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى ذكر الله في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن
فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون ناطورا فانه لا يعجز عن اقامة
اوراد الصلوة معه ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق

[illegible] الى ذلك

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان المريد لحرث الآخرة
السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما والي واما محترف واما موحد
مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها اصلا ولو
ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب ورده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف وظايفه بان يستغرق اكثر
الاوقات اما في الصلوة او في القرآن او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر
الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة الى الف واقل ما
نقل من اورادهم من الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في
اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يمضي اليوم او الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز
ابن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك
يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشر فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهو مائتا
وثمانون ركعة وخمس ختمات وعشر فراسخ فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم
ان قراءة القرآن في الصلوة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف
[illegible] الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه
[illegible] فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر
الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو
الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك يختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى
فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن
ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم
ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا
التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك فقال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت
حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان
من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في
كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعا فليلازمه واياما وجد القلب عنده من الفتح
فيه خير فليواظب عليه الثاني العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه الاوراد
يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان
امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه
في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة
يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم
الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة
به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا

تشغل عن حاجته فهو افضل من نوافل الاوراد والصلاة وذكرناها الا العبادة المتعدية فائدتها انفع من الذي
او بصدقة وما كتب على هذه النية عبادة له في نفسه يتقرب الى الله تعالى ثم يحصل بها فائدة الغير
الثم بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الاجر الخامس الوالي مثل الامام والقاضي او المتولي النظر في امور
المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة
فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه
يفعله اذ قال ما لي وللنوم ولو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت الليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرنا
انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد منهما العلم وفعل
المعروف عبادة في نفسه وعبادة ويفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه
السادس الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا
يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا يرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع
الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر ببالهم
امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا
الحق فهؤلاء جميع احوالهم تصلح ان تكون سببا لازدياد فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة فهم الذين فروا الى الله
تعالى كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم الآية واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين
وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا
فلا ينبغي ان يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف العبادات فعلامة ذلك
ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاحوال ولا يستفزه عظائم الاشغال
وانى ترزق هذه المرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق
الى الله تعالى قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى
وفي الخبر الايمان ثلثمائة وثلثة وثلثون طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض
العلماء الايمان ثلثمائة وثلثة عشر خلقا بعدد الانبياء فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق
الى الله تعالى فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط المستقيم اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما تتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به
وان يكون اعبدهم له ... [illegible]
[illegible] الاوراد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

كان التعجيل في صلوة ... كلتاهما ... ثم لم يزل ... ليصلي بعد
ويكون فيه مغرا الى المسجد كي لا يقتدى به ... فان قلت فهل القيام الى ... حتى
بان مع ان الوقت وقت كراهة ... المعاني الثلاثة التي ذكرناها ... لا يحتمل ... لا يعتمد الى التشبه
بعبدة الشمس ... بقرن الشيطان ... عند العباد ... ليتحقق
... حتى لا يقتدى به

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل ... الليالي التي تستحب احياؤها وفضيلة احياء ما بين العشائين
... وكيفية قسمة الليل

فضيلة احياء ما بين العشائين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
وقد روت عائشة رضي الله عنها ان افضل الصلوة عند الله صلوة المغرب ... فتح بها
صلوة الليل وختم بها صلوة النهار من صلى المغرب وصلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنوب عشرين
سنة او قال اربعين سنة وروت ام سلمة وابو هريرة عنه صلى الله عليه وآله ... قال من صلى ست
ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة ... ليلة القدر ... عن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال صلى
الله عليه وآله وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا
على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر اذن تكثر
قصورنا يا رسول الله فقال الله اكثر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا و
في الركعة الاولى يقرأ فاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد الى آخر
الآيتين وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية
الكرسي وآيتين بعدها الى قوله هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى
آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو
من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا اعمله في كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت العشاء مصليا من غير ان
تكلم احدا واقبل على صلوتك التي انت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله
احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد سبع
مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع
مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك
من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن
الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء
ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وادم الصلوة عليه حتى يذهب
بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم حيث علم
هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بحضرتي فتعلمته ممن علمه اياه وقيل انه من داوم على هذا الدعاء
والصلوة ... بحسن نية وصدق ... رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامه ... الدعاء

ولسانه وقال [illegible] من يخرج من الدنيا [illegible] حتى يرى [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] المجلس [illegible] حتى قال
[illegible] الفضل نعمة الله عليه وآله وسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بصلاة [illegible]
[illegible] ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء [illegible]
[illegible] ابن مسعود في هذا الوقت [illegible] فقال نعم هي ساعة الغفلة
[illegible] ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزلت قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال
[illegible] قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأتعشى ما بين المغرب والعشاء أحب إليك
[illegible] فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل بينهما [illegible]
[illegible] من الآيات قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية وقوله تعالى
إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وقوله تعالى تتجافى جنوبهم وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله تعالى
[illegible] قيام الليل [illegible]
[illegible] قال صلى الله عليه وآله وسلم يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث
عقد [illegible] فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ
انحلت عقدة [illegible] فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان [illegible]
[illegible] الشيطان [illegible]
[illegible] نام الليل كله حتى أصبح وقال
[illegible] جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها [illegible]
[illegible] المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تفطرت قدماه [illegible]
[illegible] غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا [illegible]
[illegible] الشكر [illegible] قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
[illegible] رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل [illegible]
[illegible] السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا وقال عليه السلام عليكم
بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى [illegible]
[illegible] قال صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
[illegible] عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجل إذا [illegible]
[illegible]
[illegible]

الله وقد كان جابر [illegible] يحيى بن زكريا عليهما السلام قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
نعم الرجل عبد الله بن عمر لو كان يصلي من الليل [illegible] النبي صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
قال نافع كان ابن عمر يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم
فيقعد ويستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال [illegible] يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز [illegible]
[illegible] فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دار [illegible]
[illegible] يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت
إلى الجحيم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقيل لرسول الله عليه السلام
إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يقول وقال صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله رجلا قام
من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم
أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء وقال عليه السلام من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا
ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عليه السلام أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل
وقال عمر قال عليه السلام من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه
من الليل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم
[illegible]
[illegible]
[illegible] يصلي الليل كله [illegible]
[illegible] وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل
[illegible] إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك [illegible]
[illegible]
[illegible] وكان الحسن بن صالح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] المتهجدين في تهجدهم [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] شعر [illegible] الجنان مع الحسان [illegible]

ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم ويقال إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم [illegible] وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي الغداة بطهر العشاء أربعين سنة [illegible] وروي عن الله تعالى إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديكة

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسر على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فأما الظاهرة فأربعة الأول أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تتعب بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم الثالث أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على القيام بالليل الرابع أن لا يحتقب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل للحسن يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم قال ذنوبك قيدتك وكان الحسن إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك قال رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أتاك نعي بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد فقلت وما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام عقوبة والجنابة بعد وقال بعض العلماء إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه

فلا يعود إلى حالته الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر وأما الميسرات الباطنة فأربعة الأول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه [illegible] الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصري

شعر

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضع

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمنا ببيات

الثالث أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي أن بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد فلم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إني كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليلة فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقا إليها الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحبه أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل أما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فإن قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله لا يرى فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه وكان يتنعم بإظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده فإن قلت إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم أنه إن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات وأما النقل فيشهد له

لقيام الليل ثم تلا قوله تعالى ... بقيام الليل والمستغفرين ... لمكابدة سهر الحب الملذ في وصال الحبيب حتى قال بعضهم كيف
ترى الليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال آخر انا والليل فرسا رهان مرة
يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته
اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط ولا استغنيت به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني
شيء سوى طلوع الفجر وقال فضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت
لدخول الناس علي وقال ابو سليمان الداراني اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل
ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك
اكثر من ثواب اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم
بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها
سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في جماعة وقال
بعض العارفين ان الله تعالى ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملأها انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير
ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين
ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون
الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي
بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيها في موازينهم
لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال
مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون ان ما يجدون من الرقة
والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق سياتي في كتاب المحبة وفي
الاخبار عن الله تعالى اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نورك وشكى بعض المريدين
الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب
القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا
بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح
عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله
خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية يسال الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب
القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات
المذكورة والله اعلم بيان الاسباب الميسرة لقيام الليل اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه
الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهرة فاربعة الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام
... الحركة التي تعجزه ... والعبادة ... الثاني ...

كان في ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على
سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال فمنهم سعيد بن المسيب
وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه
اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله
الخواص وابو عاصم العباداني وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار و
سليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم
في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأ مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في
جماعة كثيرة عددهم المرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن
طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل
المرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل
محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام
سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اوتر من آخر
الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيؤذنه بالصلاة وقالت
ما الفيته السحر الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت
سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على
الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم سدس الليل الاخير قيام داود عليه
السلام المرتبة الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه والافضل ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس
الاخير الخامسة ان لا يراعي المقدار فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل
به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه
قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال
وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من
الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام
الله عيني واما قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان
يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في اول سورة
المزمل كقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه
ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان
نصف الليل وثلثه وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون
السدس فما دونه وروى غير واحد انه قال لاحظت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام
بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد
ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى
ثم استيقظ ففعل كما فعل اول مرة وقال مثل ما قال ... السادسة وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين

[illegible]

او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة
الله وفضله وقد جاء في الاثر صلوا من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما رآه
ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد
العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة مهما
كان النظر الى المقدار وترتب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في المرتبة الخامسة والسابعة
لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في التقديم والتاخير على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون

بيان الليالي والايام الفاضلة

ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة اعلم
ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل
المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل
الاوقات لم يربح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان خمس هي اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر و
ليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت واقعة بدر وقال
ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسعة الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب و
ليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه
وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة
من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة
مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه
وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من شعبان ففيها
مائة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونه كما اوردناه في صلوة
التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب
اما الايام الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين
من رجب له شرف عظيم روى ابو هريرة انه قال صلى الله عليه وسلم من صام سبعة وعشرين من رجب كتب الله
له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل على محمد عليهما السلام بالرسالة ويوم سبعة عشر من شهر
رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهي
عشر من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام
الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام
في الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا الاشهر والايام في الصيام في كتاب
الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم تم ربع العبادات بعون الله وحسن توفيقه ويتلوه ربع العادات

على يد العبد الضعيف الفقير المحتاج الى رحمة الملك الغني
احمد بن علي غفر الله ذنوبهما في سنة تسع وتسعين
وثمانمائة الهجرية والصلوة على محمد

تليه

كتاب آداب الاكل وهو الكتاب الاول من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات فاخرج به الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم كثيرا. اما بعد فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ولا طريق الى الوصول للقاء الله تعالى الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين وكان فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في هذا الكتاب وهو كتاب الاكل نذكر فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيئاتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه

الباب الثاني فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل

الباب الثالث فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين

الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة وما يجري مجراها

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه

القسم الاول في الآداب التي تتقدم على الطعام وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سياتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية فالاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين.

الثاني غسل اليد قال صلى الله عليه وآله وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو من لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلوة.

الثالث ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتي بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ما كنتم تاكلون قال على السفرة وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهي وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس كل ما ابدع منهيا بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه والاربع التي جمعت في انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين بامور اهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما المائدة فتيسير الاكل وهو ايضا مباح ما لم ينته الى الكبر والتعاظم واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات.

الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله.

الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابراهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوي عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وآله وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وستاتي فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات.

السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر

بالادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يدعم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي ان يستحقر
بل لا ينتظر بالخبز الصلوة وان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا حضر العشاء
والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر رضي الله عنه ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه ومهما كانت
النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة فاما اذا حضر الطعام واقيمت
الصلوة وكان في التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق
لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا الخامس ان يجتهد
في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وكان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يأكل وحده

القسم الثاني في آداب حالة الاكل

وهو ان يبتدئ باسم الله
تعالى في اوله وبالحمد في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر
غيره ويأكل باليمين ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان ذلك
عجلة في الاكل وان لا يذم مأكولا كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يعيب مأكولا كان اذا اعجبه اكله والا تركه وان
يأكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده قال صلى الله عليه وآله وسلم كل مما يليك وكان يدور على الفاكهة فقيل له
في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف
الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهى عنه وقال انهسوه نهشا ولا يوضع
على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به قال صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء ولا يمسح
يده بالخبز وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها
للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو
منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله ويأكل من التمر وترا سبعا او احدى عشرة او احدى وعشرين او ما
اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النوى من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ما له عجم وثفل
وان لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وان لا
يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ
المعدة واما الشرب فادبه ان يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وآله وسلم
نهى عن الشرب قائما وروي انه عليه السلام شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعي اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر
في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد
الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا والكوز يدار على يمين القوم شرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن
ويشرب في ثلاثة انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي الله في اوائلها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله
وفي الثاني الحمد لله رب العالمين وفي الثالث الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فهذه نحو عشرين ادبا في حالة الاكل
دل عليها الآثار والاخبار

القسم الثالث فيما يستحب بعد الطعام

وهو ان يمسك قبل الشبع
ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال صلى الله عليه وآله وسلم من اكل ما يسقط من
المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده [illegible] ويخلل

اسنانه [illegible] اما ما يخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة
ويقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله
تعالى بقلبه على ما اطعمه ويرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال كلوا من
طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات
اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم من المائدة حتى
ترفع الا ان كان اكل طعاما لغيره فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه
بما رزقته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار
وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفئ بحزنه ودموعه حر النار التي تعرض لها بقوله
صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو وليقل اذا اكل
لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه واذا اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا
منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول
الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافيا من كل شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع
وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا
نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا في طاعتك واجعله عونا لنا على طاعتك
ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان يحمل الاشنان على كف اليد اليسرى و
يغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح بها شفتيه ثم ينعم غسل الفم
ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك الماء ثم يدلك بقية الاشنان
اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله تم الباب الاول

الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهي سبعة

الاول ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى
فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك
من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها الثالث ان يرفق
برفيقه في القصعة ان لا يقصد زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا
بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا يأكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك او استأذنهم فان قل اكل رفيقه نشطه
ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكرر الكلام ثلاثا فليس من
الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع وقال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه الرابع
ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الآكلين من لا يحوج صاحبه الى ان يتفقده في
الاكل وحمل عن اخيه مؤنة القول ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل
يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج
الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا للاخوان ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد

مطلب يقرأه بعد الطعام قل هو الله ولايلاف

فياكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به ابرهيم جيش وكان ابن المبارك يقدم فاخر
الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى
بعدده دراهم وذلك لكسر الحيا وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم
اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك
التصنع وقال جعفر ايضا تتبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله الخامس ان غسل اليد في الطست لا باس
به ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست اليه غيره اكراما
فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال انس
اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معوية
الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معوية تدري من صب على يديك فقال لا قال
صب امير المومنين فقال يا امير المومنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله
ولا باس ان يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول
الانتظار وان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وآله وسلم
اجمعوا وضوكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا ترفع طست من
بين يدي القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا
بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى
التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم
قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب
واذا كان له نية فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطست اذن سبعة
آداب ان لا يبزق فيه وان يقدم المتبوع فيه وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يديره يمنة وان يجتمع فيه جماعة
وان يجتمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفرش
وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما
في اول نزوله عليه وقال لا يرعك ما رايت مني فخدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب
اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد
ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا
في الطعام اكل معهم اخيرا فعل ذلك كثير من الصحابة فان امتنع لسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم
السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة في
فيه واذا اخرج شيا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل
في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين

المستقذرات وفي تقديم الطعام الى الاخوان فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة
فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه

فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله تعالى يستحيي ان يساله عن ذلك
هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته
موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون
على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم
عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لناكل فضل ذلك وفي الخبر
لا يحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده
وفي الخبر ثلث لا يحاسب العبد عليه اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه
لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر يقول من كرم المرء طيب زاده
في سفره وبذله لاصحابه وكان اصحابه يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على
قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو من
الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت
رب العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال صلى الله عليه وآله وسلم
اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من اطعم
الطعام وقال من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين
مسيرة خمسمائة عام

وأما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام

اما الدخول فليس من السنة
ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه قال الله تعالى
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من
مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على الطعام
ان لا ياكل ما لم يوذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولون عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولون
حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت
اكله فلا باس به فقد قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل ابي الهيثم بن التيهان
وابي ايوب الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذا اعانة للمسلم
على حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون
صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلثون صديقا يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة فكان اخوانهم يسلونهم في
عن كسبهم وكان قيام اوليك بهم على قصد التبرك بما بقي لهم فان دخل فلم يجد صاحب الدار وكان واثقا
بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه اذ المراد بالاذن الرضا لا سيما في الاطعمة
وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم
ياذن واكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة واكل
طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك
يجوز ان يدخل الدار بغير اذن اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلا بد من الاستئذان اولا ثم الدخول

وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدونه بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن رضي الله عنه انه كان قائما ياكل من متاع بقال في السوق ياخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد تاكل الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل علي آية الاكل فتلا الى قوله او صديقكم فقال فمن الصديق يا ابا سعيد فقال من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمل كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال يا اخي ان عادوا فعد

واما آداب التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجل ذلك فيشق على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدم ودخل بعضهم على زاهد وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين لاطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم لا ابالي من اتاني من اخواني فاني لا اتكلف له انما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف لي فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلنا فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم روي ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم كل ما في بيته شيئا فلا يترك نوعا الا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت الزيارة فقدم ما حضر وان اشتريت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي عليه السلام ان اخوانه زاروه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه

الادب الثاني للزائر ان لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير بين شيئين الا اختار ايسرهما وروى الاعمش عن ابي وائل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان رضي الله عنه فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكل قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك على اخيه او كراهته له فان علم انه يسر باقتراحه ويتيسر ذلك عليه فلا يكره له الاقتراح فعل

الشافعي رضي الله عنه مع الزعفراني اذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة يوما من الايام والحق بها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال ما امرت بهذا فعرضت خط الشافعي ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه قال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له ايش هذا انا اشرب كله في مرة فضحك وقال هذا افضل لك من حجك وقال بعضهم الاكل على ثلثة انواع مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب

الادب الثالث ان يشتهي المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بذلك بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المؤمن فقد سر الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة واطعمه الله من ثلث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد

الادب الرابع ان لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل ينبغي ان يقدم ان كان قال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل له اتاكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهره عليهم او يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكل فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقراء فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة واذا دخل القراء فدلوهم على المحراب

الباب الرابع في آداب الضيافة وجملة الآداب فيها ستة

الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها

فضيلة الدعوة

قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل له ابل وبقر كثير فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال لي قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفه الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده وكان ابرهيم الخليل عليه السلام اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا وياكل عنده جماعة من بين ثلثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر آدابها

آداب الدعوة فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وآله وسلم اكل طعامك الابرار [illegible] وقال لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي ويقصد الفقراء

دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وآله وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون
الفقراء وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في
اصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر
بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اطعام الطعام وادخال
السرور على قلوب المؤمنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب
من الاسباب وينبغي ان لا يدعو الا من يحب اجابته قال سفيان من دعا احدا الى الطعام وهو يكره الاجابة
فعليه خطيئة فان اجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ما كان ياكله واطعام التقي اعانة
له على الطاعة واطعام الفاسق تقوية له على الفسق قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين
فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة
انفسهم واما الاجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى
كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب الاول ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير
فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال
آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء
وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي رضي الله
عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض في الرمل
وهم ياكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم الى الغداء يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ان الله لا
يحب المتكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم فوعدهم
وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم واما قول القائل اني ان وضعت يدي في
قصعته فقد ذلت له رقبتي قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يرتاح
بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له على المدعو ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحضر لعلمه
بان الداعي يتقلد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة وهذا يختلف باختلاف الحال فمن
ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل ولذلك
قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده
ويرى الفضل لك عليه في قبولك تلك الوديعة منه وقال سري السقطي آه من لقمة ليس لله فيها تبعة ولا
لمخلوق فيها منة فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد قال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت
فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا
ضيف انزل حيث انزلوني الثاني انه لا ينبغي ان يمتنع من الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه
بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي ان يمتنع لاجل ذلك يقال في التوراة او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين
شيع جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان
فيه قضاء حق الحي فهو اولى من الميت وكان صلى الله عليه وآله وسلم لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وهو
موضع على اميال من المدينة افطر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره الثالث

ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية ادخال السرور على
قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر
وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول
اني صائم وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن الخلق فثوابه
فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد القراءين
الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع
منكر من فرش ديباج او آنية فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شيء من المزامير والملاهي او التشاغل
بنوع من اللهو والهزل واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذا اذا كان
الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طلبا للمباهاة والفخر الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء
شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي
الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي الحذر من معصية الله
تعالى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله وينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله
صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم من
سر مؤمنا فقد سر الله وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من احد الجانبين فيحصل التزاور من جانبه ايضا وينوي صيانة
نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ
مسلم او ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف بمجموعها وكان بعض السلف يقول
انا احب ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال
بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا
فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات
بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه
الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث واما الحضور
فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فياخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث
يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب المكان بموضع لم يخالفه
البتة فانه يكون رتب في نفسه موضع كل احد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع
اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وآله وسلم ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في
مقابلة حجرة النساء وسترهم ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل الشره ويخص بالتحية والسؤال
من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع
الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل
الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتاخر بالغسل لينتظر

ان يدخل بيتا فيه ما يكره ضيعه واذا دخل ورأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج و
استعمال اوانى الذهب والفضة والتصوير على الحيطان وسماع الملاهى والمزامير وحضور النسوة
المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد اذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغى ان يخرج ولم
ياذن فى الجلوس الا فى ضبة وقال اذا رأى كلة ينبغى ان يخرج فان ذلك تكلف لا فايدة ولا يدفع حرا ولا بردا
ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورا بالديباج كما يستر الكعبة وقال اذا اكترى
بيتا فيه صورة او دخل الحمام ورأى صورة فينبغى ان يحكها فان لم يقدر خرج وكلما ذكره صحيح وانما النظر فى
الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهى الى التحريم اذ الحرير محرم على الرجال قال صلى الله عليه
وسلم هذان حرامان على ذكور امتى وما على الحايط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة
بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى لا سيما فى وقت الزينة اذا لم يتخذه عادة
للتفاخر وان تخيل ان الرجال يتنعمون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما لبسه
الجوارى والنساء والحيطان فى معنى النساء اذ ليس موصوفا بالذكورة واما احضار الطعام
فله آداب خمسة الاول تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت
الموعود فحق الحاضرين فى التعجيل اولى من حق اوليك فى التاخير الا ان يكون المتاخر فقيرا او ينكسر قلبه به
فلا باس بالتاخير واحد المعنيين فى قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل
الطعام اليهم دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان
الذهاب بسرعة وقيل بخفية وقيل جاء بعجل حنيذ بفخذ من لحم وانما سمى عجلا لانه عجله ولم يلبث قال حاتم الاصم
العجلة من الشيطان الا فى خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اطعام الضيف وتجهيز الميت
وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل فى الوليمة قيل الوليمة اول يوم سنة وفى
الثانى معروف وفى الثالث رياء الثانى ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق
فى الطب فانها اسرع استحالة فينبغى ان يكون فى اسفل المعدة وفى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله
تعالى وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقال صلى
الله عليه وآله وسلم فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات
ويدل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف ابرهيم عليه السلام اذ احضر العجل الحنيذ اى المحنوذ وهو
المشوى وهو احد معنيى الاكرام اعنى تقديم اللحم وقال تعالى فى وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن
والسلوى والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة
من الطيبات قال ابو سليمان الدارانى اكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى وتتم هذه الطيبات بشرب
الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل وقال المامون شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله وقال بعض
الادباء اذا دعوت اخوانك واطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة وانفق
بعضهم دراهم فى ضيافة فقال بعض الحكماء لم يكن يحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك

حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين
ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب لما فيه من التزيين بالخضرة وفى
الخبر ان المائدة التى نزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل
وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن موافق الثالث ان
يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفى منها من يريد فلا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستانف
حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة فى استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين
ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهى وان لم
يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه ويحكى عن بعض ارباب المروات انه كان
يكتب نسخة بما يحضر من الالوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الى بعض المشايخ لونا بالشام
فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا آخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال آخر كنا
جماعة فى ضيافة فقدم الينا الوان من الرؤس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا ناكل ننتظر بعدها لونا او حملا
فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان
يخلق رؤسا بلا ابدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما
الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدى عنها فلعل فيهم من يكون بقية اللون
اشهى عنده مما استحضره او بقيت فيه حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة التى يقال
هى خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكى عن السنورى
انه كان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من ابناء الدنيا على مائدة فقدم اليهم حمل وكان فى صاحب المائدة بخل فلما
رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام السنورى
يعدو خلف الحمل فقيل له الى اين فقال آكل مع الصبيان فاستحيى الرجل وامر برد الحمل ومن هذا الفن ان لا يرفع
صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغى ان يكون آخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع
الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام واكل وقال بسم الله ساعدونى
بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه الخامس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل
عن الكفاية نقص فى المروة والزيادة عليه تصنع ومراياة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه بان ياكلوا الكل الا ان
يقدم الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع وينوى ان يتبرك بفضل طعامهم اذ فى الحديث انه لا يحاسب
عليه احضر ابرهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا سرفا
فقال ابرهيم ليس فى الطعام سرف فان لم يكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة
من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع وينبغى
ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شىء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم
وتنطلق فى الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهة
قوم وذلك خيانة فى حقهم وما بقى من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة الا اذا

صح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض وعلم ذلك من قرينة حاله وانه يفرح بذلك فان كان
يكره لحيته ولا يحبني ان يوخذ واذا لم يعلم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ
الواحد الا ما يخصه او يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء فاما الانصراف فله آداب ثلثة احدها ان يخرج مع
الضيف الى باب الدار وهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال صلى الله عليه وآله وسلم من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب
الدار وقال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا
رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث
عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وقال يزيد بن ابي
زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا الثاني ان ينصرف
الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وآله وسلم
ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما
سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم قال هل بقي بقية
قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم يبق قال فالقدر امسحها قال قد غسلتها فانصرف يحمد الله تعالى
فقيل له في ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق
وحكي ان استاذ ابي القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو
يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الاب بالانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع
لله تعالى واطمانت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه فلا ينكسر بما يجري
من العباد من الاذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال
بعضهم انا لا اجيب الدعوة الا لاني اتذكر بها طعام الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه
الثالث ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلثة
ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضيافة ثلثة فما زاد فصدقة
نعم لو الح رب البيت عن خلوص قلبه فله المقام اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال
صلى الله عليه وسلم فراش للضيف وفراش للرجل وفراش للمراة والرابع للشيطان فصل يجمع آدابا
ومناهي طبية وشرعية متفرقة الاول يروى عن ابرهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسندها
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسناده غريب وقد نقل عكسه عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورؤي بعض المشايخ من الصوفية المعروفين ياكل في
السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق واكل في البيت فقيل تدخل المسجد فقال استحيي ان
ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق
مروة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله
حمل ذلك على قلة المروة وفرط الشره ويقدح في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع اعماله في ترك
التكلف كان ذلك منه تواضعا الثاني قال علي كرم الله وجهه من ابتدا غداءه بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا

من البلاء ومن اكل يوما سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء
لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبشكارجات تعظم البطن وترخي الاليتين
ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب
والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل
غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين الثالث قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة آخذ بها
ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى يتم نضجه ولا
تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اجدت مضغه وكل ما احببت
من الطعام ولا تشربن عليه واذا شربت فلا تاكل عليه ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار فنم
واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد تعش تمش يعني تمدد
كما قال تعالى الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا
سد مجراه الرابع في الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة
يعني الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من بيتك حتى تاخذ حلمك اي تتغدى اذ به يبقى الحلم
ويقل الطيش وهو ايضا اقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما
هي قال اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان الخامس الحمية تضر بالصحيح كما ان تركها
بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العافية وهذا حسن في حال الصحة
وراى رسول الله صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتاكل التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما اكل
بالشق الآخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السادس يستحب ان يحمل الطعام الى
اهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن ابي طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا
اليهم ما ياكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء
والجزع فلا ينبغي ان يوكل معهم السابع لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب
ورد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر
اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان ازكي ولا اكل او اكل ولا ازكي
فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن وكانت له اخت في
الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المراة على ذلك فقال كان حلالا
ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع الثامن حكي عن فتح الموصلي انه دخل على
بشر الحافي زائرا فاخرج بشر درهما فدفعه الى احمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت
خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه الا اللبن فاشتريت اللبن واشتريت
تمرا جيدا فقدمت اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر اتدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام
الطيب يستخرج خالص الشكر اتدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل اتدرون لم حمل
ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل وحكي ابو علي الروذباري انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج
فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد

منها فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرفات
ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها التاسع قال الشافعي رضي الله عنه
الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلث اصابع من السنة وباربع وخمس
من الشره واربع يقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن
كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال
القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر
الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والقعود في استدبار القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل
الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة نوم على القفا وهو نوم الانبياء يتفكرون
في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم
طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين واربع يزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة
الصالحين والعلماء واربع هن من العبادة لا تخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم
المساجد وكثرة قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا
يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب
تم كتاب آداب الاكل بحمد الله وحسن توفيقه ويتلوه كتاب آداب النكاح والحمد لله والصلوة على رسول الله

كتاب آداب النكاح من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي لا يصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى
ولا ترجع العقول اذا تفكرت فكرا عن اوائل بدائعها الا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى
تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق
شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقتهارا وقسرا ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم
بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث
عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام
وانشأ منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا
وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلوة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلوة لا
يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم كثيرا اما بعد فان النكاح معين على الدين ومهين
للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما احراه
بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه
ينكشف في ثلثة ابواب الباب الاول في الترغيب فيه وعنه الباب الثاني في
الآداب المرعية في العقد والعاقدين الباب الثالث في آداب

المعاشرة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله تعالى
مهما لم تتق نفسه الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال آخرون الافضل تركه في زماننا
هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم يكن الاكتساب محظورا واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه
الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله
حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله او لم يسلم

الترغيب في النكاح

اما من الآيات فقال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
وهذا منع من العضل ونهي عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك و
جعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اولياءه بسؤال ذلك
في الدعاء فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الآية ويقال ان الله تعالى
لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل
الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له
واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وآله وسلم النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج
والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد
كبير وهذا ايضا تعليل الترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه وآله وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية
الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة
الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه
وقد كفي بالتزوج احدهما وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلث ولد صالح يدعو له
الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح واما الآثار فقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او
فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى
يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج
ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم
النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة
ايام لاحببت ان اتزوج لكي لا القى الله عزبا ومات امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال
زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة
وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

بحاجته أن يطرقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا تتزوج فقال يا رسول الله إني فقير لا شيء
لي وأنقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني لئن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له
الثالثة ألا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان فقل إن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يأمركم أن تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال للأصحاب اجمعوا لأخيكم وزن
نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم وجمع له من الأصحاب شاة للوليمة وهذا
التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكي أن بعض العباد في الأمم السالفة
فاق أهل زمانه في العبادة فذكر للنبي عليه السلام في زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك
لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزوج قال لست
أحرمه ولكني فقير وأنا عيال على الناس قال فأنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وقال بشر بن الحارث فضل
علي أحمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه
ونصب إماما للعامة ويقال إن أحمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده عبد الله وقال أكره أن أبيت
عزبا وأما بشر فإنه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم
هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزوج إلا قوله تعالى ولهن مثل
الذي عليهن فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي أنه
رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء
ولم أبلغ منازل المتأهلين وفي رواية قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل أبو نصر
التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان
ابن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لأن عليا كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة
وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء صلوات الله عليهم وقال رجل لإبراهيم بن
أدهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا
فيه فقال فما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي وقد قيل فضل
المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب وأما ما
جاء في الترغيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم خير الناس بعد المائتين زمان يكون هلاك الرجل على يد
زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك
وفي الخبر قلة العيال أحد اليسارين وكثرته أحد الفقرين وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال
الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة
العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى
وقال أيضا ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث وقال الحسن إذا
أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال وقال ابن أبي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على
أنه ليس معناه أن لا يكونا له بل أن يكونا له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الداراني ما شغلك عن

الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط
وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده

آفات النكاح

وفوائده خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام
بهن

الفائدة الأولى

الولد وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن
جنس الإنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر وبالأنثى في التمكين من الحرث تلطفا
بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى
الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت
ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت
به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه
عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا الأول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد
لإبقاء جنس الإنسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تكثير من به مباهاته والثالث طلب
التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله أما الوجه الأول
فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله
ومجاري حكمه وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضا مهيأة للحراثة وكان
العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا ودفع الموكل
عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر
والأنثيين وخلق النطفة في الفقار وهيأ لها في الأنثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا
للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق
في الإعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له هذا إن لم يصرح به الخالق على
لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا كيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل
ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة
والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل
من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الشرع الأمر في قتل الأولاد وفي الوأد
لأنه منع من تمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى
إتمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه
وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فإن قلت قولك إن بقاء النسل والنفس
محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم
أن الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم فاعلم أن هذه
كلمة حق أريد بها باطل فإن ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله تعالى خيرها وشرها ونفعها وضرها
ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي
مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر والشر فلا نقول

فانه مرضي ومحبوب وقد قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يكون الفتاك بالاضافة الى محبة الله وكراهيته
كالمبغض اما ترى ان الله تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن هو يكره الموت وانا
اكره مساءته ولا بد له من الموت فقوله ولا بد له من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن
قدرنا بينكم الموت وفي قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ولا مناقضة بين قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وبين
قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها
فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات
الخلق من البعد ما بين ذاته وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب
ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في
علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي منع من افشائه فلنقبض العنان عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا
عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده من
آدم صلى الله عليه وآله وسلم عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام
من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد الشهوة لما
قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت
فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع والوقاع يحصل باعث الشهوة وذلك امر لا يدخل
في الاختيار وانما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى
ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة
خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع
امرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد
كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم
ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله
من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى
هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة الوجه الثاني محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة
بالوجوه ما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المرأة
العقيم اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود
وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع
غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة الوجه الثالث ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو
له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم منقطع الا ثلاث وذكر الولد الصالح وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور
وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا
عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته و
حسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم

وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم الوجه الرابع ان يموت
الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى
الجنة وفي بعض الاخبار يأخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة
فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا اي ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا
ابويه معه الجنة وفي خبر آخر ان الاطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة
اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون
فاين آباؤنا وامهاتنا فيقول الخزنة ان آباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انهم كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون
عليها ويطالبون قال فيتصايحون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله تعالى وهو اعلم بهم ما هذه
الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله عز وجل تخللوا الجمع فخذوا
بايدي آبائكم وادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار
من النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم
قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من
دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون
لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش
ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل
من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويجاوزون
اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا
فقلت ومن انتم قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فأتوا حرثكم انى
شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه
سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر
وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة
بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الآثار والاخبار اشارة
الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله ودافع
لسطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل
فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء
الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة
حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا يوازيها لذة لو دامت فهي منبهة على
اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع او
الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب واحد فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا
على عبادة الله تعالى فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان
ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة

الاخروية فان هذه اللذة الناقصة السريعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة الدائمة فيستحث على العبادة الموصلة
اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات
بدن الانسان ظاهرا او باطنا من ذرات ملكوت السموات والارض الا وتحتها من لطائف الحكم وعجائبها ما
تحار العقول فيها ولكن ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا و
غرورها وغوائلها والنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى من عجز وعنة وهم غالب
الخلق فان الشهوة ان غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله تعالى الا
تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة
فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوساوس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس
تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في اكثر الاوقات وقد يعرض له
في اثناء الصلوة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيى منه والله مطلع
على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة
على الصوم لا يقطع مادة الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف في البدن وفساد في المزاج
ولذلك قال ابن عباس لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى
قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا وخلق الانسان ضعيفا انه
لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ثلث دينه
وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا
يقاومها عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهو اقوى آلة الشيطان على
بني آدم واليه اشار صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ما رايت ناقصات عقل ودين اغلب واسلب لذوي الالباب
منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر
منيي وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يجوز
فيه التساهل لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يخلو من اثنين وثلاث فانكر عليه بعض الصوفية
فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله جلسة او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر
شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت
لكني ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال
ياكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو
حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت
فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل من وقع
بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع مع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت
اقبلت بصورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها وقال صلى الله عليه وسلم
لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب عنها زوجها فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال

ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفيان بن عيينة فاسلم معناه فاسلم انا منه فان الشيطان لا يسلم وكذلك
يحكى ان ابن عمر كان من زهاد الصحابة وعلمائهم كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي
المغرب ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج عدة الشيطان منه وروي انه جامع ثلاثا من جواريه
في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على
مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع
ان فيه ارقاق الولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين
وليس فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الاخروية التي تستحقر الاعمار
الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروي انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم
يبرح فقال ابن عباس هل من حاجة قال نعم اردت ان اسال مسالة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك
واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض الي به فقال اني شاب لا
زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي وربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس
ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا وهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور
ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة
في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك
النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من
الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم
الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق
من امر الولد فان ذلك عام الا في الممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنها
المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله تعالى مودة ورحمة واطمان قلبه بهن
والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بسبع ليال ويقال ان الحسن بن
علي كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امراة وكان ربما عقد على اربع في عقد واحد وربما طلق اربعا في وقت
واحد واستبدل بهن وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال حسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة
نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان
في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كانت له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون
العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة الفائدة الرابعة ترويح النفس
وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وعن الحق نفور لانه
على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض
الاوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان
يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وقال علي روحوا القلوب
ساعة فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه
وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله

بلفظ آخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقال صلى الله عليه
وآله وسلم لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة
بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي
بشيء من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة فهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن
تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم اكثر هذا الانس وقال صلى الله عليه
وآله وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من جرب
اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها تطرد
في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد
بالنكاح ذلك واما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يستانس بالنظر الى الماء الجاري
والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال
والاشخاص فليتنبه له **الفائدة الرابعة** تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ
والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر
عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة
الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات
للعيش ولذلك قال ابو سليمان الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير
المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قول الله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال
المراة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته
فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير فلنحيينه حيوة طيبة الزوجة الصالحة وكان
عمر بن الخطاب رضه يقول ما اعطي عبد بعد الايمان بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى
منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم فضلت على
آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي في الطاعة وكان شيطانه كافرا و
شيطاني مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون الا
انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب
به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فان
ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع
عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل **الفائدة
الخامسة** مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن و
احتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن و
القيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل لانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية
عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم يوم

من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه
وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد
بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلاث احدها انه يطلب الحلال لنفسه و
لغيره وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امراته
وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل
الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا
افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما
متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حسنت صلوته وكثر
عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف
ابا العيال وفي الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب
لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن
اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا
قال هو والله من غرائب الحديث وغرره وروي ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت
فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي ثم قال رايت في المنام بعد جمعة من وفاتها
كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي و
قال لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك فيقول الرابع نعم فخفت ان اسالهم هيبة
منهم الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت يا هذا من المشؤم الذي تومؤن اليه فقال انت فقلت ولم
ذلك قال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندري
ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان او ثلاث وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على
يونس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امراته وتستطيل عليه وهو
ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله عز وجل وقلت ما انت معاقبي به في الآخرة فعجله لي
في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على
ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح
منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على السالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه بالتعرض
لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة
باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه ايضا من الفوائد لكنه
لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتحسين الاخلاق وتهذيبها لكونه في بداية الطريق
فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة ويرتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة
بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلوة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام
بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق
اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات

فلا ينبغي ان يتزوج هذا المريض لتأديه الى رياضة حتى يكون عنها في اما العبادة بالنفل في الكسب لمعنى العلم افضل
من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته تعم ولا تقتصر على الغير من نايل الكسب على العيال خير من فضائل النكاح في
الرتبة الذي به يحكم له بالفضيلة [illegible] فلنذكر آفات النكاح الآفة الاولى وهي اقواها العجز عن طلب
الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع
في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك واما المتزوج ففي الاكثر
يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله
من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق
بتلك المطالبات كل اعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن
اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل في القيامة اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا
ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف
اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وقال صلى الله عليه وآله لا يلقى الله سبحانه
وتعالى احد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من
حلال يفي به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفات او من هو
محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باصطياد او احتطاب او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين
ويقدر على ان يعامل به اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج
فقال هو افضل في زماننا هذا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان
ملك نفسه فتركه اولى الآفة الثانية القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى
منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء
والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع ومسؤول عن رعيته قال صلى الله
عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول ويروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق
الهارب لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو بمنزلة هارب وقد
قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه
واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء ان كثرت كثر الامر بالسوء
غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى كما قيل لن يسع الفارة
جحرها علقت المكنسة في دبرها وكذلك اعتذر ابراهيم بن ادهم وقال لا اغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من
القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر فقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن
مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اصير جلادا على الجسر وروي سفيان بن عيينة على
باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذا عيال افلح وكان سفيان يقول
يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح فهذه آفة عامة ايضا وان كانت دون
عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع
شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه

والمخالطة والحدة والطيش وسوء الاخلاق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح
فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له الآفة الثالثة وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد
شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال والادخار
لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من اهل ومال وولد فهو مشؤوم على صاحبه ولست
اعني بهذا ان يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح
بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من الشواغل من
هذا الجنس يستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك
قال ابراهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو سليمان من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي
يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له
النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه
فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا
يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن
بالعشيرة فلا يمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوائد واجتمعت
الآفات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامران وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة
في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر
الفوائد الولد وتسكين الشهوة واظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فلنفرض تقابل
هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة
الحاجة الى كسب الحرام او الاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله تعالى ولا خير في كسب
الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة وهذا
نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين
رأس المال وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخروية وذهاب رأس المال فلا تقاوم هذه الفائدة احدى هاتين
الآفتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى
في رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح اولى لانه مردد بين ان يقتحم الزنا او اكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين
وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح اولى لان النظر حرام
والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم
على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف
افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهي ان يقوى
على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب
وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان توزن هذه الآفات
بالفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقلناه عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه
اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فمن امن الآفات فما الافضل له التخلي لعبادة الله تعالى او النكاح

قاما و لم يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله تعالى من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الاخرة الا بالصلوة النافلة او الحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواع من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي للعبادة فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا صلى الله عليه وآله وسلم اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهمومهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر له فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي للعبادة ونحن اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت مغيبة حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء على الافضل في كل حال

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد

اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضا المرأة ان كان ثيبا بالغة او كانت بكرا بالغة ولكن يزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول متصل بلفظ النكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الزوج او وكيلهما او الولي او وكيلهما **واما آدابه** فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حالة السبق بخطوبة الخطبة لانه نهى عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة مستحب ايضا ومن آدابه ان يلقي امر الزوج الى سمع الزوجة وان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم بينهما ومن الاداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين ومنها ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض

البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد منهما من حظ النفس وحظ الدين باعثا معا ويستحب ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني عليه السلام في شوال وبنى بي في شوال واما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما الحل والثاني الطيب للمعيشة وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها نوعان احدهما الحل وهو ان يكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة الغير الثاني ان تكون معتدة عن الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطء شبهة او كانت في استبراء وطء عن ملك يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها هي من كلمات الكفر الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده السادس ان تكون كتابية وقد انتسبت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدم النسب فقط ففيه خلاف السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة او غير خائف من العنت الثامن ان يكون كلها او بعضها ملكا للناكح ملك يمين التاسع ان يكون قريبة للزوج من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل واعني بالاصول الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن العاشر ان يكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر المحرم بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او جدتها من قبل او وطئهن بالشبهة في عقد او وطئ امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المرأة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطء او يكون قد نكحها ابوه او ابنه من قبل الثاني عشر ان يكون المنكوحة خامسة ان يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم يمنع الخامسة الثالث عشر ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج آخر في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان السادس عشر ان يكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام الاحلال السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن توفي عنها او دخل بها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة اما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاولى ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع العناية فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت

الباس وجهه ويشوش بالغيرة قلبه وينغص بذلك عيشه فان سلك فيه سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها قال امسكها انما امره بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا عليه فان سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان انكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك وفي حديث آخر من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال ايضا لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة النعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او نكاح المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج آخر او ولدها من زوج آخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين ويحكى ان السايح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض وكان علي رضه يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح الثالثة حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في

غالب الامر في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اي يؤلف بينكما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغراء اغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوق الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيؤجر فيها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع فاما من لا يامن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن الدين وقد قيل اذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا العروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء الواسعة العين وقال صلى الله عليه وآله وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما يسر بالنظر اليها اذا كانت محبة للزوج الرابعة ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهرا وقد نهى عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض نسائه

على عشرة دراهم وانا اثيث بيتها وكان رحى بيد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين
من شعير وعلى اخرى بمدين من تمر ومدين من سويق وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة في المهر ويقول ما تزوج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء
مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة على
درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج
على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا باس وفي الخبر من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها
اي الولادة وتيسير مهرها وقال ايضا ابركهن اقلهن مهرا وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المرأة فيكره السؤال
عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج وقال اي شيء للمرأة فاعلم انه لص
واذا اهدى اليهم شيئا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب
الزيادة نية فاسدة فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال صلى الله عليه وآله وسلم تهادوا تحابوا واما
طلب الزيادة فداخل في قوله ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في
اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك
مكروه وبدعة في النكاح تشبه التجارة والقمار وتفسد مقاصد النكاح الخامسة ان تكون المرأة ولودا فان
عرفت بالعقم فليمتنع من تزويجها قال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج
لم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين السادسة ان تكون بكرا قال
صلى الله عليه وآله وسلم لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلاث فوائد احدها ان
تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم بالودود والطباع مجبولة على
الانس باول مألوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي
تخالف ما الفته فتقلي الزوج الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج
نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما تذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة انها لا تحن الى الزوج
الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا السابعة ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل بيت الدين
والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها فاذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال صلى الله
عليه وآله وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وقال صلى
الله عليه وآله وسلم تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل
تقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا
وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس
بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر
به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته
فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافئها في نسبها قال صلى
الله عليه وآله وسلم النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح

لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جنى
على دينه وتعرض لسخط الله تعالى لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي
جماعة فمن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال صلى الله عليه وآله وسلم من زوج
كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال
والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والرعاية والسياسة والدعابة والبشاشة والغيرة والنفقة
والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز والوقاع والمفارقة بالطلاق

الادب الاول

الوليمة وهي مستحبة قال انس راى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا
قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على صفية بسويق وتمر وقال صلى الله عليه وآله وسلم طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام
الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنئة فيقول من دخل
على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال صلى الله عليه وآله وسلم فصل ما بين الحلال والحرام الدف
والصوت وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف
وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا
يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي
كنت تقولين قبلها

الادب الثاني

حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور
عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب
بالجنب قيل هي المرأة وآخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه
وخفي كلامه جعل يقول الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن
عوان في ايديكم يعني اسراء اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صبر
على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها
بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان ازواجه
يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر في الكلام فقال اتراجعيني يا لكعاء
فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت
ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من
المراجعة وروي انه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن
اكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى ادخل بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول
غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقعدت خلف ظهره فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لم ندعك لهذا ولم نرد منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم

الله صلى الله عليه وآله وسلم واحتمل ذلك منها وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت
كيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر
اسمك ويقال ان اول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة وكان يقول لها كنت لك كابي
زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا
في لحاف امرأة منكن غيرها وقال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان
[illegible] ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى انه
روي انه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال صلى الله عليه وآله وسلم
هذه بتلك وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عائشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم
وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم
فارسل اليهم فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت
ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حسبك واقول اسكت
مرتين او ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال صلى الله عليه وآله وسلم خياركم خيركم لنسائه وانا
خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا
ما عنده وجد رجلا وقال لقمان ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير
الخبر المروي ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما
قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج
سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد **الرابع** ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع
هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى
منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف المروءة والشرع تنمر وامتعض قال الحسن
والله ما اصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا اكبه الله في النار وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في
خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد الزوجة وانما
قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر
وقلب القضية واطاع لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله — صح الشيطان
تعالى الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا
فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت
عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي ثلاثة ان اكرمتهم
اهانوك وان اهنتهم اكرموك المرأة والخادم والنبطي اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك
برفقك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج وكانت المرأة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام

والجرأة عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان سكت
فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكل ما
جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك
لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك
منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال صلى الله عليه وآله وسلم مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب
الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل
الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال صلى الله عليه وآله وسلم
استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن امرأة سوء فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك
وان غبت عنها خانتك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في خيرات النساء انكن صواحبات يوسف يعني
ان صرفكن ابا بكر من التقديم ميل عن الحق الى الهوى وقال الله تعالى حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يفلح قوم تملكهم امرأة
وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة و
الا جلست كما انت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج
الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها
بما يصلحها كما يقتضيه حالها **الخامس** الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي
تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبغت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول
المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المرأة
كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من الغيرة
غيرة يبغضها الله تعالى وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة لان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض
الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة في محلها فلابد منها
وهي محمودة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان يأتي الرجل
المؤمن ما حرم عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني
ولاجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله تعالى ومن اجل ذلك
وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا فقيل لعمر
فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله وكان الحسن يقول اتدعون
نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الغيرة
ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة
في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند
القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لغيور
وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة اي شي خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطلع النسوان على الرجال وراى معاذ امراته تطلع في الكوة فضربها وراى امراته قد دفعت الى غلام له تفاحة قد اكل منها فضربها وقال عمر رضي الله عنه اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال ايضا عودوا نساءكم لا وكان قد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المسجد والصواب الآن المنع الا العجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الآن مباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروءة وربما تفضي الى الفساد فاذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة

السادس الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله بماكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فلياكله بخفية بحيث لا يعرف اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد ان يطعمهم اياه واذا اكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان رضي الله عنه بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح

السابع ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان

بتيممت ويحرم وطؤها بالله انا ابنا جهلت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما تراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم

الثامن اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان له امراتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت واما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لن تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها احب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عائشة فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل يوم وليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاف على نسائه في ليلة واحدة

التاسع ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل واحسن النية وتلطف بهما فاصلح بينهما واما اذا كان النشوز من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذلك اذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينجع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث

بوجهها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها وذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضربها الا ضربا غير مبرح ولا
يهجرها الا في المبيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت
عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وآله وسلم لانتن اهون على الله تعالى ان تقمئنني
غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن

العاشر في آداب الجماع

ويستحب ان يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج
ذلك من صلبي وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما
رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله
الذي خلق من الماء بشرا الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة
ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين
اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقعن احدكم على امرأته كما تقع البهيمة
وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من العجز في الرجل ان يلقى
من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب
الرجل جاريته او زوجته فيصيبها قبل ان يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه ويكره
له الجماع في ثلث ليال من الشهر الاول والآخر والنصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان
الشياطين يجامعون فيها وروي كراهيته عن علي ومعوية وابي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع
يوم الجمعة وليلته تحقيقا لاحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره
فليتمهل على اهله حتى تقضي ايضا نهمتها فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف
في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها
ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان يأتيها في كل اربع ليال مرة فهو اعدل اذ عدد النساء اربع فجاز
جاز التأخير الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان
لا تثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في المحيض ولا بعد انقضائه وقبل الغسل
فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها
في غير المأتي اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى والاذى في غير المأتي دائم فهو اشد تحريما من اتيان الحائض وقوله
تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم اي اي وقت شئتم وله ان يستمني بيديها وان يستمتع بما تحت الازار بما يشتهي سوى الوقاع
وينبغي ان تتزر الحائض بإزار من حقوها الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان يواكل الحائض
ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها وان اراد ان يجامع ثانية بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان
احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل
فليتوضأ اولا وضوء الصلوة فذلك سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أينام احدنا وهو جنب قال نعم

اذا توضأ ولكن فيه رخصة قالت عائشة كان صلى الله عليه وآله وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه
فليمسح وجه فراشه او لينفضه فانه لا يدري ما حدث بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من
نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد اليه سائر اجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن
الآداب ان لا يعزل بل لا يسرح الا الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كائنة هكذا قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربع مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال
ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل
يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه
ولترك الفضيلة وهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا
لا يشتغل بذكر او صلوة وللحاضر بمكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط
وهو ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له
بجماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان
الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند
الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على
منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح
او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك الافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع
النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم
وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالاول
وليس هذا كالاجهاض والوأد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود
ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحيوة وافساد ذلك جناية فان صارت مضغة و
علقة كانت الجناية افحش فان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش
في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل
لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض قال بعض اهل
التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله تعالى من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الرائب وان النطفة من
الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرائب وكيفما كان فماء المرأة ركن في
الانعقاد فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا
يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا
وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المرأة او دمها فهذا
هو القياس الجلي فان قلت فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية
الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة
على العزل خمس الاولى في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك
الاعتاق ودفع اسباب الزوال ليس بمنهي عنه الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حيوتها خوفا من

خطر الطلق وهذا ليس منهياً عنه الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضاً غير منهي عنه فإن قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضاً للتوكل لا نقول إنه منهي عنه الرابعة الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينزل منزلة امرأة تركت النكاح الخامسة أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة فإن قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثاً قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل فإن قلت فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في العزل ذاك الوأد الخفي وقرأ وإذا الموءودة سئلت وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة في الإباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريماً فإن قلت فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصغر فإن الممنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه علي رضي الله عنه لما سمعه وقال لا تكون موءودة إلا بعد سبع أي بعد سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين إلى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر أي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الآية الأخرى وإذا الموءودة سئلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينهنا وفيه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أنه قال إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال صلى الله عليه وسلم اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال صلى الله عليه وسلم قد أخبرتكم أنه سيأتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين

الأدب السابع في الولادة وهي خمسة الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فإنه لا يدري الخيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له أو يتمنى أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال صلى الله عليه وآله وسلم من كانت له ابنة فأدبها فأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من أحد يدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خرج إلى

سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان قال رجل أو واحدة فقال أو واحدة

الأدب الثاني أن يؤذن في أذن الولد روي عن رافع عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به خبر

الثالث أن يسميه اسماً حسناً فذلك من حق الولد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا سميتم فعبدوا وقال أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره إذ كان ينادي يا أبا القاسم والآن فلا بأس وتسمى رجل أبا عيسى فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن عيسى لا أب له فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وهو لا يدرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسم العاص بعبد الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقال أبو هريرة كان اسم زينب برة فقال صلى الله عليه وآله وسلم تزكي نفسها فسماها زينب وورد النهي في تسمية أفلح ونافع وبركة لأنه يقال أثم بركة فيقول لا

الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بشاة ذكراً كان أو أنثى وروت عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة وروي أنه عق عن الحسن شاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة فقد ورد فيه خبر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة قالت عائشة لا يكسر للعقيقة عظم

الخامس أن يحنكه بتمرة أو حلاوة روي عن أسماء بنت أبي بكر قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم

الثامن في الطلاق وليعلم أنه مباح ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه قال الله تعالى فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً أي لا تطلبوا حيلة للفراق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر كان تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر

ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود
في قوله تعالى ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ومهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا
أريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي ببذل مال ويكره للرجل
أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت
به فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال صلى الله عليه وآله وسلم
أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام وقال المختلعات
هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق
في الحيض والطهر الذي جامعها فيه بدعي حرام وإن كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها
طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء وإنما أمره بالصبر بعد الطهر
طهرها لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط الثاني أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث
لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود وإذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد
المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه أعني زوجة المحلل بعد أن
تزوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور
ولست أقول إن الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه الثالث أن
يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها
به من أذى الفراق قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح وكان الحسن
بن علي رضي الله عنه مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه بطلاق امرأتين وقال قل لهما اعتدا
وأمره أن يدفع إلى كل واحدة منهما عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداهما
فنكست رأسها وتنكست وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق
الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعدما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة حيث قالت لو
لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل
عبد الرحمن بن الحارث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكنت
أجيئك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله
ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني وإنك مطلاق فأخاف
أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فإنك بضعة من رسول
الله فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي
يقول ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان
يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته إن حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا
أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا فقال ولو كنت بوابا على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد لنوع حياء فلا
ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن
رأيه والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال
وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته الرابع أن لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر
النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريبك
فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج

القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها

والقول الشافي فيه أن
النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد
ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وآله وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت
الجنة وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها في الأسفل فمرض فأرسلت
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال صلى الله عليه وآله وسلم أطيعي زوجك فمات
فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها
لزوجها وقال صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها
دخلت جنة ربها وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء فقال
حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن
العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء فقيل شغلهن
الأحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه و
آله وسلم فقالت يا رسول الله إني فتاة أخطب وأنا أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من
قرنه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره فقالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجي فإنه خير قال ابن عباس
أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج
فقال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها على نفسها وهي على ظهر بعير أن لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطي
شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت
وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب وقال صلى الله عليه
لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وآله وسلم أقرب ما
تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها
في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت
وذلك للستر ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر
عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها
أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا
كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته إياك وكسب

لحرام فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار وهمّ رجل من السلف بسفر فكره جيرانه فقالوا لزوجته
لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رزاق يذهب
الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال
لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا
من زوجي فاردت ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله عز وجل فقال
حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمان قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا
تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية الله عز وجل هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا
كن من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت
عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك
وكانت هذه تشبه في الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجب عليها ان لا تفرط في ماله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان اطعمت عن
رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن
المعيشة وآداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنته عند التزويج انك
خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له ارضا يكن لك
سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك
ان دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه فلا يشم منك الا طيبا ولا يسمع
الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته شعر خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب واني رايت الحب في القلب والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
والقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها و
اطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضوره
تطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت باذنه فمختفية في هيئة
رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها
بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همها صلاح شأنها وتدبير
بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهمه ولم
تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله تعالى وتقدم حقه على حق
نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال كلها للتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها
حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا او ماتوا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني الى باب
الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت
عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله تعالى ذلك لها ومن آدابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري

زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس
وجها فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسأت في قولك لعله احسن فيما
بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي انا اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعلني ثوابه ولعلي انا اسأت فيما بيني و
بين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي رايت في البادية امرأة عليها
قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت شعر ولله مني جانب لا اضيعه
وللهو مني والبطالة جانب ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب
والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال عن معاذ بن جبل قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك
الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها
ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه وقالت زينب بنت ابي سلمة دخلت
على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة
خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلثة
ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا
الخروج الا لضرورة ومن آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روي عن اسماء بنت الصديق رضي
الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف
فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل
النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكانما اعتقني ولقيت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال صلى الله عليه وآله وسلم اخ اخ لينيخ ناقته
ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد علي
من ركوبك معه تم كتاب النكاح ويتلوه كتاب آداب الكسب والمعاش والحمد لله والصلوة على رسوله

كتاب آداب الكسب والمعاش

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمد موحد يمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى
ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له ولا فراشا ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا لهم وفراشا وكور
الليل على النهار فجعل الليل لباسا والنهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا
ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنين عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا

في بصيرة دينه تشميرا وانكماشا وسلم كثيرا اما بعد فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل
الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا
مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة
اليها والناس ثلثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين
والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد
مالم تلازم في طلب المعيشة منهج السداد وان ينتهض طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة مالم يتأدب
في طلبها بآداب الشريعة ونحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه الباب الثاني في علم
صحيح البيع والشرى والمعاملات الباب الثالث في بيان العدل في المعاملة
الباب الرابع في بيان الاحسان فيها الباب الخامس في شفقة
التاجر على دينه

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليها

اما من الكتاب فقوله تعالى
وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة
وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما الاخبار فقد قال صلى الله عليه و
آله وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع
الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله
وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان صلى الله عليه وآله وسلم جالسا مع اصحابه ذات
يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى
الله عليه وآله وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في
سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى
تفاخرا وتكاثرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض
العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وآله وسلم احل
ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر احل ما اكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح وقال صلى الله عليه و
سلم عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع فقال
اتعبد فقال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اني لا اعلم شيئا يقربكم
من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان
الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
امر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه
بمعصية الله تعالى فان الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه وآله وسلم الاسواق موائد الله
فمن اتاها اصاب منها وقال صلى الله عليه وآله وسلم لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان
يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه او منعه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من فتح على نفسه بابا من

السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر واما الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب
الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته و
اعظم من هذه الثلث استخفاف الناس به وقال عمر لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد
علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس
يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة فلن ازال على الزوراء اعمرها ان الكريم على الاخوان
ذو المال وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم عن
التاجر الصدوق اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد يأتيه الشيطان
من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والاعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر ما من
موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما بلغني عن الرجل يقع
في فاذكر استغنائي عنه فيهون علي ذلك وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وجاءت
ريح عاصفة في البحر فقال اهل السفينة لابرهيم بن ادهم ما ترى هذه الشدة فقال هذه شدة انما الشدة الحاجة الى
الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما
تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال صلى الله عليه وآله وسلم حين ذكر الطير فقال
تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتجرون
في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان
اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى
متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال
وجبت له الجنة وقال ابو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك
فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ بن جبل ينادي مناد يوم القيمة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه
مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة
فان قلت فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان
سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من
استطاع منكم ان يموت حاجا او عامرا لمسجده فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا جابيا فالجواب ان وجه الجمع بين هذه
الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما ان تطلب بها الكفاية
او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا لصرفه الى
الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالما فهو
ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا جابيا واراد بالتجارة طلب الزيادة فاما اذا طلب بها
الكفاية لنفسه ولاولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى
السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره
فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات

لبدنه او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات او عالم مشتغل بتربية علم الظاهر
بما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وتكفل بامورهم
كالسلطان والقاضي والشاهد فهولاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف المسبلة
على الفقراء والعلماء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني
الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة
اذ كان يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى
بيت المال ولكنه رآه في الابتداء اولى ولهولاء الاربع حالتان اخريان احداهما ان يكون كفايتهم عند
ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سوال فترك الكسب و
الاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم الحالة الثانية
الحاجة الى السوال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السوال وذمه يدل ظاهرها على ان التعفف
عن السوال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد
العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى من السوال من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل
من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص كثير الفائدة للخلق وفائدة في اشتغاله بالعلم او العمل
يهون عليه بادنى تعريض في السوال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان
يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوي لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال ولقد
كان في السلف من له ثلثماية وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلثون وكانوا يشتغلون بالعبادة
لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا الى عبادتهم فينبغي
ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الآخذ كاجر المعطي مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطي
يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له
بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب فليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لاربعة
امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدي بذكر اسباب الصحة في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى

الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربوا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب

اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج
اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ
عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم
جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسوال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع لي الواقعة فعندها
اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها
صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح
ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه

والا اكل الربوا شاء ام ابى وعلم العقود كثيرة ولكن هذه العقود الستة لا تنفك عنها المكاسب وهي البيع و
الربوا والسلم والاجارة والشركة والقراض وشرح شروطها

العقد الاول البيع

وقد احله الله تعالى
وله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ الركن الاول العاقد ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة
الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وان اذن
له الولي عند الشافعي وما اخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة اليهما فضاع فهو المضيع له
واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا
العبيد ما لم ياذن السادة في معاملتهم وذلك بان يسمعه منه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون في الشرى
والبيع لسيده فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبر بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما
اخذه منه مضمون عليه لسيده وما سلمه ان ضاع في يد العبد فلا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة
به اذا عتق واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح
توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه
ايضا مضمون له بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا الامة المسلمة ولا
يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها لربه واما الجنديون من
الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة الربوا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي
ان يتملك مما في ايديهم شيئا لاجل انها حرام الا اذا عرف بعينه انه حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال
والحرام الركن الثاني في المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين الى الآخر ثمنا كان او مثمنا
فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج
والاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر
ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا توكل وان صلح للاستصباح او طلاء السفن ولا باس ببيع الدهن
الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس و
كذلك لا ارى باسا ببيع دود القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه
بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة الثاني ان يكون منتفعا
به فلا يجوز بيع الحشرات والفار والحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق
في اخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل والفهد والاسد وكل ما يصلح لصيد او ينتفع بجلده
الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الطوطي وهو الببغاء والطاووس
والطيور المليحة الصور وان كان لا يوكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما الكلب
هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه ولا يجوز بيع العود
والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي
تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصنعتها لا يجوز [illegible] واما الثياب والاطباق
وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة اتخذي
منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه الثالث

ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او لمن يعقد له فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن
الا ان اذن المالك ورضي فيجوز ذلك ويجب استيفاء الاذن [illegible] ان يشتري [illegible] مال الزوج والابن
مال الزوجة والاب [illegible] على الاذن العرفي [illegible] فلو لم يكن الرضا معتبرا لم يصح البيع في امثال
ذلك مما يجري في الاسواق [illegible] على العبد المأذون ان يكون المعقود عليه مقدورا على
تسليمه حسا وشرعا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن
وكذا بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز
عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا او
كذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع الخامس ان يكون المبيع معلوم
بالتعيين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة
اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه من اي جانب شئت او عشرة
اذرع من هذه الارض وخذ من اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان
يبيع شائعا مثل ان يبيع نصفه او عشره فان ذلك جائز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل او الوزن او النظر اليه فلو
قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة
فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك بهذه الصبرة من الدراهم او
بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار واما العلم بالوصف
فيحصل بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغائب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا تتغير فيها والوصف لا يقوم مقام
العيان في احد المذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المسح اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها
ويجوز بيع الارز في قشره التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز والجوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز
بيع الباقلي الرطب في قشره للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن نجعله اباحة بعوض فلو
اشترى المبيع [illegible] بطلانه لانه ليس بمستتر خلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما
يستتر خلقة السادس ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه او باعه قبل القبض
فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بالكيل واما المبيع
الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك فيه حاصلا بمعاوضة فيجوز بيعه قبل القبض الركن الثالث لفظ العقد
فلا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريح او كناية فلو قال اعطيتك هذا
بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع لانه قد يحتمل الاعارة اذا كان في ثوبين او دابتين
والنية تدفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما [illegible] ولا ينبغي ان
يقترن بالبيع شرط على خلاف مقتضى العقد مثل ان يشترط ان يزيد شيئا آخر او ان يحمل المبيع الى داره او يشترط
[illegible] فكل ذلك فاسد الا اذا [illegible]
[illegible] بينهما [illegible] بالفعل دون اللفظ [illegible]
[illegible] في المعاطاة [illegible]

المشتري ويقود اليه [illegible]
يتصرف فيه ويشتري الثوب ويقطعه ولم يجر بينهما ايجاب وقبول اصلا ويجتمع المجهزون على حانوت البياع
فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا [illegible] هذا على تسعين ويقول الآخر [illegible]
ويقول الآخر [illegible] فيزن ويسلم [illegible] من غير ايجاب وقبول فقد استمرت به العادات
وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلاثة اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير
والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله تعالى البيع والبيع اسم للايجاب والقبول
ولم يجر ولم يطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال الملك في الجانبين لا سيما في الجواري
والعبيد والعقارات والدواب النفيسة ومما يكثر التنازع فيها اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت وما بعته
اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع الاحتمال الثاني ان يسد الباب كما قاله الشافعي رحمه الله من ابطال
العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمن الصحابة ولو
كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض
بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت والثاني ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري
الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد ملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر
كذلك الاحتمال الثالث ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات
ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج الى تخريج قول للشافعي على وفقه
وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا بأس لو ملنا اليه لمسيس الحاجة ولعموم ذلك بين الخلق ولما
يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاولى فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول
اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان
واضحان اذ لا يخفى ان شرى البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد
فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم
الكلام لاجل حقير لا وزن له ففي هذا طرف الحقارة الطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة
فذلك مما لا يستبعد تكليف الايجاب والقبول فيه وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة
فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة و
اوساط مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ
لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة
وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان
يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم ترد [illegible]
والنفيس ولكن طلب الايجاب والقبول [illegible] كيف كان وفي البيع [illegible] في المحقرات [illegible]
[illegible] الايجاب والقبول [illegible] الخلاف فلا
[illegible] فان كان
[illegible]

ليخفيه بموضع المخصوص في الصنعة ... اذا لم يجز ... اللفظ الصريح غيره ... [illegible]

ان يكون ... فيما اشتريه ... اذا احضر ... منيا ... ان اصحابها ... [illegible]

او يستخرج ... يجب الاجتناب ... الحكم ... الاحتياط ... [illegible]

ولم يكن من المحرمات ... الاكل فلا يجب الاجتناب منه ... [illegible]

... على الاباحة فان ... [illegible]

... وتسليم البائع اذن في الاكل ... الحال كاذن ... في دخول الحمام واذن ... الطعام

... المشتري ... ان تاكل هذا الطعام ان تطعم من ... الله ولو ...

... هذا الطعام ... الاكل ... الضمان بعد الاكل ...

... الضمان وذلك ... ذمته والثمن الذي ... ان كان ...

... ان تملكه ... وان كان قادرا على مطالبته ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

بالعمل اذ قدر العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ واستيجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذا كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال اكتريتك كل شهر بدينار ولم يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة وهي العمل وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب يندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما تعم به البلوى فليراع في العمل المستاجر عليه خمسة امور الاول ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان او اشجارا ليجفف عليها الثياب او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعها وكذلك لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياعون عوضا عن جاههم وحشمتهم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم ذلك اذا تعبوا اما بكثرة التردد واما بكثرة الكلام في تأليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق الثاني ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه واجارة المواشي للبنها واجارة البساتين لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما الثالث ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لم يرخص الشرع في قطعه او استيجار الحائض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر او استيجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها او استيجار المصور لتصوير الحيوانات او استيجار الصائغ على صوغ الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع ان لا يكون العمل واجبا على الاجير ولا يكون بحيث لا يجري النيابة فيه عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر ويجوز على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلاة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدي للتدريس او اقراء القرآن خلاف واما الاستيجار على تعليم مسألة بعينها او تعليم سورة معينة لشخص معين فصحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسأل عنها فان الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام

العقد الخامس القراض وليراع فيه ثلثة اركان الركن الاول رأس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه تضييق طريق التجارة الركن الثاني الربح وليكن معلوما بالجزئية بان يشترط له الثلث او النصف او ما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع الركن الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط ان يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه في التجارة وهو البيع والشرى وما يقع من ضروراتهما فقط وهذه حرف اعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشتري الا من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ في حالة والمال كله نقد لم يخف وجه القسمة وان كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرده الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع راي المالك الا اذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان فيه ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليه بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكوة فان كان قد ظهر ربح ففي الاقيس ان زكوة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس للعامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكنه ضامن للاعيان والاثمان جميعا لانه تعدى بالنقل الى غير المحل وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الكيل والوزن والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان يبذل عليه اجرة وعلى العامل نفقته وكراه في البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فاذا رجع فعليه ان يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما

العقد السادس الشركة وهي اربعة انواع ثلثة منها باطلة الاول شركة المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا وما لاهما متمايزان فهي باطلة الثانية شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك في اجرة العمل وهي باطلة الثالثة شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل فهي باطلة وانما الصحيح الرابعة المسماة شركة العنان وهو ان يخلطا ماليهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة وياذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمها توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفسخ الملك عن الملاك والصحيح انه يجوز الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري واما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيه من ثلثة اوجه من اهمال شروط البيع او اهمال شروط السلم او الاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء باباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن يجب الضمان باكله ويلزمه قيمته يوم الاتلاف فيجتمع في الذمة تلك القيم فاذا وقع التراضي على مقدار فينبغي ان يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا يبقى عهدة ان تطرق اليه تفاوت في التقويم حتى لا يجب البقيا عنده فاما تكليف وزن الثمن لكل واحد من الحوائج في كل يوم وكل ساعة فهو شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول وتقييد من كل قيد يشير اليه فيعسر ولكن كل نوع منه يتعين تم الباب الثاني

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة اعلم ان المعاملة

فيجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم نعني به ما يستضر به الغير وهو منقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل

القسم الاول ما يعم ضرره وهو انواع النوع الاول الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال من احتكر الطعام اربعين يوما قسى قلبه وعنه انه احرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد وروي عن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله وتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من اثم الاحتكار راسا براس ولعلم ان النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات اما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران والطيب واشباهه فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وغير ذلك مما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر ما فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار ايضا هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب فيما خلقت من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة النوع الثاني ترويج الزيف من الدراهم في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد

في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئا وقال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانفاق الزيف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة او مائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسنته وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة او مائتي سنة او اكثر يعذب بها في قبره ويسال عنها الى آخر انقراضها قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه ومثله قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم ان في الزيف خمسة امور الاول انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع آخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز الثاني انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم الثالث انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا وانما يتخلص من اثم الضرر الذي يختص بمعامله فقط الرابع انه ان اخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله امرا سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء الخامس ان الزيف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط على الفساد وهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذه الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله تعالى انه قال حملت على علج فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله

القسم الثاني ما يخص ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب لاخيه الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم

ولعله يصلح له لو اشتراه لنفسه لا لجنسه ولا للبيع فانه ترك النصح المأمور به في المعاملات ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه فهذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول فهو ترك الثناء فان وصفه السلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله عرضة لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله تعالى من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشرى فاخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الآخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء فقال صلى الله عليه وآله وسلم فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم وكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا ان يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام

الداخلة تحت بيعته وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك كانوا يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما فاذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله تعالى على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذن لا ينمى مال من خيانة كما لا ينقص مال من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منه حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث آخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان يحجزه عما حرم الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين لو دخلت الجامع وقيل لي من خير هؤلاء وهو غاص باهله لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو شرهم والغش حرام في الشرع في البيوع والصنائع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها بحيث يبين عيبها ان كان فيها عيب فبذلك يتخلص وسأل رجل حذاء ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الاخرى ومن هذا سئل احمد بن حنبل عن الرفو بحيث لا يتبين فقال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرفاء اذا علم انه يظهره او انه لا يريد به البيع فان قلت فلا تتم المعاملة قط ما دام يجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت عندنا مرة دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة الثالث ان

لا يكتم في المقدار شيئا وذلك بتعديل الموازين والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الآيات ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام لابنه يا بني كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزان يعطي باحدهما وياخذ بالآخر اشار به الى ان فسقه منطو فيما بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمسامحة فيه ابعد والتشديد فيه اعظم ولا يتخلص منه بحال وعند قراءة ابن مسعود ولا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وانما المراد بلسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الآيات فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل فيه والنصفة فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الف سنة والوف سنين فنسال الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باع مده في الذرع ليظهر تفاوتا في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل الثالث ان يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشرى منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه

عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي ولانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى عن النجش وهو ان يتقدم الى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وانما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم يجر مواطاة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى ثبوت الخيار لانه تغرير بالفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البائع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه الغلام ان قصب السكر قد اصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته وقال ربحت ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الآن وقد طيبتها لك فرجع بها الى منزله فتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر ومن المشتري تراجع الاسعار فان فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى باجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال ان رحمت الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور الاول في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال اليه فينبغي ان يمتنع من قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها اربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فمر الى الصلاة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمضى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للاعرابي بكم اشتريت فقال باربعمائة فقال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وانا ارتضيتها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها

عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه في ذلك وقاتله وقال اما استحييت اما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وقال الزبير بن عدي ادركت ثمانية عشر من الصحابة رضي الله عنهم ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقلما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء لسعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل عن السري السقطي انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكانه راى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين دينارا فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم فقال بثلاثة وستين دينارا فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلاثة وستين دينارا فقال وانا عقدت بيني وبين الله عز وجل ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت قال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا واختر احدى ثلاث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة دراهم فانصرف الاعرابي يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا فهذا احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصفا او واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال بثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها الفا وربح من نفقته عليها ليومه الفا الثاني في احتمال الغبن والمشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل فيكون به محسنا وداخلا في قوله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله امرا سهل البيع سهل الشرى فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد في خبر من طريق اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين ولكن يخدع الحسن ويخدع ابي والكمال في ان لا يخدع ولا يخدع كما وصف بعضهم عمر كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلي وبصري فلا امكن الغابن منه واذا وهبت اعطي لله ولا استكثر منه شيئا الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في طلب

جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشرى سهل القضاء سهل الاقتضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه وآله وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلى الله عليه وآله وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه في كل يوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم رايت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل في معناه ان الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاستقراض الا محتاج ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فاوما الى صاحب الدين بيده اي ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق الى طلبه فهو في معنى المقرض وروي ان الحسن باع بغلة له باربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد قال قد اسقطت عنك مائة قال له فاحسن يا ابا سعيد فقال قد وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا ابا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا الرابع في توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وآله وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهم به اصحابه فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان ان يكون الميل الاكثر من المتوسطين الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي ان يكون الاعانة للمشتري فان البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تعديه واعانة صاحبه اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال صلى الله عليه وآله وسلم منعك اياه من الظلم نصرة له الخامس ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه المسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيامة السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيه اسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء وذلك ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة

يستوفيها ويطول احتياجه الى تخمينه ارطالا من قضاء بغداد ولم يستعن بغيره وكان يتولى [illegible] بنفسه [illegible]
ولم يكن يعتد بهذا من التجار الا من لم يكن يثبت الله فيه الا صلاحه [illegible] دينا [illegible]
[illegible] فالنقص والاثبات [illegible] وشبهته ويعرض طرق [illegible] والقائم به [illegible]
الصحيح كلمة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه
او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه في
الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر شاهد فقال ائتني بمن يعرفك
فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر
الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع
الرجل فقال لا فقال اظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه اخرى قال نعم فقال اذهب فلست
تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته
خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن باع دينه بدنياه وصفقته ممن اشترى الحيوة الدنيا
بالآخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال
بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء اليه في العاجل احمده عاقبة في الآجل وقال معاذ بن
جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا فتنظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك
من الآخرة احوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه وقال الله تعالى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم
شفقة التاجر على دينه بمراعاة خمسة امور الاول حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن
السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكتسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون
من جملة المجاهدين به ولينو طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان
خسر في الدنيا ربح في الآخرة الثاني ان يقصد القيام في معاملته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات
والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك اكثر الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم
على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وآله وسلم اختلاف امتي
رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم
والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش
والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهي
والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم
للرجال وكل ذلك من المعاصي والاجرة المأخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكوة فيها وان كنا لا نوجب
الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد بها ذلك فيكتسب
حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم

النجس ويكره ان يكون قصابا لما فيه من قساوة القلب او ان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة
وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء
الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في
مقدار الاجرة الى عمله بل الى قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شراء
الحيوان لان المشتري يكره قضاء الله سبحانه فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وحلوله وقيل بع الحيوان و
اشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد
اعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد فقلما يسلم الصيرفي
وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدراهم الصحيحة والدنانير الا عند الشك في جودتها او عند ضرورة قال
احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره
الكسر وقال يشترى بالدنانير دراهم ويشترى بالدراهم ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب
ما من تجارة احب الي من البز ان لم يكن فيها ايمان وروي خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث
آخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان الغالب من اعمال الاخيار من
السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة
صيد البحر والبر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب
ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لا تكتب الا مواضعه واستبق الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من
الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والعطارون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان
اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل
وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى بالحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من
كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره بعض السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل
العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم والاذان وصلوة التراويح وان حكم بصحة الاستيجار
عليها وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها الى الآخرة فاخذ الاجرة عليها استبدال
بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك الثالث ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة واسواق الآخرة المساجد
قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق
للآخرة فيلازم المسجد ويواظب على الاذكار والاوراد وكان عمر يقول للتجار اجعلوا اول النهار لآخرتكم وما
بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس
بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد وفيها
في اول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيء الاعمال وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع
الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله عز وجل وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم
وهم يصلون فيقول الله تعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر
فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة الاولى مع الامام في اول الوقت
لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون

لا يحرص في الصفقات وأخذ الزيادة [illegible] بحفظ الجماعات في أوقات الصلوات وكان من المعيشة نعم وجاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة الرابع أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله عز وجل في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله تعالى في السوق بين الغافلين أفضل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاكر الله تعالى في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وكالحي بين الأموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين نيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله تعالى في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله تعالى في السوق غفر الله تعالى له بعدد أهلها وكان عمر يقول إذا دخل السوق اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو جعفر الفرغاني كنا يوماً عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه إني لأعرف رجلاً يدخل السوق ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة وهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وإنما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وآله وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه يكون حياتهم وعيشهم إذ فيها يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من أحب الله تعالى عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش الخامس أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن إبليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو السلف فقد كان منهم من إذا ربح دانقاً انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخز في سفط بين يديه فكان إذا ربح حبتين رفع السفط وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حريصاً محروماً وضعيفاً مرزوقاً فقلت إن لي دانقاً عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقاً وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم من بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوماً أو يومين وكانوا يكتفون به السادس أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتي قلبه فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف ولا

يأكل الشبهة وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبن فقال من أين لكم هذا فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيباً ولا نعمل إلا صالحاً وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله [illegible] وكذلك الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم ويحكى عن رجل أنه تولى عمارة سور ثغر من الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الإسلام لكن كان الأمير الذي تولى في محلته من الظلمة قال فسألت سفيان فقال لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يعصي الله وقد جاء في الحديث إن الله عز وجل ليغضب إذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام ودخل على المهدي سفيان وبيده درج أبيض فقال يا سفيان أعطني الدواة حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب فقال ناولني الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد من المعاملة فينبغي أن يجتنبه ذو الدين ما وجد إليه سبيلاً وبالجملة فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله أقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق فيقول من ترون لي أن أعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلاناً وفلاناً ثم أتى وقت آخر فكان يقال لا تعامل أحداً إلا فلاناً وفلاناً وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون إنا لله وإنا إليه راجعون السابع ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فإنه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة أنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فإنه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل باعه شيئاً وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر علي خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من كنت عاملته في الدنيا لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول المعاملة إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين

تم الكتاب الكسب والمعاش ويتلوه كتاب معرفة الحلال والحرام والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه محمد وآله

كتاب الحلال والحرام [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال [illegible] ثم ركبه في أحسن تقويم وأتم اعتدال ثم غذاه في أول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغاً [illegible]

حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يروج الا بالشهوة المائلة الى الميل والاسترسال فكانت عزة الحلال خاذلة له ... والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذ تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا الفرق بين الاموال ولم يدركوا ان الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلث مقترنة كيفما تقلبت الاحوال ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان بما لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب

الباب الاول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته والحرام ودرجاته والورع فيه

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

الباب السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم

الباب السابع في مسائل متفرقة

الباب الاول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته والحرام ودرجاته والورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل الامر بالعمل وقيل المراد به الحلال وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل آكل الربوا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله عز وجل وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله تعالى ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وروي ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يسال الله تعالى ان يجعله مستجاب الدعوة فقال صلى الله عليه وآله وسلم اطب طعمتك تستجب

دعوتك ولما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم الحريص على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه منه شيء وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله تعالى من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في طلب الحلال روي موقوفا ومرفوعا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم خير دينكم الورع وقال صلى الله عليه وآله وسلم من لقي الله سبحانه ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم درهم من ربوا اشد عند الله من ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البنيان وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الآية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب آداب الكسب يكشف عن فضيلة كسب الحلال

الآثار روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سال عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصابعه في فيه وجعل يقيء قال الراوي حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه صلى الله عليه وآله وسلم اخبر بذلك فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابراهيم بن ادهم لم يدرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن ادهم لم لا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو شربت وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله الا ان مفتاحها الدعاء واسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس لا يقبل الله صلوة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف بآيات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف درهم ومائة الف حتى بلغ الى ستمائة الف وقال بعض السلف ان العبد ياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم ولا يعود الى حالته ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم

عن بعض الصحابة ايضا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض صح

عند الله من ثلثين زنية صح

ومن كان مطعمه حلالا الا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من
حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما
تتساقط ورق الشجر وفي الآثار ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فان
كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق وان لم
يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاثر عن علي رضي الله عنه وعن غيره ان
الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزاد آخرون وشبهاتها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع
طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله فسأله عنه فقال نحن لا ناكل الا حلالا لذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا
ونكاشف بالملكوت ونشاهد الآخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب
الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة فقال له
البدل هذه الشربة من اللبن التي رأيتني شربتها احب الي من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة ركعة من اعمالك وكانت
شربة لبن من ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول
اني لا اسال احدا شيئا ولو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين
اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
وفي الخبر انه مكتوب في التوراة من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النار ادخله وعن علي رضي الله عنه
انه لم ياكل بعد قتل عثمان رضي الله عنه ونهب الدار بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام
الي الا اني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة فقال ابن المبارك ان نظرت الى مثل هذا ضاق عليك
الخبز قال ولم قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل
فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا آكل خبزا ابدا حتى القاه فكان
يشرب اللبن واتته امه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسألها عن ثمنها ومن اين لهم فذكرت
فلما ادناه من فيه قال بقي انها من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لانها كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه
حق فقالت له اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان
بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك
وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون عن الشبهات

بيان اصناف الحلال ومداخله

اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن
تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها ولا ياكل من غيرها فاما من يتوسع في الاكل من وجوه
شتى فقد يفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن نشير الآن الى مجامعه في سياق تقسيم
وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه القسم الاول الحرام لصفة
في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان المأكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة اقسام فانها اما
ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع
ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث انه يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين
الذي يعتاد اكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انه لا يحرم مع انه لا يؤكل انه لو وقع شيء منها في

اختلطت

او طعام لم يحرم شربه واكله فاما النبات فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل او يزيل الحياة او الصحة فمزيل العقل البنج
والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى
الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة واما السم
فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم اما الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله
في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكله
فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد و
الذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل
من الاطعمة كدود التفاح والخل والجبن فان الاحتراز عنها غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب
والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره فان
وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو
جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرت نملة
او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر جرمه اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على
ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فان
الصحيح ان الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما لا للاستقذار واما الحيوانات المأكولة اذا ذبحت بشرط
الشرع فلا يحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسات مطلقا حرام
ولكن ليس في الاعيان شيء محرم نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا
يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشهي ومهما وقعت قطرة من نجاسة او جزء
من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء
السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة
اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره فالذي
بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يؤخذ
من مالك اما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او
لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض
كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا التقسيم ستة اقسام
الاول ما يؤخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش
فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الآدميين فاذا انفكت عن هذه الاختصاصات ملكها
آخذها وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر
اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها
من كافر له حرمة وامان وعهد وقد شرحنا هذه الشروط في كتاب السير من كتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية
الثالث ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق

وتم وصف المستحق الذي بها استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن ملك الاستيفاء من قاض او سلطان
او مستحق وتفصيل ذلك ذكرناه في كتاب اسرار الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في
صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا
الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين
اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم
والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق
وسائر المعاوضات الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط
العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا و
الصدقات السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب من بعض الجهات
الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج
الزكاة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل الحلال
اومانا الى جملها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور فكل
ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيه اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم
لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم

بيان درجات الحلال والحرام

اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض
والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب من بعض واصفى وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن
يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضه في الثانية او الثالثة او الرابعة وكذا الحلال تتفاوت
درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق
لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من هذه تفاوت ايضا لا ينحصر فكم من سكر وكذا غيره فكذلك
نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به
ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء الثانية ورع
الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر
فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال
التحريم ولكن المفتي في الدرجة الثانية الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى
محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ العبد درجة
المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس الرابعة ما لا بأس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به بأس
ولكن يتناول لغير الله لا على نية التقوي به على عبادة الله او تتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية
فالامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد اما الحرام
الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهي
ايضا على درجات في الخبث فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس
في درجة المغصوب على سبيل القهر بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء

الغير

الغير فليس في المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من
تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع وتغليظه وتأكيده في بعض المناهي على ما سيأتي في كتاب
التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل المأخوذ ظلما من فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من المأخوذ
من قوي او غني او فاسق لان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجة المؤذى فهذه دقائق في تفاصيل
الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار واذا عرفت
مثارات التغليظ فلا حاجة الى حصره في ثلاث درجات واربع فان ذلك يجري مجرى التحكم والتشهي وهو
طلب حصر فيما لا حاصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سيأتي في تعارض المحذورات وترجيح
بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل ميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذا على بعض امثلة
الدرجات الاربع في الورع وشواهدها اما الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتاوى تحريمه
مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب
مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريد بالحرام المطلق فلا يحتاج الى امثلة وشواهد واما الدرجة
الثانية فامثلتها كل شبهة لا يجب اجتنابها فيلتحق بالحرام ومما يكره اجتنابها والورع عنه ورع الموسوسين كمن
يمتنع من الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب
اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على
نهي التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب
عنك ثم تدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر والذي نختاره ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع
الصالحين وقوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك امر تنزيه اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد
فيه اثر غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم في الكلب المعلم فان اكل فلا تأكل
فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم لابي ثعلبة
الخشني كل منه فقال وان اكل فقال صلى الله عليه وآله وسلم وان اكل وذلك لان حالة ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب
لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله ويحكى عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة آلاف درهم لانه حاك
في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على انه لا بأس به وامثلة هذه الدرجة نذكرها عند التعرض لمراتب الشبهات فكل ما
هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة اما الدرجة الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله
صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وقال عمر كنا ندع تسعة
اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدرداء ان من تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى
يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما فيكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم
على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة من الزيادة وكان بعضهم يتحرز فكل ما
يستوفيه كان يأخذ بنقصان حبة وما يعطيه يدفع بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة
الاحتراز عما يتسامح الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان ينجر الى غيره وتألف
النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد قال كنت ساكنا في بيت بكراء فكتبت كتابا
واردت ان اترب الكتاب من حائط الكراء ثم قلت حائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فاخذت

من التراب حاجتي فلما نمت اذا انا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حائط
ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط عن رتبته فان للتقوى رتبة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد
انه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه حمل اليه مسك من البحرين فقال وددت لو ان امرأة
وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت عاتكة امرأته انا اجيد الوزن فقال لا احببت ان تضعيه في الكفة
ثم تمسحين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي
عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال وهل ينتفع الا بريحه لما استبعد ذلك
منه واخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه وآله وسلم كخ كخ القها
وقيل ان بعضهم كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروى سليمان
التيمي عن نعيمة العطارة قالت كان عمر يدفع الى امرأته طيبا من طيب المسلمين فتبيعه امرأته فباعتني طيبا فجعلت
تزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شيء منه ومسحت باصبعها خمارها فدخل عمر فقال ما هذه
الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرة من ماء فجعل يصب على الخمار
ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ثم يشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة
اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه شيء فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت بها التراب فهذا الامر من عمر ورع
التقوى لخوف اداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يرد الطيب على المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا و
تغليظا من ان يعود الامر ومن ذلك ما سئل احمد بن حنبل عن رجل يكون في المسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين
ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا بالرائحة وهذا يقارب الحرام فان
القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدرى انه يتسامح به ام لا وسئل ايضا عمن سقط
منه ورقة فيها احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم يكتب وهذا قد
يشك في ان صاحبه هل يرضى به ام لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك
التورع عن الزينة لانه يخاف منها ان يدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل
احمد عن النعال السندية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من ارادها للزينة فلا ومن
ذلك انه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب
رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة مما به باس اي مخافة ان تفضي اليه واكثر المباحات داعية الى المحظور
حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر الى النظر و
النظر الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب
مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة
مع التحرز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما اخذ بالشهوة فقلما يخلو
عن خطر حتى كره احمد تجصيص الحيطان وقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحيطان فزينة
لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واحتج بما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل ان
يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى عليه السلام وانما هو شيء مثل الكحل يطلى به فلم
يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره السلف الثوب الرقيق وقال من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك

نزوان لسباع الشهوات في المباحات الى غيرها فان المباح والمحظور تشتهيهما بشهوة واحدة واذا عودت
الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى حزم التقوى الورع من هذا فكل حلال انفك عن مثل هذا الخوف
فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وكل ما لا يخاف اداؤه الى معصية البتة اما الدرجة الرابعة
وهو ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل ما لا يتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا
يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي على عبادته واستبقاء الحياة لاجله وهؤلاء
هم الذين يرون كل ما ليس لله تعالى حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذه رتبة
الموحدين المتجردين عن حظوظ انفسهم المتفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه
بمعصية او يستعان عليه بمعصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن ذلك ما روي عن يحيى
ابن يحيى انه شرب الدواء فقالت له امرأته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا تتعلق بالدين
فلم يجوز الاقدام عليها وعن السري انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت الحشيش وشربت
من الماء فقلت في نفسي ان كنت اكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي اوصلتك
الى هذا الموضع من اين هي فندمت على هذا الخاطر ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري انه كان جائعا محبوسا فبعثت اليه
امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل منه ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان القوة التي اوصلت
الطعام الي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع وقد كان بشر لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها
الامراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر
المعمول باعمال الاجراء وقد اعطوا الاجر من الحرام وكذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال
لصاحبه افسدته اذ سقيته من ماء يجري في نهر حفره الظلمة وهذا ابعد عن الظلم من شرب نفس الماء لانه احتراز
من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر في الطريق فعطش لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة
مع ان الماء مباح ولكنه يتحفظ بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكانه انتفع به وامتناع ذي النون من
السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل اليه ولكن وصل
اليه بقوة الكسب بالغذاء الحرام ولذلك تقيأ الصديق من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه
على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن من الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب
حلال لكسبه خياط يخيط في المسجد فان احمد كره جلوس الخياط في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في
المقابر في وقت يخشى المطر فقال انما هي من امر الآخرة واطفأ بعضهم سراجا اسرجه غلامه من قوم يكره مالهم و
امتنع من تسجير التنور للخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعل سلطان
فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو
ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وهو الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل
اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه
كان اخف ظهرا يوم القيامة واسرع جوازا على الصراط وابعد عن ان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته
وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة
بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث فاذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط

وإن شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص. الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه. فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل. فنقول الحلال المطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن أسبابه ما يتطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفاً عند أخذه وجمعه في الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة. والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعاً كالمحصّل بالظلم والربا ونظائره. فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يتصور أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته. فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فإن كان قاطعاً كما لو وجد حلقة في أذن السمك أو كان محتملاً كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كياً لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحاً فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير داراً فيغيب عنه المعير فيخرج لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المحذورة ما ينشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له حتى يصير شكاً ولهذا نقول من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالثلاثة إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا اليوم بعشر سنين كانت أربعاً أو ثلاثاً لم يتحقق قطعاً أنها أربع وإذا لم يقطع جوز أن يكون ثلاثاً وهذا التجويز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثاً فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب. فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل أنه قد مات وقد انتقل الملك إليّ فأكله فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهات نعني بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهة أربعة المثار الأول الشك في السبب المحلل والمحرم فإن تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا إلا بالأمثلة والشواهد فلنقسمه إلى أربعة أقسام القسم الأول أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها مثاله أن يرمي إلى صيد فيجرحه فيقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا أن

يموت بطريق يقين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلوة وغيرها وعلى هذا يدل قوله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتي بشيء اشتبه عليه أصدقة أو هدية ما أكله حتى يعلم أنه ما هو وروي أنه أرق ليلة فقالت له بعض نسائه أرقت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم أخذت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة وفي رواية فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة وروي عن بعضهم أنه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأصابنا الجوع فنزلنا منزلاً كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل فأخاف أن تكون هذه فأكفأنا القدور ثم أعلمه الله تعالى بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللاً. القسم الثاني أن يعرف الحل ويشك في المحرم فالأصل الحل وله الحكم كما إذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فامرأتي طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فامرأتي طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لسائر الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسألة وأفتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أحسدنا زوجته طالق ثلاثاً فقال الآخر نعم فأشكل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فإن قلت وأي مناسبة بين هذا وبين ذاك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم عين ذلك في بعض الصور فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز له أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يترك بالشك إلا أن ههنا دقيقة وهي أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه ما طلق ووزان مسألة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشتبه عينه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب وكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعاً والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول أما اختلاف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في أحدهما لا يتعين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن يكون له زوجتان فيقول إن كان غراباً فزينب طالق وإن لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا دلالة ونحرمهما عليه لأنه لو وطئهما لكان مقتحماً للحرام قطعاً وإن وطئ إحداهما وقال أقتصر على هذه كان متحكماً بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص وشخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه فإن قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه قد تيقن طهارته الآن فيه [illegible] ... [illegible] ... [illegible]

القسم الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرا ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك [illegible] والغالب حله
[illegible] فينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه انه يحل [illegible]
مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر
فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي في هذا القسم والمختار
انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرا عليه غيره وطريان غيره مشكوك فيه فلا يدفع اليقين
بالشك فان قيل فقد قال ابن عباس كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عائشة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت او انميت فقال بل انميت قال ان الليل خلق من
خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله شيء ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لعدي
بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه
ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهي عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب
وتمام السبب بان يفضي الى الموت سليما عن طريان غيره عليه وقد شك فيه وهو شك في تمام السبب
ايشتبه ان يحمل على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق على الحل في ساعة ثم شك فيما يطرا عليه
[illegible] ويحتمل ان يكون ذلك نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمولا على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض
الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه
ان وجد اثرا آخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن وان لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم على الاستصحاب
كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القائل انه
لم يتحقق موته بجرح الجارح في ساعة فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت
وطريان المغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا يجب القصاص على جارحه
بل ان لم يمت يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجاءة فينبغي ان لا يجب القصاص
الا بحز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا يؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجاءة ولا قائل
بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الام لا بسبب ذبحها
او لم ينفخ فيه الروح وحرمة الجنين محتملة ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن
يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة يلتحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه
فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وآله وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة
قولان والاقيس تعليق الحكم بالتحريم لان نفيه قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه [illegible]
[illegible] المعلم [illegible] انما يمسك على نفسه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والاصل التحريم فيلتحق بالقسم الاول
[illegible] على الظن [illegible]

الظن [illegible]
[illegible] غلبة الظن [illegible]
[illegible]
[illegible] الظاهر انه منفرد كما [illegible] الشافعي [illegible]
[illegible] او بالنجاسة فيستعمله ولو رآه ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا
[illegible] ان يكون بالبول وتطويل المكث لم يجز استعماله اذ صار البول الشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة
وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة الظن استند الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن التي لا تستند الى علامة
متعلقة بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل الحل هل يزال بها اذ اختلف قوله في التوضي من
اواني المشركين ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع اعني المقدار الذي
يتعذر الاحتراز منه وعبر الاصحاب بان اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في [illegible]
اواني المشركين ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة لان [illegible] النجاسة
لا علامة [illegible] والذي نختاره ان الاصل [illegible]
يعني في المسائل [illegible] يجب رفع الاصل وسياتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة [illegible]
فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه او ظن وحكم حرام شك في طريان محلل [illegible]
وفرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة
بحله فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه في زمرة المتقين والصالحين [illegible]
زمرة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة الا ما الحقناه برتبة
الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا **المثار الثاني** للشبهة شك منشؤه الاختلاط
وذلك بان يختلط الحلال بالحرام ويشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين
او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بالمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز
بالاشارة كاختلاط المايعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور والافراس
والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون فيما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا
التقسيم اقسام القسم الاول ان تستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية او بعشر ذكيات او
اختلطت رضيعة بعشر نسوة او تزوج احدى الاختين ثم التبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع
لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين
التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل فيطرا اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه
ثم نسيها [illegible] كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة [illegible]
[illegible] من الاستصحاب [illegible]
[illegible] بالتحريم [illegible] الاستصحاب [illegible]
[illegible] حلال محصور بحرام محصور [illegible]
[illegible] القسم الثاني حرام محصور بحلال [illegible]

زينبا ليس لمنفعتي بالمسكين ولا للقوم ابطالا حتى انسب حكم اشح اهل البلد الى ان تنكح من شاء حتى هلك وهذا لا صير
الى ان يعلم كم من الحلال اذ يلزم عليه ان لا يجوز النكاح الا في الحلال الطلق والحرة حرام بشبهة حلال ولا فائدة
في الحاجة الغالبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او سبب من الاسباب لا يمكن
ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشرى والاكل
فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
مجن وغل رجل في الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شرى العباءة والمجن في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان
يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا الناس
الدراهم بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط
هذا في الدنيا لم يشترط في بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين
اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر
من الاعصار وكذلك كل عدد محصور في علم الله فهو عدد محصور ولكن الانسان اذا اراد ان يحصر اهل بلد
عجز عنه ولكنه ان امكن منه فيعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد
لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما
سهل عده كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع
الشك فيه استفتي فيه القلب فان الاثم حواز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة التي ذكرناها في الاشكال الاول يقع
فيها اطراف متقابلة جلية واوساط متشابهة خفية في النفي والاثبات واوساط متشابهة والمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي ان
يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الاثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فانه يفتي
بالظاهر والله يتولى السرائر القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا
فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد
حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هاهنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيء
بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين
علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات ان يأخذ من يد سلطان ظالم الى غير ذلك
من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس فاما الاثر فما علم من زمان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربا من ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال
وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الربا اذ قال اول ربا اضعه ربا العباس ما ترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي حتى روي ان
بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو اول من سن
بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم ان تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا يجر في النار
عباءة قد غلها وقتل رجل فقتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها وكذلك
ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامراء الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشرى في السوق بسبب

الدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون
لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالح وزعم انه
تفطن من الشرع لما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في مثل هذا لجاز مخالفتهم في
مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير
وشحمه كاللحم المذكور في القرآن والربا جار فيما سوى الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع
من غيرهم واما القياس فانه لو فتح هذا الباب لانسد باب التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس
ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقل انه
صلى الله عليه وآله وسلم امتنع عن الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله عز وجل وهو في اختلاط غير المحصور
قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه اذ نقول ان الضب شكلا غريبا ربما يكون من المسخ فهي دلالة تتعلق
بالشبه فان قيل فهذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا
والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا
وقد صار الحرام اكثر ما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربا واموال السلاطين الظلمة
فمن اخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام ام لا فاقول ليس ذلك حراما وانما الورع
تركه وهذا الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل اكثر الاموال حرام في زماننا
غلط محض ومنشاؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر
فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلثة قليل وهو
النادر وكثير واكثر ومثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر
حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس نادرا
وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام اراد به انه ليس بنادر
فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم
هذا فقول القائل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القائل اما ان يكون كثرة الظلمة والجندية او كثرة الربا
والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة
اليوم اما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير وليس هو الاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة
وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه مائة الف من الجنود مثلا
فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته تزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد
السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم
في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من الف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة
يشتمل منهم على عدد قليل واما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليست
بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هذه المعاملات اكثر وكل من يعامل بالربا او غيره فلو عددت معاملاته
وحده لكانت معاملاته الصحيحة تزيد على الفاسدة الا ان يطلب الانسان بوهمه في البلد شخصا مقصودا بالمجانة والخبث
وقلة الدين حتى يتصور ان يقال ان اكثر معاملاته فاسدة ومثل ذلك الشخص نادر وان كان كثيرا فليس هو الاكثر

او كان كل معاملاته فاسدة فايسر كيف ولا يخلو احد ايضا عن معاملات صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليه وهذا
لقطع بوبن ناسه وانما غلب هذا على النفوس لاستكبار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له
وان كان نادرا حتى يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم
الاقلون وان كان فيهم كثرة واما المستند الثالث وهو اخيلها ان يقال الاموال انما تحصل من المعادن في
النبات والحيوان والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها
الى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا من ان يتطرق الى واحد من تلك
الاصول غصب او معاملة فاسدة فكيف يقدر ان يسلم اصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب
والفواكه يحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل مثلا الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن اصله واصل اصله وكذا
الى اول زمان النبوة حلالا واما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل
الدراهم والدنانير ولا يخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس
منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا واذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد
بحيث لم يتطرق عقد فاسد ولا ظلم اليه وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف
والربويات بعيد نادر او محال فلا يبقى اذن حلال الا الصيد والحشيش في الصحاري الموات والحطب المباح ثم
من يحصله لا يقدر على اكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد
فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو اشد الطرق تخييلا والجواب ان هذه الغلبة لم تنشأ من
كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه قبل وهو تعارض الاصل والغالب
اذ الاصل في هذه الاموال قبولها التصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن
الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي في النجاسات والصحيح عندنا انه يجوز الصلوة في الشوارع اذا
لم ير نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جائز وان الصلوة في المقابر المنبوشة
جائزة فلنثبت هذا اولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية
مع ان شربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم اوانيهم من ايديهم بل نعلم
قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل احوال الدباغين والقصارين
والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا
يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع انه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليها وتروث وقلما تخلص منها
وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من
بطن امها وعليها رطوبات نجسة وقد يصيبها الامطار وقد لا يصيبها وما كانوا يحترزون منها وكانوا يمشون
حفاة في الطرقات وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في
البول والعذرة ولا يجلسون عليه ويستبعدون سلامة الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها
وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع
كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس من الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل انهم
لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستند الى

الوهم الى مجاري الاحوال فلم يتبرروا منه وهذا عند الشافعي وهو انه يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير اذ لم يزل
الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على
الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز الشرب منها والتحق
حكم الحل بحكم الطهارة فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات ويتحرزون
في شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه قلنا ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلوة معها معصية
فهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد بهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا
حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي
لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح واما تورعهم في الحلال فانه كان بطريق التقوى وهو
ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لان امر الاموال مخوف فالنفس تميل اليها ان لم يضبط عنها وامر الطهارة
ليس كذلك وقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه وقد حكي عن واحد
منهم انه احترز عن الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض والافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه
على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من ان
الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم
مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما ان الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا
يغصب فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالعقود الفاسدة في كل زمان
اقل من غيره واما الذي يدعى ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه فانه كما تزيد المغصوب
بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب
المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها تؤكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال
ان فروع الحرام اكثر ولم يزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام وليفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر
فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات واما المعادن
فانها مخلاة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم او لا يأخذون منهم
الا الاقل لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه فاما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه
من السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستئجار في اثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فالمستأجر على
الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الاجرة وكذا النيل فاذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب
بل يكون ظالما بمنع الاجرة في ذمته واما دار الضرب فليس الخارج منها اعيان ذهب السلطان الذي غصب
وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك او النقد الردي ويستأجرونهم على السبك والضرب
ويأخذون مثل وزن ما سلموه اليهم الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة
من ذهب السلطان فهي بالاضافة الى مال التجار اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان يأخذ
ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى يتوفر عليهم مال من جهة السلطان فيأخذ عوض تخصيصه وذلك
باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب ولا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما
يخرج منها الا واحد من مائة وهو عشر العشر فكيف يكون هو الاكثر فهذه اغاليط يتسارع الى القلوب بالوهم

ولنفرض الآن فيها جماعة ممن رق دينهم حتى لم يعتنوا بالورع ويستدلوا به وليستفتي لتمييز من تمييز بين الحلال و
وذلك بين البدعة والضلال فإن قيل فلو ورد غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون
فيه إن لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذي نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام لأن
الأصل الحل ولا يرفع إلا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل أزيد على هذا وأقول لو طبق الحرام
الدنيا حتى علم يقيناً أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما
سلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة
فالاحتمالات خمسة أحدها أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا من عند آخرهم الثاني أن يقتصروا منها على
قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أياماً إلى الموت الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا
سرقة وغصباً وتراضياً من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا الأمر
من غير اقتصار على قدر الحاجة الخامس أن يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه
وأما الثاني فباطل قطعاً لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت
الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام
الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين
وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين الأموال من غير تمييز بين مال
ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد
فتمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق
عنا فإنه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجاً فنحن أيضاً محتاجون وإن كان
في حقي زائداً على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه وإذا لم نراع حاجة اليوم أو السنة فما الذي
نراعي وكيف نضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال
الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده ويقال هو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصباً بل يؤخذ
برضاه والتراضي هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضي فللتراضي أيضاً منهاج في الشرع يتعلق به المصالح
فلم يعتبر أصل التراضي ويبطل تفصيله وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق
الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لائقاً بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لإيجابه
على الكافة وإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا
أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج فلا
يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة و
يدر على الكل الأموال يوماً فيوماً أو سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال أما التكليف الشطط فهو
أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلاً وأما التضييع فهو أن ما
فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فالذي خلقه الله تعالى
من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي إلى سقوط الحج
والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجاتهم

وهو

وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد تفصيل
أسباب الأملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالاً من غير فرق وأعني
بقولي يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر
الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله تعالى سبباً يهلك به
الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء و
يحيي من يشاء ولكنا نقدر الأمر جارياً على ما ألفناه من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا
وما لي أقدر هذا وقد كان ما قدرته فلقد بعث نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على فترة من الرسل وكان
شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمين إلى مكذبين له من اليهود وعبدة
الأوثان وإلى مصدقين له وقد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة
والأموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما
المصدقون فيتساهلون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال
كلها أو أكثرها حراماً وعفا صلى الله عليه وآله وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي
بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالاً لبعثة رسول ولا ينقلب حلالاً بأن يسلم الذي
في يده الحرام فإنا لا نأخذ من أهل الذمة في الجزية ما نعرف بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا وقد كانت أموالهم في
ذلك الزمان كأموالنا الآن والأمر في العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع
متعين في الفتوى والاحتمال الخامس طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك
التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى
الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق
كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل الخلق كلهم بطلب ملك
الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة بطل النظام ثم بطل ببطلانه الملك أيضاً فالمحترفون إنما
سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك
الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين دينهم أيضاً فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم و
يشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً فإن قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك
غير واقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر وفيه نظر وما ذكرتموه من
أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويز ما ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات
كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولاً بالاتفاق فإن بعض العلماء
لا يقبل المصالح المرسلة فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهاناً عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الحرام هو الأكثر فيحل التناول أيضاً
فبرهانه ثلاثة أمور الأول التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة أقسام وأثبتنا القسم الخامس فإن
ذلك إذا جرى فيما إذا كان الكل حراماً كان أجرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل [illegible]

مرتبة هو من فان ذلك انما يحصل من تحويله في امور مظنونة وهذا مقطوع به كما ان الانسان لو اراد ان يصلح الكل
والدنيا مرادة الشرع وهو معلوم بالضرورة والذين يظنون انه لا يمكنه في ان يرد كافة الخلق الى قدر الضرورة
او الى الحاجة او الى الحشيش والصيد مخرب الدنيا اولا والدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج
الى اصل يستشهد له وانما يستشهد على الجزئيات المظنونات المتعلقة باحاد الاشخاص البرهان الثاني ان
هذا انما يحتاج الى زيادة وضوح في اهل ضعفة الفقهاء الآنسين بالاقيسة الجزوية فانه وان كانت الجزويات مستقر
عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى
لو حكم بغير ما ذكرناه لخرب العالم والقياس الجزوي هو انه قد تعارض اصل وغالب فيما انقطعت العلامة عنه المختص في
الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك
قد اثبتناه من فعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احتراز عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها
وقولنا ليست محصورة احتراز عن اختلاط الميتة بالذكية والرضيعة بالاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن
وهو الاصل وهذه الامور ليس لها اصل في الحل اذ الاصل في الاموال التحريم فنقول الاموال التي لا يحرم لصفة في عينها
كما يحرم الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للطهور وقد
وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول
الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق والجواب الثاني ان اليد دلالة على الملك
نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة
ذمته وههنا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد
في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو ان ما دل على تعين مالكه
من عين لم يعتبر وان كان قطعا فلان لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه ان ما علم انه مالك زيد يحتمل
التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد
لمصالح المسلمين يجوز فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة او عشرين امتنع التصرف فالذي
يشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف
فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد
مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ عليه تصرفه ولو
سرق منه سارق قطعت يده فكيف ينفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك
اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص التصرف فيه بالسلطان فنقول السلطان لم يجوز له
التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو بين تضييعه وبين صرفه الى مهم
والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما نحن فيه ولا يعلم تحريمه ان يحكم بانه لذي اليد ويترك
على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه ووجوه
المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة ان يصرفه الى جند الاسلام
وتارة يصرفه الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا على المصلحة وقد خرج
من هذا ان الخلق غير مؤاخذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما

190

السلطان والفقرآء الآخذون منه بعلمهم ان الملك له ما اخذ حيث لم يتعلق العلم بعين مال مشار اليه ولا
فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في
امتزاج المايعات والدراهم والعروض في يد المالك الواحد وسياتي بيانه في بيان تفصيل الخروج من المظالم

المثار الثالث

للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه
واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل فمثال
المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب بالقدوم المغصوب
والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك
ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة
في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل
الذبيحة ايضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه
التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذا كراهية لا شبهة واذا عرف هذا
المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلث درجات
الاولى منها يقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة ينتهي الى نوع من المبالغة يكاد يلتحق بورع الموسوسين
وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد منه في الذبح بسكين مغصوب او المقتنص
بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع
في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو التفت الحبس لمالك الارض في الزرع لكان
كالحبوب الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت حق حبس كالوطن بطاحونة مغصوبة او اقتنص بشبكة مغصوبة اذ
لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبح ملك نفسه
بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود
العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد
البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة درهم او صلوة فاتته وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان
الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك الى ان لا يصح
نكاح الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة
على الخصوص نهي ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فيكون الكراهية اشد ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر
الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا
فسمع انه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه
رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي والمفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن
والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هلك المتنطعون فليحذر من
امثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم عند الغير ان ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه
فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به واطرحوه كما ان
الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال يسبق الى اوهامهم ان مال الدنيا

كله حرام فهو بعيد ان يترك الى التري وهو عين الضلال واما مثال اللواحق فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى
معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق
وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والاقيس ان ذلك صحيح والمأخوذ حلال و
الرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة و
يتعلق ذلك بعين العقد والمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام و
يليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال
قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول و
الكراهية فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة لا يجوز معاملة الفلاحين
بآلات الحرث لانهم يستعينون على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر والفدان و
هذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك
وينتهي هذا الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم
المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين يستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال
صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى
عليهم وبالجملة فلا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له
وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي ان سعد بن ابي وقاص احرق كرمه خوفا
من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو وجها خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق
نخله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة
من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات واما المقدمات فلتطرق المعصية اليها ثلث درجات الدرجة العليا
التي تشتد الكراهية فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعت في مرعى
حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف و
هذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي
شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من
ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن عبد الله وعبيد الله
ابني عمر رضي الله عنهم انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فيه حتى سمنت فقال عمر رعيتماها في الحمى فشاطرهما
وهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا ليس كذلك فان
العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما
قيمة الكلأ ورأى ذلك في المال المطلوب للاجل فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما ان قدم
من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ رأى ان كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق
عمله فقدره بالشطر اجتهادا الرتبة الوسطى ما نقل عن بشر بن الحارث من امتناعه عن ماء ساق في نهر احتفره الظلمة لان النهر موصل
اليه وقد عصي بحفره وامتناع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ
في الورع وامتناع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون عن طعام

حلال لو وصل اليه على يد سجان وفي قوله انه جاءني على طبق ظالم فهذه درجات هذه الرتبة الرتبة الرابعة
وهي قريبة من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله عز وجل بالزنا او القذف و
ليس هذا كمن عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والقذف والزنا لا يوجب قوة
يستعان بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق
بالطعام وينجر هذا الى ان لا يؤخذ ممن عصى الله تعالى ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع والاسراف
فليضبط ما عرفته من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء
الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز لان الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله تعالى يوما بضرب انسان او شتمه
لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا ابعد من يد السجان لان الطعام يسوقه السجان والشاة
تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول عن الطريق فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما
يتداعى اليه هذه الامور واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة الاولى
التي يمكن تكليف كافة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين
والفتوى في هذا ما قال صلى الله عليه وآله وسلم لوابصة اذ قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وعرف
ذلك من حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم الاثم حزاز القلوب وكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب
فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله
وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما هو حلال في فتوى العلماء بالظاهر ولكنه يجد
حزازة في قلبه فذلك يضره وانما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو
الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ثقل
في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله عز وجل بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوس
في الطهارة ونية الصلاة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزاء اعضاء الطهارة بثلث مرات لغلبة الوسوسة
عليه فيجب ان يستوفي الرابع وصار ذلك حكما في حقه وان كان مخطئا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد
الله عليهم ولذلك شدد على اصحاب موسى عليه السلام لما استقصوا السؤال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم
لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه اسم البقرة لاجزأهم فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها واثبتناها فان من لا
يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في درك مقاصده واما المعصية في العوض فلها ايضا
درجات الدرجة العليا التي يشتد الكراهية فيها ان يشتري شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام
فينظر فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلبه فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب
بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو من الورع فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه
اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابراه البائع
مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان ابراه
على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه يبرئه عما يقبضه ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للايفاء فهذا حكم المشتري
والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام
او بعده لان الذي تقتضيه الفتوى ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشتري

وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء والاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه اكل مال نفسه وهو عاص عصيان الراهن
للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل الطعام المغصوب فرق ولكن اصل التحريم شامل هنا كما اذا قبض
قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البايع او بغير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض قبل توفية الثمن
اما بطيبة قلبه فان كان البايع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ
ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي بقبضه
لو اقبض المبيع بقي حق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس واكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبرئه او يوفيه من حلال او
يحلله الحرام ويبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل
والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهية
فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البايع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن
كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان
مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضا البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو
شاك في انه سيقضي ثمنه من الحلال او من الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن وتفاوت
خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض
والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا وحراما ولكن تهيج المعصية
كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه
في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا
بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها ومهما كان العوض حراما فبذله حرام فان احتمل تحريمه
ولكن ابيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهيته اذ نهى صلى الله عليه وسلم
عنه مرات ثم امر بان يعلف الناضح وما سبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد اذ يجب
طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به وان قيل به فلا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها
وهو بدل اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر منه للحجام فان الحجام ياخذ الدم
ويمسحه بالقطنة ولكن السبب ان في الحجامة والفصد جراحة وهي تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام
حيوته والاصل فيه التحريم وانما يحل لضرورة ويعلم الحاجة والضرورة باجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا
فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد ولا صبي
الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى عليه السلام اجرة الحجام ولولا انه يحتمل
التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا المعنى ينبغي ان نذكره
في اقسام الحيل ونذكر السبب فانه اقرب اليها الرتبة السفلى وهي درجة الموسوسين وذلك ان يحلف انسان
على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروي
عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعن الله اليهود حرمت
عليهم الخمور والشحوم فباعوها واكلوا اثمانها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل
حرام وليس هذا من ذلك بل مثاله ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية

فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية المبالغة في هذا الطريق وقد عرفنا جميع الدرج
وكيفية التدريج فيها وان كانت تتفاوت هذه الدرجات لا تنحصر في ثلث واربع ولا في عدد ولكن المقصود
من التقريب التفهيم فان قيل فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام
لم يقبل له صلوة ما كان عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة فاذا اشترى في الذمة فقد
حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلوة لمعصية تطرقت الى سببه
وان لم يوجد ذلك على عين العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره [illegible]
في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب للمعرفة بالحل و
الحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في
علم الله تعالى وهي اما ان تكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات او لتعارض التشابه
ان يتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن والسنة او تعارض قياسين او تعارض قياس و
عموم وكل ذلك يورث الشك فيرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر
ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواقع
الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه
افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع والقراين وان كان لا يحسن الطب
وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اوسعها عليه بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا
يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد
وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان
المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم هذا ايضا على ثلث
مراتب الاولى ما يتاكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب
الآخر عليه فمن المهمات التورع في فريسة الكلب اذا اكل وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد
اخترنا ان ذلك حرام وهو اقيس قولي الشافعي ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره
من الائمة كان الورع مهما وان افتى المفتي بالقول الآخر ومن ذلك التورع عن متروك التسمية وان لم يختلف
قول الشافعي فيه لان الآية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيها فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من
سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ونقل ذلك على التكرر ونقل الذبح
باسم الله وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يذبح على اسم
الله عز وجل سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وساير الاخبار عن ظواهرها واحتمل
ان يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر ولا تاويل وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا للعذر في ترك التسمية
بالنسيان وكان تعميمه وتاويل الآية ممكنا امكانا اقرب ترجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع
عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى الثانية وهي متاخمة درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل
الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث

وان كان ذكر انه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين والظن بابي حنيفة انه لم يبلغه هذه الاخبار ولو بلغه لقال بها ان انصف وان لم ينصف مصنف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد الرتبة الثالثة ان لا يشتهر في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون التحليل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من قال لا نقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى سمعهم او فهمهم خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما اذا تطرق تهمة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد اب الاب ويقول ليس في كتاب الله ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن عن اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق ولا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد صلى الله عليه وآله وسلم كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله

القسم الثاني ان تتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندور من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامر وكذلك يخبر عدل بانه حرام وآخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي تفصيله في باب التوقف والبحث والسؤال

القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي تناط بها الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه اذ قد يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يميل الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة غير محدودة وانما يدرك بالتقريب فيتعدى منه النظر في مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في

نوع اثاث البيت اذ كان من الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وقيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل سنة كالات الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر عنه وان الآخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلثة ارطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ اذ العرب وسائر اهل اللغات لم يقدروا مقتضيات اللغات بحدود محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها من الاعداد وسائر الفاظ الحساب والتقديرات وليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الا ويتطرق الشك الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة ويعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك سائر الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استقصاء هذه الاشتباهات تثور من علامات متعارضة تجاذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد لكان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكن صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرم فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته ويقال في الزبور ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلواتكم ولا صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي ايده بنصري واباهي به ملائكتي تم الباب الثاني

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا اخذه بل افتش عنه وليس لك ان تترك البحث عنه ايضا فتاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب اليه مرة ومكروه مرة فلا

من تفصيله والقول الثاني فيه ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما امر يتعلق
بالمال او يتعلق بصاحب المال المثار الاول احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك
ثلثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة **الحالة الاولى** ان يكون مجهولا
والمجهول الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف
والتجارة والعلم وغير ذلك من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا
عليه علامة تنسبه الى اهل الصلاح او اهل الفساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت
رجلا خبازا او قصابا او غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول ولا تدري حاله ولا نقول
انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون
الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت بما سبق ان الورع ترك ما لا يدري قال يوسف بن
اسباط منذ ثلثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم
حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع ما حاك في صدري شيء الا تركته فهذا شرط الورع وانما
نذكر الان حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت
ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول
الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم
يستحق باسلامه عليك الا تسيء الظن به فان اسات الظن به في عينه لانك رايت فسادا من غيره فقد جنيت
عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم
ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون الضيافة ويدخلون البلاد
ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى الله عليه
وسلم لا يسال عن كل ما يحمل اليه بل سال في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة الحال تدل
وهي دخول المهاجرين الى المدينة وهم فقراء فغلب على الظن ان ما يحمل بطريق الصدقة واسلام المعطي ويده لا يدل
على انه ليس بصدقة وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسال اصدقة ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق
بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط فيما رواه انس بن مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه
الرجل الفارسي فقال صلى الله عليه وآله وسلم انا وعائشة فقال لا قال فلا ثم اجابه بعده فذهب هو وعائشة
يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسال ابو بكر عبده عن كسبه لما رابه من
امره وسال عمر الذي سقاه من لبن ابل الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يالفه كل ليلة فهذه
اسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو راى في داره
تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال قليل وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه
اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه يستحق احسان الظن به وازيد على هذا فاقول ليس
له ان يساله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدري من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان
كان لا بد له من اكله فلياكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك فان قلت
لعله لا يتاذى فاقول لعله يتاذى فانت تسال حذرا من لعله فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس

الاثم المحقق في الايذاء باقل من الاثم في اكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش
ولا يجوز له ان يسال من غيره من حيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك اكثر وان سال من حيث لا يدري
هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبيب بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه
في آية واحدة قال الله عز وجل اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان عنده
ذلك لطلب الشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتاذى اشد من خوفه
على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري اذا لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم ان
طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المالوف
من الصحابة ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق
ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طعام بريرة فقيل انها صدقة فقال صلى
الله عليه وآله وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسال عن المتصدق عليها وكان المتصدق مجهولا عنده ولم
يمتنع **الحالة الثانية** ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت الريبة فلنذكر صورتها ثم حكمها اما
الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما الخلقة فبان
يكون على خلقة الاتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون
الشعر مفرقا على راسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل الفساد والظلمة من الاجناد
وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل ايضا في المال
وياخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان يشتري من مثل هذا شيئا او ياخذ منه هدية او يجيبه في ضيافة
وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات
ضعيفة والاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل ان يقال اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورثت
ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع في القلب
لا ينكر ولان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سال اصدقة ام هدية وسال ابو بكر غلامه وسال عمر وكل ذلك كان
في موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فان
دلالة اليد والاسلام عارضتها هذه الدلالات فاورثت الريبة فاذا تقابلتا فالاستحلال لا مستند له وانما لا نترك حكم اليد
والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل ان يكون متغيرا بطول المكث فان راينا ظبية
بالت فيه ثم احتمل التغير بها تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت
فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد يدل على الظلم بالمال اما القول والفعل المخالف للشرع
ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه يامر بالغصب والظلم او يعقد عقد الربا فاما اذا راه قد
شتم غيره في غضبه او اتبع نظره امراة اجنبية مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسب
الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط
هذا بحد فليستفت العبد في مثل هذا قلبه واقول ان هذا ان راه من مجهول فله حكم وان راه ممن عرفه بالورع

في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر قد ذكرناه حيث الدلالة الثانية بالاضافة الى الحال [illegible]
وعادات الرجال كالمجهول اذ ثبت الخوض في [illegible] لسبب ثبات الحال الخصوص وكم من متحرج في الماكل يتحرج
في عجزه وكم من محسن الطهارة والصلاة والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في هذه المواضع ما يميل اليه
القلب فان هذا امر بين العبد وبين الله عز وجل فلا يبعد ان يناط بسبب خفي لا يطلع عليه الا الله تعالى وهو
حكم حزازة القلب ثم ينبغي لدقيقة اخرى وهي ان هذه الدلالة ينبغي ان يكون [illegible] على ان اكثر ماله الحرام
بان يكون فيه جندية او عمل السلطان او نائحة او مغنيا فان دل على ان في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا وكان
السؤال من الورع **الحالة الثالثة** ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا
في حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر ويجوز ان يكون الباطن بخلافه
فهنها لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى والاقدام ههنا ابعد من الشبهة من الاقدام على
طعام المجهول فان ذلك بعيد من الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي واما اذا علم بالخبرة انه جندي او مغن او
[illegible]
المقام الثاني [illegible]
ان يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال من طعام مغصوب واشتراها اهل السوق فليس يجب
على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم حرام فعند
ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم البلد
والدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء من الاسواق
وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وانما السؤال نادر ممن تورع منهم
فيخص بالاحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا ياخذون الغنائم من الكفار الذين
كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون في تلك الغنائم شيء مما اخذوه من المسلمين
وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي وصاحبه اولى به بالثمن عند ابي حنيفة ولم ينقل التفتيش
عن هذا قط وكتب عمر الى اذربيجان انكم في بلد يذبح فيها الميتة كثيرا فانظروا ذكيه من ميتته فاذن في السؤال
والتحرز ولم يامر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها لان اكثر دراهمهم لم يكن اثمان الجلود وان كانت هي ايضا تباع
واكثر الجلود كان كذلك ولذلك قال ابن مسعود انكم في بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة
فخص [illegible] الاكثر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

او لم يكن كثيرا في الحال [illegible] من وجه انا الميتة نعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط المال
يحتمل ان يكون قد خرج من يده ولم يبق موجودا في الحال فان كان قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو مثل
مسئلة الميتة وان كان الحال يحتمل ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذلك ويشبه هذا جميع
الاختلاط بين محصور كما في الاخت والبلدة ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا شك في ان الهجوم عليه
بعيد عن الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب الاحتمال
ومن حيث النقل غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة والسلف من الامتناع في مثل هذا يمكن حمله على الورع ولا
يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدامهم على الاكل كاكل ابي هريرة طعام معاوية ان قدر جملة ما في يده
حراما فلذلك ايضا يحتمل ان يكون اقداما بعد التفتيش واستبانة ان عين ما يأكله من وجه مباح والافعال في
هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتاخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا لاخذته وطرد
الاباحة فيما اذا كان الاكثر حراما مهما لم يعرف عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل بما جرى من بعض
السلف في جوائز السلطان كما سياتي في باب بيان اموال السلطان فاما اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا
يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الميتة بالمذكاة فلا
ادري ما اقول فيه وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور [illegible]
[illegible] بتسعة [illegible] فيها عشر وجب الاجتناب وان كان [illegible] فيها عشرة آلاف لم يجب [illegible]
[illegible] لا ادري ما اقول فيها وقد توقف العلماء في مسائل اسهل من هذا [illegible]
[illegible] عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ايكون الصيد للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري فروجع
فيه مرات فقال لا ادري وكثير من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن
درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملة قوم يعاملون السلطان فقال
ان لم يعاملوا غير السلطان فلا تعاملهم وان عاملوا السلطان وغيره فعاملهم انتهى وهذا يدل على المسامحة في
الاقل ويحتمل المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة قصاب
وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او لمعاملته السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة
مشكلة في نفسها فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك
السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر من الحرام وسئل ابن مسعود عن ذلك فقال
[illegible] ان لي جارا لا اعلم له الا خبيثا يدعونا ونحتاج فنتحرج ان نجيبه فقال اذا دعاك فاجبه
[illegible] لك المهنأ وعليه المأثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الاشارة
بان الاثم عليه [illegible] وروي انه قال رجل لابن مسعود ان لي جارا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

مسئلة

البصرى [illegible] الكلب [illegible] قال المغنى [illegible]
انشاه فاذا قال [illegible] لا يقطع [illegible]
المغصوب فلا ينقطع [illegible] ان الشاة [illegible]
الخبه مجهول فينقطع السؤال فان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان البعض
حرام فيكثر الشواهد وطول الزمان [illegible] لا يتبين حكمه [illegible]
الحال عن جماعة ممن يسكن خانقاه الصوفية فى يد خادمهم الذى يقدم الطعام اليهم [illegible]
[illegible] وهو يخلط وينفق الكل على [illegible]
[illegible] الاول ان الطعام الذى يقدم اليهم [illegible]
[illegible] الاشبهة الخلاف الثانى ان [illegible]
[illegible] المال الحرام فهو حرام وان لم [illegible]
[illegible] احتمال بعيد [illegible]
[illegible] المشترى [illegible] وان كان [illegible]
[illegible] المشترى حالة [illegible] كالمجهول [illegible]
[illegible] احتمال الرابع ان يشترى [illegible]
[illegible] ولكن يكون ذلك [illegible]
[illegible] عند المعاطاة والقصاب [illegible]
[illegible] وهذا الاصل [illegible]
[illegible] الخامس ان الخادم يقدم اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض [illegible]
[illegible] وانما يقدم [illegible] على عوضه من الوقف [illegible] ولكن ليس بيع ولا اقراض [illegible]
[illegible] وقرينة الحال لا تدل عليه [illegible] هذه الحالة [illegible]
[illegible] قرينة حاله انه يطمع فى ثواب وذلك صحيح والثواب [illegible]
[illegible] من الوقف ليقضى به دينه من القصاب والخباز والبقال [illegible]
[illegible] فى تقديم الطعام [illegible] الثواب [illegible]
[illegible] انتظار ثواب السادس ان الثواب الذى [illegible]
[illegible]
[illegible] الخادم [illegible]
[illegible] الخادم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الطعام

[illegible] الفاسق [illegible]
[illegible]
[illegible] قبله [illegible]
[illegible] حيث لا غرض [illegible]
[illegible] الثقة بقوله [illegible] فى بعض الاحوال [illegible]
[illegible] صدق وانما ترد الشهادة بالعدالة الظاهرة [illegible] الحكم
[illegible] ابو حنيفة شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف انه [illegible]
[illegible] اذا اخبر [illegible] معرفته بالتثبت [illegible]
[illegible] الاكل من يد [illegible]
[illegible]
[illegible] القلب [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] فقال صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] فى القلب [illegible]
[illegible] الاحتراز حتما واجبا مسئلة حيث يجب السؤال فلو تعارض قول
[illegible] فاسقين ويجوز ان يترجح فى قلبه قول احد العدلين او احد الفاسقين [illegible]
[illegible] بالكثرة او بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما [illegible] مسئلة [illegible]
[illegible] ذلك النوع [illegible] فاحتمال ان [illegible]
[illegible] بالصلاح [illegible] الشرى وكان تركه من الورع وان كان [illegible]
[illegible] ذلك المتاع [illegible] الشرى وان كان [illegible]
[illegible]
[illegible] الورع [illegible] على ان الحكم فيه [illegible]
[illegible] تركه والاكل [illegible]
[illegible]
[illegible] قال [illegible]
[illegible] صلى الله عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فلا يصح الامر وان تصرع عنه لعوض عن الجنايات والقصاب بل من كان حلالا لا ادرى حرامها فيعلقها على الطريق الى ثمن
الطعام ايضا فليعت ما تورث [illegible] فى المدينة ثم قضاء الثمن من حرام فهذا اذا علم ان قضاه من حرام فان احتمل
ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا ان كل عقد ليس بحرام ولكنه [illegible] الشبهة وهو بعيد من الورع
لان جميع الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال تضاعف احتمال الحرام بكثرتها وقوى فى النفس كما ان
الحديث اذا طال اسناده تضاعف احتمال الكذب والغلط فيه بخلاف ما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الوقايع وهى
من المتشابهات [illegible] كيفية تخريج الوقايع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فانه
مما يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفى يده مال مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى
فى مصرف المخرج فلينظر فيهما

النظر الاول

فى كيفية التمييز والاخراج اعلم ان كل من تاب
وفى يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا
مختلطا فلا يخلو اما ان يكون فى مال من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان يكون
فى اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فان كان فى المتماثلات او كان شايعا فى المال كله كمن اكتسب
المال من تجارة يعلم انه قد كذب فى بعضها فى المرابحة وصدق فى بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل
ذلك فى الحبوب او فى الدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهول القدر فان كان معلوم القدر مثل ان
يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين
والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلوة ونحن لا نجوز فى الصلوة الا
الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يرفع الا بعلامة قوية وليس فى اعداد الركعات علامات
يوثق بها واما ههنا فلا يمكن ان يقال ان الاصل ان ما فى يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن
اجتهادا ولكن الورع فى الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحرى والاجتهاد ان لا يستبقى الا القدر الذى يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن فطريقه ان يكون مثلا فى يده
مال تجارة فسد بعضها فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب
الظن وهكذا طريق التحرى فى كل مال وهو ان يقتطع القدر المتيقن من الجانبين فى الحل والحرمة والقدر المتردد
فيه ان غلب على الظن التحريم اخرجه وان غلب الظن الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وان شك فيه جاز
الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه فى يده فيكون الغالب
على [illegible] وقد صار ضعيفا بعد تيقن طروء الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم ولا ياخذ الا ما يغلب على
ظنه انه [illegible] وهو من المشكلات فان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ولكن الورع فى الاخذ باليقين [illegible] والاجتهاد

[illegible]
هذا هو الذى [illegible] فقضى دينه ولم ياخذ الرهن وهذا ورع [illegible]
فى درهم [illegible] فيقول انا واحد [illegible] فى العلم [illegible]
الاخر لانه لا يعلم اما ان يكون [illegible] وان كان [illegible]
[illegible] والاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل [illegible]
المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم فى يد الغاصب [illegible]
[illegible] عن ضمان وهذا فى جانبه واضح فان المضمون له يملك [illegible]
فى الجانب الاخر انه لم يخرج عن ملكه فنقول لا [illegible] ان كان قد سلم درهم نفسه [illegible]
[illegible] لا يمكن الوصول اليه [illegible] فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله ان كان الاخر [illegible]
[illegible] فى علم الله كما يقع التقاص [illegible] كل واحد درهما على صاحبه [illegible]
[illegible] فى البحر او احرق [illegible]
[illegible]
[illegible] وهذا المذهب يؤدى اليه [illegible]
[illegible] اللفظ والمعاطاة بيع [illegible] احتمال [illegible]
التلفظ ومهما [illegible] التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع عن مكن [illegible]
[illegible] رطل [illegible]
[illegible] فى مثل هذه الصورة [illegible]
[illegible] فملكه كما يملك [illegible] من الرطب اذا [illegible]
فان لم [illegible] لا اخذ درهما اصلا الا عين مالى فان استبهم فاتركه ولا اهبه [illegible]
[illegible] القاضى ان ينوب عنه فى القبض حتى يطيب [illegible] فان هذا [illegible]
الشرع [illegible] فان عجز عن القاضى ولم يجد فيحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز [illegible]
على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقى [illegible]
[illegible] فى الباقى قلنا [illegible]
[illegible] ان احدا ما لم يخرج الحرام [illegible] ولا يجوز له [illegible] وقال اخرون [illegible]
ان ياخذ ما لم يخرج الحرام [illegible]
[illegible]
من هذه الجملة [illegible]
الى الحق [illegible]
[illegible]
[illegible]
الى [illegible]

[illegible]

واضح في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلاف من غير عقد واما اذا اشتبهت دار بدور وعبد بعبيد ولا سبيل الى المصالحة والتراضي فان ابى ان ياخذ الا حقه ولم يقدر عليه واراد ان يوقف عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيمة فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليهم بقدر النسبة وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه قيمة مقدار الاقل ويتوقف في مقدار التفاوت الى البيان والاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل ان يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهي في الخلط ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض اغمض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل يتم بها بيان هذا الاصل

مسئلة اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم ثم رد قطعة معينة منها على جميع الورثة ولو رد الضيعة بعضها وهو قدر حصته سائر الورثة فان النصيب الذي لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير متميزا بنية السلطان في قصده حصر الغصب في نصيب الآخرين

مسئلة اذا وقع في يده مال اخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وبعدها القيمة بالثياب والاواني وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما ربحه على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل ينفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون للمغصوب منه اولى وهو القياس ان تلك العقود تفسخ ويسترد الثمن ويرد الاعواض وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فلا المغصوب منه ولا الغاصب تردد في المال والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به ولا يحل للمغصوب منه ولا للغاصب بل حكمه حكم كل حرام يقع به

مسئلة من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه امن حلال او حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق في يده شيء منه لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع منها ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم لزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه بل الاثم على المتقلد[الوريث] واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن اين يؤخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا

النظر الثاني في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلاثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره او الايصال اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن حضوره والوقوف على عينه ولا يدري هل مات عن وارث ام لا وهذا لا

يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر كيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف او الفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون من اموال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولاه القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما يطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم لذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت بين يديه فكلمته بانها حرام اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم اطعموها الاسارى ولما نزل قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا الصديق الا ترى الى ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فقام ابو بكر باذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر بما قامرهم به فقال صلى الله عليه وآله وسلم هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله تعالى وكان قد نزلت آية تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المقامرة مع الكفار واما الاثر فان ابن مسعود اشترى جارية فلم يظفر بمالكها ليسلم اليه الثمن فطلب الكثير فلما لم يجد تصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معاوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسها الى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ قد وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه واما قول القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وترددنا بين التضييع وبين التصدق وقوله لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي كونهم من عياله واهله بل هم اولى

يتصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضاً فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذلك
إذا كان هو الفقير ولنرسم في هذا الأصل أيضاً مسائل مسئلة إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال
قوم يرده إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلده ما تقلد وهو خير من أن يتصدق به واختار المحاسبي ذلك
وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكاً معيناً ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق مال السلطان ويتصدق به وقال
قوم يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب الظلم
فالرد إليه تضييع لحق المالك والمختار أنه إن علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيتصدق به عن
المالك فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان ولأنه ربما يكون له مالك معين وربما
يكون حقاً للمسلمين فرده على السلطان تضييع وإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وتفويت
لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر إذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فهو في
كاللقطة التي أيس من معرفة صاحبها إذ له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يتملكها
وإن كان غنياً من حيث أنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فلا يبقى
في سعة من التصدق مسئلة إذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته
لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكوة فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله
إن قدر على شرى ضيعة أو تجارة يكتسب بها العيال له فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكن قال الأولى أن
يتصدق به إن وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى من الحلال فإن لم يقدر فله أن يشتري
ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد حلالاً أمسك ذلك اليوم عنه فإذا فتح
إليه فإذا وجد حلالاً لا معيناً تصدق بمثل ما أنفق من قبل ويكون ذلك قرضاً عنده ثم يأكل الخبز ويترك اللحم
إن قوي عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما أنفقه قرضاً عنده فيه
نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضاً فإذا وجد حلالاً لا يتصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير
الذي تصدق عليه به فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضاً إذا أخذه لفقره لا سيما إذا وقع في يده من ميراث
ولم يكن متعدياً بمعصية في كسبه حتى يغلظ الأمر عليه فيه مسئلة إذا كان في يده حلال و
حرام وشبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحجة عليه أوكد في
نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار يحرسهم من الحرام إن كان لا يفضي بهم
إلى ما هو أشد منه فإن أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذره في غيره فهو محذور في نفسه و
زيادة فإنه يتناول مع العلم والعيال ربما يعذرون إذ لم يعلموا أو لم يتولوا الأمر بنفسهم فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن
يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والصباغ
والقصار والأطلاء بالدهن والنورة وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن
السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه فهو أولى بأن يكون طيباً وإذا دار الأمر
بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه يمتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار
أولى به وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد عن بشرته وهذا هو الأظهر عندي وقال المحاسبي
يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي أنه لا يقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم

درهم

مرآت فتح

درهم حرام وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم أن ينبت
من الحلال أولى ولذلك تقيأ الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى فإن قيل فإذا كان الكل
مصروفاً إلى أغراضه فأي فرق بين نفسه وبين غيره وبين جهة وجهة وبم يدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك
بما روي أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحاً وعبداً حجاماً فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك
فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فقيل إن له أيتاماً فقال أعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو ودابته
إذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه مسئلة الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء
فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد ويكن وسطاً بين التوسيع
والتضييق ويكون على ثلث مراتب وإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا
يطعمه إلا إذا كان في برية أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً فإن ذلك الوقت هو فقير وإن كان الفقير الذي حضر
تقياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعاً بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي أن يطعمه
على أنه لا يدري ولا يضره لأن الحرام إذا حصل في المعدة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك
تقيأ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال أحللناه بحكم الحاجة
كالخنزير والخمر إذا أحللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات مسئلة إذا كان الحرام أو الشبهة في
يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق
في معصية الله تعالى وإن كانت شبهة وكان امتناعه للورع فقد عارضه طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف
في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فإن ذلك عدوان
والأخ والأخت قريب من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط
برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة
المضطر وعند تعارض أسباب الورع ينبغي أن يتفقد هذه الدقائق وقد حكي عن بشر أنه حملت إليه أمه
رطبة وقالت بحقي عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه من ورائه فرأته يتقيأ
وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل لأحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة
في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك فما
ذا تقول فقال أحب أن يعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما أحسن أن تداريهم مسئلة
من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لأنه مفلس ولا يجب الزكوة إذ معنى الزكوة إخراج
ربع العشر مثلاً وهذا يجب عليه إخراج الكل إما رداً على المالك أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما
إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً ممكن ولا يسقط الحج إلا بالفقر
ولم يتحقق فقره قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت وإذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث
يغلب تحريمه فالزكوة أولى وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والإعتاق ليتخلص بيقين فقد قال قوم
عليه الجمع وقال آخرون يلزمه الصوم دون الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الإطعام
والذي نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب
على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والإطعام أما الصوم فلأنه مفلس حكماً وأما الإطعام فلأنه قد وجب عليه

للمتصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له مال فيكون اللزوم من جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاذا كان يتطوع بالحج فان كان ماشيا فلا باس لانه سياكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة للركوب فلا يجوز له الاخذ بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شرى المركوب في البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به ويستغني عن بقية الحرام فالاقامة في انتظار ذلك اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام **مسئلة** من خرج للحج بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر ففي وقت الاحرام فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله تعالى ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام وليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظاهره فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه لحزنه وخوفه وكراهته ذلك **مسئلة** سئل احمد فقيل له قد مات ابي وكان له مال وترك ديونا وكان يعامل من يكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقتضي فقال الرجل ذلك فقال اتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال تدع قدر الربح واشار الى ان اعيان امواله ملك له لا عاملة في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتبادل مهما كثر المتصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على المقتضين ولا يترك بسبب الشبهة ثم الباب الرابع

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلابد من النظر في ثلثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان ومن اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وشركائه في الاستحقاق **النظر الاول** في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان ماخوذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي توخذ بالشرط والمعاقدة **القسم الثاني** الماخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وساير الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكون له على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما كتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في المقدار فهو حلال بشرط ان لا تكون الجزية مضروبة الا على وجه شرعي ليس زيادة على دينار او اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون الذمي الذي يوخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه ولا يكون عامل السلطان ظالما ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امراة اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وفي صفة من يصرف اليه ويجب النظر في جميع ذلك الثاني المواريث والاموال الضايعة فهي للمصالح و

النظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه وان لم يكن حراما فالنظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة وفي المقدار المصروف الثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى لا يكون الماخوذ الا موافقا له في جميع شرائطه الرابع ما احياه السلطان وهذا لا يشترط فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر في ان الغالب انه احياه باكراه الاجراء او ما ادى اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القناة والانهار وبناء الجدران وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وان كانوا استاجرون ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيل ذلك السادس ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال الغنيمة والمصادرة وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في هذا الزمان الا على اراضي العراق فانها وقف عند الشافعي على مصالح المسلمين السابع ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كمال الخزانة السلطان وان كانت معاملته مع غير السلطان اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسياخذ بدله من الحرام والحلال والنظر الى العوض فقد سبق حكم الثمن الحرام الثامن ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف السلطان دخل الا من الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا لا يتربا له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام فهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال آخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال ولا يحل الشبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بان الغالب اذا كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا كما سبق ولقد احتج من جوز اخذ اموال السلاطين اذا كان فيها حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي والنخعي والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هارون الرشيد الف دينار دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي رضي الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطاء منهم تورعا ومخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطيتم فخذوا واذا منعتم فلا تطلبوا وعن ابن المسيب عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابن مسروق قال لا يزال العطاء باهل العطاء حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروي عن نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدت اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها

باقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي عن ابن عمر انه لم يرد هدية المختار والاسناد في ردها
اثبت وروي عن نافع قال بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض
من بعض من اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسين بن علي على معوية قال له لاجيزنك بجائزة لم اجز بها احدا
قبلك من العرب ولا اجيز بها احدا بعدك من العرب فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن حبيب ابن ابي ثابت
قال لقد رايت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هي قال مال وكسوة وقال سلمان
اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربا فدعاك الى طعام او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك
والوزر عليه واذا ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه قال جعفر الصادق ان الحسن والحسين كانا يقبلان
جوائز معوية وقال حكيم ابن حزام مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملا على اسفل الفرات فارسل الى العشارين
اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكلوا واكلنا معه وقال العلاء بن زهير الازدي اتى ابراهيم النخعي ابي وهو
عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابراهيم النخعي لا بأس بجائزة العمال ان للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله
الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا
على من اطاعهم في معصية الله وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة لا يدل على التحريم بل على الورع
كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيره من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي
يخاف افضاؤه الى محذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما
نقل عن ابن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلثين الفا وما نقل عن الحسن من
قوله لا اتوضأ من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلوة لاني لا ادري اصل ماله فذلك محض الورع لا ينكر واتباعهم
عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من يجوز اخذ مال
السلطان الظالم والجواب ان ما نقل من اخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم وان
كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلث احتمالات متفاوتة في الدرجة
بتفاوتهم في الورع فان الورع في حق السلاطين اربع درجات **الدرجة الاولى** ان لا ياخذ من اموالهم
اصلا شيئا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر حسب جميع ما كان
اخذ من بيت المال فدخلت ابنته فاخذت درهما من المال فنهض في طلبها حتى سقطت الملحفة عن
منكبيها ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على
الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى بيت المال
فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في
اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم احد الا طلبنا
بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان
يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله صلى
الله عليه وآله وسلم من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من التشديدات في الاموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم حين بعث عبادة بن الصامت الى
الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجيء يوم القيمة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها

ثواج فقال يا رسول الله اهكذا يكون قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال
فوالذي بعثك بالحق لا اعمل على شيء ابدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف
عليكم ان تنافسوا وانما خاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الناس من المال ولذلك قال عمر
في حديث طويل ذكر فيه مال بيت المال اني لم اجد نفسي فيه الا كوالي مال اليتيم ان استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه
ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له وبعث بها الى عمر مع ان السلطان مثل ابن عبد العزيز فهذه هي الدرجة
العليا في الورع **الدرجة الثانية** هو ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من
جهة حلال واشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار او اكثرها او ما اختص
منها بالاكابر من الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان
وكان من اشدهم انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه فاشفقوا
على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله عز وجل بها فقالوا له انا لنرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت
الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ما ذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب الكسب
وزكت النفقة وروي انه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا
فقال له ابن عامر الا تدعو لي فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يقبل الله صلوة
بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام
الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وكان لعلي سويق في اناء مختوم يشرب منه
فقيل أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكني اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره
ان يدخل بطني غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شيء الا خرج منه فطلب منه نافع بثلثين
الفا فقال اني اخاف ان تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له اذهب فانت حر وقال ابو سعيد
الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه
ياخذ ما لا يدري انه حلال **الدرجة الثالثة** ان ياخذ ليتصدق به على الفقراء او
يفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يأخذ منه لم يفرقه
واستعان به على ظلم فقد نقول اخذه منه اولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتي وجهه وعلى
هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة
ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين
الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال رأيت ان آخذ منهم واتصدق احب الي
من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي فيما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة
الدرجة الرابعة ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستبقي ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال
وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل
علي حيث قال فان ما يعطيه من الحلال اكثر وهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا فيه
في حق آحاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذه ما لم

الحرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرار
الظلمة في زماننا لا يجري مجراه وانما يفارقه من وجهين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها او
اكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم
يبق الا الجزية وانها تؤخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ
منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات
والرشى وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره الوجه الثاني ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان
الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين
وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة
بقبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم
ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم فما
كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس فاما الآن فلا تسمح نفوس
السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر به والاستعانة به على اغراضهم والتجمل بغشيانه
مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء في حضورهم وغيبتهم فلو لم يذل الآخذ نفسه
اولا بالتردد في الخدمة ثانيا والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه
في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالات والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه
ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد وان كان في فضل الشافعي مثلا فاذن لا يجوز في هذا ان
يوخذ منهم ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه ومن استجرأ على اموالهم
مشبها نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم
ومراعاة خدمهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين
في الباب الذي يلي هذا فاذن قد تبين مما قد تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور ان يأخذ
الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته
ولا الى الثناء عليه وتزكيته ولا الى مساعدته فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي
يليه ان شاء الله النظر الثالث من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ ولنفرض المال من اموال
المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس
فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء وانما النظر
في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن
الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء
قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام
ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من
يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق
الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة

حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب
ويدخل فيه العمال وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العداوة
واهل البغي وعن اعداء الاسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان
الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا
فبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغني احدهما عن الآخر و
الطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن
يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان ومصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين
اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا
يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع
ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن من معاوية في دفعة
اربعمائة الف درهم وقد كان عمر يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت عائشة في هذه
الجريدة ولجماعة عشرة الف ولجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال لهؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص
كل واحد بمال كثير فلا بأس وكذا للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان
يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت الى الدين والمصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس
وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد
السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته
وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس
يعم بماله المستحقين فكيف يجوز للآحاد ان يأخذوا أفيجوز لهم الاخذ بقدر حصصهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان يأخذ
كل ما اعطي اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر
خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الامراء وقد ورد
في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من
بني العباس وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهري
ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو
قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف نفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن
لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة
والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار الارض ولاية نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام
الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلا نطول الآن به واما الاشكال الآخر وهو ان السلطان اذا لم يعم
بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال
كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان يأخذ
قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له ان يأخذ كفاية سنة فان اخذ الكفاية كل
يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال آخرون انه يأخذ ما يعطى والظلم هم الباقون وهذا

هو التباين لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار
ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير
متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا
لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال
ما لو صرفه بطريق الايثار والتفضيل مع التعميم للآخرين لجاز له ان ياخذ والتفضيل جائز في العطاء فقد سوى ابو
بكر فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله تعالى وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عائشة اثني
عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية واقطع عمر عليا خاصة واقطع عثمان ايضا من
السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا فقبل منه رضي الله عنهم وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من
المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لا نص على عينها ولا على مسألة تقرب منها فتكون
في معناها بقياس جلي كهذه المسألة ومسألة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين وكل سنة وحق وكل واحد
من ابي بكر وعمر مصيب باتفاق الصحابة والمفضول ما رد في زمن عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في
ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقد كل واحد منهم ان
حقا وليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها
نص او قياس جلي لغفلة او سوء راي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب
المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص
بصفة تتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة وادرارا على التركات او الجزية لم يصر
فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من
اللوازم التي لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه ان شاء الله تعالى

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم الثانية وهي
دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي
الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والآثار فننقلها
لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم اما الاخبار
فانه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن
وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لانه من اعتزل سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم
لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله
عليه وآله وسلم سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست
منه ولم يرد على الحوض وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وآله وسلم قال ابغض القراء الى الله عز وجل
الذين يزورون الامراء وفي الخبر خير الامراء الذين ياتون العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفي
الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم
واعتزلوهم رواه انس الآثار قال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم

على الامير فيصدقه على الكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك
لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون
للملوك وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج
بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه كان يقال اذا
رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد
الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القارئ
الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة
قال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله
عز وجل واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شيء يسير
فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا
ازداد من الله بعدا وكان ابن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا الغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب
هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر بالامة من المقامرين وقال محمد بن سلمة الذباب على العذرة
من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن
فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما
فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله
تعالى لتبيننه للناس واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي
بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا يدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك
الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء
فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان
تكون ممن قال الله عز وجل فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات الآية وانك تعامل
لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء والسلام فهذه الاخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع
الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على
السلطان متعرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور
اما الفعل فالدخول اليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولا
يغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب
فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد
في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما التسامح يجري اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان
ذلك طريقا الى الاستغراق فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ مال الرجل بطريقة اعتمادا على ان
كل واحد انما يتخطى خطوة لا يؤذي المالك الا ان المجموع يفوت الملك وهو كضرب خفيف في التعليم يباح ولكن
بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة يضربون ضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحدة من الضربات

او افترشته لا يوجب قصاصا فان دخل ظالم فى موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة
من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى
بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قائما فى سلامه وخدمته كان
حراما لانه مكرم للظالم بسبب ولايته التى هى آلة الظلم والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم
لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام
فاما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية الا عند الخوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر
دينى قبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد
جوابهم فى السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر
لان ذلك واجب فلا ينبغى ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من
الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم وهذا من حيث الفعل فاما السكوت
فهو انه سيرى فى مجالسهم من الفرش الحرير واوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من
راى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء
والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام وجميع ما فى ايديهم حرام و
السكوت عن ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت
انه يخاف على نفسه فهو معذور فى السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح
الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول
من علم فسادا فى موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده
ويسكت بل ينبغى ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم او يثنى عليه او يصدقه فيما يقوله من
باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار فى وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه
والحرص على طول عمره وبقائه فانه فى الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام اما
دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك فى طاعته وما يجرى
هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما فى معناه فغير جائز قال
صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء
فسيذكر ما ليس فيه فيكون كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاص قال صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله تعالى ليغضب اذا مدح الفاسق وفى خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز
ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء
اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيها كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه
والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى
شربة ماء قال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز
ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق
وان كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه ان يبغضه فى الله ويمقته فالبغض فى الله واجب ومحب المعصية

والراضى بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احبه بسبب آخر فهو عاص من حيث انه
لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه فى الله وان اجتمع فى شخص خير وشر وجب ان يحبه لاجل ذلك الخير ويبغضه
لاجل ذلك الشر وسياتى فى كتاب الاخوة والمتحابين فى الله تعالى وجه الجمع بين الحب والبغض فان سلم
عن ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه فى النعمة ويزدرى نعم الله عليه
ويكون مقتحما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها
مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به فى الدخول ومن تكثير سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان
ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات دعى سعيد ابن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابنى
عبد الملك فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن بيعتين فقال
ادخل من الباب واخرج من الآخر قال لا والله لا يقتدى بى احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح ولا يجوز الدخول
عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذى او فسد عليهم طاعة
الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية
والثانى ان يدخل عليهم فى دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة
بشرط ان لا يكذب ولا يثنى ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول الحالة الثانية ان يدخل عليك السلطان
الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة على اكرامه فانه باكرام العلم والدين
مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلم ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان
فى خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن الله واعرض الله عنه
وان كان الداخل عليه فى جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه
النية وان كان علم ان ذلك لا يورث فسادا فى الرعية ولا يناله ايذاء من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى
ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه
وذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه
من المعاصى مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق
الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذن يجب عليه
التعريف فى محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه
ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير
عذر قال محمد بن صالح كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس فى البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه
وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضا منها اذ دق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين
يديه ثم قال له ما لى اذا رايتك امتلات منك رعبا قال لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه
الله هابه كل شىء وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شىء ثم عرض عليه اربعين الف درهم فقال تاخذها
فتستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لى فيها قال
فتاخذها فتقسمها قال لعلى ان عدلت فى قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل فى قسمتها فياثم فى
ازوها عنى الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان

ان يستبد بعضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله امرهم وتنعمهم اذهبه بذكر الله وليذكر ما قال حاتم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته وانا وانتم منه على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم وما قاله ابو الدرداء اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منه برآء وكل من احاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانها اما ان يغفل عنها او يرضى بها او يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل احد على حق الله تعالى كجنايته على حقك فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له وانما لا يكره معصية الله تعالى من لا يحب الله تعالى وانما لا يحب الله تعالى من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله تعالى واجبة واذا احب كره ما كرهه واحب ما احبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا فان قلت فلقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم مكة حاجا فلما دخلها قال ايتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا فقال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين وقال السلام عليك ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت عليا يقول لا يحل للرجل ان يقبل يد احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى اولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي بغير اذني فاني سمعت عليا يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال هشام عظني فقال سمعت عليا يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام من بين يديه فخرج وهرب وقال سفيان الثوري ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم فطأطأ راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضي الله عنه فقال لخازنه كم انفقت قال بضع عشر درهما واری ههنا اموالا لا تطيقها الجمال فهكذا كانوا يدخلون على الملوك اذا الزموا وكانوا يغررون بارواحهم للانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك

وقال

وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان ابن عامر اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابطأ عنه ابو ذر رضي الله عنهم اجمعين وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرأت في بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له امير البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك لما في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان ابن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل فقال عمر بن عبد العزيز هذا صوت رحمته فكيف صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس في يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان قدم المدينة يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال يا ابا حازم كيف القدوم على الله فقال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله فقال اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال سليمان يا ابا حازم واي عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع فقال دعاء المحق عند من يخاف ويرجا قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله تعالى ودعا الناس اليها قال فاي المؤمنين احمق قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال فما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان اباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا فيه مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله عز وجل اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال سليمان فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه قال ومن يقدر عليه قال من يطلب الجنة ويخاف النار فقال سليمان ادع لي فقال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني قال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وقال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره ان يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمان فقال تكلم يا اعرابي انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه وان غشه قال الاعرابي يا امير المؤمنين انه قد تكنفك رجال اساؤوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يالوا الامانة تضييعا والامة خسفا وعسفا وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع سيفيك قال اجل يا امير المؤمنين ولكن لك لا عليك

ويحكى ان ابا بكرة دخل على معوية فقال اتق الله يا معوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة
تاتي لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه
فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن صائرون اليه
باق ان خيرا فخير وان شرا فشر فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علماء الاخرة فاما علماء الدنيا
فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون بدقائق الحيل الطريق السعة فيما يوافق
اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم
وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما
يلبسون على انفسهم بذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في
طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه من العلماء ووقع القبول وظهر به اثر الاصلاح
فينبغي ان يفرح به ويشكر الله على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره
فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور والثاني ان يزعم
اني اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره واذ ظهر طريق
الدخول عليهم فلنرسم في الاحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم مسائل **مسئلة**
اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم يكن كان
حكمه انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذ وتتولى التفرقة ولا تعصي باخذه ولكن من
العلماء من امتنع منه فعند هذا يتصدى النظر في الاولى ان تاخذه ان امنت ثلث غوائل الاولى ان يظن
السلطان بسبب اخذك ان ماله طيب فلولاه كنت لا تمد اليه اليد فلا تدخله في ضمانك فان كان كذلك
فلا تاخذه فان ذلك محذور ولا تفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل له من الجراءة على كسب الحرام الثانية
ان ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون انك في الاخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون
وهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على
نية التفرقة فالمقتدي به والمتشبه به ينبغي ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق
كثير وقد حكي وهب بن منبه ان رجلا اتي به الى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على اكل لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه
لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل وقال ان الناس قد اعتقدوا اني طولبت باكل لحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد
اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت فيضلون ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان عاملا وكان
ذلك في غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان والقه على ابي عبد الرحمن طاوس وكان قد قعد على كرسي
فالقي عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان وتضرت به فقال نعم لولا ان يقول من بعدي اخذه طاوس
ثم لا يصنع به ما اصنع اذن لفعلت الغائلة الثالثة ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك وايثاره
لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا يقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين اعني ما يحبب
الظلمة اليك فان من احببته لا بد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عائشة رضي الله عنها جبلت النفوس
على حب من احسن اليها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين ان القلب
لا يكاد يمتنع ذلك وروي ان بعض الامراء ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الاف فاخرجها كلها فاتاه محمد

ابن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق قال سل اصحابي فقالوا اخرجه كله فقال لا بل الان فقال
انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته
وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه
كان كمن شهده وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قيل لا ترضوا باعمالهم فان كنت في القوة بحيث لا تزداد
حبا بذلك فلا باس بالاخذ وقد حكي عن بعض العباد بالبصرة انه كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان
تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي وادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي
لاجله شكر الله على تسخيره اياه وبهذا تبين ان اخذ المال منهم وان كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور
مذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوائل **مسئلة** ان قال قائل اذا جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز
ان يسرق ماله او يخفي وديعته او يجحد ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لانه ربما يكون له مالك
معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما اذا بعثه اليك فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بما يعلم
مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم يعرف
ذلك المال كيف يسرقه ويحتمل ان يكون ملكه قد حصل بشري في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا سبيل اليد
بل لو وجدت لقطة وظهر ان صاحبها جندي واحتمل ان يكون له بشري في الذمة او غيره وجب الرد عليه واذن
لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا يجوز انكار ودائعهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى
السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بدعوى **مسئلة** المعاملة معهم حرام لان
اكثر مالهم حرام فما ياخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلمه اليهم فان علم انهم
يعصون الله تعالى به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في
الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساؤه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي
معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين وجباية اموالهم فان ذلك اعانة بفرسه و
هي محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه لما فيه من
اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وسائر الاسباب وهذه الكراهة جارية في
الاهداء اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم
القرآن فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم
في السوق من غير جعل واجرة فهو حرام مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية
كالغلام والديباج للبس والفرس للركوب الى القتال والظلم فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل
التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالته عليه حصلت الكراهة **مسئلة** الاسواق التي بنوها
بالمال الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها باجرة واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا
بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخرى فالاولى الشري منها فان ذلك اعانة لسكانهم
وتكثير لكرا حوانيتهم وكذلك معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب
الاراضي التي عليها الخراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج
على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم

على الملاك زراعة الارض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعايش **مسئلة**
معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح
ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم والطباع
مجبولة على الاقتداء والتشبه بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق لهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم
من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى يضعف الشبهة باختلاط
الحلال بما لهم قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما
فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك
خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمال قراؤها
امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا العلماء وانما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء
ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب
الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود آكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على
لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم كذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن سيرين
لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب
به وكل من حواليهم من خدمهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله تعالى جميعا روي عن عثمان ابن زائدة انه سأله
واحد من الجند عن الطريق فسكت واظهر انه اصم وخاف ان يكون متوجها الى ظلم فيكون هو بارشاده الى
الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل من السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واهل الحمامات والعمال
والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الفسق والكذب عليهم بل مع الكفار من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة
خاصة الآكلين لاموال اليتامى والمساكين والمواظبين على ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة
وشعائرها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على
حق الله تعالى وجناية على الله عز وجل واما معصية الولاة بالظلم فهو متعد وانما تغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم
الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله عز وجل مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد
قال صلى الله عليه وآله وسلم يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اشراط الساعة
رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء و
طول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة فمن رئي على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه
الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم ومساواة الزي تدل على مساواة القلب ولا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه
بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه باهل الصلاح واما الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان
ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا
يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك
اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال ما بال الاخيار فقال عز وجل انهم لم يغضبوا لغضبي
وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب عليهم لله تعالى واجب وروى ابن مسعود

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله تعالى لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معاملتهم
مسئلة المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط
فيها وينظر اما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنه معدلا تأكد الورع
وانما جوزنا العبور وان لم يجد معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان يرصد للخيرات وهذا
خير ظاهر اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه اصلا
الا لضرورة يحل بها مثل ذلك في مال الغير ثم يجب الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني في ارض
مغصوبة او بخشب مغصوب من مسجد آخر او ملك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه
فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فان الصلوة في الارض المغصوبة يسقط الفرض وينعقد في حق
الاقتداء او ان عصى صاحبه بالوقوف في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر
ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة لانه يحتمل ان يكون من بناه الذي بناه ولو على بعد وان لم يكن له
مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد
اعني في الورع قيل لاحمد ما حجتك في ترك الخروج الى الصلوة ونحن بالعسكر فقال احمد حجتي الحسن وابراهيم التيمي
اذ خافا ان يفتنهما الحجاج وانا اخاف ان افتتن ايضا واما التخليق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لانه غير منتفع به
هي زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا
فبعد ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع التحرز عنه فانه محل شبهة فاما السقايات فحكمها ما ذكرناه وليس
من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلوة فيتوضأ وكذا المصانع في طريق مكة
واما الرباطات والمدارس فان كانت الرقبة مغصوبة او الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه
فلا رخصة في الدخول فيها وان التبس المالك فقد ارصد لجهة من الخير فالورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بالدخول
وهذه الابنية ان صدرت من خزانة السلطان فالامر فيه اشد فليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح لان
الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم احتمال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسئلة**
الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى البتة وان لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول ان
امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور تحته ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج
فيه الى السقف كما يقف في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او اذى المطر وغيره فهو حرام لان
السقف لا يراد الا لذلك وهذا حكم من يدخل ارضا او مسجدا مباحا سقف وحوط بغصب فانه بمجرد التخطي لا
يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فائدة في الحيطان والسقف كحر او برد او تستر عن بصر او
غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل الانتفاع والارض يراد
للاستقرار والسقف للاستظلال بها

[illegible] في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى

مسئلة سئل عن
خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص
بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوا واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوا برضا الخادم ولكن
لا يخلو عن شبهة اما الحل فلانه ما يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية فهو ولكن هو المعطي لا الصوفية

فهو كالرجل المعيل المعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال فله ان يطعم غير العيال
ويبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يتسلط الخادم على الشرى به والتصرف فيه لان ذلك يفضى الى ان
تلك الطاقة لا يكفى وهو ضعيف ولا صاير اليه فى الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال تلك الملك الى الصوفية
الحاضرين الذين هم وقت سواله فى الخانكاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او
واحد منهم لم يجب ان يصرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق
لان ازالة الملك الى الجهة لا توجب تسليط الاحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من
يولد الى القيامة وانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نايبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو
ملكه وانما يطعم الصوفية بوفاء بشرط التصوف والمروة فان منعهم عنه منعوه عن ان يظهر نفسه فى
التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله مسئلة سئل عن مال اوصى به للصوفية
من الذى يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة
يعول عليها اهل العرف فى اطلاق اسم الصوفى والضابط الكلى ان كل من هو بصفة اذا نزل فى خانكاه الصوفية
لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل فى غمارهم والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس خصال الصلاح
والفقر وزى الصوفية وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة فى الخانكاه ثم بعض
هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض والفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفى
بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذى يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصى
للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغاير واما الحرفة والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل
والتاجر والصانع فى حانوته او داره والاجير الذى يخدم باجرة كل هولاء لا يستحقون فلا ينجبر هذا بالزى و
المخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا فى حانوت ولا
على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر باكتنابه اياهم مع بقية الصفات واما
القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع واما الوعظ والتدريس فلا ينافى اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال
من الزى والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال صوفى مقرى وصوفى واعظ وصوفى عالم او مدرس و
يتناقض ان يقال صوفى دهقان وصوفى تاجر وصوفى عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى
الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا يفى دخله بخرجه لم يبطل حقه وكذلك
وكذلك اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكوة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما
المخالطة معهم ومساكنتهم فلها اثر ولكن من لا يخالطهم وهو فى داره او فى مسجد على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو
شريك فى سهمهم وكان ترك المخالطة تجبرها ملازمة الزى فان لم يكن على زيهم ووجد بقية الصفات فلا
يستحق الا اذا كان مساكنا لهم فى الرباط فيستحق بحكم التبعية فالمخالطة والزى ينوب كل واحد منهما
عن الاخر والفقيه الذى ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت
بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب عليه بالتبعية حكمهم واما لبس المرقع من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط فى
الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود الشرائط المذكورة واما المتاهل المتردد الى الرباط والمسكن لا يخرج عن
جملتهم مسئلة ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف

الصرف الى مصالحهم ولغير الصوفى ان ياكل معهم برضاهم على مايدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح
حتى جاز الانفراد به فى الغنايم المشتركة وللقوال ان ياكل معهم فى دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح
معايشهم وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى قوال الصوفية ويخالف الوقف وكذلك من يحضر من
العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض فى استمالة قلوبهم يحل لهم الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف
الا معتقدا فيه ما جرت به عادة الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام ولا يجوز لمن ليس صوفيا
ان يسكن معهم على الدوام وياكل وان رضوا اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه
اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول معهم وكونه فقيها لا ينافى كونه صوفيا والجهل ليس بشرط عند من يعرف
التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة
فى كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم
يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه عن النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية فكان
عدم الزى يجبره المساكنة ولكن برضا اهل الزى وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا
يخفى طرفاها فى النفى والاثبات ويتشابه اوساطها فمن احترز فى موضع الاشتباه فقد استبرا لدينه كما نبهنا عليه فى
باب الشبهات مسئلة سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا
ولا يخلو عن غرض وتحريم احدهما دون الاخر فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل
كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته
اما للمحبة فى عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها والاقسام الحاصلة من هذا خمسة الاول ما غرضه الثواب
فى الاخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او عالما او نسيبا بنسب دينى او صالحا فى نفسه
متدينا فما يعلم الاخذ انه يعطى لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما يعلم انه يعطى لشرف نسبه لا يحل له
ان علم انه كاذب فى دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل له ان ياخذ الا ان يكون فى العلم كما يعتقد المعطى فان
كان خيل اليه كمالا فى العلم حتى يبعثه ذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له
ان ياخذ ان كان فاسقا فى الباطن فسقا لو علمه لما اعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب
مايلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذى يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا فى الشرى من لا يعرف انه
وكيلهم حتى لا يسامحوا فى البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخوف والتقى خفى لا
كالعلم والنسب والفقر فينبغى ان يجتنب الاخذ بالدين مهما امكن القسم الثانى ما يقصد به فى العاجل غرض معين
كالفقير يهدى الى الغنى طمعا فى خلعته فهذه هبة بشرط ثواب ولا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع
فيه وعند وجود شروط العقود الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدى الى
وكيل السلطان وحاجبه ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر فى ذلك العمل
الذى هو الثواب فان كان حراما كالسعى فى تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا
كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم ما ياخذ وهو الرشوة الذى لا يشك فى تحريمها وان
كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستيجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى
بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب

وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا وينعم علي بكذا وافتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل
فذلك جعل كما ياخذ الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده
يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه مفيد كقوله للبواب لا تغلق
دونه باب السلطان او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع
جواز ذلك بل ثبت ما يدل على نهيه كما سياتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة
والرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه
ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبات
يقلع البواسير او غيره ولا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز الاخذ عليه ولا على
علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في صناعته مثلا كالصيقل
الذي يزيل اعوجاج السيف او المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة
واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرآة فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل
في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من المهدى اليه لا لغرض
معين ولكن طلبا للاستيناس وتاكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه في
الشرع قال صلى الله عليه وآله وسلم تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره لعين
المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم يتعين تلك الفائدة ولا يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المآل
سمي ذلك هدية وحل اخذها الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث
انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان
لا يهدي اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها
هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال
السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وان كان لولا تلك الولاية لما كان يهدي اليه فهذه رشوة عرضت في معرض
الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا
يخفى وآية انه لا يبتغي المحبة انه لو ولي غيره في الحال لسلم المال الى الغير فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة
واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض
في غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والآثار احدهما تعين الميل اليه وقد دلت
الاخبار على تشديد الامر فيها قال صلى الله عليه وآله وسلم ياتي على الناس زمان يستحل فيها السحت بالهدية والقتل
بالموعظة يقتل البري ليوعظ به العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فيهدى له الهدية
ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها لا على قصد اجرة فلا يجوز ان ياخذ بعده شيئا في معرض
العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدى له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك
ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر ربح مال القراض الذي اخذه
ولداه من بيت المال وقال انما اعطيتما لمكانكما مني وعلم انه اعطي لاجل جاه الولاية واهدت امراة ابي
عبيدة ابن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافاتها بجوهرة فاخذه عمر فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد

باقيه في بيت مال المسلمين قال جابر وابو هريرة هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له
قد كان صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية ولنا رشوة اي كان يتقرب اليه لا لولاية
وانما نعطى نحن للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امسك بعض ما معه وقال هذا
ما لكم وهذا لي هدية فقال صلى الله عليه وآله وسلم الا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى ياتيك هديتك
ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي
نفسي بيده لا ياخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتى الله يحمله فلا ياتين احدكم يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار
او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم هل بلغت فاذا ثبتت هذه التشديدات
فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه يجوز له ان ياخذ في ولايته وما يعلم انه يعطى لولايته يحرم اخذه
وما اشكل عليه في اصدقائه انهم كانوا يعطونه ذلك لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه ٥ تم كتاب الحلال و
الحرام ٥ ويتلوه كتاب آداب الصحبة والاخوة والمعاشرة والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه وآله اجمعين

كتاب آداب الصحبة والمعاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا
والف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخدانا وفي الآخرة
رفقاء وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا و
احسانا اما بعد فان التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من افضل القربات والطف
ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها
حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله
زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلثة ابواب ٥
الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وشروطها ودرجاتها و
فوائدها الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها وفوائدها الباب
الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وحق المعاشرة وكيفيتها

الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة وشروطها

اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة
سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر
ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم به اذ قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكثر ما
يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال خلق
حسن وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال

من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة و
مهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الالفة سيما اذا كانت الرابطة هي التقوى والدين
وحب الله من الاخبار والآيات ما فيه كفاية ومقنع قال الله تعالى مظهرا عظيم نعمته على الخلق بنعمة الالفة لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم
التفرقة وزجر عنه فقال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه و
سلم ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وآله وسلم
المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف وقال صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على الاخوة في الدين
من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل الاخوين اذا
التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى المؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم في الترغيب في الاخوة في الله من آخى اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله
وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول
ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون
ويخاف ولا يخافون وهم اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله
تعالى ورواه ابو هريرة وقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء
ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله المتجالسون في الله
والمتزاورون في الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه و
يقال ان الاخوين في الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلتحق به كما يلتحق الذرية
بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت في الله لم تكن دونها دون على الولادة قال الله تعالى
الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول
حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون
من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيمة
اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله يوم
لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان
تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال
اني اخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا يعلم شماله ما ينفق يمينه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ما زار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال صلى
الله عليه وآله وسلم ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا
فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه
في الله قال فان الله عز وجل ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك بحبك اياه وقد اوجب لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فلهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون له اصدقاء
واخوان يحبهم في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة و

انقطاعك

انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا او واليت في وليا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه مني محبة ويروى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتني
بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال عليه السلام
تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا رسول الله
فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي في
الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا فكل
خدن وصاحب لا يؤازرك في مسرتي فهو لك عدو واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال يا داود ما لي
اراك منتبذا وحيدا قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا فكل خدن
لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي اخبار داود عليه السلام انه قال يا رب
كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي
بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق الآخرة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ان احبكم الي الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال صلى
الله عليه وآله وسلم ان لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار فالف
بين قلوب عبادك الصالحين وقال ايضا ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة في الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على
اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما يضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين في الله
فيضيء حسنهم لاهل الجنة كما يضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله
قال علي عليه السلام بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة اما تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم وقال عبد الله بن عمر لو صمت النهار كله ما افطر وقمت الليل لا انام وانفقت مالي علقا علقا في
سبيل الله اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما ينفعني ذلك شيئا
وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني اذ كنت اعصيك احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك و
قال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود
والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال او كلها
لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها
باي قريب باعدته في الله باي بعيد قاربته في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت
لي عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلوة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل
والذكر نور فاي عمل عملت لي فقال موسى الهي دلني على عمل هو لك فقال يا موسى هل واليت لي وليا قط هل عاديت
لي عدوا قط فعلم موسى عليه السلام ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله تعالى قال ابن مسعود لو ان رجلا
قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيمة مع من يحب وقال الحسن مصارمة الفاسق
قربان الى الله وقال رجل لمحمد بن واسع اني احبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ

يقين

بك ان احب فيك وانت لي مبغض ودخل على داود الطائي فقال له ما حاجتك قال زيارتك فقال اما انا
فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن
العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت
مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال
مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تحاتت عنهم الذنوب كما يتحات ورق الشجر في الشتاء
اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة **بيان معنى الاخوة في
الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا** اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه
بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او في
المدرسة او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهي التي نريد بيانها
اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها و الصحبة
عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد بها غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب و
لا يقصد مخالطته والذي يحب فاما يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل
به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالآخرة واما
ان يكون متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام القسم الاول وهو حبك
الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة
اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب فاللذة تتبع الاستحسان و
الاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة
الظاهرة اعني حسن الخلقة واما ان يكون هي الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق
حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل
مستحسن مستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من
غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشيء ينجذب
اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتعارف فقال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم
بالتعارف وفي بعض الالفاظ تلتقي فتتشام في الهواء وكنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله خلق الارواح
فلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاي روحين من الفلقتين تعارفا هناك التقيا في الطبع فهو في جملة
[illegible] وكذا لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله تعالى بل نزيد ونقول اذا
احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده من استخدامه
في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله تعالى بل اذا احب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته و
طعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب
الى الله تعالى فهو محب في الله سبحانه فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اهل الثروة وكان المواسي و

المواسي جميعا من المتحابين في الله بل نزيد ونقول من نكح امراة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون
بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة في هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله و
لذلك وردت في الاخبار انهم يوفون الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته بل
نقول كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا
يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده وهو رضاء الله تعالى بل ازيد واقول اذا اجتمع في
شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله تعالى والدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من
المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث
ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب في الله سبحانه وليس من شرط
حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء فيه جمع بين الدنيا والآخرة فمن ذلك
قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال عيسى عليه السلام اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ
بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا وما قال لا تجعل
الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعلها اكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اسالك رحمة انال بها
شرف كرامتك في الدنيا والآخرة وقال اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة
في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى والدنيا والآخرة عبارتان عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف
يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحال الراهنة
لا بد وان يكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهو الذي
احترز عنه الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز منها والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح
واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني يكرهه بعقله ولا بطبعه
كما يكره التناول لطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذ لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى
انه يزجره عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه كراهية المقصود المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه
لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والآخر آجل يكون في زمرة المتحابين في
الله تعالى ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه
فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله تعالى وليس بمستنكر ان
يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب
كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هي اكثر مما يوصل اليه الفضة فاذن يزيد الحب
بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله تعالى والحقيقة
ان كل حظ لولا الايمان بالله لم يكن يتلذ به فتلك الزيادة من الحب في الله تعالى وذلك وان دق فهو عزيز
قال الجريري تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب
وفي الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق الا الرهبة والرغبة القسم الرابع ان يحب لله تعالى وفي الله تعالى
لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم
ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا

حباً شديداً احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه واحب
من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد
له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته
ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون شعر امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا فاذن المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات
المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون
اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها وكذلك
حب الله سبحانه اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود
سواه فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك
كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا حمل اليه باكورة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله
تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف
نعمته وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات
وكيفما اتفقت محبة الله تعالى فاذا قويت تعدت الى كل ما يتعلق به بضرب من التعلق حتى يتعدى الى ما هو في نفسه
مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم
وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحاً يغمر الالم فيه وقد
انتهت محبة الله تعالى بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله تعالى ولا نفرح الا بما فيه
رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصيته جل وعز قال شقيق وليس لي في سواك حظ
فكيف ما شئت فاختبرني وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود ان حب الله تعالى اذا قوي اثمر
حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل ثم حب كل من فيه صفة هي مرضية عند الله تعالى من حسن خلق او تادب
بادب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله سبحانه الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر
جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته
وبحسب ضعف حبه لله تعالى وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غايبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه
منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله تعالى ولله عز وجل من غير حظ فانه انما
يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله تعالى الا انه اذا ضعف لم
يظهر اثره فلا يظهر به ثواب ولا اجر فاذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت
الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المحبوب في الحال او المآل
لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد من الصحابة والتابعين بل من الانبياء المتقدمين صلوات الله عليهم
اجمعين وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن اعدائهم في احد منهم وبفرحه عند الثناء
عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله تعالى لانهم خواص عباد الله عز وجل ومن احب ملكاً او شخصاً جميلاً احب
خواصه وخدمه واحب من يحبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس
حظ الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وقول

وما لجرح اذا ارضاكم الم وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر
محبوبه في نصف ماله او ثلثه او عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك
في مقابلته فمن استغرق الحب قلبه لم يكن له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئاً مثل ابي بكر رضي الله عنه فانه لم
يترك لنفسه اهلاً ولا مالاً فسلم ابنته التي هي قرة عينه وجميع ماله قال ابن عمر بينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
جالس وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل جبريل عليه السلام فاقرأه من الله السلام
قال يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة فقال صلى الله عليه وآله وسلم انفق ماله علي قبل الفتح فقال اقرئه من
الله السلام وقل له يقول لك ربك عز وجل اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبي صلى الله عليه وآله
وسلم الى ابي بكر وقال يا ابا بكر هذا جبريل عليه السلام يقرئك السلام من الله عز وجل ويقول اراض انت عني في فقرك
هذا ام ساخط فبكى ابو بكر وقال اعلى ربي اغضب انا عن ربي راض انا عن ربي راض فتحصل من هذا ان كل من احب عالماً
او عابداً او احب شخصاً راغباً في علم او في عبادة او في خير فانما احبه في الله ولله وله من الاجر والثواب بقدر قوة
حبه فهذا شرح الحب في الله تعالى ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ايضاً ولكن نزيده بياناً

بيان البغض في الله عز وجل

اعلم ان من يحب في الله عز وجل لا بد وان يبغض في الله عز وجل فانك ان احببت انساناً لانه
مطيع لله تعالى ومحبوب عند الله تعالى فان عصاه فلا بد وان تبغضه لانه عاص لله تعالى وممقوت عند الله
سبحانه ومن احب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في
الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند الغلبة ويترشح
بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة
ومعاداة ولذلك قال الله تعالى هل واليت في ولياً وهل عاديت في عدواً كما نقلناه وهذا واضح في حق من
لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه
المحبة وهما متناقضان ولذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعادات فاقول ذلك
غير متناقض في حق الله عز وجل كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها
ويكره بعضها فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فيكون معه في حالة بين حالتين اذ لو فرض لك ثلاثة اولاد احدهم
ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار او ذكي عاق فانك تصادف نفسك معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب
تفاوت خصالهم وكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن
اجتمع فيه كلاهما متفاوتاً على ثلث مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال
والصحبة والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه فان قلت فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام
فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر او فاجر ادركت تفرقة بينهما
وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله تعالى والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة
لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين
الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش عنه فلا تبالغ في اكرامه
مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع
اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام

عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض مرة لرضاه ومرة لسخطه اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فاقول اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى فيه الاغماض والستر اما ما اصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تاكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر كما سياتي وفيه خلاف بين العلماء واذا لم يتاكد اخوة وصحبة فلا بد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه ... اخذ من اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله عز وجل بشرب الخمر وقد خطب امراة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا فيها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يؤثر في منع من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم يظهر لك ذلك ولكن رايت ان تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله عز وجل ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الآية الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم لما تكلم مسطح في واقعة الافك فحلف ابو بكر ان يقطع عنه نفقته وقد كان يواسيه بالمال فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح واية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك واما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله تعالى من تقوية قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض على الظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله تعالى بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله تعالى في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسال احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك لا بد تورد اولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويله قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق آدم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضاء عن المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشة الاستيحاش والنفار وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا

وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله تعالى وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله تعالى فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له فان قلت فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول ذلك لا يدخل في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيه الى من يغلظ القول ويظهر البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروه واما مندوب فيكون في رتبة الفضائل ولا ينتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة بالله سبحانه وتعالى واصل الحب لله تعالى وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلا

بيان مراتب الذين يبغضون في الله عز وجل وكيفية معاملتهم

فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله تعالى لا يخلو اما ان يكون مخالفا في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت والساكت اما بعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلثة الاول الكفر والكافر ان كان محاربا فهو يستحق القتل او الاسترقاق وليس بعد هذين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منه الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم الآية وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الآية الثاني المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كان ممن لا يكفر بها فامره بينه وبين الله تعالى اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا باس برد جوابه وان علمت ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب اولى لان نفس الجواب على السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ فترك الجواب اولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان اليه والاعانة له لا سيما

فيها تظهر الخلائق قال صلى الله عليه وآله وسلم من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب
بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن لان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله تعالى على محمد صلى الله
عليه وآله وسلم الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون والاولى ان
لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في
الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه
ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما
العاصي بفعله وعمله لا بالاعتقاد فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتاذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة
والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما يقتصر عليه ولا يؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره
الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب الشرب والفساد لاهله او لا يدعو غيره الى
فعله كالذي يشرب ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او صغيرة وكل واحد فاما ان يكون
مصرا عليه او غير مصر فهذه التقسيمات يتحصل منها ثمانية اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض ولا
نسلك بالكل مسلكا واحدا القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور
والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة
فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هي تنقسم الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها
اشد من بعض فالاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع في الاهانة زجر لهم او لغيرهم
كان الامر فيه اكد واشد الثاني صاحب الماخور الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها الى الخلق فهذا لا يؤذي
الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان
المعصية بين العبد وبين الله تعالى الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا
ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره الثالث
الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان
صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم
ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجو
فالافضل النصح والزجر باللطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته
حيث يعلم انه يصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وللعلماء فيه اختلاف والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف
نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر الى الخلق بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف
والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه
وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة
قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير وحشته ونفرته في جاه او مال بظن قريب او وهم بعيد وكل ذلك من اشارات الشيطان
وبعيد عن اعمال الآخرة فكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه
الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم
وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله تعالى وسالك طريق الآخرة وسياتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع

المكاتبة ... تدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال صلى
الله عليه وآله وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظا هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف
والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن يختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى
الله عليه وآله المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد وان يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته وتشترط
تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود وبالاضافة الى المقصود
تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد الاستئناس
بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها اغراض مختلفة منها الاستفادة من العلم والعمل
ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة
في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة قال بعض السلف استكثروا من
الاخوان ما استطعت فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير في قوله تعالى
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر الله للعبد شفع
في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي
كل فائدة منها شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون
عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل ولا خير في صحبة الاحمق
فالى الوحشة والقطيعة يرجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه لا تصحب اخا الجهل واياك واياه
فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه • يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه • وللشيء على الشيء مقاييس واشباه •
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه • كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري
ولذلك قال الشاعر اني لآمن من عدو عاقل • واخاف خلا يعتريه جنون • فالعقل فن واحد وطريقه • ادري فارصد والجنون فنون
ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي
يفهم الامور على ما هي عليها ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده
لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف
الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض قال الله تعالى ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه وقال فاعرض عن
من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وقال تعالى واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق
واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته
وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق
تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك
واحذر صديقك الا الامين من القوم ولا امين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على
سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه
حين حضرته الوفاة قال يا بني اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك

واذا سددت ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى سيئة سترها اصحب من اذا سألته اعطاك وان
سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت امرا امرك وان تنازعتما
آثرك فكأنه جمع بهذا الكلام جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها قال ابن اكثم قال المأمون واين هذا
فقيل له اتدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك
ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك
وقال علي رضي الله عنه على مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه قط وروي ان امرأة كانت تضحك النساء
وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت صاحبتها فقالت
عائشة رضي الله عنها صدق الله ورسوله سمعته يقول صلى الله عليه وآله وسلم الارواح جنود مجندة الحديث
والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والاخلاق باطنا
وظاهرا امر مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم ان
يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة واذا كان على مقابلته وتربيعه اقتضى
التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والارض لكان
الاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا
ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم لو ان مؤمنا دخل في مجلس
فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى
يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا
يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الآخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في
الطيران الا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا
هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا وقيل كل انسان يأنس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان
برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى خفي فطن له شاعر فقال وقائل كيف تفارقتما
فقلت قولا فيه انصاف لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال وآلاف فقد ظهر من هذا ان الانسان قد
يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال او مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية
ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصور الجميلة مستلذة في عينها وان قدر
فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بحمرة والى الماء الجاري والخضرة من
غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالى بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن
لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود
واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب
غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب
بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم و
لا يلبس ولكنهما وسيلة الى المقصود فيتوصل به الى جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او
جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة على

الدنيا لم يكن من جملة الحب في الله تعالى وان لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا
كحب التلميذ لاستاذه وهو خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فلو كان
لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول عند الخلق
والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله
تعالى اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران
وحيازة اموال الاوقاف واليتامى وظلم الرعية بولاية القضاء كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل
الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصود المتوسل اليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها القسم الثالث
ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الآخرة فهذا ايضا
ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده
من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال
بواسطته رتبة التعليم ويترقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في
تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة التعظيم في ملكوت
السماء فهو محب في الله تعالى بل الذي يتصدق باموال الله سبحانه ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة
تقربا الى الله تعالى فاحب طباخا لحسن صنعته فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله تعالى في الصحبة
قال صلى الله عليه وآله وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه ويروى ان
مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فاخرج ابن واسع سلة من طعام من تحت
سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل
وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت انت
واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى او
صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد
وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله تعالى هذه الآية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان و
الاصدقاء الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات
الخاصة وهي ايضا لها درجات كما في المواساة بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع
البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره
ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة
لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سألت
اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى قال جعفر الصادق اني
لاتسارع الى قضاء حوائج اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء وكان
في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم يتردد اليهم كل يوم ويمونهم بماله
فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار
اخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا تظهر الشفقة

[illegible] قال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذي [illegible]

رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان من غد [illegible] فقال صلى الله عليه وآله وسلم بالامس [illegible] عليه [illegible]

فقال [illegible] والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت [illegible]

[illegible] فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من البيان لسحرا [illegible]

[illegible]

الفريقين وبهما النطق الباطن على معتقد حيث قال الانقطاع اولى قال حكيم [illegible]
لا يخبر بما نطقت العقول الا وحشة منه ومن له قلبه ثقيلة على صاحبه [illegible] ان يحفظ
لا يفضح [illegible] الله عز وجل قال عبد الرحمن ابن حسان انى كنت باليمن ولى جار [illegible]
على انهم في مجلس فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا ودعانا الى الاسلام واسلمنا وقد [illegible]
فقال [illegible] بصريحك ولكنكم لا تستطيعون ان تقولوا بما جاءكم بما [illegible]
يخرج من عتبته [illegible] على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سر [illegible]
[illegible] كان ذا باطن الصدق واجابة في كل مقام فانه لا يجوز ان يخفى عيوب نفسه واسراره وان احتاج
الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان الاخ نزله منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة
الاخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه
من غير مزيد قال صلى الله عليه وآله وسلم من ستر عورة اخيه ستر الله عليه في الدنيا والآخرة وفي خبر آخر كانما
احيا موؤدة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
المجالس بالامانة الا ثلث مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير
حله [illegible] المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره قيل لاديب كيف حفظك للسر
قال انا قبره وقيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع
الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي من صحبتهم بل من
مشاهدتهم وقيل للحكيم كيف تحفظ السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وقال [illegible]
ومستودعي سرا تبوأت كتمه فاودعته صدري فصار له قبرا وقال آخر [illegible]
كما ان قبر لاني ارى المقبور ينتظر النشرا ولكنني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا ولو جاز كتم
[illegible] عن السر والاخفاء لم نعلم السرا وافشى بعضهم سرا الى اخيه ثم قال حفظت فقال بل نسيت وكان
ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي احدا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن اسرارك فان
قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله تعالى ثم يستر عليك
كما يستره الله عز وجل وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب
فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها قال الحكيم لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه
ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال وقيل
وترى الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا وترى اللئيم اذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا
وقال العباس لابنه اني ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن
عنده احدا ولا يجربن عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي
كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس
لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقال صلى الله عليه وآله وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض
الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا
واجب وقد جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن المحق اشد على النفس من السكوت على الباطل وانما الاجر على

قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين التدابر والتقاطع فان
التقاطع يقع اولا بالآراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا
ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر
ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة لان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة
والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار الصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتمارى فغضب فقال صلى الله عليه وآله وسلم ذروا المراء لقلة
خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقيل من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته
وذهبت كرامته وقيل اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به وقال [illegible] اياك
ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حكيم او مفاجاة لئيم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث
العداوة وقال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بمزيد
العقل والفضل واحتقار المردود عليه واظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق
والجهل ولا معنى للمماراة الا هذا فكيف تتفق معه الاخوة والمصافاة قال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وآله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وآله وسلم انكم لا تسعون الناس
باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر
عن المماراة والحث على المساعدة الى حد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي ان
يقوم ولا يسأل قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيء في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا
فكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي
وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة
في الكلام والفعال والشفقة قال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال الحق الرابع
على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المماراة تقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة
لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما يراد الاخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه
كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقد فيها كالسؤال عن عارض ان
عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها وينبغي ان يظهر بلسانه
مشاركته له في السرور بما يسره فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب احدكم اخاه
فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فانه اذا عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا
عرف انه ايضا يحبك زاد ذلك حبك فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين
ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علمهم الطريق فقال
صلى الله عليه وآله وسلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال
عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب
اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم
الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته

وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين
لا بد منه واكد من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن
ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك على نيته وان لم يتم قال علي رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم
يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه
بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت
عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الاخوين باليدين يغسل احدهما الاخرى لينصر احدهما الاخر وينوب عنه قال صلى الله عليه وآله وسلم المسلم
اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق
لحمه فاخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك
وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله عز وجل باكل لحوم الميتة فقال عز وجل ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة
المحسوسة يمثل الغيبة باكل الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله
يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في معنى الذي يجري في المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة
فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنتهم واجب في عقد الاخوة قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته
الا كما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان
اخوك حاضرا فما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر
انه حاضر من وراء جدار يستمع عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك بمسمع منه ومرأى
ينبغي ان يكون في مغيبه كذلك قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمع
لو حضر وقال آخر ما ذكر اخ الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق
الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك
جسمه فوقف الاخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر وبالموافقة
يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب
والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في
الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المؤاخاة والمصاحبة
فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق فلا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام
جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام
بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا قريبة
في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان
كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته ولم
يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بان تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر

عنه وينبهه على عيوبه ويقبح القبيح في عينه ويحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد
فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن مرآة
المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد
بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقيل لمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه
فنعم وان قرعني في الملا فلا وقد صدق لان النصح على الملا افضاح والله تعالى يعاتب المؤمن تحت كنفه في
ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا
باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقراه وتبارك الله وعز واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد وتستنطق
جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق
بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء
فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء بالغرض الباعث فانت مدار وان اغضيت
لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ذو النون لا تصحب مع الله تعالى الا
بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فان قلت
اذا كان في النصح ذكر العيوب وفيه ايحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل
بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسك فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب
العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي
نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما
اشد حمقك والصفات المذمومة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح
والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر
رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رضي الله عن امرئ اهدى الى عمر عيوبه وقد قال لسلمان وقد قدم عليه
ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والاخرى بالليل
وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب
حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال
بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الناس
واعلم ان من قرا القرآن ثم لم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بآيات الله تعالى من المستهزئين وقد وصف الله تعالى
الكاذبين ببغضهم للناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما اذا علمت انه يعلمه
من نفسه فانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف
في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه
الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره
في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان
بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض خير من التصريح والمكاتبة خير
من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بخدمته

واحتمال تقصيره لا الاستعانة به والاستغراق منه قال أبو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت
له يوما شيئا على أن يزول ما في قلبي فلم يزل فأخذت بيده يوما إلى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فأبى
فقلت لا بد ففعل فزال ذلك عن قلبي وقال أبو علي الرباطي صحبت عبد الله المروزي وكان يدخل البادية فقال لي
أن تكون أنت الأمير أو أنا فقلت بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد
وحمل على ظهره فإذا قلت أعطني قال ألست أنا الأمير فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح
وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر وكنت أقول مع نفسي ليتني مت ولم أقل أنت الأمير الحق الخامس العفو عن
الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا يخلو إما أن يكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقك بتقصير في
الأخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية وإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقيم أوده ويجمع شمله
ويعيد إلى الصلاح حاله فإن لم يقدر وبقي مصرا فقد اختلف طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو
مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الانقطاع وقال إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته
ورأى ذلك من مقتضى الحب والبغض في الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء
إذا تغير أخوك عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى وقال النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند
الذنب يذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وقال أيضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي
الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل
عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل أخي قال ذاك أخو الشيطان قال مه قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر
قال إذا أردت الخروج فآذني فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع
وحكي أن أخوين ابتلي أحدهما بهوى فأظهر على أخيه وقال إني قد اعتللت فإن شئت أن لا تعقد على صحبتي فافعل فقال
ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدا ثم عقد أخوه بينه وبين الله تعالى أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله
أخاه من هواه فطوى أربعين يوما في كلها يسأله عن هواه فيقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم و
الجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزلا وضرا و
حكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه ألا تهجره فقال أحوج ما كان إلي في هذا
الوقت إذ وقع في عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه وروي في الإسرائيليات
أن أخوين عابدين في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها ثم
أقام عندها أياما واستحيا أن يرجع إلى أخيه من أجل جنايته فافتقده أخوه واهتم بشأنه ونزل إلى المدينة فلم
يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل عليه وهو جالس معها فاعتنقه وقبله وأنكر الآخر أنه يعرفه لفرط استحيائه
فقال قم يا أخي فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط أحب إلي ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك
لم يسقطه من عينه قام وانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأفقه من طريقة أبي ذر وطريقته أحسن
فإن قلت فلم قلت هذا ألطف وأفقه ومثل هذا لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته
انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها والعلة في عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك
مع ارتكاب المعصية فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة المفضية إلى الرجوع

إلى التوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر وأما كونه أفقه فمن
حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن
الوفاء أن لا يهمل أيام حاجته وفقره وفقر الدين أشد من فقر المال وقد أصابته جائحة وألمت به
آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة
التي ألمت به فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب والفاجر إذا صحب تقيا وهو
ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص
حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلي نشاطي في
العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه أسبوعا وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يكون ممن
يهجر أخاه وقريبه بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في عشيرته فإن عصوك فقل إني
بريء مما تعملون مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تبغض أخاك وقد
فعل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي فهو غاية التقصير في حق الأخوة الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى
بمشاركته إياك في مالك وتنزله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن كان أحدهم يشق إزاره
لأخيه الثالثة وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى
درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا كما روي أنه سعي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء
فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له في ذلك فقال
أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فإن لم تصادف
نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما
مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ
أهل القبور وأما الدرجة الدنيا فليست مرضية عند ذوي الدين روي أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان
قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله
عز وجل أما استحييت أن تدعي الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لا يعامله
في الدنيا قال أبو حازم إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك وإنما أراد به من في هذه الرتبة وأما
الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله عز وجل وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون
أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافها إلى نفسه
وجاء فتح الموصلي إلى منزل أخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية
مولاها فقال إن صدقت فأنت حرة سرورا بما فعل وجاء رجل إلى أبي هريرة وقال إني أريد أن
أؤاخيك في الله فقال أتدري ما حق الإخاء قال عرفني قال لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني قال لم أبلغ
هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رحمه الله لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد
بغير إذن قال لا قال فلستم بإخوان ودخل قوم على الحسن فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل
السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قال ذلك كأنه يتعجب منه
وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك

فيك منك قال لا قال اعجبني صديقك وكان ابراهيم اذا رافقه رجل لم يجالعه وكان لا يصحب الا من يوافقه
وصحبه رجل في بعض المنازل قصعته من ثريد ففتح جرابه رفيقه واخذ حزمة من شراك فجعله في القصعة وردها
الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه واخذ حزمه قال اين الشراك قال ذلك الشراك الذي اكلته اين كان قال كنت
تعطيه شراكين وثلثة قال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء
رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على راس
شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعثه اليه فبعث ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر
حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب
مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة وقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال بارك الله لك فيهما فآثره
بما آثره وكانه قبله ثم آثره بمثله وذلك مساواة له والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال ابو سليمان الداراني لو ان الدنيا
كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي
ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخي
في الله احب الي من ان اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله
احب الي من ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه
فاجتنى منه سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق
بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى
او اضاعه وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى بئر يغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان الثوب على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وستره حتى اغتسل فقال انا اتعلق عليه والا انت اخي وانا اخوك والاخوة التي
من اخوة القرابة ترون انه قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان
الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل المودة لا تحتاج الى قرابة والقرابة تحتاج الى مودة وقال جعفر
الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذن الوفاء بعقد الاخوة
اذا سبق انعقادها واجب وهذا الجواب عن ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم تتقدم له حق فان تقدمت له
قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه
بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة
الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله تعالى من ترك النكاح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرار
عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي
على احدكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان
كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار
صلى الله عليه وآله وسلم في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزبره وقال لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم
فكل هذا يبين الفرق بين الابتداء والدوام لان مخالطة الفساق محذور ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذور
وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم من ان يهاجر وفي الانقطاع هو الاولى في

الدوام

الدوام نعمات مما يكون الوفاء بحق الاخوة هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه
بما يوجب ايحاشه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن
ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط
لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما اقساك يعتذر اليك
اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا
تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رض من استغضب فلم يغضب
فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك
بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل قال الاحنف حق
الصديق ان تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال آخر ما شتمت
احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها او لئيم فلا اجعل عرضي له غرضا
ثم تمثل وقال واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما خذ
من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير ومهما
اعتذر اليك اخوك كاذبا او صادقا فاقبل عذره قال صلى الله عليه وسلم من اعتذر اليه اخوه
فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب المكس وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن سريع الغضب
سريع الرضى فلم يصفه بانه لا يغضب ولذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل
والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتألم بل تنتهي
الى ان يصبر عليه ويحتمله وكما ان التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم
باسباب الغضب طبع القلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والتحمل على خلاف
مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن
وقد قال الشاعر ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب
وقال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على
ما تكرهه فانك لا تأمن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته
كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة
والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا تبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله تعالى
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه السلام احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما
عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو
ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك **الحق السادس** الدعاء للاخ في حيوته ومماته
بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق
بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال عليه السلام
اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله

بك ابدؤ وفي الحديث يستجاب للرجل ما لا يستجاب في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول اني لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت من عملك يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسئلون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان او من عند قريبك فلان فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية

الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله اثنان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل الوفا بعد الوفاة خير من كثير في حال الحياة ولذلك روي عنه عليه السلام اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به لان مراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على بابه وكذا ينبغي ان يتميز في القلب عن سائر ومهما انقطع الوفا بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فيجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال تعالى مخبرا عن يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال الغرض ومن ثمرة المودة في الله ان لا تكون مع حسد في دين ولا دنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم

في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخا جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء ان يكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابها كما قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته اصلا قال واحد لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك فقال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امري ولا توطئني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك

الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه وتحمل مؤنة قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال حكيم من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعلها في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخى اثنان في الله واستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب فقال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ كان جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سواء وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى يكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا في الله والا كان مواخيا لحظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ لي في الله فاعرض عنه الجنيد حتى اعاده ثلثا فلما اكثر قال له ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك

الرجل واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به و
رجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق او السيئ الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنب فاما الثاني فلا
تجتنبه لانك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى ان
اطعتني فما اكثر اخوانك اي واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين
سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هذا شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك
التكلف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طايفة من الصوفية يصحبون على شرط المساواة بين اربع
معاني ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم
يقل له قم وان صلى كله لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع
الى الريا والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال
بعض الصحابة ان الله تعالى لعن المتكلفين وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم انا واتقيا امتي برآء من التكلف
وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلا ونام وصلى
فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال وبقي خامسة وهي ان يحضر مع الاهل في بيت اخيه ويجامعها فان البيت يتخذ للاستخفاء
من هذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاتحاد وارتفعت
الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول مرحبا واهلا وسهلا اي لك
عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم ويسيء بنفسه فاذا رآهم خيرا
من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم قال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني وقد قال صلى الله
عليه وآله وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه اقل الدرجات وهو
النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت
فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب العجب و
الكبر وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الاصدقاء يرى الفضل له وقال آخر كم من صديق عرفته بصديق صار احظى من
الصديق العتيق ورفيق رايته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر
اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وآله وسلم بحسب المؤمن من الشر ان يحقر اخاه المسلم
في عموم المسلمين المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل اشاراتهم
فقد قال تعالى وشاورهم في الامر وينبغي ان لا يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب ابن اخي معروف
قال جاء اسود ابن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو
يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك يسالك ان تعقد فيما بينك وبينه اخوة تحتسبها وتعتد
بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره
كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا لو آخيت احدا لم احب مفارقته ليلا ونهارا ولازرته في كل وقت
ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا رضي الله عنه فشاركه في العلم وقاسمه البدنة وانكحه افضل بناته و

احبهن

احبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاءه
في الله لرسالتك ولمسالتك على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت وآمره ان يلقاني في
مواضع نلتقي فيها وآمره ان لا يخفي عني شيئا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي
وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على نفسك
للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما النظر
فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت
اقبالهم عليك وكلامهم معك روي انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه
ما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسالته وتوجهه للجالس
اليه وكان مجلسه مجلس حيا وتواضع وامانة وكان صلى الله عليه وآله وسلم اكثر الناس تبسما وضحكا وتعجبا
مما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له صلى الله عليه وآله وسلم واما السمع
فبان تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع عليهم حديثهم بمرادة
ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد
ذكرنا حقوقه والقول فيه يطول ومن ذلك ان لا ترفع صوتك عليهم ولا تخاطبهم الا بما يفقهون واما اليدان فلا
تقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فان تمشي ورآءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا تتقدمهم
الا بقدر ما يقدمونك ولا تقرب منهم الا بقدر ما يقربونك وتقوم لهم اذا اقبلوا ولا تقعد الا بقعودهم وتقعد حيث
تقعد ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثنا فانها من حقوق الصحبة وفي
ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه
هذه الآداب الظاهرة عنوان الآداب الباطنة وصفا القلب ومهما صفت القلوب استغني عن تكلف اظهار
ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة
ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع
الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القايم الصايم وزيادة خاتمة لهذا الباب
بذكر جملة من آداب المعيشة والمجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء ان اردت حسن المعيشة
فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر في غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن
في جميع امورك في اوسطها فكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على
الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك و
ادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه
الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك
من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا
جاريتك ولا شعرك وتصنيفك وساير ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد و
توق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا
عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم في غير عنف

وان تخاصم من غير ضعف ولا تمازح امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك
وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على
ركبتيك واذا هدا غضبك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان فان استرسل اليك فلا تامن
انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملن لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده
وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال
واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب فيه البداية
بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب
منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واعانة الملهوف وعون
الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع
البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك
فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ
والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة وان لا
تتجشا بحضرتهم ولا تتخلل بعد الاكل عندهم وعلى الملك ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض
للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما
يجري في سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد
عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة
الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحليم ويمقته المتقون وهو يميت
القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وبه تموت الخواطر وبه
تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر
الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب

اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر
عيش الانسان الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم ادب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته
ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او
اخوة الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر او المكتب او الدرس واما الصداقة او الاخوة ولكل
واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين اكد
وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي في بلاد
الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتاكد بتاكد المعرفة
وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل اكد منه والمعرفة بعد
وقوعها تتاكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب اكد من حق

صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة فان
ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تخلل سر القلب فكل
خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون
الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة وتعرفه من قوله صلى الله عليه و
آله وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء
قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع
انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة هرون من موسى الا النبوة فعدل بعلي عن النبوة كما عدل
بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة واهليته لو كان للشركة
في الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله وخليله وقد
روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا
خليل الله فاذن ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق
الصحبة والاخوة ويدخل فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة وانما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما
سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة حتى ينتهي اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما
آثر ابو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وكما آثره طلحة رضي الله عنه ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه
العزيز صلوات الله عليه فنحن الآن نريد ان نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار
وحق الملك اعني ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح

حقوق المسلم

هي ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات
ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره
له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في آثار واخبار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم انه قال اربع من حق المسلم عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب
تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم
اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد عليه السلام قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا
به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها ان يحب للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم
ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يؤذي احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل يامر
فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها عن نفسك وقال ايضا افضل المسلمين من
سلم المسلمون من لسانه ويده وقالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال
من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك
وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذيك

يجعل الجميع في نعيم فيقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال صلى الله عليه وآله وسلم لقد رايت رجلا يتقلب في
الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي الناس وقال ابو برزة يا رسول الله صلى الله عليه وآله
علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من زحزح عن طريق المسلمين
شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له حسنة اوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل
لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل للمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى
يكره اذى المؤمنين وقال الربيع ابن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع
لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى اوحى
الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يانف ولا يستكبر ان يمشي مع
الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع
من بعض قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل ابن احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك
بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في الهجرة لمن يعرفه على ثلثة ايام مهما غضب عليه قال ابو
ايوب الانصاري قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث يلتقيان فيعرض هذا
ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة
قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت عائشة
ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن
عباس ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا
بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا رفعه الله تعالى ومنها ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع لا يميز
بين الاهل وغير الاهل روى علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راس
العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر قال ابو هريرة كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو يرسله ولم يكن يرى ركبته خارجا عن ركبة
جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد
منهم الا باذنه بل يستاذن ثلثا فان لم يؤذن له انصرف قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الاستيذان ثلثا فان لم يؤذن لكم فارجعوا قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالاولى يستمعون
والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير
واللئيم على الكريم كان صلى الله عليه وآله وسلم يقدم من سفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعون اليه
فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين يديه وحملك انت وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم
كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة والتسمية فياخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه
فيقول لا تزرموا الصبي حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه ولا يرون انه تاذى ببوله
فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم
على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان
من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله ابن عمر البر شيء هين وجه طليق وكلام لين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن طيب
الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال لمعاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصيك
بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحم اليتيم ولين
الكلام وبذل السلام وخفض الجناح قال انس عرضت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم امراة وقالت لي معك
حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعل فجلس اليها حتى
قضت حاجتها وقال وهب ابن منبه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله
تعالى ان يريه كيف يغوي الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي
فيما بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله ارسلني اليك وهو
يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به اعجب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود
ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا
فقال الورع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وآله وسلم العدة عطية وقال العدة دين
وقال ثلث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال ثلث من كن فيه فهو منافق وان
صام وصلى وقد ذكرنا [illegible] ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه قال صلى الله
عليه وآله وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
وبذل السلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا الدرداء
احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما [illegible] اوحى الله تعالى الى
آدم عليه السلام باربع [illegible]
[illegible]
[illegible]

ابدلا اليه وحيث غلب ان يكون الدم عزيزا قال النووي رضي الله عنه لو اخبرت ثقات الاحبيت ان فيه شيء الرسول الحد
ثلاثا قال احببت ان يجتز به ... وروى ان عمر كان يمشي بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة
فلما اصبح قال للناس ارايتم لو ان اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين فقالوا
انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد
لم يأت على هذا الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى
فقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان مترددا في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه في حدود الله
... وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش ...
... في حد الزنا الذي هو اغلظ العقوبات ثم انظر الى كرم الله ...
... بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ...
تعالى اذا ستر على عبده ... في الآخرة وان كشفها في الدنيا ...
... وعن عبد الرحمن بن عوف قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة بالمدينة فبينما نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج
فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي ...
... هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب ... قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه
قال الله تعالى ولا تجسسوا ... وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع ...
[illegible]

... عليه السلام الى الله تعالى فقال اي رب ...
[illegible]
... ثم يدعو هذا الغني ... ان الله تعالى ...
... جرير بن عبد الله البجلي ...
الباب ... فلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رداءه فالقاه اليه فقال اجلس على هذا فاخذه جرير
على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه فرمى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك ...
... فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ...
... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
... قالوا ... يا رسول الله ...
... الف درهم ...
... صلى الله عليه وآله وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى
قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة ...
... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
[illegible]

بين يا عمر بن حوتكم وقد دخلت بيتي بغير اذني فقال عمر فما عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المؤمنين
لئن عفوت عني لا اعود الى مثلها فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف
سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله تعالى ليدني منه المؤمن
فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في
نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى
كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل امتي معافى الا المجاهرون وان المجاهرة ان يعمل الرجل سوءا ثم
يخبر به وقال صلى الله عليه وآله وسلم من استمع حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك يوم القيمة ومنها ان
يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان
هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلى
الله عليه وآله وسلم كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب ابوي غيره فيسبون
ابويه وقد روى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لم اكن اظن
فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وزاد في رواية اني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا وكانا رجلين
فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام
نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين
انها امرأتي فقال فهلا حيث لا يراك احد من الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى
في قضاء حاجته بما يقدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني اوتى واسأل وتطلب الي الحاجة وانتم عندي
فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما احب وقال معوية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشفعوا الي
تؤجروا واني اريد الامر فاؤخره كي تشفعوا الي فتؤجروا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من صدقة افضل من صدقة
اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وروى
عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته
فقال صلى الله عليه وآله وسلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال لها النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك قالت يا رسول الله اتامرني فافعل قال لا انما انا شافع ومنها
ان يبتدئ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم من بدأ بالكلام قبل السلام
فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم اسلم ولم استأذن
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك
واذا دخلت منزلك فسلم على اهلك يكثر خير بيتك وقال صلى الله عليه وآله وسلم واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها وقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على

امر اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال ايضا اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه
صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم يسلم الراكب على الماشي واذا سلم واحد من القوم اجزأ عنهم وقال قتادة كانت تحية
من قبلكم السجود فاعطى الله تعالى هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم
فلا يسلم ويقول لا يمنعني الا اني اخشى ان لا تردوا فتلعنكم الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال السلام عليكم فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات فجاء آخر وقال السلام
عليكم ورحمة الله فقال عشرون فقال آخر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون وكان انس يمر على الصبيان
فيسلم ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه صلى الله عليه وسلم
مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده للتسليم واشار عبد الحميد بيده للحكاية وقال صلى الله عليه
وآله وسلم لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيق الطريق قالت
عائشة ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم فقال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم عليكم قالت عائشة بل عليكم السام واللعنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة ان الله يحب الرفق في
كل شيء قالت عائشة الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم يسلم الراكب على الماشي
والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم
اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالاكف قال ابو عيسى اسناده ضعيف وقال صلى الله عليه وآله
وسلم اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من
الآخرة وقال انس قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة
تسعة وستون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا التقى المسلمان وسلم
كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر وقال الحسن المصافحة
تزيد في الود وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال
صلى الله عليه وآله وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا بأس بتقبيل يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا وروي عن ابن
عمر قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقبلت يده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فاقبل راسك ويدك قال فاذن له ففعل ولقي البراء بن عازب
فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ورد عليه ومد
يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا مر الرجل
بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم واطيب
فلك [illegible] قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيصافح
[illegible]
[illegible]

فاصلا ابن يزيد اصحاب زيد والقيام مكروه قال انس ما كان شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله و
سلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقوموا
كما يصنع الاعاجم قال عيسى عليه السلام من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وعن
قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن
ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه واوسع له
فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروي انه سلم رجل
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبول فلم يجب فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء
عليك السلام قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان عليك السلام تحية الميت
قالها ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا
ينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في المجلس اذ اتى ثلثة نفر فاقبل اثنان
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفه واما الآخر
فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما احدهم فاوى الى
الله فآواه الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا وسلمت ام هانئ على النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فقال من هذه فقيل له فقال صلى الله عليه وآله وسلم مرحبا بام هانئ ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم
ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عليه ويناضل دونه روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فرد عنه رجل فقال صلى الله عليه وآله وسلم من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار
جهنم يوم القيمة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره
فلم ينصره ادركه الله تعالى بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا و
الآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيمة
من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من امرئ ينصر مسلما في موضع
ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه
وآله وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول
يهديكم الله ويصلح بالكم وعن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم
فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا فليقل يغفر الله لي ولكم
وشمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وان هذا سكت وقال
صلى الله عليه وآله وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام وروي انه شمت عاطسا ثلاثا فعطس اخرى
فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه
او بيده وروي خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس

خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوة فقال الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يرضاه ربنا وبعد ما يرضى
والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت
بهن الا الخير فقال لقد رايت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عطس
عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال ابرهيم عليه السلام العطاس من الله والتثاوب من الشيطان فاذا
تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال هاه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابرهيم النخعي اذا عطس في قضاء
الحاجة فلا بأس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلام يا رب اقريب انت فاناجيك
ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط
قال فاذكرني على كل حال ومنها المداراة اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة
وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنبش في وجوه اقوام
وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن قال ابن
عباس في معنى قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله تعالى ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة استاذن رجل على رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده
منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند
الله يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس
باعمالكم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد ابن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى
يجعل الله له منه فرجا ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان في ملكه اذا دخل المسجد فرأى
مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى احب اليه من ان يقال له يا مسكين وقال
كعب الاحبار ما في القرآن من يا ايها الذين آمنوا فهو في التورية يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت ان
للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنياء وثلثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء
قال كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضا المساكين عنك وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم ومجالسة
الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء وقال موسى الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى
الله عليه وآله وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم
فقال صلى الله عليه وآله وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال صلى الله عليه
وآله وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من وضع يده على رأس
يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم
يحسن اليه ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يحب للمؤمن ما يحب
لنفسه وقال لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا
رأى به شيئا فليمطه عنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم
من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار

قضاها او لم يقضها كان خيرا من اعتكاف شهرين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف تنصره ظالما قال تمنعه من الظلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمنين وان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سقى مؤمنا من ظمأ بعث الله اليه ملكا يحييه يوم القيمة من نار جهنم وقال صلى الله عليه وآله وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخي من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم كتبه الله من الابدال وبكى علي ابن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستيذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وآله وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا دعا الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده غرق فيها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا دعا المسلم اخاه وزاره قال الله تعالى لك طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل صلى الله عليه وآله وسلم على علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال قل اللهم اني اسألك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد وقال علي ابن ابي طالب اذا شكى احدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها فليشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء المبارك وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الذي يذل العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان كنت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت اولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا عيادة للمريض في اقل من ثلاث وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة فما ازددت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض فواق ناقة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اغبوا في العيادة واربعوا وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والفرح

الرغائب والتوكل على الله والثقة بالله على خالق الدواء ومنها ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وآله وسلم من شيع جنازة فله قيراط فان وقف حتى تدفن فقيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار كان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له خرج مالك ابن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت فقد رأى ومرارة الموت فقد ذاق وخوف الخاتمة فقد امن وقال صلى الله عليه وآله وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ومنها ان يزوروا قبورهم والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وآله وسلم ما رأيت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستأذنت في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما ذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من ليلة الا ينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون قالوا نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع ابن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم قال يا ربيع قد رجعت فاعمل الآن قبل ان لا ترجع قال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن عذاب الله وادب زيارة الموتى خفض الجناح والقيام بالخدمة وقلة الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنائز لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبيه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة فيه ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد

استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تمارهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المجادلة ويذهب
دينك ودنياك منهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم
بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله تعالى وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما بالك تحقد عليهم ولا
تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم في وجهك وحسن لقائهم اليك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا
في المائة واحدا وربما لا تجده ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما
في العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم
تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سالت اخاهم حاجة فقضاها
فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا يطول عليك معاناته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل
القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على الشخص ومهما رايت منهم
غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك
بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت ذلك
لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فان الله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا
بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون
على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان ولا
يعفون يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران اعنته وان استغنى عنك اقرضته
وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هناته وان اصابته مصيبة
عزيته ولا يستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها
سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه
وآله وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى
قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى
خشينا انه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك وقال
ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك
فاغرف لهم منها وقالت عائشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والآخر ناء ببابه وراى
الصديق ولده عبد الرحمن وهو يماظ جارا له فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال
الحسن بن عيسى النيسابوري سالت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور ياتيني فيشكو غلامي انه اتى
اليه امرا والغلام ينكره فاكره ان اضربه ولعله بريء واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع فقال ان غلامك
لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون
قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عائشة رضي الله عنها
خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن
احب صدق الحديث وصدق الباس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة و

التذمم

التذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف وراسهن الحياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من سعادة
المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم
اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد
اسات فقد اسات وقال جابر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كان له جار في حائط او شريك فلا يبيعه حتى
يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الجار يضع جذوعه في حائط جاره شاء
ام ابى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبه في حائطه وكان
ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه والله اعلم

حقوق الاقارب والرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن
وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من سره ان ينسا له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع عليه
في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم
للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم بصلة الرحم
وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل
المكافئ ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة
الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني
مدلج فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر قدمت علي امي
وهي مشركة فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها قال
نعم صليها وقال صلى الله عليه وآله وسلم الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق
بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هي في سبيل الله والفقراء والمساكين
فقال صلى الله عليه وآله وسلم وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وقال صلى الله عليه وآله وسلم افضل الصدقة على
ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وفي
روي ان عمر كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يورث التزاحم
على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى انه اذا تاكد حق
القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تاكد الحق وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم بر الوالدين
افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح مرضيا لابويه
اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال
بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ويروى ان الله تعالى قال لموسى يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته

برا ومن بر نبي وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم
لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق بصدقة
ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجرهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء قال مالك بن
ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي
من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما
وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال صلى
الله عليه وآله وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله
ولم ذلك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر فقال بر والديك
فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وآله
وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا
ثم هو عدوك او شريكك وقال انس قال صلى الله عليه وآله وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى
فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلث عشرة ضرب على الصلوة فاذا بلغ
ست عشرة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك
في الآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
كل غلام رهين او رهينة بعقيقته يذبح يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة
منها فاستقبلت بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى
عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد
رأى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا
منهم فقال ان من لا يرحم لا يرحم قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت
اغسله وانا انفه فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر الحسين وهو على
منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما
قضى صلوته قالوا لقد اطلت السجود حتى ظننا انه حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما
اتيته قال يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء
ظليلة فبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم
قفلا ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني لمملوء غضبا وغيظا
على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى
الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر فهذه هي الاخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية
القيام بحقهما وقد عرفت مما ذكرناه في حق الاخوة ان هذه الرابطة آكد من الاخوة بل تزيد ههنا امران احدهما ان اكثر العلماء
على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام

فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم واجب وكذلك ليس
لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل
لانه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرائض من الصلوة والصوم ولم يكن
في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا
يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اليمن يريد الجهاد فقال عليه الصلوة والسلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك
قال لا فقال عليه الصلوة والسلام ارجع الى ابويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والا
فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء آخر اليه عليه الصلوة
والسلام يستشيره في الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجليها
وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما
كما ابكيتهما وقال عليه الصلوة والسلام حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال
عليه الصلوة والسلام اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد
من اهل بيته فليؤذن في اذنه **حقوق المملوك** اعلم ان ملك النكاح قد سبقت حقوقه
في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها
فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت
ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون
فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم
ولو شاء لملكهم اياكم وقال عليه الصلوة والسلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف
من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا خائن ولا سيء
الملكة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعفوا
عنه في كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي يوم السبت واذا وجد عبدا
في عمل لا يطيقه وضع عنه منه ويروى عن ابي هريرة انه رأى رجلا على دابة وغلامه
يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال
لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك
منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت
حرة لوجه الله تعالى وقال الزهري متى قلت لمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن
قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره
اذ اتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات
فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله تعالى
لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه يقول ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي

كانت تسمي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر لوجه الله
وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها
قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتيني
قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت
غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله تعالى يقول والله
يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك يده فقال
صلى الله عليه وسلم يسألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني امسكت يدك عنه قال فانه
حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل ذلك لسفعت وجهك النار وقال عليه
السلام عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فاما اول ثلاثة يدخلون
الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو
عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور
وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي يقول اعلم ابا مسعود
مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط فقال والله الله اقدر
عليك منك على هذا وقال عليه الصلاة والسلام اذا ابتاع احدكم غلاما فليكن اول شيء
يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه وان لم يفعل فليناوله
وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه
معه ويأكل فان ابى فليأخذ اكلة من ريقه فليسوغها واشار بيده فليضعها بيده ويقل كل منه ودخل رجل
على سلمان وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع
عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم
اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن
رعيته فجملة حق المملوك ان يشركه في مطعمه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه
بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه بهفوته او بجنايته في معاصيه
وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العزلة الحمد لله الذي عظم النعمة على خلقه وصفوته بان صرف هممهم الى مؤانسته
واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته
حتى في قلوبهم النظر الى زينة الدنيا حتى اغتبط بعزلة كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته
فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الانس بالانس وان
كان من اخص خاصته والصلاة على سيدنا نبيه محمد خيرته وعلى آله واصحابه سادة الحق وائمته

اما بعد فان للناس اختلافا
كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل
احدهما على الاخر مع ان كل واحد منهما
لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو
اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار
العزلة وتفضيلها على المخالطة وما
ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة
المخالطة والمؤاخاة والالفة يكاد
يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار
الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن
الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين
الباب الاول في نقل المذاهب والحجج
الباب الثاني في كشف الغطاء عن الحق

اعلم ان الاختلاف بين التابعين فمن ذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابراهيم
بن ادهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي و
بشر الحافي وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتآلف والتحبب الى المؤمنين
والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام
بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة
والماثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى
علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبيين المذاهب فيها ونقل ما هو مقرون بذكر العلة نورده
عند التعرض للغوائل والفوائد فقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال خذوا حظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة
وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال
ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك
من الاسد وقال الحسن كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات
فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة
اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة
وقد كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان
الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في السفينة ومعنا شاب من العلويين فمكث
معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا
فانشأ يقول قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذر ان يفوت قضى وطر الصبا وافاد علما فغايته التفرد والسكوت وقال
ابراهيم النخعي تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى و
يعطي الاخوان حقوقهم فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر وقيل لعمر
بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي
يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على
باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس
بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق
فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول
والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون
يوم القيامة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال له الحاجة قال
[illegible] ولا اراك وقال رجل لسهل [illegible] اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب
الآخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان علي ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل
وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه
وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة ذكر حجج
المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا وبقوله تعالى

[illegible] على الثاني [illegible] وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الآراء [illegible]
[illegible] الاسباب [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
[illegible] وهذا ايضا ضعيف فانه [illegible] الى [illegible] الخلق [illegible]
[illegible] الذي ان خالط الف [illegible] ولكن ترك المخالطة [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم
[illegible] والمسلمون في اسلام [illegible] فقد خلع ربقة الاسلام وهذا ضعيف لان المراد بالجماعة [illegible]
[illegible] الخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور [illegible]
[illegible] من الاكثر فالمخالفة فيه [illegible]

[illegible]

بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيه

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من جلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى تمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بسوء خلقته وثقله فالى هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ستة فوائد

الفائدة الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله تعالى في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هؤلاء يمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر خليله لكن صاحبكم خليل الله تعالى ولن يسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيظن انه يطيق ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشهورين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملم يشوش عليه امرا من امور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الآخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال ليستدعوا بذلك دوام الفكرة وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرأت كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء الى اي شيء افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك قال اني اصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا

اليه فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذلك الشغل رحمك الله فقال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرأيت ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضاع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله تعالى ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وآلفه الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذن في الخلوة انس بذكر الله واستكثار بمعرفة الله وفيه قيل

واني لاستغشي وما بي نعسة … لعل خيالا منك يلقى خياليا
واخرج من بين الجلوس لعلني … احدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكر ويستخرج العلم والحكمة وقيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذن في العزلة فوائد جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن تيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق بمعرفة الله تعالى فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى غيبة وربما زادوا

على البين وانتهوا الى الاستخفاف او الشتم واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب
كما سياتي بيانه في هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به وان انكر
تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منه الى معاص اكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا
فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال ايها الناس انكم تقرءون هذه
الآية وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانتم تضعونها في غير مواضعها واني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الناس اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله
عليه وآله وسلم ان الله ليسال العبد حتى يقول له ما منعك اذ رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته
يقول يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر
وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل
وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار
مائل يريد الانسان ان يقيمه وحده فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه يقول ليتني تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا
امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج بنفسك واما الرياء فهو الداء العضال
الذي يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا
وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه
صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من شرار الناس قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من شرار الناس ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب
في مخالطة الناس اظهار التشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة و
اظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من
همومه نفاق محض قال السري لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكتب في جريدة المنافقين
وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا علي قال هي
والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني
واما ان اقوم عنك وقال بعض العلماء ما احب الله عبدا الا احب ان لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام
فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بامرة المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على
خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في
جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه
فكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم
معافى فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال
لا املك ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا
بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين
ناكل ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار
وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكر ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا

وقيل لاويس القرني كيف اصبحت قال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي
وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت
قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم
مرحلة الى الآخرة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت فقال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست
في عافية كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من
يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عادل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان
ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل فاخرج الف درهم ثم دفعها اليه وقال
خمس مائة فاقض بها دينك وخمس مائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله
ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سؤاله من غير اهتمام بامره فيكون بذلك مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور
الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة
قال بعضهم اني لاعرف اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من ماله
لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت فالسائل
لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن
ضغائن واحقاد والالسنة تنطق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اذا سلمت والله القلوب فاما
الآن كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فان شاءوا
غضبوا علينا وان شاءوا لا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة قال رجل لابي بكر بن عياش
كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى
طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقاه اخوه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه
عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع
والرياء والنفاق وكل ذلك مذمومات بعضها محظورات وبعضها مكروهة وفي العزلة الخلاص منها فان من
لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه
ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما سارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو
داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في
باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك بينهما تفرقة في النفور عن الفساد واستثقاله اذ يصير
واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه وانما الوازع
عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن
الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري
الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستحقر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما
اتيح له من النعم وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال
الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار
وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال

[illegible] ويلي [illegible] الرحمة [illegible] على [illegible] عن النفس [illegible] واجابهم على الدنيا والاشتغال بهم [illegible] استعظم
[illegible] الى [illegible] ونور [illegible] والادراك [illegible] تغيير الطبع [illegible] الجليس [illegible]
[illegible] عن [illegible] الحقيقة [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما
[illegible] الجنة [illegible] وهو انبعاث الرغبة من القلب [illegible]
[illegible] والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير [illegible]
[illegible] ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام ان
[illegible] ذكر الفساق [illegible] نزول اللعنة لان كثرة ذكرهم [illegible] على الطبع امر المعاصي واللعنة هي البعد ومبدأ البعد
[illegible] الى المعاصي والاعراض عن الله تعالى والاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة [illegible]
[illegible] ومبدأ [illegible] سقوط الثقل ووقوع الانس بها [illegible] السماع [illegible]
[illegible] ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
[illegible] وان لم يحرقك [illegible] يعبق [illegible]
[illegible] على القلب وهو لا يشعر به [illegible] الجليس الصالح مثل صاحب المسك [illegible]
[illegible] عالم [illegible] عليه حكاية [illegible]
[illegible] على [illegible] عن قلوبهم [illegible] الانكار عليه [illegible]
[illegible] تلك المعصية [illegible] فيه [illegible] ذلك [illegible] الانكار [illegible]
[illegible] العلماء والعباد [illegible] عليه عالم [illegible]
[illegible] على الدنيا [illegible] على جمعها [illegible] على حب الرياسة [illegible]
[illegible] الصحابة رضي الله عنهم [illegible] عن حب الرياسة وربما [illegible] عليه تعالى [illegible]
[illegible] بان ذلك [illegible] الرياسة [illegible] الاعتقاد [illegible]
[illegible] الرياسة والطبع [illegible] الى اتباع الشهوات [illegible] عن الحسنات [illegible] الى [illegible]
[illegible] الشيطاني [illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible] الذين يستمعون القول [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
[illegible] الحكمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بالنفس [illegible] الا [illegible]
على الدنيا وغفلة [illegible] عن الآخرة [illegible] في الطاعة فان [illegible]
[illegible] ولا تفارقهم [illegible] ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل [illegible]
ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من جليس السوء [illegible]
[illegible] الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليهم [illegible]
[illegible] وان يحكم مطلقا على العزلة او الخلطة بان احديهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول [illegible]
[illegible] ولا حق في المفصل الا التفصيل **الغاية الثالثة** الخلاص من الفتن و[illegible]
وصيانة النفس والدين عن الخوض فيه والتعرض لاخطارها وقل ما يخلو البلاد عن [illegible]
[illegible] قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم الفتن
ووصفها وقال اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت فما تأمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة
ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم
غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه
وآله وسلم قال ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن
شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله
فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك
الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي
قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده موارد الهلكة
وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهوم منه اذ لا يستغني [illegible] عن المعيشة [illegible]
[illegible] المعصية [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
[illegible] الزمان [illegible]
[illegible] يا رسول الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

[illegible]

الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة [illegible]

[illegible]

الثقل على من يرى الآخر [illegible] وان كانت متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق
ايضا بالدين فان الانسان مهما تاذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله فاذا تاذى
من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غيره لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة
سلامة عن جميع ذلك فليفهم آفات العزلة اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما
يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من
آفات العزلة فانظر الى فوايد المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب
والتادب والاستيناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة
التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوايد المخالطة وهي سبعة الفايدة الاولى
التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة
الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص
بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان
يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم
اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكرة في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات
باوراد يستوعبها ولا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب بسببه سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري
ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في
اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو الاصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال
اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال المريض يحتاج الى طبيب متلطف
يعالجها فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا
بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب
والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة
دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فايدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ
او لجدال معقد يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب
علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل به الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال
فهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكباير الاعتزال عنه
وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان
بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله فانظر
الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا متكالبين عليها او راغبين عنها وزاهدين فيها
وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن
ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله تعالى فان لم
يؤثر في الحال اثر في المآل واما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب
منه والخلاف فهو لا يرد الراغب فيه للدنيا الى الله تعالى بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه في

الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله
والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام
ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد حالا من الجاهل المغرور
او المتجاهل المتغافل وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس
في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك حكي
عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني اشتهي ان احدث
فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من الدنيا واذا قال الرجل حدثنا
فانما يقول اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيما
ذا رغبت قالت في الحديث ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن الى
الدنيا هذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار بالاصحاب ما امكن بل الذي
يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يتركه فلقد صدق ابو سليمان الخطابي
حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك
تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة
ولا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل المال والجاه وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان
قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك
ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم
وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة
مروءة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم
ومنة ثقيلة ممن يتردد اليه فكانه يهدي تحفة اليه ويرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على
الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل و
الشدايد مقاساة المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه
ويتذلل له الى ان يسلم اليه ما يقدر عليه بسبب مسامحته من عزمه عليهم ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم
مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مقادير الفضل والقيام في مقادير الحقوق
بالعدل وان فاوت بينهم سلقته السفهاء بالسنة حداد وثاروا اليه ثوران الاساود والاسد فلا يزال في مقاساتهم
في الدنيا وفي مطالبة ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالاباطيل ويدلي بحبل الغرور
ويقول لم لا افتر عن صنعتي فانما انا بما اشتغل به مربي دين الله ومحيي شرع رسول الله وناشر علم دين الله وقائم
بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم
فيهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة مثل
اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحرام والحلال فتلحظهم اعين الجهال ويستجرئون على
المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسدت الملوك الا بفساد
العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء الفايدة الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع

بالكسب والمكتسب وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة [illegible] المحتاج اليه مضطر الى ذلك [illegible] المخالطة التي تطلب موافقة الشرع فيها ذكرناه في كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس افضل من العزلة للاشتغال بالتحقيق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد لذكر الله اعني من حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة الفائدة الثالثة التأديب والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي افضل من العزلة في حق من لم تتهذب اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم الى الله تعالى وكان هذا هو المبدأ في الاعصار الخالية والآن قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير والاستتباع والتوصل الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهو خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهرها الطريق والبدن مطية القلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها ورمحها ورفسها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة [illegible] الشهوات في الحال حاصل بالنوم والموت ولا ينبغي ان يقنع بها كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا راهب انما انا كلب عقور حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه [illegible] ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان له ان العزلة اعون له من المخالطة [illegible] واما التأديب [illegible] فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم [illegible] الفائدة الرابعة [illegible] الاستئناس والايناس [illegible]

[illegible] وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة [illegible] فان هذا الدين متين والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لما جالست الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها فلا يستغني المعتزل اذن عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس [illegible] باصلاح نفسه فلا تنقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا الترويح للنفس والاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص [illegible] الفائدة الخامسة في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين واما حضور الجمعة فلابد منها وحضور الجماعة في سائر الصلوات ايضا لا رخصة في تركه الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاك والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او ليعزوه في المصائب او يهنئوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو السبب فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف [illegible] الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز [illegible] الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم [illegible] الى قلل الجبال تفرغا للعبادة [illegible] الفائدة السادسة [illegible] التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة [illegible] في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء [illegible] في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة [illegible] الى نبيه [illegible] ان [illegible] الارض [illegible] وخالط [illegible] فاوحى الله تعالى الى نبيه [illegible]

والحيف فيه وتقبيلهم يديه على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة لزيارة الناس لبغض
اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم
انه قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس
سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة
بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا تنقص عن منصب من هو متكبر بعلمه او دينه اذ
كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه وبيده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله
وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود كانوا يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على اكتافهم وكان ابو هريرة يقول وهو والي
المدينة والحطب على راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين عليه السلام يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول صاحبه
اعطني احمله فيقول صاحب الشيء احق بحمله وكان الحسن بن علي يمر بالسوال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا
ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق وياكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني ان الذي
شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون
عنه من الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط
الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تنال فرضا الله اولى بالطلب ولذلك قال
الشافعي رضي الله عنه ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر
ما يصلحك فافعله ولذلك قيل من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال
اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة هذا الامر حتى
يكون باحد وصفين عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر على ان يضره ولا ينفعه و
عبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه وقال الشافعي رضي الله عنه ليس من احد الا وله محب ومبغض
فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله تعالى وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع
سقطات كلامك وتعنتك في السوال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة
الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم
يسلم منهم وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم اصطنعه لنفسي فكيف افعله بك
واوحى الله تعالى الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك من المتواضعين فاذن
من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس واقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر
لو كانوا يعلمون فلا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس
لضاعت اوقاته او كثرت آفاته وتشوشت عليه عبادته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان يتقى فانها مهلكات
في صورة منجيات **الفائدة السابعة** التجارب فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري احوالهم والعقل
الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب
فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه
ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال ولا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه
وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلا

بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد
عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يحرك
او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر
بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد وفار فوران الشيء
المختنق اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق الذميمة
انما يتفجر منه خبائثه اذا حرك ومن هنا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون
انفسهم فمن كان يستشعر من نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد
في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن بعضهم انه
قال اعدت صلوة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا
في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت
بالصف الاول فعلمت ان جميع صلواتي كانت مشوبة بالرياء وممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة
السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق
لانه نوع من المخالطة دائمة وستاتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير
وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا
للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فان ذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على
العابد حتى قال صلى الله عليه واله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من الصحابة فمعنى تفضيل
العلم يرجع الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فائدته والعمل لا يتعدى والثالث
ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق
الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين
والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا
العلم والعمل كالحمال الرافع الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام
فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطا
بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته
من الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي هو فصل
الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين
المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد
والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصريح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد
عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم
يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على
ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق عنه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن
الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب آخر وذلك حق بالاضافة

الى حالته وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد سئل عن الفقير فقال
بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقير وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل ولا يعارض وان عورض سكت
وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك فلا يكون لك
من حيث لم يكن وقال ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة
لسمع منهم مائة جواب مختلفة قل ما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما
غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي
انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا
بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء
ما رأيت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكى عن آخر انه نصف
قدم واخذ يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام وحكى عن آخر انه خمسة اقدام واخذ يرد عليه فهذا مثال اجوبة
الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله واخطأ في تخطئة
صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم
بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة في
بعضها ... ويقول في بعضها لا يبقى وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة
فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما آدابه في العزلة فنقول انما يطول النظر في آداب المخالطة
وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شره عن
الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا
ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله تعالى رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر
والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش اكثر وقته وليكف عن السؤال عن
اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في
اثناء الصلاة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت
وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله
والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج
الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه
بالعزلة وقدح فيه بترك المخالطة فان كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد وان
يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد او ذكر مع حضور قلب واما بالفكر في
جلال الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سماواته واما بالتأمل في دقائق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب
طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد
ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه في اليوم ساعة عن
كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس
فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح

عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة
القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة
الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل
يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله عليه كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله تعالى في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه
الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما
قال الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والله اعلم بالصواب تم كتاب العزلة ويتلوه
كتاب آداب السفر ان شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وعترته اجمعين

كتاب آداب السفر من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة
عجائب صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر وصرفوا قلوبهم عن الالتفات الى متنزهات البصر
الا على سبيل الاعتبار بما يسنح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو
والحضر والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله واصحابه المقتفين لآثاره في الاخلاق والسير وسلم كثيرا
اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب والوصول الى مطلوب والسفر سفران سفر بظاهر
البدن عن المستقر والوطن الى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى
ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على
ما تلقفه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها
السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام الا
ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير و
الدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن
الطائفين منتزهات الانفس والملكوت والآفاق واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار
بقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن
بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل
تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة
الا اذا بدا للسالك فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ
الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف

مشرعات هذا المسلك لا حاجة له الى ظاهر بدنه في سيره لم يبرح عن وطنه معوق ... بتجارة الدنيا او لتجارة الآخرة فان كان لطلب العلم والدين او الكفاية والاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشياطين وان واظب عليها لم يخل عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيها فوائد ولها آفات كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذية في بلدة فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة او زيارة والعبادة هي الحج والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام

القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سمعوه وقلما يذكر احد في العلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا هذا الا وقد سافر في طلب العلم واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لم يطلع على اسرار باطنه وخبائث صفاته لم يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن اخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء في السموات والارض وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر

يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا ساح طاب واذا طال مقامه في موضع تغير وبالجملة فان النفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا يظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما آيات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شيء منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ويسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن آيات ربهم لمحجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشارك الانسان فيه سائر الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي تسبيحها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان صلى الله عليه وآله وسلم مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجماد لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات كالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين الى الله تعالى والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به السير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن والقصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذا الطريق ولكن السائرين بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم ... الملك ... الذي ... والعاجز ... وطلاب الغيب ... المغبون ... والله ...

الجبان يجبن كما العجوز باسم الحزم والعجوز يرى الجبان ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم فهذا حكم [illegible] بالحق وبطاعة الله [illegible] فليرجع الى المرشد الاولى كما [illegible]

القسم الثاني ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات والفائدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه ايضا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التوراة سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاث وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل عظيم خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله ذلك

القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن الانبياء والمرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله تعالى فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة مديدة ثم ربما يمده الله تعالى بمعونته فينعم عليه بما يقوي به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء فرب رجل قوي ذي مرة سوية شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد

كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم فيها فقلت وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقم فيها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم ببلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسياتي اسرار الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى

القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او المال كغلاء السعر او ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى عنها الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت بالنار وخوفت واطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه ولا تترك الصلوة عمدا فانه من ترك الصلوة عمدا فقد برئت منه ذمة الله واياك والخمر فانها مفتاح كل شر واياك والمعصية فانها تسخط الله ولا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم بالله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نية الآخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور واما المباح فمرجعه الى النية فمهما كان قصده بطلب المال التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الاهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الآخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من اعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الاعمال بالنيات في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها من المحظورات وقد قال بعض السلف ان الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة [illegible] وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فذلك يضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او

مخالطة وقد ذكرنا ما يتأكد في كتاب العزلة فليفهم منها فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة
وتفرقة الهم وتشتيت القلب في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا
تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم
يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم
في الانتهاء واما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا في حق الاقوياء فان المسافر وماله لعلى قلت
الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول الهم تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته
وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة
يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب
علم او مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح
له طريق الفكر والعمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار
ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين
قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات
المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وادیانهم من حيث
لم يكن قصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع
فلم يكن في الخانقاهات حكم نافذ ولا تاديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم فلبسوا المرقعات واتخذوا في الخانقاهات
متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من اهل الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم
وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون انهم يحسنون صنعا ويعتقدون
ان كل سوداء تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء
الله فان الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في غير
رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والامور الدينية كلها قد
فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم
سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله
تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفار هؤلاء
نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب للنفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة
فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس
المتحركين لها ايضا خسيسة ولا بأس بتنعمهم بالحظوظ الخسيسة التي تليق بهم فالمتحرك لها خسيس وهو مباح في
نفسه فالمباح في حقه ما هو مباح له ولا يحجر عليهم في الصلاح فان المطلوب ان لا يؤذوا المسلمين ولا يلبسوا على عموم الناس
امر دينهم فليس ذلك من حقه نعم قد يتعذر الاتيان بما يسد الخلة مع البطالة وانما المحظور في سؤالهم على الناس
انهم يلبسوا على الخلق حالهم وانما يعطيهم الناس ما يعطونه لظنهم انهم صوفية وليسوا كذلك فاكل اموال الناس بالاوقاف التي وقفت
على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخرى وراء الصلاح ومن اقل احوال هؤلاء
اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفية فاسق لتصور صوفي

كاف

ع

كافر فقيه يهودي وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه
على القدر الذي يحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب
الى الله تعالى حرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم لما اعطاهم
واخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل الدعوى ومن زعم انه علوي وهو كاذب واعطاه مسلم ما لاجل حبه اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو علم انه كاذب لم يعطه فاخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان
المبالغ في الاحتياط في دينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب في مواساته لفتر عن رغبته في
المواساة فلاجلهم كانوا لا يشترون باسمهم مخافة ان يسامحوا لاجل دينهم فيكونوا آكلين بالدين وكانوا يوكلون من
يشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشتري نعم انما يحل الاخذ بما يعطى لاجل الدين اذا كان الاخذ بحيث لو علم
المعطي من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا في رأيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه ان ذلك متعذر او
عزيز والمغرور الجاهل بنفسه احرى بان يكون جاهلا بامر دينه فان اقرب الاشياء اليه قلبه فاذا التبس عليه
امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه ليأمن من هذه
الغائلة او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشفت له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فان اضطر
طالب الحلال ومريد طريق الآخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل ان كنت تعطيني لما تعتقد في من الدين
فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم تر في بعين التوقير بل اعتقدت اني شر الخلق او من شرهم فان اعطاه مع
ذلك فليأخذه فانه ربما يرتضي منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما ياخذه
ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو انه قد يقول ذلك مظهرا انه متقشف بالصالحين في ذمهم
نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء فيكون صورة الكلام صورة التوبيخ والازدراء
وباطنه وروحه المدح والاطراء فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس هو
المحمود واما الذم في الملأ فهو عين الرياء الا اذا اورده ايرادا يحصل به علم للمستمع يقينا بانه مقترف للذنوب
معترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الاحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله
تعالى يعلم ان مخادعته الله او مخادعته لنفسه محال فلا يتيسر عليه الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول
في اقسام السفر ومنه الظاهر وفضيلته فلنرجع الى الباب الثاني في آداب المسافر من اول نهوضه
الى آخر رجوعه وهي احدى عشرة آدابا الاول ان يبدأ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة
لمن تلزمه نفقته ورد الودائع ان كانت عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على
رفقائه قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في السفر ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام
واظهار مكارم الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن كان في السفر الذي هو مظنة الضجر حسن الخلق في
الحضر من لا يصلح للصحبة ... وانما يقع في السفر كثيرا في صحبة
والسخي من اسباب الضجر ومن حسن خلقه في الضجر ... والكف عن الاذى والصبر على ما يعرض من
باطنه سوء الخلق وقد قيل ... على الضجر ... وعلامة حسن الخلق
المكاري ومساعدة الرفقة ... بكل ممكن ...

في السفر صح

لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاحمة ومطايبة في بعض الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء
لضجر السفر ومشاقه الثاني ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه
على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه
وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم ان يسافر الرجل وحده وقال الثلثة نفر وقال اذا كنتم ثلثة في سفر فامروا احدكم
وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا اميرنا امره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب
واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح
السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا مع الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا
ان مواطن الاقامة لا تخلو عن امير عام كامير البلد وعن امير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا
بالتامير فلهذا وجب التامير ليجمع شتات الآراء المروزي اذ صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون انت
الامير ام انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت السماء ليلة فقام عبد الله طول
الليل على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع المطر عنه فكلما قال له ابو علي لا تفعل يقول الم تقل ان الامارة مسلمة لي
فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير
قال صلى الله عليه وآله وسلم خير الصحابة اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد وان يكون لفائدة
والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلثة
لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق القلب لفقد انس الرفيق
ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحدا فلا يخلو عن الخطر ولا عن ضيق القلب فاذا دون الاربعة
لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة بعد
الحاجة ومن يستغنى عنه لا يصرف الهمة اليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة الامن من المخاوف
ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا
يخالط الى آخر الطريق للاستغناء عنه الثالث ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند
الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت
ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول قال لقمان ان الله تعالى اذا استودع
شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى و
غفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه
فقال الا اعلمك يا ابن اخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الوداع فقلت بلى فقال
قل استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه وعن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال اني اريد
سفرا فاوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت او
اينما كنت شك فيه الراوي وينبغي اذا استودع الله ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي ان عمر

كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك
عنه يا امير المؤمنين بامر اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحال فقلت استودع
الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار
فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت لصوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا
فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال عمر رضي الله
عنه لهو اشبه بك من الغراب بالغراب الرابع ان يصلي قبل السفر صلوة الاستخارة كما وصفناها في كتاب
الصلوة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني
نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى اي الثلثة ادفعها الى ابني ام اخي ام ابي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما استخلف
عبد في اهله من خليفة احب الى الله من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة
الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهي خليفته في اهله وماله
ودور حول داره حتى يرجع الى اهله الخامس اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول
ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اذل او اذل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت
وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم
وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما
توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى
ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادس ان يرحل عن المنزل بكرة روى جابر ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك بكرة وقال اللهم بارك لامتي في بكورها ويستحب ان
يبتدئ بالخروج يوم الخميس فقد روى ابن كعب بن مالك عن ابيه قال قلما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الى سفر الا يوم الخميس وروى انس انه قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا بعث سرية بعثها اول النهار وروى
ابو هريرة انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم خميسها وقال ابن عباس اذا كانت لك الى
رجل حاجة فاطلبها نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم
بارك لامتي في بكورها ولا ينبغي ان يسافر يوم الجمعة بعد طلوع الفجر
ليكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب اليها فكان اوله من اسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكتنفه على رحله غدوة او روحة احب الي من الدنيا وما فيها
السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون اكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم
بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع
وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب
البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر
شرارهم فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا

فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض في وقت السير ينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت **الثامن** ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض ان لا يستثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري ويكون ما يفوته من الصلوة افضل مما يطلبه بالسفر والمستحب بالليل ان يتناوب الرفقاء في الحراسة فاذا نام واحد حرس آخر فهو السنة ومهما قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين **التاسع** ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها في وجهها فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى البهيمة بضرب او حملها ما لا تطيق طولب به في القيامة اذ في كل كبد حرى اجر وقال ابو الدرداء لبعير له عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان احداهما ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الاعصاب بطول الركوب وينبغي ان يقرر مع المكاري ما يحمله عليها شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثير بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري فلا ينبغي ان يحمل فوق المشروط وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقال رجل لابن المبارك وهو على دابة احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استأذن المكاري فاني لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع **العاشر** ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سافر حمل معه خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط وفي رواية اخرى عنه ستة اشياء المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت ام سعد الانصارية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة وقال صهيب قال صلعم] عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي انه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه كان يكتحل في اليمنى

تنشيف وتعدون من بدع الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زادوا على هذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء وكان الاولون يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحب وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يدع طريق الرخصة في الطهارات فيما يشبهه بل يشتغل بعمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه اربعة في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا **الحادي عشر في آداب الرجوع من السفر** كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينة فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وآله وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته واقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهو سنة وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة **واما الآداب الباطنة** ففي الفصل الاول بيان جملة منه وجملتها ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وهو في دخول بلد ان ينوي ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ويظهر انه لقي الشيوخ ولا يقيم ببلد اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل البلد لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته لا يدق عليه بابه ولا يستأذن الى ان يخرج فاذا خرج تقدم اليه بالادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فان سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأل عن مسألة ما لم يستأذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلاد واسخيائها ولا اصدقائها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع الى ما كان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان

عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول ولم يرجع اذ لو كان بحق الطهر لاثر وقال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا
فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والافمن
الدين لا ينال الا بالغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من
اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود
لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا
باس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة فان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا خراج
فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا وعشرا ويقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع
ولا القدرة على الاجتزا بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع فخروجه من غير زاد معصية فانه القى
نفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر سياتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان
كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو وترك الماء من البير ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر حتى يصب
الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل فهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المشروب والمطعوم
بحيث لا ينتظر له وجودا اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين
من علماء الدين واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلوته وعباداته فلا بد ان
يتزود منها لان السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر
وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد يكتفي بغيره
من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذن ما يفتقر الى تعلمه
ينقسم الى قسمين

القسم الثاني

العلم برخص السفر والسفر في الطهارة يفيد رخصتين احدهما
مسح الخفين والاخرى التيمم وفي صلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين على الراحلة واداؤه
ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع رخص

الرخصة الاولى

المسح على الخفين قال صفوان
ابن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن
فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان
كان مسافرا او يوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شرايط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى
وادخلها الخف ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز المسح عند الشافعي حتى ينزع فرد اليمنى ويعيد لبسها الثاني
ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد فيه [illegible]
لان فيه [illegible] فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف الثالث ان لا يكون
في موضع الفرض خرق فان تخرق بحيث ينكشف محل الفرض لم يجز [illegible]
[illegible] الوقت [illegible]
[illegible] كذا المشقوق [illegible]
[illegible] الى [illegible] اللفافتين كيف كان فاما اذا [illegible] طهر القدم
ستر الباقي بالخف لم يجز المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى له استيناف الوضوء وان

اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل الفرض في الغسل لا على الساق واقله ما
ينطلق عليه اسم المسح على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلثة اصابع خرج من شبهة الخلاف والاكمل ان يمسح اعلاه واسفله
دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤس
اصابع اليمنى من يده على رؤس اصابع اليمنى من رجله ويمسحه بان يجره الى جهة نفسه ويضع رؤس الاصابع من يده
اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمده الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة
فليقتصر على يوم وليلة وعدة الايام الثلثة محسوبة من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر
ومسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى
الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد
لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم
خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلثة ايام لان العادة قد يقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث
فان مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس خف في حضر او سفر ان ينكس الخف
وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

الرخصة الثانية

التيمم والتراب بدل عن الماء
عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث
وهو البعيد الذي لا يعتاد اهل المنزل في ترددهم التردد اليه لقضاء الحاجة وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع
فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله
التيمم وكذا ان احتاج اليه للعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او بغير ثمن ولو
كان يحتاج اليه للعقد حتى يطبخ به مرقة او احتاج اليه ليجمع به الكعك او يطبخ به اللحم لم يجز التيمم بل عليه ان
يجتزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان وهب ثمنه لم يجب قبوله لما
فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشرى وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما
يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بان يتردد حوالي المنزل والتردد على الرحل وطلب البقايا
من الاواني والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان
علم انه يجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به [illegible] الوقت رحمه
الله تيمم ابن عمر رضي الله عنه فقيل له اتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد
الماء بعد الشروع في الصلوة لم تبطل صلوته ولم يلزمه الطلب فاذا اراد التيمم فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار
فيضرب بكفيه عليه بعد ضم الاصابع ضربة فيمسح بها جميع وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم ويفرج بين الاصابع
فيمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف
ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة فله ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم فان اراد الجمع
بين صلوتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة الثانية فلا يصلي فريضتين الا بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم لصلوة قبل
دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض

طهارة فليستعملها ثم ليتيمم بعده تيمما تاما الرخصة الثالثة في صلوة الرباعية القصر وليس ان يقصر في كل يوم واحد من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن يشترط لمثله الاول ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام الثاني ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فان اقتدى لزمه الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه مسافر لان شعار المسافرين لا يخفى فليكن متحققا عند النية ولان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته و السفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خراب البلد وبساتينها التي يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شيء نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك وطنه فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج مرة واما نهاية السفر فبأحد امور ثلثة الاول الوصول الى العمران [illegible] الثاني [illegible] الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع ثلثة ايام وهو ينوي يوم الخروج لم يكن له الترخص بعد وان لم يعزم على الاقامة وكان لشغل فهو يتوقع كل يوم تنجزه لكنه يتعوق ويتأخر فله ان يترخص وان طالت المدة على اظهر القولين لانه متردد غير مطمئن وسافر عن الوطن بصورته وانما الاقامة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان يطول المدة او يقصر ولا بين ان يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه مثله اياما او لغيره اذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى السفر واما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال وكل ميل اربعة آلاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ولا يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق او قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان ظالم او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الا لغرض والغرض هو الباعث فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسحة والتنزه في البلاد فهو غرض صحيح فلا يحرم عليه الرخص وكل ما يمنع الشرع منه فلا يجوز الاعانة عليه وان كان باعثه من الاغراض المباحة [illegible] ولم يكن الباعث المحظور ولكون المباح مستقلا بتحريكه لا يمنع الترخص الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما [illegible] في السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم ولا

يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم بصلوة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية في الشرع وانما الجمع [illegible] في العصر فيكفي النية فيه ولو اخر الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلوتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلوتين اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل الظهر والاربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر ثم سنة العصر [illegible] الظهر ركعتان الثالثة مما بعد الفرض ولا ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداءها على الراحلة كيلا يتعوق بسببه عن الرفقة فلو اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه ولا يكره ما له سبب في هذا الوقت وكذا الحكم في المغرب والعشاء والوتر واذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفريضتين يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع العصر جمعا فنية الجمع لا تترك انما يخلو من هذه النية اما بنية الترك او بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته اما لنوم او لشغل فله ان يؤدي مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن الصلوة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين صلوتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتجه ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر اذا جمع وعذر المطر مجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات حتى لو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر في آخر الوقت في الحضر فعليه اداء العصر وان كان بعد بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت الظهر الرخصة الخامسة في التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على راحلته اينما توجهت به دابته واوتر صلى الله عليه وآله وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود الا الايماء وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض للخطر بسبب الدابة فان كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلوة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلوته اما مستقبلا للقبلة او متوجها الى صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق عمدا بطلت صلوته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل وان طال ففيه خلاف [illegible]

الرخصة السادسة

[illegible] الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في السفر ويومي بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد لان ذلك صح

يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلوة مستقبلا للقبلة لان الانحراف صح في لحظة لا عسر فيه بخلاف الراكب فان في تحريف الدابة وان كان العنان بيده نوع عسر وربما يكثر الصلوات فيطول عليه ذلك ولا ينبغي ان يمشي صح في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلوته بخلاف الراكب [illegible]

بالقوانين التي [illegible] تعيين القبلة [illegible] والاصطرلاب [illegible]
[illegible] بين [illegible] وهو [illegible] في [illegible]
[illegible] اذا اصبح [illegible] اليوم [illegible] الاعمى [illegible]
[illegible] على عزم الصوم [illegible]
[illegible] عن [illegible] الشك [illegible]
[illegible] فالافطار افضل [illegible]
[illegible] ثلثة ايام [illegible] بالسفر [illegible]
[illegible] الصلوة بالتيمم واما الصلوة [illegible] خلاف [illegible]
[illegible] الجمع بين الصلوتين [illegible] خلاف [illegible] واما [illegible] الفرض [illegible]
[illegible] الصلوة [illegible] التيمم [illegible]
[illegible] فان قلت [illegible] المريض هل يجب على [illegible]
[illegible] والقصر والجمع والفطر [illegible]
[illegible] واما [illegible] التيمم [illegible]
[illegible] عالم [illegible] على [illegible] عند الحاجة [illegible]
[illegible] عدم [illegible] التيمم [illegible] الصلوة [illegible]
[illegible] يجب [illegible]
[illegible] واجب [illegible]
[illegible] على وقت الوجوب [illegible]
[illegible] السفر [illegible] التيمم [illegible]
[illegible] العقد الذي [illegible]
لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت ان لم يتعلم كيفية [illegible] الى [illegible]
فاسق وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا قلنا [illegible] من الواجب [illegible]
مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير تمام شروط الصلوة [illegible]
[illegible] حنيفة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] القبلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ذلك

من تقليد [illegible] فانه [illegible] الوقت على حسب [illegible] عليه القضا سواء اصاب او اخطأ والاعمى ليس له الا
التقليد [illegible] القبلة وان كانت القبلة ظاهرة [illegible]
[illegible] القبلة [illegible]
[illegible] الشرع [illegible]
[illegible] فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز اعتماد فتوى الفاسق في العبادة
[illegible] الفتوى كما في الرواية [illegible] مستور الحال [illegible]
[illegible] في البلاد [illegible] المفتين [illegible]
[illegible] مركب ذهب فقد ظهر فسقه [illegible]
كذلك [illegible]
من [illegible] فيمتنع من قبول الفتوى [illegible]
الصلوات الخمس [illegible] ووقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل [illegible]
في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال [illegible] الى الغروب [illegible]
[illegible] ويعلم على راس الظل ثم ينظر بعد ساعة فان [illegible]
[illegible] البلد [illegible] المؤذن [illegible]
[illegible] الزيادة [illegible]
كل شخص [illegible] اقدام [illegible] بالتقريب [illegible]
[illegible]
[illegible] موضع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال [illegible]
[illegible] الوقت بالشمس [illegible]
ووقت المغرب يدخل بالغروب ولكن قد [illegible] الجبال [illegible] فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق [illegible]
[illegible] من الارض [illegible] المغرب واما العشاء [illegible]
[illegible] بظهور الكواكب [illegible] واما الصبح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الصبح [illegible]
[illegible]
الكاذب [illegible] الصبح الصادق [illegible]

يكون فيه الخوض وقت الصبح الصادق والكاذب وهو مبدأ ظهور البياض والشك يقع قبل انتشار الضوء فمن
وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى ينقضي وقت
الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مريد أن يقدر على التحقيق وكان يشرب فيه سحورا ويقوم عقيبه ويصلي
الصبح متصلا به فليس في قوة البشر ذلك أصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد إلا على
العيان ولا اعتماد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرا في العرض حتى يبدو مبادي الصفرة وقد غلط
في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه عن طلق بن علي
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم
الأحمر وهذا صريح في رعاية الحمرة وقال وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذر وسمرة وهو حديث حسن
غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين
أي مستطيلا فإذن لا ينبغي أن يعول إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادي الحمرة وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة
الأوقات لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول أو قبل النوم حتى يستريح فإن لم يعرف
على مجرد التقليد فإلى أن يتيقن يفوته فضيلة أول الوقت ويحتمل أن يتفق له التأخير فكذلك قاصد النوم
أن يتهيأ له علم الأوقات فإن المشكل أوائل الأوقات لا أواسطها. تم كتاب آداب السفر ويتلوه
كتاب السماع والوجد والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وعترته أجمعين

كتاب آداب السماع والوجد من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته واسترق هممهم
وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى أصبحوا
من تنسم روح الوصال سكرى وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين
شيئا سواه ولم يذكروا في الدارين إلا إياه إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصور بصائرهم وإن قرعت
أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو
مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا
إلى ما لديه ولا انبعاثهم إلا له ولا ترددهم إلا حواليه فمنه سماعهم وإليه استماعهم وقد أقفل عن غيره أبصارهم
وأسماعهم أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته والصلاة على محمد المبعوث
برسالته وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته وسلم كثيرا أما بعد فإن القلوب والسرائر خزائن
الأسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر وأخفيت كما أخفي الماء
تحت التراب والمدر ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع
فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك
إلا ما يحويه كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع

إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها
مكامنها وكشفت بها عن مساويها ومحاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من
الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء في أنهما من المحظورات أو المباحات ونحن نوضح ذلك
في بابين الباب الأول في إباحة السماع الباب الثاني في آداب السماع وآثاره
في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويثمر السماع حالة
في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة
فتسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع فهو الأول وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب ثم نذكر الدليل
على إباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فقد حكى القاضي
أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا
وقد قال الشافعي في كتاب أدب القضاء إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد
شهادته وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي بحال سواء
كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال الشافعي صاحب الجارية إذا جمع الناس
لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقد حكي عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة
ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره بشيء من الملاهي ولا أحب
اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة وأما مالك فقد نهى
عن الغناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن
سعد وحده وأما أبو حنيفة فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة
سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم وهذا كله نقله أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المكي إباحة
السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم
وقال قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون
السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله تعالى فيها عباده بذكره كأيام التشريق
ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار
يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان تلحنان وكان إخوانه يستمعون إليهما
قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون فقال
كيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في
السماع وروي عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة حسن الوجه مع
الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحارث
المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع
في الدين وتشميره وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن

إلى داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن أبي داود في أن
يستمع فقال ابن أبي داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب
أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدي أحمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان
يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن أبي داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك
أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن أبي داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم
عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور يحرم عليه قال أنا لم أقو
لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند
السماع وصنف فيه كتابا يرد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه ويحكى عن
بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه
أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء ويحكى عن ممشاد الدينوري أنه قال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال
ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختتمون بعده بالقرآن ويحكى عن طاهر بن بلال الهمداني
الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا
ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه
وآله وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا
من القول والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما
كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستمع وأبو بكر
يقول فالتفت إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيد
تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم
يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج
أنه كان يرخص في السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا
في السيئات لأنه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في
التقليد مهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور
بل ينبغي أن تطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره

بيان الدليل على إباحة السماع

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف
بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على المنصوص وأعني بالنص ما أظهره
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله أو فعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص
ولم يستقم فيه قياس بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص
ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا
في إثبات الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على إباحته أما القياس فهو أن الغناء
اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن آحادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى

محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار
وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي
أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص
به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة النظر في
المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما
يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة وللذوق
الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين
والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة
فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها
فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها فأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن
امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث ما بعث
الله نبيا إلا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وآله وسلم لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة
إلى قينته وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي
تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة
وما يقرب منه في الأوقات وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مدح أبي موسى لقد أعطي مزمارا من مزامير آل
داود وقول الله تعالى إن أنكر الأصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال
إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم صوت العندليب لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع
صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر
في الصوت من حيث إنه طيب حسن الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء
الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب فالأصوات الموزونة باعتبار
مخارجها ثلاثة فإنها إما أن يكون خارجة من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيرها
وإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كالعنادل والقماري وذوات السجع من
الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات
وإنما وضعت المزامير على صور الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم
إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح
ذلك يطول فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب
وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة
من سائر الأجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى إلا
الملاهي والأوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان
لكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان
فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة

الخلوة بالاجنبية لانها مقدمة الجماع وتحريم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوأتين وتحريم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى
السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا
مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر
لثلث علل احديها انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر
الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب وهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث
الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهي عن الانتباذ في المزفت والحنتم والنقير وهي الاواني التي
كانت مخصوصة بها فمعنى هذا ان مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار
لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق
الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه الثالثة الاجتماع عليها
لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة
مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي طبل مستطيل دقيق
الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه
العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا آلات الشرب واقداحها وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا
ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم
حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لان فيه تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر
على الراس قزعا في بلاد صار القباء من لباس اهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك
فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في
معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب
موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه
بارباعها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها
على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات
كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فهذه الاصوات لا تحرم
من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سياتي في العوارض المحرمة المقام الثالث
الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه
مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الآحاد فمن اين يحرم المجموع
نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالحان او لم
يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد
الشعر بغير صوت والحان جاز انشاده مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا
ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف
ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان
من الشعر لحكمة وانشدت عائشة رضي الله عنها شعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وعك
ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك
ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شراك
نعله وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى رفع عقيرته وقال الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل قالت عائشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وكان صلى الله عليه وآله وسلم ينقل
اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر وقال ايضا اللهم
ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة والبيتان في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او ينافح ويقول رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ولما انشد النابغة شعرا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يفضض الله فاك وقالت
عائشة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد
عن ابيه قال استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه
ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدى له في السفر وان
انجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك يحدو بالرجال فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا انجشة رويدك سوقك
بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هي الا
اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسونه تارة
لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة
والحان موزونة المقام الرابع النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول
لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما
يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها
باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه
الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في
الصبي وهو في مهده فقد يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل
مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات
الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء تحت
المحامل اذا سمعت منادي الحداء تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع
عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف نفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود
الدينوري المعروف بالرقي قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني
خباءه فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل
ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في الى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد

... النغمات

مطلب غريبة

فقال الغلام إن لي صوتاً طيباً وكنت أحدو على ظهور هذه الجمال فحملتها أحمالاً ثقيلة حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة لطيب نغمتي فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي فما أظن أني سمعت قط صوتاً أطيب منه فإذن تأثير السماع في القلوب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحة وتحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع الأول غناء الحجيج فإنهم أولاً يدورون في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلاً وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محموداً كان التشويق إليه بكل ما يشوق محموداً وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه تشويقه إلى الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذا إذا كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضاً مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم لأن استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار المشجعة مثل قول المتنبي شعر فإن لا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاسي الذل غير مكرم وقوله أيضاً يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم وأمثال ذلك وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الغزو الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة

وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المحظور محظور وهذا منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما ولذلك نقول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف ضراوة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع الرابع أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان محمود ومذموم فأما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموماً كان تحريكه بالنياحة مذموماً ولذلك ورد النهي الصريح في النياحة وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه وذلك محمود لأن المفضي إلى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه الخامس السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهييجاً له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعر طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع فهذا إظهار السرور لقدومه صلى الله عليه وآله وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضاً محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا في سرور أصابهم كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو وروى مسلم والبخاري في صحيحيهما حديث عقبة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وآله وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وقالت عائشة رضي الله عنها رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو إشارة إلى طول مدة وقوفها وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي

فيحق كون الرأي الذي يحرك ... وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان لي صواحب يأتينني فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسربهن إلي فيلعبن معي وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها يوما ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أوما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة فضحك حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات أن الفرس كان من رقاع وقالت عائشة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإما قال تشتهين تنظرين قلت نعم فأقامني وراءه خدي على خده ويقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على أنواع من الرخص الأول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وآله وسلم دونكم يا بني أرفدة وهو أمر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لأبي بكر وعمر عن الإنكار والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد أي هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور والخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه والسادس قوله صلى الله عليه وآله وسلم ابتداء لعائشة أتشتهين أن تنظري ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه والسابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزامير الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السماع السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فإن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإ

طناب

في وصف حسن المحبوب وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته فيصغي إلى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وهذا منه وكذلك إن غضبت منه جاريته أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة الرجاء في الوصال فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع السابع سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذ من الوجود والمصادفة أي صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب إن محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها فيقال إن فلانا حسن وجميل ولا يراد صورته وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق

محمود

محمود الصفات بحسن السيرة حتى يحب الرجال لمحض الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد يتأكد هذا الحب فيسمى عشقا وكم من غلاة في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة حتى يبذلون أموالهم في نصرتهم ويخاطرون بأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم يشاهد قط صورته أجميل أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لأهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل لا خير ولا حسن ولا جمال في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الإنباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور لشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نور لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادي أنوار تجليه دكا دكا فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسيأتي تحقيق هذه الإشارات في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود إلا الله وأفعاله تحقيقا ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله وفعله وبدائع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه ومن حد هذا العشق أن لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواه يتصور له نظير إما في الوجود أو في الإمكان فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الإمكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والأنس بل يجنب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان ويخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لأمثال هذه الدقيقة في مثل هذه الألفاظ بل لا يبعد أن يحصل من مجرد سماع صفات الله تعالى وجد غالب ينشق بسببه نياط القلب فقد روى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر غلاما في بني إسرائيل كان على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله عز وجل فقال من خلق الأرض فقالت الله عز وجل فقال فمن خلق الجبال فقالت الله عز وجل قال فمن خلق الغيم فقالت الله عز وجل فقال إني لأسمع لله تعالى شأنا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وكأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الجبل لوجده ... الكشف لا تطربوا بذكر الله ... رأيت يحكي في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم

فلم تنشرح قلوبنا ما أردنا أن نذكر من أنواع السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والندب إليه في بعض المواضع فإن قلت فهل له حالة يحرم فيها فأقول إنه يحرم بخمس عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي المسمع والمستمع وآلة السماع

العارض الأول

أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخشى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذا الصبي إذا كان يخاف فتنته فإن قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسما للباب أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف العنت فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا إذا خيفت الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فما زالت النساء في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغيره ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم يؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الأقيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة إذ يعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فإذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فإنا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص

العارض الثاني

في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات

العارض الثالث

في نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو أو ما هو كذب على الله أو على رسوله أو على الصحابة كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان والمستمع شريك القائل وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويهاجي الكفار وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فإن نزله على أجنبية فهو العاصي بالتنزيل وإجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي أن يجتنب السماع رأسا فإن من غلب عليه عشق ...

كل ما يسمعه عليه سوآء كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على المعاني بطريق الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله يتذكر بظلمة الصدغ سواد الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في جملة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار وكان آخر يجتاز في السوق فسمع قائلا يقول يا سعتر بري فغلبه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كأنه يقول اسع ترى بري حتى ان الاعجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن حروف العجمية فيفهم منه معاني اخر كما انشد واحد وما زارني في النوم الا خياله فتواجد عليه اعجمي فسئل عن سبب وجده فقال انه يقول مازاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل في العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فهو جدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه اعضاؤه فاذن ليس في تغيير الالفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز عن السماع باي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة

العارض الرابع في المستمع وهو ان يكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج الى ان يستأنف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير اسلحتها وتشحيذ سيوفها واسنانها والسماع مشحذ لاسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به

العارض الخامس ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه ابيح في حقه كسائر انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهي كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب له في بعض الاوقات لينبعث دواعيه فيشتغل في سائر الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة او في الدين كالصلوة والقراءة فهذا استحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الوجه ولو استوعب الخيلان الوجه لشوهه فما اقبح ذلك فيعود ذلك الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كسائر المباحات فان قلت فقد ادى مساق هذا الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض الاحوال فلم اطلقت القول اولا بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا ونعم خطأ فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فاما ما ينشأ من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل اهو حلال ام حرام قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سئلنا عن الخمر قلنا انه حرام مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هو من حيث انه خمر حرام وانما ابيح بعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض الضرورة وما يكون بعارض فانه لا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون مفهوم وانما تحريمه بعارض خارج عن حقيقته فاذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالي بمن خالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي فليس تحريم الغناء من مذهبه اصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة لا تجوز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروءة وان لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي عليه وانما يعرف بانه قد يطرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة وقال يونس بن عبد الاعلى سألت الشافعي عن اباحة اهل المدينة السماع فقال لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف واما الحداء وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به ان عني به انه فعل ما لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة فيه ولا يحرم قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم واذا كان ذكر اسم الله على الشيء والحلف فيه مع انه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد التحريم بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وانما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في السوق وما يخرم المروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهكذا الظن بغيره من كبار الائمة وان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنه

احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي

[illegible]

ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلته يوما يبعث النشاط في ساير الايام والمواظب عليها الصلوات في ساير الاوقات
ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلوات في بعض الاوقات والعطلة معونة على العمل
واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء فاللهو دواء القلب عن داء الاعياء
والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فاذن اللهو على هذه
النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة
المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فان
الكامل هو الذي لا يحتاج الى ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم
علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى
عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان اول درجة السماع
فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات
الثلث

المقام الاول

في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال
احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا
مباح وهو اخس رتب السماع والابل شريك فيه وكذا ساير البهايم بل لا يستدعي هذا الذوق الا
الحيوة ولكل حيوان نوع يلتذ بالاصوات الطيبة الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكنه ينزله المسموع على حسب
شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها والثالثة
ان ينزله على احوال نفسه في معاملته مع الله تعالى وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع
المريدين لا سيما المبتدي فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه والوصول
اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها
وحالات يستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر او قرب او بعد
او تلهف على فايت او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او وحشة او استيناس او وفا بالوعد
او نقض للعهد او خوف فراق او فرح وصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات
او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق
بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه ويشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث
الشوق وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على
احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ
ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد
والصدغ انما يفهم منها ظواهرها فلا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الالفاظ والابيات ففي حكايات
اهل السماع ما يكشف عن ذلك وقد حكي عن بعضهم انه سمع قول القايل قال الرسول غدا تزور فقلت
تدري ما تقول فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرره ويجعل مكان التاء نونا وقال قال الرسول غدا
نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل الجنة يزورون في كل يوم جمعة مرة وقد حكى الرقي عن ابن الدراج

انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على الدجلة بين البصرة والابلة فاذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل
بين يديه جارية تغني وتقول كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظر بيده ركوة وعليه مرقعة
يستمع فقال يا جارية بالله وبحيوة مولاك الا اعدت على هذا البيت
فاعادت فكان الشاب يقول وهذا والله تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة ومات فقلنا قد استقبلنا فرض
فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله تعالى قال ثم خرج اهل البصرة فصلوا عليه فلما فرغوا من
دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شيء لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر للسبيل ثم رمى بثيابه
واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له
بعد ذلك خبر والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفته عجزه عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه على
تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كانه يخاطبه ويقول له
كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في
معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع في حق الله عز وجل ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع
المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزل على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله ومثال الخطر فيه هذا البيت
فانه لو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون الى الله فيكفر وهذا قد يصدر عن جهل محض مطلق
غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقته اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب احوال
ساير العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته
على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن يصدر منه
احوال مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا
نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهذا هو المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض
بل ينبغي ان يعلم انه يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي
ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين حقيقي وذلك من عجايب اوصاف الربوبية وهو المغير من
غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من
يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فينطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب و
قسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المقصي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين و
المغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء
بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن
حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون فان خطر بباله انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نودي من سرادقات
الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولعمري تادب اللسان والظاهر مما يقدر
عليه الاكثرون فاما تادب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد و
الاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون ولهذا قال الخضر
عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك

تحريك الاسرار القلوب وسكناتها ويشوش بها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقد الادب عن السر الا
من عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس
ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشوق فان غاية ذلك معصية وغاية
الخطا ههنا كفر واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين ببيت واحد احدهما
مصيب والآخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين متضادين ولكن بالاضافة الى اختلاف احوالهما
لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السماء ان المحب لفي عناء فقال صدقت وسمعه
رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من
المراد بل مصدود وممنوع بالصد والتكذيب كلام مستانس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر به
او كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر خطر الصد في المآل وذلك باستيلاء الرجاء وحسن
الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم حكي عن ابي القاسم ابن مروان وكان قد صحب ابا سعيد
الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها انسان يقول واقف في الماء عطشان ولكن ليس
يسقى فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال
الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له فما عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال
ويكرم بالكرامات ولا يعطى منه ذرة وهو اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات والاحوال سوابقها
والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه والمعنى الذي
ذكروه الا في رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراءها
فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف في الرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا
البيت شعر ودادكم هجر وحبكم قلى ۞ ووصلكم صرم وسلمكم حرب ۞ وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه
مختلفة بعضها حق وبعضها باطل اظهره ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها وفي كل ما سوى الله فان الدنيا
مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلات دار حبرة الا امتلات
عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا شعر تخل من الدنيا فلا تخطبنها ۞ ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ۞ ومكروهها اما تاملت راجح ۞ لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ۞ وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب ۞ شهي اذا استلذذته فهو جامح ۞ وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ۞ ولكن له اسرار سوء قبائح
المعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ
لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه
فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وان كان عالي الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه
وآله وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان
استغفاره عن احوال هي درجات بالنسبة الى ما قبلها وان كانت بعدا بالاضافة الى ما بعدها فلا قرب الا ويبقى
وراءه قرب لانه لا نهاية لسبيل السلوك الى الله تعالى عز شانه والوصول الى اقصى درجات القرب محال
المعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور
فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيسمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه

مما من بيت الا ويمكن تنزيله على معاني وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه الحالة الرابعة سماع من
جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهمه ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها
وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة
جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره
افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى
نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه الى رؤيته والى عينه
التي بها رؤيته والى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من التذاذه انما خبره من
المتلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم
بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرى في حق المخلوق وتطرى ايضا في حق الخالق ولكنها في
الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت
اعبائها اضطرابا تهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسن النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت ما زلت انزل
في وداد منزلا تتحير الالباب عند نزوله فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطعت و
بقيت اصولها مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه
وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان
السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله
اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدي والسكين فيسمع لله بالله وفي الله
وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص
فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية التفاته الى الصفات البشرية اصلا ولست اعني بفنائه فناء
جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر
الروح الذي هو من امر الله تعالى عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود
ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل
صورتها قبول الصور ولونها هي هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويعرب عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة
الى ما يحضر فيه قول الشاعر شعر رق الزجاج ورقت الخمر ۞ فتشابها فتشاكل الامر ۞ فكانما خمر ولا قدح ۞ وكانما قدح ولا خمر
وهذه مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن
كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم
وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها وان كان هذا
غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات
المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكماء
الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما
الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق
تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند

ووجد وارد السماع اذا ابقى السماع وارد يحق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع والوجد
عبارة عما يوجد عند السماع قال جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني وجود الحق عند العطاء
فسقاني بكاس الصفا فادركت به منازل الرضا واخرجني الى رياض النزهة والفضاء وقال الشبلي السماع ظاهره
فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له السماع والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع
غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن سائر الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه
ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المؤمنين وقال
بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد ابن الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب و
حضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت و
قال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوها وسطع في قلوبهم
نورها زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن رؤيته آثار النفس والتعلق بالعلائق و
الاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق
وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية
وقلب شاهد وسر ظاهر شاهد ما كان خاليا منه فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنه
وقال الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ عن زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى
فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة
بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك
بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ
كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية من هذا
الجنس في الوجد كثيرة واما الحكماء فقد قال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم يقدر قوة النطق على اخراجها
باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة
الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال
من الافهام والاراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا
يخطي ويأتي ولا يبطي وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني
وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق
عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناجي معشوقه بالنطق الجرمي بل يناجيه ويناغيه بالتبسم واللحظ
اللطيف بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها روحانية والعاشق البهيمي يستعمل النطق
الجرمي ليعبر عنه ويروق ظاهر عشقه الضعيف وعشقه الزائل وقال آخر من حزن فليستمع الالحان فان
النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك
بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المعروفة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار منها
فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب
السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات

من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف و
الحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف
بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق او يسكن عن النظر
والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره و
تغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط
جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن
التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد ابن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة
الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله فان
الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم
يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء
سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى
البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله فكذلك عمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير الحمل
فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة او في
لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء
من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج من علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت
ليلة في ايام جهالتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت ◦ بطور سيناء كرم ما مررت به ◦ الا تعجبت ممن يشرب الماء
فسمعت قائلا يقول ◦ وفي جهنم ماء ما تجرعه ◦ خلق فابقى له في البطن امعاء ◦ قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم
والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون
وقرع ذلك سمعه الظاهر وعن مسلم العباداني قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن
زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم طعاما ودعوتهم اليه فجاؤوا فلما وضعت الطعام بين
ايديهم اذا قائل يقول رافعا صوته ◦ وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ◦ ولذة نفس غيها غير نافع ◦ قال فصاح عتبة الغلام
صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد
ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة
للانبياء اما على حقيقة صورتها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل
مرتين في صورته واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى
وهو بالافق الاعلى الى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب و
قد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر
بنور الله تعالى وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه حتى انتهى الى بعض مشايخ الصوفية فسأله فقال له معناه
ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الآن عرفت انك مؤمن
وان ايمانك حق وكما حكي عن ابراهيم الخواص قال كنت ببغداد في جامع مع جماعة من الفقراء في الجامع اذ اقبل شاب طيب

الى لحية حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع
اليهم وقال ايش قال الشيخ فيّ فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال
فجائني واكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا يخطى فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم
فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة لانهم لا يجاوزون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع على
الشيخ وتفرس فيّ علمت انه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله
صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين
على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه عن تلك الصفات
وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه واليها الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما
روي ان ذا النون المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول
شيئا فاذن له في ذلك فانشا يقول صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا وانت جمعت من قلبي هوى
قد كان مشتركا فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال له ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس
ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم
هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذن قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى
حالات واعلم انه قد ينقسم كل واحد منهما الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه
اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد فانك تجد في
احوالك القريبة لها شواهد اما العلم فكم من فقيه يعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك
الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان وان كان من افصح الناس
فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في ان
لوقوعه في قلبه سببا وله حقيقة عند الله ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى عن ان
تناله العبارة وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك في
قلبه في الوقت الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا
فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره
في سبب موجب له او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب
عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون وفرق
الفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث
لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون والمزحف ولا يمكن التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق
له وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع عن
غناء مفهوم واما الاوتار وساير النغمات التي ليست مفهومة تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن
عجايب تلك الاثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي
اضطربت نفسه بسماع الاوتار او الشاهين الذي ليس يدري الى ما يشتاق ويجد في نفسه حالة كانها تقاضا

امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا له
سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة
المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق
اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق اليه ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة
قلبك فاشتعل نارها اورثت دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف الوقاع
ثم راهق وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري
صورة الوقاع ولا صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعدت في
سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذي يسمع لفظ
الوقاع والنساء ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع
يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه
حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق
الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا واشباهه من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان
يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن واعلم ان الوجد ايضا ينقسم الى هاجم والى متكلف
ويسمى التواجد والتواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس
عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان
للكسب مدخلا في جلب الاحوال ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة
القرآن ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف
سببا في ان يصير المتكلف بالآخرة طبعا وكل من يتعلم القرآن اولا يحفظه تكلفا ويقرؤه تكلفا مع تمام التامل
واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام
السورة ثم تثوب اليه نفسه بعد انتهايه الى آخرها ويعلم انه قراها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب
بجهد شديد في الابتداء ثم تمرن عليه يده فيصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع
ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا
وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها
بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن
يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة
فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك
حب الله والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي
ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في
السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين
والخايفين والمحبين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من
الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك

ثم يترقى إلى حبك فقد فرغ إلى الرعاة في طلب الحب فهذا انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه
إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع فإن قلت فما بال هؤلاء لا
يظهر وجدهم عند القرآن ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان حقا ولم يكن من غرور الشيطان لكان في
القرآن أولى به من الغناء فنقول الوجد الحق ما ينشأ من فرط حب الله وصدق إرادته والشوق إلى
لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضا وإنما الذي لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل
على ذلك قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة
والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد قال تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله والوجل والخشوع وجد من
قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال
صلى الله عليه وآله وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وقال لأبي موسى الأشعري لقد أوتي مزمارا من مزامير
آل داود وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب قد ظهر عليهم الوجد عند سماع
القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وآله وسلم شيبتني هود خبر عنه فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف
وذلك وجد وروي أن ابن مسعود قرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما انتهى إلى قوله فكيف إذا
جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية
أنه قرأ هذه الآية أو قرئ عليه إن لدينا أنكالا وجحيما فصعق وسمع رجلا يقرأ إن عذاب ربك لواقع
ما له من دافع فصاح صيحة خر مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا في البيت شهرا وأنه صلى الله عليه
وآله وسلم قرأ إن تعذبهم فإنهم عبادك فبكى وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر و
الاستبشار وجد وقد أثنى الله على أصحاب الوجد بالقرآن فقال وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي ولصدره أزيز
كأزيز المرجل وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم
من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته وكان زرارة بن أبي أوفى من التابعين يؤم الناس فقرأ ليلة فإذا نقر في
الناقور فصعق ومات في محرابه والنخعي من التابعين قرئ عليه فصاح صيحة فمات وسمع الشافعي قارئا
يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ يوم يقوم
الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم و
كذلك الصوفية فقد كان الشبلي في مسجده ليلة في رمضان وهو يصلي خلف إمام له فقرأ الإمام ولئن
شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه و
كان يقول بمثل هذا يخاطب الأحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه
رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه فقلت اقرؤوا عليه تلك الآية بعينها
فقرئ فأفاق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر
بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله قول الشاعر   وكأس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها   وقع

رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فاستعادها من القارئ
وقال كم أقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ
وأنذرهم يوم الآزفة فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان
إبراهيم بن أدهم إذا سمع قارئا يقرأ إذا السماء انشقت يضطرب أوصاله حتى كان يرعد وعن محمد
ابن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به على الشاطئ رجل يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلم يزل
الرجل يضطرب حتى غرق ومات وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده فأحبه وتفقده
فلما فقده سأل عنه فقيل إنه مريض فأتاه يعوده فإذا هو في الموت فقال يا أبا عبد الله أرأيت تلك القشعريرة التي كانت
بي فإنها أتتني في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة
هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية قد قتلت أربعة
من الجن لم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا وقال أبو علي المغازلي للشبلي ربما تطرق سمعي آية من كتاب
الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من
القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه
لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن
فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل
صاحب القلب يؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد و
عنده جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل المارستان
وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل فقال إذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل
وخرج فإن قلت فإن كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القراء
فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع
في كل دعوة قارئ لا قوال فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن
من وجوه الأول أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له
فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأ
نثيين وقوله والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التي هي بيان أحكام المواريث والطلاق والحدود
وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والأبيات إنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج
في فهم الحال منه إلى تكلف نعم من يستولي عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيره ومعه تيقظ وذكاء ثاقب
يتفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله
في أولادكم حالة الموت المحوج إلى الوصية وأن كل إنسان لا بد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد
المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله يوصيكم الله فيدهش
بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بأن تولى قسمة مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم
وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بعد موتنا فلا نشك في أنه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا
وسرورا أو يخطر له من قوله للذكر مثل حظ الأنثيين تفضيل الذكر لكونه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن الهاه غير الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب ويؤخر
في نعيم الآخرة كما اخرت في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة
مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن وتيقظ كامل للتنبيه بالامور القريبة للمعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك
يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة الاحوال حتى يتسارع هيجانها وروي ان ابا الحسين النوري كان مع
جماعة فجرى بينهم مسألة وابو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وانشدهم هذه الابيات شعر
رب ورقاء هتوف بالضحى . ذات شجو صدحت في فنن . فبكائي ربما ارقها . وبكاها ربما ارقني
ولقد تشكو فما افهمها . ولقد اشكو فما تفهمني . غير اني بالجوى اعرفها . وهي ايضا بالجوى تعرفني
قال فما بقي احد من القوم الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم
جدا وحقا الوجه الثاني [illegible] يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب
ان يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة من الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك ولو ابدل
ببيت آخر لتجدد له اثر وان كان معربا عن ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة الى الاول يحرك
النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارئ على ان يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة لان القرآن محصور
لا تمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الاعراب يقدمون
فيسمعون القرآن ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق كان اقسى من قلوب
الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله منهم وحب كلامه ولكن التكرار عليه اقتضى المرون عليه وقلة
التأثر به اذ محال في العادة ان يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة
ثم يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الآخر الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع
كل مألوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال اني خشيت
ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يأنس ومن قدم حاجا فرأى بيت الله اولا بكى وزعق وربما يغشى عليه اذا
وقع عليه بصره ويقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه اثرا فان المغني يقدر على الابيات الغريبة ولا يقدر
في كل وقت على آية غريبة الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس وليس الصوت الموزون
كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي
ينشده او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وتشوش فالوزن اذن مؤثر فلذلك
طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات
وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها
وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل
والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه
وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتأثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والشاهين وسائر الاصوات التي
لا تفهم الوجه الخامس ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج
الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي فانما يقوى بمجموع
هذه الاسباب ولكل واحد حظ في التأثير وواجب ان يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لان صورتها عند عامة

الخلق صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة
اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع
الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحرمة القرآن في كل حال
الا المراقبون لاحوالهم فيعدل الى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد
امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضرب الدف في العرس فقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او
بلفظ هذا معناه وذلك يجوز مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بيت الربيع بنت معوذ وعندها جارية تغني فلما رأت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت وفينا نبي يعلم
ما في غد على معرض الغناء فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين
وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة
اللهو فاذن يتعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول الى
الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغناء الوجه السادس ان
المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه ويستدعي غيره فليس كل كلام يوافق كل حال فلو
اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم
فآيات الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذن لا يؤمن ان
لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فتتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا تجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن
خطر ذلك حزم وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص منه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله الا على ما
اراده الله وقول الشاعر يجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة وخطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب
توقير كلامه وصيانته عن ذلك هذا ما ينقدح لي في علة انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن القرآن وهنا وجه
سابع في الاعتبار ذكره ابو نصر السراج الطوسي وهو ان القرآن كلام الله وصفته وهو حق لا تطيقه البشرية
لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت
وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة
الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من اللطائف والاشارات شاكل بعضها بعضا وكان
اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا
وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من
انبساطنا الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه منه بدا واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه باعتذار وقد حكي عن ابي
الحسين الدراج انه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام فلما دخلت الري كنت اسأل
عنه فكل من سألته عنه قال ايش تعمل بذاك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي
قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو جالس في المحراب
وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرأ واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي وقال من اين
من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام فقال لو ان رجلا في بعض هذه البلاد قال لك اقم
عندنا حتى نشتري لك دارا وجارية كان يقعدك عن المجيء فقلت ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت

...كيف أكون، ثم قال لي: تحسن أن تقول شيئا؟ فقلت: نعم، فقلت أبياتا:

رأيتك تبني دائما في قطيعتي ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كأني بكم والليت أفضل قولكم ... ألا ليتنا كنا إذا الليت لا تغني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه، ثم قال: يا بني تلوم أهل الري يقولون يوسف زنديق، هو ذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذين البيتين. فإذن القلوب وإن كانت محترقة في حب الله فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع، ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومناهجه، وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطباعهم. ويروى أن إسرافيل أستاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت في الأرض بإصبعه ويترنم ببيت فقال: هل تحسن أن تترنم بشيء؟ فقال: لا، قال: فأنت بلا قلب. إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره. وقد ذكرنا حكم المقام الأول في فهم المسموع وتنزيله، وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب، فلنذكر الآن أثره الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره.

المقام الثالث من السماع، نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم.

فأما الآداب فهي خمس جمل: **الأدب الأول** مراعاة الزمان والمكان والإخوان. قال الجنيد: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع: الزمان والمكان والإخوان. ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه، فهذا معنى مراعاة الزمان، فيراعي حالة فراغ القلب له. وأما المكان فقد يكون شارعا مطروقا أو موضعا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك. وأما الإخوان فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به، وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته ومراعاته، أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب، فكل ذلك مشوشات، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى، ففي هذه الشروط نظر للمستمع.

الأدب الثاني وهو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم، فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر. والمريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة: أقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع، فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه، فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه. الثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال. الثالث أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل، فإذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز، فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع. قال سهل رحمه الله: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل. فلا يصلح السماع لمثل هذا، ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء، ولا لمن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه. فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه. قال الجنيد: رأيت إبليس في النوم فقلت

له: هل تظفر من أصحابنا بشيء؟ قال: نعم في وقتين: وقت السماع ووقت النظر، فإني أدخل عليهم به. فقال بعض الشيوخ: لو رأيته أنا لقلت له: ما أحمقك! من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به؟ فقال الجنيد: صدقت.

الأدب الثالث أن يكون مصغيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد، مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره، متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم، بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه، متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة، ساكتا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد. فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختياره فهو فيه معذور غير ملوم، ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه، ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب، ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة. حكي أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق، فقال له الجنيد يوما: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني. فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى كان يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق. فحكي أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه. وروي أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك. قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن نجيد: أنا أقول إنهم إذا اجتمعوا ويكون معهم قوال يقول خير من أن يغتابوا. فقال أبو عمرو: الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك. فإن قلت: الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر فيه ظاهره أو الذي يظهر عليه؟ فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان، وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال، فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده، فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود، فهذا لا تغيره طوارق الأحوال. ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه: كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال، فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به. فإذن قوة الوجد تحرك، وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر، وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله، ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك. فلا تظنن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه، بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب. فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله. إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة. وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة: صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر أو القرآن، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه: فاليوم لا يؤخذ منكم فدية، الآية، فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط، فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال: نعم يا حبيبي قد ضعفنا. وكذلك سمع مرة قوله تعالى: الملك يومئذ الحق للرحمن، فاضطرب، فسأله ابن سالم وكان صاحبه فقال: قد ضعفت. فقيل له: فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال؟ فقال: أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقمه بقوة حاله فلا تغيره

الى زيادات ولئن كانت قوية بحيث الحركة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد [illegible]
كما حكي عن سهل انه كان حالي قبل الصلاة وبعدها واحدا وكان مراعيا للقلب حاضرا لذكر الله تعالى في كل
حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون دائم الوجد ريان عطشان ابدا وشربه متصلا بحيث لا يؤثر السماع
في زيادته كما يروى ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت
ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم
اتم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان في هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا
لمساعدة اخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس بالكمال الوجد
الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق
حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم
وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع من غير جنسهم وبعض من نقل عنهم ترك السماع يظن انه كرهه كان
سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع وكان
من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع
فقال ممن ومع من **الادب الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص
او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراءاة لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور
مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يزفنون هذا لفظ
عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما اصابهم سرور اوجب ذلك
في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاحوا في تربيتها فقال صلى
الله عليه وآله وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد
انت اخونا ومولانا فحجل زيد وراء حجل جعفر ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة
وفي بعض الروايات انه قال لعائشة رضي الله عنها اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص
وذلك يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان
كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه
في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب واللهو في اعين الناس فينبغي ان يجتنبه المقتدى به كيلا
يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار
ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على
ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة او التمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض
الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على
تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان ان يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك
الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم وقد ذكر عند السري حديث الوجد
الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف فلا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر
اي قد ينتهي الى هذا الحد فان قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ

من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغيرة ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح اذا قطع
قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك
تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع قطعا صغارا وذلك مقصود والتفرقة
على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود وهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها الى مائة
مسكين ولكن ينبغي ان يكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد
للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار والله اعلم
الادب الخامس موافقة القوم اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف
او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك
ان جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط
عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم
ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة
وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته ينقل
عن الصحابة وانما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة ماثورة ولم ينقل النهي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم
يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام
فلا نرى به باسا في البلاد التي جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فان المقصود منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب
وكذلك سائر انواع المساعدات اذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليها جماعة فلا باس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة
الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الادب ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم
اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا يستثقله الطباع
فقلوب الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب محك للصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب
الحاضرين له اذا كانوا اشكالا غير اضداد فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام ان ذلك باطل ولهو
مخالف للدين فلا يراه ذو الجد في الدين الا ينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله وقد راى الحبشة يزفنون في المسجد
ولم ينكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبا
مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن اشبههم وهو مكروه لذوي المناصب
لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فرب سائل فقير سال شيئا
فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سال ملكا فاعطاه رغيفا او رغيفين لكان ذلك
منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الاخبار من جملة مساويه ويعير به اعقابه واشياعه ومع هذا
فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه اعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع
بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات
الابرار وحسنات الابرار سيئات المقربين ولكن من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا نظر اليه
في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه لا تحريم فيه والله اعلم بالصواب تم كتاب السماع والوجد ويتلوه كتاب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب الا بحمده ولا تستمنح النعم
بواسطة كرمه وفضله والصلوة على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين واصحابه الطاهرين من
بعده فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو
المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة
وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد
ولم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون فانا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس
من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها
مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بسيط الارض مؤمن
صادق لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا
لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان
الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في اربعة ابواب

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته

الباب الثاني في اركانه وشروطه

الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات

الباب الرابع [illegible]

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والمذمة في اهماله واضاعته

ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار
اما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الايجاب فان قوله ولتكن امر
وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية
لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال
ولتكن منكم امة فاذن مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين
وان تقاعد الخلق عنه اجمعين عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
فقد نعت المؤمنين بانهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين
في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم

اللعنة

اللعنة بتركهم التناهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا
النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى ايضا الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين
المؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو امر جزم ومعنى التعاون
الحث عليه وتسهيل طريق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي وقال تعالى
فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الآية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا
ينهون عن الفساد وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين
والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير
من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه
اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية والاصلاح نهي عن البغي واعادة
الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وذلك هو النهي عن
المنكر. واما الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة ايها الناس
انكم تقرؤون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم
فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر
فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ان
من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل ما انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال
بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال ان
هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا
او تقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه
تسقط مهابتكم عن اعين الاشرار فلا يخافونكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ايها الناس ان الله يقول لتأمرن
بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اعمال البر عند
الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى ليسأل العبد ما منعك اذ رأيت المنكر
ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم
والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق

جميعا قالوا يا رسول الله وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه [illegible] قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضره ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكأنه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم

ذهب قال ابن مسعود كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر فيّ ساعة قط وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا كيف يا رسول الله قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسى عليه السلام اي رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب اذا اتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس او كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلاثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما نظر الى واحدة منهن ذكرت له مقاما امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر **واما الآثار** فقد قال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليهم خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم واوحى الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت

[illegible]

في اركان الامر بالمعروف وشروطه

[illegible]

الركن الاول

[illegible]

الشرط الاول

[illegible]

الشرط الثاني

[illegible]

ومنها الشرط الثالث

[illegible]

الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاحتساب يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وان لو اغتاب الى كل لقمة من حرام لم يجد بدا الا عقوبة وكذلك تضرر الآخرة من معصية اكبر من ضرر من معصية فاشتغاله بالاحتساب على الاكل يتنكر في الطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى الاقل فمن غصب وجلس في حمام فاشتغل بطلب الحمام وترك الغريب تنفر منه الطباع وترى شيئا وقوعه ممن طلب الحمام وهو غير منكر او ترك طلب الغريب وهو منكر واشتغاله عن الغريب الى الحمام وهو منكر وشدة الاستنكار في الثالث فلذلك حسبة الفاسق يستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انه حسبة منكر الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالحجة والفعل جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فما انت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو ظالم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج ذبه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة واما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير لكن معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك واما قوله لنا فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان قوله لا تزن حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحكوم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي عن الزنا اذا لم يقل الا انه يعاقب عليه ان رأينا نعاقب الكافر في الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق بغرضنا الآن

الشرط الرابع

كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه اينما رآه وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحتاج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي وشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سياتي اولها التعريف والثاني الوعظ بالكلام اللطيف والثالث السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله تعالى وما يجري هذا المجرى والرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من راسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه والخامس التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر الى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سياتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي والنهي عن شرب الخمر وتعاطيه ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام واما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان ترك ما هنالك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من راى منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعلك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن

مسرور قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يقاومه عنق بن الشيخ عليهم في العامة فحبسه في اصطبل الدواب
ليحبس في الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا فاتى الخلق ليسعفوه فقرأ الذي لا فكلما امر الله له القوى قال ثم صبر يومين وليالي
بيت او احضر المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج فقبل الانصاف الى البستان يأكل البقل فاذن به المهدي فقال
من اخرجك فقال الذي حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله راسه
يضحك وهو يقول لو كانت تملك حياة او موتا لما ذاك محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال
كان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها وروي عن
جابر بن عبد الله قال نزل هارون بالكوفة ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان ابن ابي جعفر فقال هرون له
كان لك جارية تغني فتحسن فجيء بها فقال لها غني فغنت فلم يحمد غناها فقال ما شأنك فقالت ليس هذا عودي
فقال للخادم جئني بعودها فجاء بالعود فوافق شيخا يلتقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فرأى
العود فاخذه فضرب به الارض فاخذ الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة
امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له
ما اقول لك ثم دخل على هرون فقال اني مررت على شيخ يلتقط النوى فقلت الطريق فرفع راسه واستوى له
العود فاخذه فضرب به الارض فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان ابن ابي جعفر
ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في الدجلة فقال لا ولكن يبعث
اليه ليناظر فجاء الرسول فقال اجب امير المؤمنين قال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل
لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى
مجلس ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس ليس فيه منكر اصلح فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ
فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا
عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي الى عشائكم فقال لهرون اي شيء تريد منه فقال في كمه
نوى فقلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا تطرحه فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما
حملك على ما صنعت فقال واي شيء صنعت وجعل الشيخ ان يقول كسرت عودي فلما اكثر عليه قال اني
سمعت اباك واجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي ورأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الا ذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال
اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رأيته لا يكلم احدا فاعطه البدرة
فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين
خذ هذه البدرة قال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها وروي انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة
يعالج قلعها من الارض وهو يقول شعر

ارى الدنيا لمن هي في يديه ** هموما كلما كثرت عليه
تهين المكرمين لها بصغر ** وتكرم كل من هانت لديه
اذا استغنيت عن شيء فدعه ** وخذ ما انت محتاج اليه

وعن سفيان الثوري قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون
يمينا وشمالا بالاسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وها انت تخبط الناس

بين يديك يمينا وشمالا فقال رجل من هذا فقال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على
هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لاقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا
امير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روي عن المأمون ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فامر ان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له
بلغني انك رأيت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نأمرك وكان المأمون جالسا على كرسي ينظر في كتاب
او قصة فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال له المحتسب ارفع قدمك عن اسم الله ثم قل ما
شئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى اعاده ثلاثا فلم يفهم فقال اما رفعت او اذنت لي حتى ارفع
فنظر المأمون تحت قدميه فرأى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك
الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المؤمنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير انا اعوانك
واولياؤك فيه ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض يأمرون بالمعروف الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد
بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان انقدت
لهما شكرت لمن اعانك بحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك
قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن عملا فقل الآن ما شئت فاعجب المأمون بكلامه وسر به وقال مثلك
يجوز له ان يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن رأينا فاستمر عليه ففي سياق هذه الحكايات بيان
الدليل على الاستغناء عن الاذن وقد اثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج
والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد وللسيد على العبد وللزوج على
الزوجة وللاستاذ على التلميذ وللسلطان على الرعية او بينهما فرق قلنا الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن
بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين
الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة
الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه فيه
نظر وهو بان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده في
بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه عن ادرار رزق من ضريبة المسلمين ويبطل الصور
المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس
يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط
الاب منشؤه حبه للباطل والحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك ثم
لا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة
خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور او زجاج على
صورة حيوان وفي كسره خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا
كله مجال النظر فان قيل ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر المعروف

في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص واما النهي عن التافيف والايذا فقد ورد وهو خاص فيما لا
يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثنا عن العموم اذ لا
خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو
قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يوذيه في مقابلته فقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم
يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى
وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق
وان كان ملك اليمين اكد من ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها
وهذا يدل على تاكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيها اشد من الولد فليس لها معه الا التعريف
والنصح فاما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته وردها على الملاك و
على تحليل الخيوط من ثيابه واراقة الخمور في بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محظور
ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى
اجتهاد منشاه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن
ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا
حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف
يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان
العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها وقال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم
فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل
يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره
لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار
المعنيين اربعة احوال احدها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه
الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج
الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة
السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب
من الاكراه الحالة الثانية ان ينتفي المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب
عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة الحالة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن
تستحب لاظهار شعار الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الرابعة عكس هذه وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن
يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود الذي
في يده ضربة مختطفة فيكسرها في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا
ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك
في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت
ان انكر وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل

من غير اخلاص في العمل فان قيل فما معنى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان
يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الاية وليس كذلك فقد
قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه و
قال البرا بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا
يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية
لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم
التهلكة وانما جاز اذا علم انه يقاتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقادهم في سائر
المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر به شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان
يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب
اهل الدين فاما ان راى فاسقا متغلبا وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح
وضرب عنقه فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب ان يوثر في الدين
اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب
اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه
غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك
الى منكر اخر وليس ذلك من القدرة في شي بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا
لمنكر اخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من
زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه
لشرب اصحابه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه
يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر واما شرب الخمر فهم الملومون فيه والمحتسب غير قادر على منع ذلك المنكر وقد ذهب
الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن الحكم فيها الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات
المنكر المغير والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير اذ لو كان يذبح شاة لغيره حتى ياكلها وعلم انه لو منعه
لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه من ذبح انسان او قطع طرفه يحمله على اخذ ماله فذلك
له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول
العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلوة فاما ما يعلم كونه معصية
بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما
يصلحه وعن هذا يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لقصور
معرفته او قصور ديانته فيودي ذلك الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطا عن ذلك فان قيل وحيث اطلقتم العلم
بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدله ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب في معنى
العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في
موضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد
ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقع

نحو هو فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم ايات الامر بالمعروف يقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمأمور فاذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه واما اذا لم يكن ايس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن وكان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه وكان احتمال ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على ظنه انه يصاب لم يجب وان غلب على ظنه انه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او بافراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة فلا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة بمداخل الشر ودوافعها ولكن يعظم الشر البعيد في تخيله بحيث يقهره في الاقدام بسبب ضعف القلب فيما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاده فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فلذلك تحتسب على ذلك لا يجيز ركوب البحر الا لحجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه ان يسعى به الى السلطان او يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به قلنا هذا ايضا نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذن المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك

الدراهم وسيلة وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل وزواله او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين الاول خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص به خيفة من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو مريض وهو ينتظر منه الصحة خوفا من ان يتاخر عنه فيتاخر بسببه صحته المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه جاها ونصرة في المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فانها زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما تحقق الحاجة اليه ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخره شدة الضنى وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة وكما في العلم مثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا ويعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين وكما في المال كمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص له في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع الاذى عنه الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه الاحوال كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى فان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهذا امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق لكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى مطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء او خير محضرا ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم وحيف فما الله بظلام للعبيد واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الاخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة

لم تجب الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق وانما فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل اظهر واما في الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا بأس ان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة والضربة الخفيفة المؤلمة وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه فمعناه بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملأ او يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه و يطاف به في البلد وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له في السكوت لان المروءة مامور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب الما يزيد على الم ضربات متعددة وعلى فوات حبات قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيل فلو علم انه لو احتسب لكلف المشي في الاسواق في ثياب فاخرة لا يعتاد مثلها او كلف ان يمشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم او باغتياب فاسق او شتمه وتعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا تنفك الحسبة عنه الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت عن المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها تجلب زيادة المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه لان غيبته ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تاكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنه فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له واما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه دونه لان تاذيه بامر نفسه اشد من تاذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فاذن ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء للمسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركه فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى في مال او نفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمنعه عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتل

عليه فان قلتم يقاتله فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا نمنعه ونقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال المسلم بما ياتي على قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلم معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فان علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما ياتي على روحه فاذن المعصية لها ثلاثة احوال احداها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الآحاد الثانية ان تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجبة بكل ما يمكن ما لم تؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية الثالثة ان يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي اليها ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمام النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذن هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة [الركن الثاني للحسبة] ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها

الشرط الاول كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع في نظر الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من رأى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان رأى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر ذكرناه في كتاب التوبة ان شاء الله تعالى

الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة الحال انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة الظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهي ان الخلوة بالا

تنقصه من الحسن [illegible] الى باب كالجمع بالحرير بجوابه **الشرط الثالث** ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت انا قد عصيت الله من وجه واحد فانت قد عصيته من ثلاثة اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فيه فاشار علي رضي الله عنه بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذن انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رائحة فاذا فاحت روائح الخمر فان احتمل ان يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا رأى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره فلا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان حلالا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما تكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستر الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم فاذن انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول أرني لاعلم ما فيه فهذا تجسس [illegible] المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارة المعرفة فلا رخصة فيه اصلا

الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه افضل العلماء ان له ان يأخذ بمذهب غيره فينتقي من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن

مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان كان صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه على خلاف معتقدك [illegible] ثم ينجر هذا الى امر آخر من المحسوسات وهو ان يجامع الاصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امرأته زوجه ابوه اياها في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عارف بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انها حلال في علم الله تعالى قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوج ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا رآه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكون الزاني غير عاص لجهله بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فكيف يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل [illegible] بين الحنفي والشافعي [illegible] تنبيه [illegible] ان الحنفي لا يعترض على الشافعي فيه لم يكن فاعله عاصيا [illegible] المحتسب عليه [illegible] عن [illegible] نعم [illegible] لاحظ [illegible] ان تنبيهه [illegible] الاحتساب [illegible] معلوم على القطع [illegible] وما كان الاحتساب الا في مثل الخمر والخنزير مما يقطع بكونه حراما ولكن [illegible] الاجتهاد [illegible] المجتهد [illegible] الى الادلة الظنية [illegible] يمنع عنه لا بل [illegible] الاجتهاد [illegible] الصواب [illegible] من المذاهب [illegible] فان قيل [illegible] النكاح بلا ولي [illegible] الحنفي في النكاح بلا ولي [illegible] المعتزلي على من يقول [illegible] الله [illegible] كلام الله [illegible] ان الله تعالى يرى [illegible] ان ما يقال فيه [illegible] مخالف [illegible] ظواهر النصوص [illegible] المسائل [illegible] الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولي ومسئلة شفعة الجوار ونظائرهما [illegible] المسائل [illegible] كل مجتهد مصيب ومن احكام الافعال [illegible] هل الذي لا يعترض على المجتهدين فيه [illegible] لا يعلم خطأهم قطعا بل ظنا [illegible] لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا

[illegible]

البهيمة لو كانت تفسد زرعا لإنسان [illegible] كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة [illegible]

حسبة لا وجه لها إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن

الزنا وإتيان البهيمة لحق الله تعالى وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين أحدهما

حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى فلو قطع طرف

غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بإذنه فتعلقت الحسبة والمنع بإحدى العلتين

والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد

بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم

نمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيفة والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب

وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة

لا لمنع الجرة فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان

البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له

[illegible]

تعب فلا سبيل إلى [illegible] طلبا للثواب [illegible]

بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين [illegible] منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه

السفر إلى بلد أخرى إلا أن [illegible] فإن كان [illegible] القاضي في جوار [illegible] وكان [illegible]

لا بد فيه من تعرض لإقامة الشهادة ولا ذكر للاحتساب وإن كان في الطرف الآخر من الأذى وخروج الشيء عن الحاكم دهنه شرع تحرم فيه فيتبع محل الاجتهاد والسلطان فلا يأذن في الضرب والتعزير إلا للسلطان حفظا لحق الغير في الجملة لا خلاف في أنه يجب ... في الكثرة لا يحتاج في ذلك إلى ... وتوسط محاربة ... ويكون بها في محل الشبهة والتطرق على ... الشبهات ... ينبغي أن ... والإخفاء ... ومن تحرز ... لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ... إلى ما لا ريب فيه فهذا نهاية الكشف عن هذا الركن.

الركن الرابع نفس الاحتساب وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي بالوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود. أما **الدرجة الأولى** وهي التعرف فنعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ولا أن يتنسم ليدرك رائحة الخمر ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمرا أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والأولى أن يمتنع لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردا وقد قيل إنه كان ينقش خاتم لقمان الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت. **الدرجة الثانية** التعريف فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولو رضي بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لأن في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة أن تنكشف عورة جهله والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فيقول له إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا. **الدرجة الثالثة** النهي بالوعظ والنصح والتخويف

وقيل اشتد ... هو ... ملوم لأنه خلقة ولم

بالله وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة وهاهنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة وهي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التميز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فإن كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فإن باعثه الدين وإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله فيه وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني وقيل لداود الطائي رحمه الله أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال أخاف عليه السوط قال إنه يقوى قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى قال أخاف عليه الداء الدفين العجب. **الدرجة الرابعة** السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك إنما يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم صلوات الله عليه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه من نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة أدبان أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليس يزجره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والإزراء بمحله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له. **الدرجة الخامسة** التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه ومنعه من الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا

نفسه هواها وتمنى على الله صح

فإذا علم أن خطابه بهذه الكلمات صح

ولكنه جنب وبما يجري مجراه تخصيص وذلك يتاتى في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان يدفعه او يجره واذا قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز الثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حال يحتاج في استئنافه واصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى اراقة الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه ويتعطل عليه اشغاله فله ان يكسرها فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ذلك ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع على الحاضر الراهن وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها وانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها

الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لاضربن عنقك او لآمرن بك وما اشبهه وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه لا يقبح من الله تعالى ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام

الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرمي وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل سيفه ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للآحاد

الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثواني درجات وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسالة اذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق

وقد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض

ليكون كلامه ووعظه مقبولاً فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب ويورث ذلك الجرأة عليه واما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والورع والعلم لا يكفيان فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او ماله او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاثة بها تصير الحسبة من القربات وبها يندفع المنكرات فان فقدت لم يندفع المنكر بل ربما كانت الحسبة ايضاً منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وآله لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيهاً مطلقاً بل فيما يأمر به وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل شعر

لا تلم المرء على فعله … وانت منسوب الى مثله
من ذم شيئاً واتى مثله … فانما يزري على عقله

ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعاً بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهور فسقه للناس فقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله تعالى فمن وثق بالثواب لم يجد مس الاذى فاذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكراً فدخل الدار اولاً واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئاً لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع في ان يكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم يتيسر عليه الحسبة قال كعب لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم وقد روى ابو امامة ان غلاماً شاباً اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا نبي الله ائذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال اتحبه لامك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعاً في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان قبل جوائز السلطان

فقال الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان يأخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيا الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امر ان تأتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت فيه فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله عهداً يسألني عنه يوم القيامة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل رأسه وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يأمرون بالمعروف فيكون معروفهم منكراً فعليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيه آثاراً واخباراً في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول باعادة ههنا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابها

الباب الثالث

في المنكرات المألوفة في العادات

نشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها

منكرات المساجد اعلم ان المنكرات تنقسم الى محظورة والى مكروهة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقاً فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظوراً فمما يشاهد كثيراً في المساجد اساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنها الا عند الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة اذ لا ينفع النهي معه ومن رأى مسيئاً في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا افضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وان كان يمنعه ذلك عن الوراقة او عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادراً على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فهو عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقرؤه لحناً فليتركه وليجتهد في تعلم

الفاتحة وتصحيحها وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس ان يقرأ ولكن ينبغي ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله اعلم ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين او انفراد كل واحد منهم باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع عنها والحسبة فيها وكذا اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلاة وترك السحور او كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف ومنها ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب واما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد عنه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اليق واقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نودي يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما منعهن من الجماعة فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما احدثن بعده لمنعهن واما اجتياز المرأة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القراء بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر

مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف ان يجر الى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لانه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ولا بأس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روينا في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف لاجل عائشة حتى نظرت الى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتراهم عائشة رضي الله عنها تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم له او شتمهم او نطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيرها فاما المجنون الهادئ الساكت الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني القيء او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا ان كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر فالرائحة منه منكر مكروه شديد الكراهة كيف لا ومن اكل الثوم فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان قيل فينبغي ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا ينبغي ان يلزم القعود في المساجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما بمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ان يضرب في المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار اثر السكر فان اظهار اثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في مواضع الخمر وبوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان يعول عليه

منكرات الاسواق

من المنكرات المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت بعشرة واربح فيه درهما وهو كاذب فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به شيئا من عيب يلزمه ان

ان يفيه المشتري عليه والاكتفاء بالصباغ او ضياع ماله وهو حرام وكذا التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذلك سائر التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذا بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذا بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير اعني التي لا تصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما يؤدي الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره

منكرات الشوارع فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب والاطعمة على الطرق فكل ذلك منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعي هي الحاجة التي ترد الشوارع لاجلها في العادة دون سائر الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب اذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فانه منكر يمنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا بالطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ او رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب او يضيق الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق

منكرات الحمام منها الصور التي على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان كان المكان مرتفعا لا تصل اليد اليه فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام اخرى فان مشاهدة المنكر غير جائز ويكفيه ان يشوه وجهها ويبطل صورتها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوانات ومنها كشف العورات والنظر اليها ومنها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة في تنحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك ليتعاطى غمز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة ومنها غمس اليدين والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول انما نحتاج الى غسل اليد اولا ثم غمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي هذا وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء ناعمة مزلقة يتزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعها وازالتها وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك ترك الصابون والسدر المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج فعثر به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة التنظيف كل يوم والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادة وفي الحمام امور اخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك

منكرات الضيافة فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وتبخير البخور في مجمرة فضة او الشرب واستعمال ماء الورد في اواني فضة او ما رؤوسها من فضة ومنها اسبال الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة بينهما فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر فلا يجوز الحضور فيها اذ لا يحل حضور مجالس الشرب مع ترك الشرب ولا تجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرة الفسق وانما النظر في مجالسة الفاسق بعده وانه هل يجب بغضه في الله تعالى ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله تعالى وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب اخراجه منه ان كان مميزا

لعله ان كان مميزا

[illegible]

لعموم قوله صلى الله عليه وسلم هذان حرام على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلف ولكن لانه يانس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بزرا للفساد يبزر في صدره فتنبت منه شجرة الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم فيه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون بمعنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل حلق الذهب فان هذا جرح مولم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط ضرر بتعلقه من الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستيجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا ان ثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعتراض كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك بالحكايات في انواع النوادر بان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه واما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك مائة مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزاح المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ومنها الاسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران احدهما عدم الفائدة والاخر الاسراف والاضاعة تفويت المال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة وتختلف المبالغة بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار ومعه عيال واولاد ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا انزلت هذه الاية بالمدينة في رجل قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او هو عاجز عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله ولذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول بالتجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل واسرافه وامثال هذه كثيرة لا يمكن فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة

في البلاد

النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمر ابن الخطاب فقال قرن من حديد لا يأخذه في الله لومة لائم تركه قوله الحق
ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا
قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار أقدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب
وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة ذلك في باب الدخول على السلاطين في
كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم فمنها ما روي
من إنكار أبي بكر رضي الله عنه على أكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسوء وذلك ما روي
عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في
وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه
صلى الله عليه وآله وسلم ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش أما
والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن
أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راشدا فوالله
ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال
بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك طلع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا
وكذا لما كان بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك
قال ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون
رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشا بلغت منه قط وفي رواية أخرى
عن عبد الله بن عمرو قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ
بمنكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ
بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وروي أن معاوية حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك
ولا من كد أمك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني
وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما
تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم إنه ليس من كدي ولا من
كد أبي فهلموا إلى عطائكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة
فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنشأ يدعو لعمر قال فغاظني

ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن
ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب إليه عمر أن أشخصه إلي قال فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب
فخرج إلي فقال من أنت فقلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل
ولا مال فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته فقال ما الذي شجر بينك
وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع
ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد
فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة
من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه قلت نعم قال أما الليلة فإن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة
أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا يا أبا بكر ما
أعرف هذا من أفعالك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة
عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما
رآها أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ثم قال والذي بعثك بالحق
لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله وأدخله وكان في الغار خرق
فيه حيات وأفاعي فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منهن شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيؤذيه
وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحدر على خديه من ألم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له يا أبا بكر لا تحزن
إن الله معنا فأنزل الله سكينته والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي وقال بعضهم لا نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق
بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام فبماذا أتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتفع الوحي
فوالله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله
رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يلومه وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك
بن مروان وهو جالس على سريره وحوله الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام
إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله
وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل
الثغور فإنهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل
عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أفعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألتنا
حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت فقال ما لي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك
الشرف هذا وأبيك الشرف وروي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك
رجل فأدخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه
فقال له يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز

عليك قال فبكى صح

فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليكم يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه فقال له ويلك امرتك ان تدخل
الي رجلا يسامرني ويحدثني فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له
حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء ان قال له بلغنا ان في جهنم
واديا يقال له هبهب اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي
عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المؤمنين فقبض
على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف
فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل
والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم فقال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام تكلم
به المتكلم عليه وبال الا ما كان لله فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون
فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من
ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لاجرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت
وروى عمران بن عائشة ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل عليه الحسن
البصري آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه
فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا اذ ذكر علي بن ابي طالب فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن
ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برأيك
في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس
لرؤوف رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وختنه على ابنته
واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان
يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول ان كانت لعلي هنات فالله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل
من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد
الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول
الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر
هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذاك
اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قاتلهم الله
قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق
ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك عليك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك
وجسدك وحكي ان حطيط الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك
فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت
لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول
في امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج

ج

ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم
جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق فقال اخرجوه
فارموا به في السوق قال جعفر فأتيته انا وصاحب له فقلنا حطيط الك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم
مات وكان ابن ثماني عشرة سنة رحمة الله عليه وروي ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة
واهل المدينة واهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامرا الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما ثم
اقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني
الحسن فامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امين امير المؤمنين
على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما
يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم فاضعه
في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المؤمنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا
استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية
فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطئ ويصيب قال فسر بقولي واعجب
به ورايت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت قول
الامير انه امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم
والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد
الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني ربما قبضت من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم
وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المؤمنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع
رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة في معصية
الله فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا
لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك
ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل
على عملك يا ابن هبيرة وان الله ليمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة
في معصية الله واني احذرك بأسه الذي لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ
واعرض عن ذكر امير المؤمنين فان امير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاه الله
ما ولاه من امر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط
بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على امر آخرتك
خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت
الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف و
الطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادى اليه وكنا اهلا ان يفعل ذلك بنا فما
رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا قال

الله عز وجل وقلت لمقاربتهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد الله تعالى ان لا اشهد سلطانا او جدهنا الخلق
ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة فقال له ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم
شغلك عن القدر وعن الشافعي عن محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس امير المؤمنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذئب
وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال واتى الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال
الحسن يا امير المؤمنين سل عنهم ابن ابي ذئب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذئب فقال اشهد انهم
اهل تحطم في اعراض الناس كثيرو الاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المؤمنين
سل الحسن بن زيد فقال يا ابن ابي ذئب ما تقول في الحسن بن زيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه
فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذئب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المؤمنين سله عن نفسك فقال
ما تقول في قال تعفيني يا امير المؤمنين قال اسألك بالله لما اخبرتني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك
قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك
فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذئب فقبض عليه ثم قال له اما والله لولا اني
جالس ههنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال له ابن ابي ذئب يا امير المؤمنين
قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا آنافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه
وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذئب والله يا امير المؤمنين اني لانصح
لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذئب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا
ابا الحارث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا ابا
عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير
المؤمنين وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي
ابطأ بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال
قلت فانظر يا امير المؤمنين ان لا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسألك عنه وفيه وجهت اليك
واقدمتك له قال قلت اخاف ان تسمعه ثم لا تعمل به فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور
وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المؤمنين حدثني مكحول
عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة
من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه يا امير
المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايما وال مات غاشا
لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي
لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا
بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط فيهم قائما
ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم
من سوء يا امير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم
واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام ليس

منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم
قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبرئيل عليه
السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق
استارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المؤمنين حدثني
مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا الى القصاص من
نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبرئيل فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى
الله عليه وآله وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي وما كنت لافعل
ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك
وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقيد قوس
احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى
لك كما لم يبق لغيرك يا امير المؤمنين تدري ما جاء في تاويل هذه الآية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك
فكان لك في احدهما هوى فلا تتمنين ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون
خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة
ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء يا امير المؤمنين انك قد بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال
لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري
ان عمر بن الخطاب استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى
عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذاك قال لانه بلغني ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس الا اتي به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه لا يفكها
الا عدله فيوقف على جسر من النار ينتقض به ذلك الجسر انتقاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا
نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا
قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه
على وجهه ثم بكى وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا امير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وآله وسلم امارة
على مكة او الطائف او اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها
نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيئا اذ اوحى الله اليه وانذر عشيرتك الاقربين
فقال يا عباس ويا صفية عمي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيئا ان لي عملي
ولكم عملكم وقد قال عمر بن الخطاب لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل اريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا
يحنق منه على جرة ولا تاخذه في الله لومة لائم وقال الامراء اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد
في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المؤمنين ان

جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت
على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبريل عليه السلام صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها
الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي
سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا
جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله
وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من
نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال اتبكي
يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح
الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند
ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما
وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل عليه السلام على سائر ملائكة السماء وقد بلغني يا امير المؤمنين ان عمر بن
الخطاب قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب او بعيد فلا
تمهلني طرفة عين يا امير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب
العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك
ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شاء الله قال قد اذنت لك وشكرت
لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل
فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله قال
محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض
من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم المنصور فكان يخرج من دار الندوة
الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا
عليه واقيمت الصلوة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم
وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع
فاسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فاتاه
الرسول فقال له اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول وسلم عليه فقال له المنصور
ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع
فوالله لقد حشوت مسامعي ما ارمضني واقلقني فقال يا امير المؤمنين ان آمنتني على نفسي انبأتك بالامور
من اصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل فقال له انت آمن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى
حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع
والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير
المؤمنين ان الله استرعاك امور المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت
بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك

في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم
على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفرا
سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير ولا احد الا وله حق
في هذا المال حتى فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا
عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخرنا فائتمروا على ان لا يصل اليك
من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف امرهم الا اقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره
فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال
ليتقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت
بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين
الدخول وان اراد رفع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر
في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت
له حرمة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه
عنه فاذا جهد واخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره وانت
تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم
المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم
فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف ولقد كنت
يا امير المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه
ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ ولا
اسمع صوته ثم قال اما ان كان ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس الا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم
وكان يركب الفيل في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته
بالمشركين رقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا يغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك
فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من
بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى
تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء وان قلت اجمع المال لاشد سلطاني فقد
اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع
وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب
غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المؤمنين
هل تعاقب من عصاك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت
فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم
هو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك
الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى

المنصور بكاءً شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال لي تبين الخلق ولم اتق شيئا فقال كيف احتيالي فيما خولت
ثم ارض الناس لا اخلينا فقال يا امير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد
فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب
وانصر المظلوم من الظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن عن من هرب منك ان
يأتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال ثم جاء المؤذن
فسلموا عليه واقيمت الصلوة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تأتني به لاضربن عنقك
غيظا عليه فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في
بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق
معي فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال
تحسن تقرأ قال لا فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شيء فقال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء
الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني
ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب
دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول
اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك
ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل
شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم
اصبحت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان
اسألك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسألك مستأنسا وانك المحسن الي وانا المسيء الى
نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بنعمتك واتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فعد بفضلك
واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المؤمنين فدخلت
فسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك تحسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه
امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة آلاف
درهم ثم قال اتعرفه قلت لا فقال ذلك الخضر عليه السلام وعن ابي جعفر ابن الجوزي قال لما ولي هرون الرشيد
الخلافة زاره العلماء فهنأوه بما صار اليه وفتح بيوت الاموال واقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان
قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان ابن سعيد الثوري
قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما
صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد
امير المؤمنين الى اخيه سفيان ابن سعيد اما بعد يا اخي قد علمت ان الله تعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه
وله واعلم اني قد واخيتك مواخاة لم اصرم بها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة والارادة
ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي
من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من

الجوائز السنية ما فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتابا
شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك
كتابي فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرف سفيان وخشونته فقال
علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ هذا الكتاب فانطلق به الى
الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه
وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب فانطلق
به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فارشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل هو في المسجد قال عباد فاقبلت
الى المسجد فلما رآني قام قائما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق
يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت
الصلوة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كانهم لصوص قد ورد
عليهم السلطان فهم خائفون من العقوبة فسلمت فما احد رفع الي راسه وردوا السلام علي برؤوس الاصابع
فبقيت قائما فما منهم من احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي
هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع
وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءته فاخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم
يقرأه فاني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خائف من فم حية
تنهشه ثم فضه وقرأه واقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في
ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى
شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب
سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هرون الذي سلب حلاوة الايمان اما
بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك وانك قد جعلتني
شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته
بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك
انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت على
بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في
سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من
رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعدد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك سوف تقف بين يدي الحكم
العدل في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون
ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة
برب العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر
ويضربون من شربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام
عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى احشروا

الموت بن ظلم ابو يزيد واجمعوا بما الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويدك مغلولة الى عنقك لا
يفكها الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هرون قد اخذ
بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة
على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم
اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه
وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك
وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه واخرته واني احسبك
يا هرون ممن خسر دنياه واخرته فاياك ثم اياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال عباد
فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة في
قلبي فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله تعالى الى الله تعالى
فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال
فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير المؤمنين واقبلت اقود البرذون
وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا راجلا فهزا بي من كان على باب الخليفة
ثم استوذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي هرون على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم راسه ووجهه
ويدعو بالويل والثبور ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا والملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب
اليه منشورا كما دفع الي فاقبل هرون يقراه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسائه يا امير
المؤمنين لقد اجترا عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة
لغيره فقال اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه وان سفيان امة وحده فاتركوا
سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقراه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر
لنفسه المتقي ربه فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله
بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون
فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن
الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين يا امير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده
عن وجهه فقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد
الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد
ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على
الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله
وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الابرار قال احسنت يا بهلول فاقبل الجائزة قال اردد
الجائزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان يكن عليك دين قضيناه قال يا امير المؤمنين
هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت اراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك
ما يقوتك او يقيمك قال فرفع بهلول راسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان

يذكرك وينساني قال فاسبل هرون السجاف ومضى وعن ابي العباس الهاشمي مروان صالح ابن المامون
قال دخلت على حارث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا عبد الله حاسبت نفسك فقال قد كان هذا مرة قلت
فاليوم قال اكاتم حالي اني لا اقرا آية من كتاب الله تعالى فاضن بها ان يسمعها نفسي ولولا ان يغلبني
فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الريح فسلم ثم قعد
بين يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السائحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك
اجتهادا فاي شيء عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا
بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال حارث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب
يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي
عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت انه زال عقله فاخرجت له ثوبا جديدا
وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل واعد صلواتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب
وخرج فقلت له اين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المامون امير المؤمنين فسلم عليه ثم قال يا ظالم
يا ظالم انا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم
اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت فقال انا رجل من السائحين فكرت
فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه
فاخرج وانا قاعد على الباب ملفوف في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحارث
فاختفيت عنه فاخذه اقوام يدفنونه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد في المقابر محزونا على الفتى فغلبتني
عيناي فاذا هو بين وصائف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت والله من الكاتمين الذين
يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك قال فنظرت الى جماعة ركبان فقلت
من انتم قالوا الكاتمون احوالهم حرك هذا الفتى كلامك لم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فانزله الله معنا وعن احمد بن ابرهيم المقري قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه
ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة
الفحامين يتطهر للصلوة اذ راى زورقا فيه ثلثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم
يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان قال وايش عليك امض في شغلك
فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال له
الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر المعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم
احب ان تعطيني ذلك المدرى حتى انظر ما تصنع فلما صار المدرى في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها
دنا دنا حتى اتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر افلح
فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله
قال ابو الحسين فلما دخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت قلت
محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا امير المؤمنين قال فاطرق الى الارض
ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت قلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف

مكروه عنك فقصرت عنه قال لو نظرت منكرا ثانيه كلامي ثم رفع راسه وقال كيف تخلص من هذا الدن الواحد من
جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المؤمنين ان اذن فقال هات خبرنا فقلت يا امير المؤمنين اني
اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وعمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت
هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على اني قد اقدمت
على مثلك فامتنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاولى وكانت ملء الدنيا دنانا لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب
فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغيره من المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المؤمنين بغض الي التغيير لاني
كنت اغير عن الله وانا الآن اغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا امير المؤمنين تامر باخراجي
سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسأله احد حاجة يسألها المعتضد فاقام بالبصرة
الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و
قلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى ان يرزقهم الشهادة
فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع
السن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد
الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر
على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال تم كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
يتلوه كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة والحمد لله تعالى وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وعترته اجمعين

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه و
آله وسلم فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه
وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه [illegible] فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات
الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وانوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر
فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره
مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من
هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع
العادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس
مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم واخلاقه الماثورة عنه بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع
جميع الآداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بانه اكرم خلق الله
واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار

ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم منتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق
للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب المضطرين ولنذكر
فيه اولا بيان تاديب الله اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من آدابه واخلاقه ثم بيان
كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان اخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة
ثم بيان اغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع
معجزاته وآياته

بيان تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان
يزينه بمحاسن الآداب وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق
فاستجاب الله سبحانه دعاءه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل عليه القرآن وادبه به فكان خلقه القرآن قال
سعد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت اما تقرا
القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وانما ادبه القرآن بمثل قوله تعالى خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي وقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وقوله فاعف واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته يوم احد
الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله
تعالى ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القرآن لا تحصر وهو المقصود الاول
بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن وادب الخلق به ولذلك قال
صلى الله عليه وآله وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اوردناه في كتاب رياضة
النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم
شانه واتم امتنانه ثم انظر الى عميم لطفه وعظيم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه فقال
وانك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها
قال علي رضي الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا
يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال رجل فداك ابي وامي اسمعته من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طيء وقفت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت
ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع
الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طيء فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق
وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي
نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حف الاسلام

بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال فمن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف
واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم براكان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاوره
مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء اليه والعفو والاصلاح والجود والكرم
والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والباطل والغناء
والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة
وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش
والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها
ولم يدع غشا او قال عيبا او شيئا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى
الآخر وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا معاذ اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث
والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن
العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه بالقرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك
ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند
كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم
الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب **جملة من محاسن اخلاقه التي جمعها**
بعض العلماء وانتقطها من الاخبار قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم احلم الناس واشجع الناس
واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم
منه واسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى
يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله تعالى الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع
سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء
العام ان لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم مع نسائه وكان اشد الناس حياء
لا يثبت بصره في وجه احد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ
عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه تعالى ولا يغضب لنفسه
الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة
الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فأبى وقال انا لا انتصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا
بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون
به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد
تمرا دون خبز اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد
لبنا دون خبز اكله وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز
بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز
ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكتهم من غير كبر وابلغهم بغير تطويل واحسنهم
بشرا لا يهوله شيء من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة بردحبرة يمانية ومرة جبة صوف ما وجد من

المباح يلبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن وربما في الايسر يردف خلفه
عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا
حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المريض في اقصى المدينة ويحب الطيب ويكره الرائحة الردية
ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف
بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد
يقبل عذر المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى
اللعب المباح فلا ينكره يسابق اهله ترفع الاصوات عليه فيصبر كانت له لقاح وغنم يتقوت
بها هو واهله من البانها وله عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي
عليه وقت في غير عمل لله تعالى وفيما لا بد منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين
اصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله
دعاء مستويا قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة فهو امي لا يقرأ
ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقره وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا
ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين
وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك
الفضول وفقنا الله في طاعته لامره والتأسي به في فعله آمين يا رب العالمين صلى الله
عليه وسلم **بيان جملة اخرى في آدابه** صلى الله عليه وسلم واخلاقه مما رواه ابو البختري
قال ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة
ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول
الله قال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم
او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه الى الدعاء له وما ضرب بيده احدا قط
الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا ان تنتهك حرمة
الله وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون
ابعد الناس عن ذلك وما كان يأتيه احد حر او عبد او امة الا قام معه في
حاجته **قال** انس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق نبيا ما قال لي في
شيء كرهه لم فعلته ولا لامني احد من اهله شيئا او شاء الا قال دعوه انما كان هذا
بكتاب وقدر قال وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا قط ان فرشوا
له اضطجع وان لم يفرش اضطجع على الارض وقد وصفه الله في التورية قبل ان يبعثه
في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام
يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على اطرافه وكذلك
نعته في الانجيل وكان من خلقه صلى الله عليه وسلم ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن

في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده
حتى يرسلها الآخر وكان اذا لقي احداً من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده
فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه
احد وهو يصلي الا خفف صلاته واقبل عليه وقال الك حاجة فاذا فرغ منها
عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيده عليهما
ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس اصحابه لانه حيث انتهى به المجلس جلس وكان
لا يرى قط مادّاً رجليه بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد الا ان يكون المكان
واسعاً لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من
يدخل عليه حتى ربما يبسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه
عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فان ابى ان يقبلها عزم
عليه حتى يفعل وما استصفاه احد الا انه اكرم الناس عليه حتى
يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه ولطفه
مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة
قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً
غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعوا اصحابه بكناهم اكراماً لهم
واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى بما كناه بها ويكني
ايضاً النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكني الصبيان
فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضباً واسرعهم رضاء وكان ارأف
الناس بالناس وخير الناس بالناس وانفع الناس بالناس ولم يكن ترفع في
مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه
السلام بياض صحيح

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم افصح الناس منطقاً واحلاهم كلاماً وكان
صلى الله عليه وسلم يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد
صلى الله عليه وسلم وكان يزن الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار
وكان صلى الله عليه وسلم كلامه كخرزات النظم قالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسرد سردكم
هذا كان كلامه صلى الله عليه وسلم نزراً وانتم تنثرون الكلام نثراً
قالوا وكان اوجز الناس كلاماً وبذلك جاءه جبريل فكان مع الايجاز يجمع
كلما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول فيه ولا تقصير كأنه يتبع بعضه
بعضاً بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت
احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول
المنكر ولا يقول في الرضى والغضب الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل
ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت صلى الله عليه وسلم تكلم جلساؤه
لا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن
بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس ضحكاً
في وجوه اصحابه وتعجباً مما يحدثون به وخلطاً لنفسه بهم ولربما ضحك
حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً
ولقد جاءه اعرابي يوماً وهو صلى الله عليه وسلم متغيراً ينكره اصحابه فاراد
ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه
بالحق لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح الدجال يأتي الناس
بالثريد وقد هلكوا جوعاً افترى لي بابي وامي ان اكف عن ثريده تنزهاً حتى
اهلك هزالاً ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعاً آمنت بالله وكفرت
به قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل
يغنيك الله بما اغنى به المؤمنين بياض صحيح

قالوا وكان من اطيب الناس تبسماً واطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه القرآن

او تذكر له الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان صلى الله عليه وسلم اذا سُرّ ورضي
فهو احسن الناس رضا وان وعظ وعظ بجد وان غضب فليس يغضب الا
لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان صلى الله عليه وسلم في اموره كلها وكان
صلى الله عليه وسلم اذا نزل به الامر فوض الامر لله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل
الهدى وقال اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه و
اعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك
وخذ رضى نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم بياض صحيح

بياض صحيح **بيان اخلاقه** صلى الله عليه وسلم وادابه في الطعام كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف
ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة
تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي
الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا
نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه الثلاث وربما استعان
بالرابع ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاء عثمان
ابن عفان رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال
ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي يا رسول الله نجعل السمن والعسل في

البرمة

في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج
فياتي كما ترى فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الطعام طيب وكان ياكل الشعير غير منخول خبزا وكان ياكل القثاء
بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما اكله
بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فاشار
اليها بالنوى فجعلت تاكل من كفه اليسرى وياكل هو بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وربما اكل العنب خرطا يرى زؤانه
على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الذي يقطر منه وكان اكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما
الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو
سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي
يونس قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدبا فانه يشد قلب
الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فياكله وكان
اذا اكل اللحم لم يطاطئ راسه اليه ويرفعه الى فيه ثم ينهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب
من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة و
قال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء
التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمرارة
والمثانة والغدد والحيا والدم وكان يكره ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط
لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان
يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل
حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد
اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم
خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلث دفعات له فيها ثلث تسميات
وفي اواخرها ثلث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا
يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة
ان تعطي فان احببت آثرتهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في
اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع
فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه
اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل بنفسه او يشرب **بيان اخلاقه
وادابه في اللباس** كان صلى الله عليه وآله وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان
يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء
المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة
فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار
في الصلوة وغيرها وكان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء

ب الصحفة

ويخرج ما فضل عنه غيره وكان الكساء يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان للجمعة
خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما
ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار
الذي جامع فيه يومئذ وربما كان يصلي بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية
على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود من صوف فوهبه فقالت له ام سلمة بابي وامي ما فعل ذلك
الكساء الاسود قال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده قال انس وربما رايته
صلى بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء
وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم ويلبس
العمائم بغير القلانس وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة
على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي رضي الله عنه فربما طلع علي فيها فيقول
صلى الله عليه وآله وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا جديدا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي
كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه اخرج من مياسره وكان له ثوب للجمعة خاصة
سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه
لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله
ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى ثنيين وكان ينام
على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه
الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب
وكانت قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من الفضة وكان اسم قوسه الكتوم
وجعبته الكافور وكان اسم ناقته العضباء وهي التي يقال لها القصواء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره
يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها غيثة وكانت له مطهرة من فخار يتوضا فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم
الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة
ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة **في عفوه مع المقدرة**
كان صلى الله عليه وآله وسلم احلم الناس واعظمهم في العفو مع القدرة حتى اتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها
بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك
من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا وروي عن جابر انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبض للناس
يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحك
من يعدل اذا لم اعدل فقد خبت وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال
معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان صلى الله عليه وآله وسلم في حرب فرأى من المسلمين غرة فجاء
رجل حتى قام على راس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من
يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السيف فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله
الا الله فقال الاعرابي لا ولكني اعاهدك ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء اصحابه فقال

جئتكم من عند خير الناس وروي ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها
الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او
الا نقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبرئيل حتى حل العقد وحل ذلك عنه وما ذكر ذلك لليهودي
ولا اظهره عليه قط وقال علي رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها
فاتينا به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين يخبرهم بامر من امر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في
قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم
ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقكم فقال عمر اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وآله وسلم انه قد شهد
بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا
يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **في حيائه واغضائه**
عما يكرهه كان صلى الله عليه وآله وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه
وكان اذا اشتد وجده اكثر مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له
شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال
صلى الله عليه وآله وسلم لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول
والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي بذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم
يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة
بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو
تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **في سخاوته وجوده** كان صلى الله عليه
وآله وسلم اجود الناس بالخير وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه اذا وصف
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كان اجود الناس كفا واجرأ الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم بذمة والينهم عريكة
واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم

[illegible]

وجهه كالقمر ليلة البدر [illegible]

[illegible] كان شيبه في الرأس واللحية سبعة عشر شعرة بيضاء [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

[illegible] ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه [illegible]

[illegible] أبو بكر [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

[illegible]

علي طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته في مضايق الاسولة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته
في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائل دقايقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب
ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تاييد
سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة
بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله
فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن
الاخلاق وللتنبيه لصدقه صلى الله عليه وآله وسلم وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله تعالى اذ آتاه
الله تعالى جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين
اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له من محاسن الاخلاق ومعرفة مصالح الفقه
فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح
الوحي ومن اين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من
آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاض به الاخبار واشتمل عليها الصحاح اشارة الى
مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله تعالى العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة اذ سالته
قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة ويوم الخندق ومرة ثمانين من اربعة امداد شعير
وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل
الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه
صلى الله عليه وآله وسلم فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط
صلى الله عليه وآله وسلم يده فيه واهراق وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء
فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل
ذلك ماء وامر صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو
موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن
في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله سبحانه الكهانة بمبعثه فعدمت وكانت ظاهرة
وحن الجذع الذي كان يخطب اليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه
اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذا
مكتوب في سورة يقرؤها في جميع جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية
التي فيها واخبر صلى الله عليه وآله وسلم بالغيوب وانذر بان عثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة
وبان عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين واخبر صلى الله عليه
وآله وسلم عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها اشياء الهية
لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكتب ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه
واتبعه دخان حتى استغاث فدعا له فانطلق الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سواري كسرى فكان كذلك
واخبر بقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه

فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه وشكا اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم
في النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في
النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا وكان صلى الله عليه وآله وسلم نحو
الربعة فاذا مشى مع الطوال طالهم ودعا صلى الله عليه وآله وسلم النصارى الى المباهلة فامتنعوا فاخبرهم انهم ان فعلوا ذلك
هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس
وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله صلى الله عليه وآله وسلم فحيل بينه وبينهما ودعا عليهما
فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر صلى الله عليه وآله وسلم انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه
يوم احد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه واطعم صلى الله عليه وآله وسلم السم فمات الذي اكله معه وعاش
صلى الله عليه وآله وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر بمصارع صناديد
قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر
صلى الله عليه وآله وسلم بان طوائف من امته يغزون في البحر فكان كذلك وزويت له الارض فاري
مشارقها ومغاربها واخبر بان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد
الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر صلى الله عليه
وآله وسلم سواء بسواء واخبر فاطمة ابنته انها اول اهله لحوقا به فكان كذلك واخبر نساءه ان اطولهن يدا اسرعهن لحوقا به
فكانت زينب بنت جحش الاسدية اطولهن يدا بالصدقة اولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت
فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت
فردها صلى الله عليه وآله وسلم فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر فصح
من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه
فمسحها بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش كان معه صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بجميع ما بقي
فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ منه وحكى الحكم بن
ابي العاص مشيته صلى الله عليه وآله وسلم مستهزئا فقال صلى الله عليه وآله وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات
وخطب صلى الله عليه وآله وسلم امراة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال
صلى الله عليه وآله وسلم فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من آياته ومعجزاته
صلى الله عليه وآله وسلم وانما اقتصرنا على المستفيض فمن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم ان آحاد
هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم ان آحاد وقائعهم
غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين
الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وآله وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغاء
الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم
وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الآية وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم
للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده

اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شريعته الى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ورد وصدر فنسأل الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده ❁ تم الربع الثاني على يد العبد الضعيف الفقير المفتقر الى فيض رحمة ربه الغني احمد بن علي عفر الله ذنوبهما وستر عيوبهما وضاعف اقتدارهما واصلح احوالهما في اوايل شهر الله المعظم لعام تسع وتسعين وثمانماية الهجرية الهلالية المصطفوية ويتلوه بعد ذلك الربع الثالث من كتاب احياء

علوم الدين وهو ربع المهلكات و

اوله كتاب عجايب القلب انشاء

الله تعالى وصلى الله على خير

خلقه محمد وآله وصحبه

وعترته

اجمعين

م

كتاب شرح عجائب القلب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي إشراق أنواره الأحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين

أما بعد فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المتقرب إليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء يترشح بما فيه وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين وإذ فرغنا من الشطر الأول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات

وهو العلم الباطن فلا بد وأن نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي

اعلم أن هذه الأربعة أسامي تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعاني هذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا

اللفظ الأول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به الأغراض الدينية وإنما يتعلق به غرض الأطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب إلا علوم المعاملة والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه مع

اللفظ الثاني الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلوب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل

الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وآله وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها
التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف
احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة
قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها
الى الله فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس
الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله
تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي
الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز
ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني
محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات اللفظ الرابع
العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملته معنيان احدهما
انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق
ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو
اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم
وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله
العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن
الخطاب معه وفي الخبر انه قال له تعالى اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معاني
هذه الاسامي موجودة وهي القلب الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم وهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ والروح الجسماني
الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها
فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ
وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس
وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح
هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف
حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة
خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول
بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر
بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله تعالى وكرسيه فان
ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة
الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في

القلوب

القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن
الان نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى
الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد
بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها
خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له
خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان
بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة
لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
انما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق
على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره
الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وتعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله
خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم والاسباب
التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله تعالى ما لم يسكن البدن
ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل
من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي
به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء
وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن
وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه و
خلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي
به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي يعمل بهما بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة
من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر
للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن و
الانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا
الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فلنقتنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث
اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة ٨١
والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة
في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي
قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم و
العظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء
بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانه من عالم الملك والشهادة

احكام

والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايده به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعضه الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان **امثلة القلب مع جنوده الباطنة** اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلاثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواها وجوارحها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في رأيه ساعة وكما ان الوالي في مملكته متى كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته في ان الصواب في نقيض رأيه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال فيمن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة وهي الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته

والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه

بيان **خاصية قلب الانسان** اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في وقت المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذن اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احداهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة وتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليه وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت فيها الخلق بكثرة المعلومات وقلتها وشرف

[illegible]

[illegible]

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلته

اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه اربع شوائب [illegible]

[illegible]

أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكأن المجموع في إهاب الإنسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه والخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة وبنوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم الفرج والبطن ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهوته انبعث على الفور في خدمته وإحضار شهوته أو رآها ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا الفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فينتشر منه إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب وأمثالها ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليها والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها

وردها

وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من الأخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعصيته مسودة له فمن أقبل على المعاصي اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فإنها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

مثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة

اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيه وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نقش الحقائق في القلب وحضوره فيه فالعلم عبارة عن حصول مثال المعلوم في القلب كحصول المثال

في المرآة من المتلونات وكما أن القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف
واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة
الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما كان السيف
موجودا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول
السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل
حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال
مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور
لخمسة أمور أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وإن
كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع
لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي به
شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيه حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب
عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا تنجلي له المعلومات
لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع
صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم من قارف
ذنبا فارقه عقل لم يعد إليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوها فلو
جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها
إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة
كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والإقبال على طاعة الله تعالى والإعراض عن مقتضى الشهوات
هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلام
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع
الصالح وإن كان صافيا فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب
بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل
في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب
النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات
مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم إلى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف
الحقيقي والرابع الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك
لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين
حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب
أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السماوات والأرض لأنهم محجوبون
باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق والخامس
الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر

للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار
فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فإن العلوم المطلوبة التي
ليست فطرية لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل إلا من علمين سابقين يأتلفان
ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل
والأنثى ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل
الذي الذكر والأنثى وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان بينهما
طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية
الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان
مثلا أن يرى قفاه في المرآة فإنه إذا رفع المرآة بإزاء وجهه لم يكن قد حاذى به شطر القفا فلا يظهر فيه القفا
وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيه فيحتاج إلى مرآة
أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلته بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة
القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين
صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة
ويعز على بسيط الأرض من يهتدي إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب
من معرفة حقائق الأمور وإلا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر
جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض
والجبال إلى قوله وحملها الإنسان إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السماوات والأرض والجبال بها صار مطيقا
لحمل أمانة الله وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل
ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه
وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي
الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أين الله في الأرض
قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن
اللين الوادع وفي الخبر أنه قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو
التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب
بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السماوات
أما جملتها فأكثر سعة من السماوات والأرض لأن السماوات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع
الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار
المخصوصة بإدراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة
إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية
محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب

عن اللحظ بعينه عن قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون نسبة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته
ومقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وأفعاله وأسرار الطاعات والأعمال يحصل بتصفية القلب وتزكيته
وجلائه وعدل الطريق في كل موضوع وأدنى تزكيته حصول نور الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه
نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب الأولى إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض والثانية إيمان
المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه
المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الأولى أن يخبرك من جربته بالصدق
ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد
وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وإرادته وقدرته
وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف
ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين
وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل
من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقاد فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما
اعتقدوه خطأ لأنهم ألقي إليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي إليهم كلمة الحق الدرجة
الثانية أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك
وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فإنك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت
صوته ازددت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة
فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت
قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل
للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الثالثة أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده
فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن
مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم
وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف أما الدرجات فمثاله أن يبصر زيدا في الدار عن
قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت
عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته
ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا
وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب
بالإضافة إلى العلوم بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية
والدنيوية والأخروية اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي
تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم إلى دنيوية وأخروية
أما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا يوجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدرى

من أين حصل وكيف حصل كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا
قديما موجودا معدوما معا فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل
له ومن أين حصل له أعني أنه لا يدري فيه سببا قريبا وإلا فليس يخفى عليه أن الله تعالى هو الذي خلقه وهداه وإلى
مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان
مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والأول هو المراد
بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله لعلي رضي الله عنه
إذا تقرب الناس إلى الله بأبواب البر فتقرب أنت بعقلك إذ لا يمكن التقرب إلا بالغريزة الفطرية
ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل
في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى
قوة البصر في العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر وإن كان قد غمض العين أو جن
عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى إدراك البصر ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر الرؤية عن البصر إلى أوان
إشراق الشمس وفيضان نوره على المبصرات والقلم الذي يسطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى
قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة
عن خلق من خلائق الله جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الإنسان ما لم
يعلم وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا
خشب كما أنه ليس تعالى من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه
إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي
كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لأحد الضررين إلى
الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة البصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى فسمى إدراك
الفؤاد رؤية وكذلك قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وما أراد به الرؤية الظاهرة
فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم صلوات الله عليه حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد إدراكه
عمى فقال فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في
الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا مثال العلم العقلي وأما الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من
الأنبياء صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفهم معانيهما
بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته من الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب
وإن كان محتاجا إليها كما أن العقل غير كاف في استدامة أسباب صحة البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية
والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدي إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلا
غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل
عن أنوار القرآن والسنة مغرور فإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية
كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك أمراض
القلب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء

صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر به كما يستضر المريض بالغذا وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به وينسل من الدين انسلال الشعر من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فتعثر فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له ان الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احدهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكثر اهل الجنة البله وقال في الدنيا وقال الحسن ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال الله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية فانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الرياح يحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء وينكشف ايضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب عنها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار استدامته هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهوته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن

وأحوال ومنازل أولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير
محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا
الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق
واستبطأوا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل في
حالة فثباته أبعد منه إذ أدنى خاطر ووسواس يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن
أشد تقلبا من القدر في غليانها وقال قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وفي أثناء هذه المجاهدة
قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم
نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر دون النجاح فيه
فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح
له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض وزعموا أن ذلك
يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والإلهام
من غير تكرار وتعليق فأنا أيضا ربما انتهى بي الرياضة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو
كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك
هذا فقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر
العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحواس وما ليس مدركا بالحواس تضعف
الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك إلى أفهام الضعفاء بمثالين أحدهما أنا لو فرضنا حوضا
محفورا في الأرض احتمل أن يساق الماء إليه من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه
التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد
يكون أغزر وأكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الأنهار ويمكن أن يساق العلم
بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن يسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة و
غض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله فإن
قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره
في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين
فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر
السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك
النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته يتأدى منه صورة أخرى إلى الحواس والخيال فإن من ينظر
إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليه ولو انعدم السماء و
الأرض وبقي هو لوجد حضور السماء والأرض في نفسه خارجا عن خيال الإنسان وقلبه والعالم الموجود موافق
للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده
الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبعه وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال و

يتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية و
بعضها جسمانية والروحانيات بعضها أشد روحانية من بعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية إذ جعل حدقتك
على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها ثم يسري من وجودها في
الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فإنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم
كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار
ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صار قلب أكثر الخلق جاهلا بالقلب وبعجائبه ولنرجع إلى الغرض
فنقول القلب يتصور أن يحصل فيه حقيقة العلم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن
العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي
صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن
الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من
المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع من الأنهار في الحوض منع ذلك
من التفجر من الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس فإذن
للقلب بابان باب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي
عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما
انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا
واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما
ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر
الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم
أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذن الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء
وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم
الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الغيب والشهادة
لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العالمين المثال الثاني يعرفك الفرق
بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء
الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا
بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين
منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم
من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم
ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فتعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل
وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا وما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فإذا بجانبهم يتلألأ فيه عجائب صنائع
الروم مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد

اصغاء فكذلك غاية الاولياء تطهير القلب وجلاؤه وتزكيته وصفاؤه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية
الاشراق كفعل الصين وغاية العلماء والحكماء الاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان
فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب
لا يأكل محل الايمان فيكون وسيلة مقربا الى الله تعالى فاما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء
والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى
الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني فيتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت
المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون
الى لقاء الله الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل
الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ مرة فاذا اضاء قدم
قدميه واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم كالبرق ومنهم من يمر
كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه
ويديه ورجليه تجر يدا وتعلق اخرى وتجر رجلا وتعلق اخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى
يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وهذا
يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج و
بعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف
في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك
يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه
يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة
كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه
ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة
لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان
اشارة الى تفضيل قلب العارف المؤمن وانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال الله تعالى وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال الله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين
اوتوا العلم درجات ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر
ابن عباس رضي الله عنهما قوله والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين
كل درجتين ما بين السماء والارض وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم
القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة
فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من الشرق الى الغرب وكل واحد

منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخس حظه منه والآخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب
من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة
فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة
ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة
وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل و
يخرج به من الشبهات ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر في دعائه من سؤال النور اللهم اعطني
نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي وسئل النبي
صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة
ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس رضي
الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وآله
وسلم الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من
يشاء انه الفهم في كتاب الله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان ابو
الدرداء رضي الله عنه يقول المؤمن ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على السنتهم
وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله
واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن
ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه في قلوب احبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقال النبي عليه السلام ان
من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين
والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة
والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في
السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين و
كان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذي
يأخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى
قد آتيناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني
الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات
والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك

على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر رضي الله عنه لعائشة انما هما اختاك وكانت زوجته حاملة
فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف
له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك
قال دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها شزرا وتاملت
محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل علي احدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر
لتتوبن او لاعزرنك فقلت أوحي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة
صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا واشباههم
كلٌّ على الناس فناداني وقال والله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى في سري فناداني
فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داود دخل ابو العباس بن مسروق
على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل
هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد النقيب قال
دخلت على الشبلي قال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال لي كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل
فعاد مني خاطري وقال بلى انك بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم
الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت وخرجت
فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا
وكذا فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين عقدنا لما جلس هذا الفقير بين ايدينا ان لا ناخذ
عليه اجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت
على ابي الخير التيناتي فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به قد لحقني
وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات
وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب فلم يقرأ فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي
فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد
وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد
واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم
يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر صلوات الله عليه والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف
ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل
لم يكترث بالتفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف
بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس
وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي جاز
لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا
فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب

الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما
جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه
فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في
انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء
فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف
للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني ان املي عليه
شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به
الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قال بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين
لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن
مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك
الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن
في المسألة عندي جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا ادري فسألت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا
ادري فنظرت الى قلبي فسألته فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه
التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة
القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة
الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب
عمر بن الخطاب الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تنجلي لهم امور صادقة وقال بعض
العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأه الله لهم من الحق وقال آخرون لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع
الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله
ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من كل جانب او هو مثل مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور
المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة
اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمسة واما من الباطن فالخيال
والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في
القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان
كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل
القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة
في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على
سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي
المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر

ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم
إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران
مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى
وسواسا ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على
اختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب فمهما استنارت حيطان
بيت النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب
وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا وسبب توفيقا والذي به يتهيأ لقبول
وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه
الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة
عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في
مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى ومن
كل شيء خلقنا زوجين فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه لا مقابل له بل هو الواحد الحق
الخالق للأزواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في القلب لمتان لمة من الملك وعد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق و
نهي عن الخير وقال الحسن إنما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا
وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين السلطانين قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن والله سبحانه يتعالى عن أن يكون
له إصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالأنامل ولكن روح الإصبع سرعة التقليب والقدرة على
التحريك والتغيير فإنك لا تريد أصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما أنك تتعاطى الأفعال
بأصابعك فالله تعالى إنما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب
كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الأجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملكية ولقبول
آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع
الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضى الشهوة والغضب
ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان و
مرتعه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم
ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية النفس
عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم
فلا يأمر إلا بخير وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله تعالى على شهوته حتى صار
لا ينبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير
ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى

ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في
معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر
القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة
ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى
والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء
بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان
فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان
وقال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وهو إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله
وقال عثمان بن أبي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له
خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبر
إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر شيء
ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله
وما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان
فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول و
القوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله وذلك لا يقدر عليه إلا
المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال
الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله
تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا
غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل
والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال النبي صلى الله عليه و
آله وسلم إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله التقم قلبه وقال
ابن وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجه
لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب
من جوانبه ولذلك قال عليه السلام إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن
الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى حكاية
عن إبليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال
له أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك
فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل
فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا

على الله ان يدخله الجنة وان قتل او مات غرقا او حرقا او اكله السبع فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه
عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه
فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من
احد الا وله شيطان وقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق
والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل
بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخلت في
ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة
الخواطر الباعثة على الشرور قد علم وقد دل على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو
فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه وتعالى عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن
به ويحترز منه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه و
مسكنه نعم ينبغي ان يسأل عن سلاحه ليدفعه عنه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين
فاما معرفة حقيقة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا
يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان تعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه
وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك
او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر
العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم
بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة
على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة
مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم
فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ
واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك
ويؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الاستتباع فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم
وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله
ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى ليؤيد الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر وروي ان ابليس تمثل لعيسى صلوات الله عليه فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة
حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى و
بها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون
لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من آخر هذا الربع ولعلنا
ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد

المذاهب

والمذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد
ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من
الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل
طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله
تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم
المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا
بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة
الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا
والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع
ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم انه لا يزال
يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد
من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن
الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي
الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو
غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة وقال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة
فلا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤمن
ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال
لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل
واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق
الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما
اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة
باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة
المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب
المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله مما يهدي الى غوامض
طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما خطا
فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه
ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل للخطوط فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كثرة طرقه ونحن نذكر مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم
الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه
وذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية

تحققها والتي في قلوب اهلها ان ذكرتها هم الراهب فلما بدا للراهب ذلك ابى ان يكلمها فلم يزل به حتى كلمها
غير نفسها فجعلها له الشيطان ومن ثم استادنها ولم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوثب اليه
وقال الآن تفتضح يأتيك اخوتها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اخوتها في
المنام فقال ان الراهب فعل باختكم ثم قتلها ودفنها في مكان كذا فلما اصبحوا اتوه فقالوا ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان
فقال انا الذي اوقعتك في هذا وانا الذي اخبرت اهلها فاطعني تنج اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو
الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله
واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما
يظن صاحبه انه خير وحسنة فيستحسن ذلك بقلبه لخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج
الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان مثال القلب مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن
فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا
يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد
مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت
معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب
العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص
فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبك الشيء
يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فيجد الشيطان
فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام
لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما امر فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح
ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك قال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم
فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك باثنتين فاوحى الله الى نوح انه لا
حاجة لك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني
بهما اهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص ابيح لآدم عليه السلام الجنة كلها
فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا ضعف جند
العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان
ابليس لقي موسى صلوات الله عليه فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق
الله اذنبت ذنبا وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه
قال له يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال قد امرت ان تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فاستكبر
وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت الى ربك فاذكرني
عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في قلبك وعيني في عينك واجري منك

مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته
واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار
في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام
ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقد قال بعض الانبياء لابليس باي شيء تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب
وعند الهوى وقد ظهر ابليس لراهب فقال له الراهب اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان
حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ويقال ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى
اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه حب التزين في الثياب والاثاث والدار
فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى
عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره
فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن ان يعود اليه ثانية فان ذلك يجر بعضه الى البعض فلا يزال يؤديه
من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء
الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي
الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له
يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بهن ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما
شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام
ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على
القلب لم يزل الشيطان يحبب التصنع والتزين للمطموع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه
كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله
الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى صفوان بن
سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك قال لا حاجة لي به قال انظر فان
كان خيرا اخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا
غضبت ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العجلة من الشيطان
والتأني من الله وقال الله تعالى وكان الانسان عجولا وقال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
وقل رب زدني علما وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصر والمعرفة والبصيرة تحتاج الى تأمل وتمهل
والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عليه
السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم
فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم
فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام
بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر اصناف
الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان
من له قوته فهو فارغ القلب ولو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه مائة شهوة يحتاج كل واحدة

منها الى ما يزيد دينارا ولكنه ... الى ان يحتاج الى سبعمائة اخرى وقد كان ذلك وجود المائة يكفيه فالآن
وجد مائة وظن انه صار محتاجا الى تسعمائة يشتري بها دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري الاثاث المليح
ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك آخر له فيقع في هاوية آخرها
عمق جهنم فلا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما
هو فانطلقوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه
وآله وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا
قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا
فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا
فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك
من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة الشيطان عليه فان القائم بالليل للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان
يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر بباله ذلك ولا تتحرك رغبته الى
النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة متى ينشط لعبادة
الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار
والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للكانزين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما
غلبني ابن آدم فلن يغلبني على ثلث آمره ان ياخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال
سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى
وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين
وروي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني
الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي
طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل
لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي
مصايد قال النساء ومن ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء
والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة
مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه
غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في
اتباع الشيطان فترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب
ومتعاطي لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر لكان اول عدو له اذ موالي ابي بكر رضي الله عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته
وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ان يضع حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا
الفضولي ان يدعي ولاءه وحبه وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي رضي الله عنه
وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا لثياب
الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيمة وليت شعري
من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وثمرة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقاريض

وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وجده فكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي
بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الاهل والولد بل من نفوسهم والمتجرئون على معاصي الشرع هم الذين يمزقون
الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم
يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبه الصحابة في امة رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان
من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لفاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا
مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين لابي حنيفة والشافعي واحمد ومالك وغيرهم من الائمة
رحمهم الله فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي
العلم دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما لك خالفتني في العمل و
السيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا
من مداخل عظيم ومداخل الشيطان قد اهلك بها اكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعف
في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة
الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ
مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال
الحسن بلغنا ان ابليس قال لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت
لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب
التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات
الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله عز وجل
فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا
فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم
فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتحروا فيه
على التفكر في ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين
او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع
في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حمقا
اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من
العلماء قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول
الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب
عنه فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يامره في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام
الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى
العلماء فالعامي لو يزني او يسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه

ويقع في المهالك من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد
والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن مداخله سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى
اجتنبوا كثيرا من الظن ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او
يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من
المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احترز منه وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما ان صفية بنت حيي اخبرته
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي
معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله ما نظن بك
الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على
دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين
في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه
بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انسانا يسيء
الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث
هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه
بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعه لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس
في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان
وهل يكفي ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب
من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من المهلكات بيان علاج الصفات المهلكة
ويحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سياتي نعم اذا قطعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب
اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب
الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له
على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا خصص بذلك المتقين ومثل الشيطان كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول
له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب
الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر
الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى
والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس
الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الآيات والاخبار الواردة في الذكر قال
ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول
اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا واذا شرب سمى

فاظل عطشان واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل
لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة
الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته
من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء
قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا اللعين قال فما
تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها من ارادها فاصنع الآن ما شئت وعن
عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو
يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق
الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت ان جبرئيل عليه السلام
اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد اتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما
ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان صلوات الله عليه لاصبح طريحا وقال عليه السلام
ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي
الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا و
كنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه كما ينفع
الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء على القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر
قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما يندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد
الشيطان بعمله فقد تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير اي من ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وان ذكر الله
بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع
مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك
صلاتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب
المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك
فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا
تقبلها القلوب المحشوة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان
الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء
الذكر يفر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب
الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته
باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجاب
لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو

ولا يستجاب وقد قال ادعوني أستجب لكم قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذي أماتها قال ثمان خصال عرفتم
حق الله فلم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب الرسول ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت
فلم تستعدوا له وقال الله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار
وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس
أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فإن قلت فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون
فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقلة ولا تسأل عن
المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصي شيطانا
يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات
يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من
الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ثبر والأعور ومسوط وداسم وزلنبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب
الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فهو صاحب الزنا يأمر به
ويزينه وأما مسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فيدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم
وأما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء
يسمى الولهان وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر
السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما
يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر
فاه وما لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال أيوب بن يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس
أبناء الجن ثم ينشؤون معهم وقال جابر بن عبد الله إن آدم صلوات الله عليه لما أهبط قال رب هذا
العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال
رب زدني قال أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح
ما دام في الجسد الروح قال إبليس رب هذا العبد الذي كرمته علي إن لم تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد
إلا ولد لك ولد قال رب زدني قال [illegible]
[illegible]
[illegible] قال رب زدني قال [illegible]
[illegible] الجن ثلاثة أصناف [illegible]
[illegible]
[illegible] صنف كالبهائم [illegible]
[illegible]
[illegible] وقال وهيب بن الورد بلغنا أن
إبليس تمثل ليحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وقال له إني أريد أن أنصحك قال لا أريد ولكن أخبرني عن بني آدم قال
هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع
إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك

منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم
كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فإن قلت فكيف
يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورته فهي صورته الحقيقية أو هي مثال يتمثل له به فإن
كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين
حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما لا
تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة فما رأى النبي جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين
وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء فطلع جبريل فسد
الأفق من المشرق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة
الآدمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من
أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام
حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة
لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما
روي عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه عز وجل أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى
في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه
الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر
الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة
يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا بد
وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على الوجه الذي يقابل عالم
الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن للقلب وجهين وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام
والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة
لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق
المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس أما
الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على سر القلب فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها
لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان
في صورة كلب وضفدع وخنزير ونحوها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني
ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم
الصدر وهكذا جميع أبواب التعبير وهذه أسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم
المعاملة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان منكشف لأرباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة
كما يكون في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هو مثال
المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدتها المكاشف دون من حوله كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار وآيات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها
الا على سماسرة العلماء فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى عفا عن امتي ما حدثت
به نفوسها وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان
عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري
في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبع مائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب له وان عملها
كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما
يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وتعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال سبحانه وتعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر
فلا يعفى عنه وقال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب
من مبدأ ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة
امرأة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة
التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ونسمي الاول حديث النفس والثالث حكم
القلب فان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع
الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف مما يكون بتأمل وهو على كل
حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم
النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى
القلب الى الخاطر الاول حتى طالت محادثته للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت
الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر
عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم
الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا
يدخلان تحت الاختيار وهما المراد ان بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس
عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعه عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسميان حديث نفس
بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي تحدثني
ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام
قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا
فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمني فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث
النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو
الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا تردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال يختلف فيه

فالاختيارى

فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم
يعمل نظر فان تركها خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة
والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة
عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة
لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من الله
كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ
الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر
به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وحيث قال
انما اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال
النبي عليه السلام انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامرأة
فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل
مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به الا ان يكفره بحسنة
ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث
النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف بما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله
تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال النبي
عليه السلام لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بعد سنة بقوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ
به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس
ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والرياء
والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا
اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا
بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم وقال الاثم حواز القلب وقال البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم
قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من ظن انه تطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر
كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها
وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت امرأته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا اعلم ان العلماء المراقبين

الملكوت الباطن من عجائب القلب وصفاتها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة
تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وآله وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت
وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان
محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا
تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت
فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها
متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا اديرت بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة
واستدل هؤلاء بان الخنوس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة
الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين
فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد الا وله
اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي
والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر
كل واحد الى صنف واحد من الوسواس واخبر عنه والوسواس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق
فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات
طول العمر المه عظيم فعند ذلك اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات
شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه
خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية
لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب
بعلمه ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته
وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا
يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين
بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد
يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك
ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة
موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة و
التفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب
الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما
في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا
انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستغرق
القلب بعدو له تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا

المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه
لو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على
جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الآخر
واذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص
وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال
في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة وكان في يده
خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك
لذة النظر الى خاتم الفضة وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب ولذلك عليه السلام رماه ولا ينقطع وسوسة
عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في
صلوته عن الفكر في ديناره انه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به وكيف يظهره حتى يتباهى
به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في
العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد بل
ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه
في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن
العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه
وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها
وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب
فاذا اصابه شيء يتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى
الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه
ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك
وشيطان لا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله على
عظيم صنع الله في عجائب القلوب وتقلبها كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين
من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب
له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال
مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا
لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدى اليه لا يعرفها الا المراقبون لقلوبهم
والمراعون لاحوالهم مع الله والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكى
بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تتفجر منه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل

الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسراره وفوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم
بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا
بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه
الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه
واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق
انوار المصباح من مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في
الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي
زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات
التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر
والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر
الله تطمئن القلوب والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني المخذول المشحون بالهوى المدنس
بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ
الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتيه ويستكشف وجه
الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى
فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى
سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك
زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ
يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان
اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والابصار
ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان و
تحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره
والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون
وبقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات
ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها
حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة
والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر
عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله
المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفئ منه انوار
البصيرة فينطفئ نور الحياء والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب تبدو
فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع

في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب
فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد
لم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك لهم ملاذ
الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد
ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز
عن مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على
الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها
ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم
ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارأيت لو كنت في يوم صائف ووقف الناس
كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس
خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين
الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب
عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا
عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده
عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه
على العاجلة وتهوينه امر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء
على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني
التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من
الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه
من خزائن الملكوت وهي ايضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة
يسرت له اسباب الطاعة ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم
الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم
وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم
بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق
وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده
فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا
فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار
واهل الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء في الجنة ولا
ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب
فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها

فيقنعه بمن لا تمتنع بالطاعة عن ويلا بعشري بالقشر عن اللباب بل تشوقه الى معرفة دقايق الاسباب كما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله وحده العزيز ☼ تم كتاب عجايب القلب ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة امراض القلب ☼ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر وديājيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج لخصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن

الخلق

الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقه القرآن في قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وآله بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وآله وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمرو قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروته عقله وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي عليه السلام يقولون ما خير ما اعطي العبد قال الخلق الحسن وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام لابي ذر

الاخلاق

من سعادة المرء حسن الخلق وقال عليه السلام اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لأبي ذر يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس قال قالت أم حبيبة يا رسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لأيهما هي تكون قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال عليه السلام إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله وقال أنس قال عليه السلام إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة وروي أن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك فقال عمر أضحك الله سنك بأبي وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر وأنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك وقال عليه السلام سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم

الآثار قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فإذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فإذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس بن مالك إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقيل لكل بنيان أساس وأساس بنيان الإسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فأقرب الخلق إلى الله السالكون آثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وأنه ما هو وما تعرضوا

حقيقته

لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى وقال الواسطي هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني كف الأذى واحتمال المؤن وقال بعضهم أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل عن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا تتهم الحق في الرزق وتثق به وتسكن إلى الوفاء بما ضمن وتطيعه ولا تعصيه في جميع الأمور فيما بينك وبين الله تعالى وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الخراز هو أن لا يكون لك همة غير الله فهذا وأمثاله كثير وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله تعالى أمره بالإضافة إليه فقال إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح منسوب إلى الله تبارك وتعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء وليس عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن يصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في

الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا صلحت هذه القوة
حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما
يقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان يكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين و العقل
واما قوة العدل فهو ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح
المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة
ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان
النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا
فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن
الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية
واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت
الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت
الى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات
فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في
الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات
الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة النفس بها يدرك الصواب من
الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها يسوس الغضب والشهوة ويحملهما على
مقتضى الحكمة ويضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة
للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه
الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من الاعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن
وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها يصدر
الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة
التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون
ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض
واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر
منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها
وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب
واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب
واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة
والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث
والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار

الفقراء ونحو ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس بعده
متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول
الله وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون
به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان
يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول
قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال ولقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء
الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على
شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة
موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه
وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة** اعلم ان بعض
من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم يسمح
نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع
لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة
الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه طويلا
ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق
بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط
لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بلا فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ
العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات
ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن
اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك
تغيير الاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار الآدمي
في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما
هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد
ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت بحيث يمكن ان
تصير نخلا ان انضافت اليه التربية ولا يصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار
حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر
لم نقدر عليه وقدرنا بها وصار ذلك سببا لنجاتنا ووصولنا الى الله نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول

وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود
فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغير قوة الشهوة
فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد
ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد
كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاولى هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل
والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم ايضا شهوته باتباع اللذات فهذا سريع
العلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان
الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته
واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ قد تضاعفت
الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه اولا من كثرة الاعتياد للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة الاعتياد
للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمر وحزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة
انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك
لتضاعف اسباب الضلال والرابعة ان يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به
يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع قدره وهذا هو اصعب
المراتب وفي مثله قيل ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال
والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر الذي هو ان الآدمي
ما دام حيا فلا تنقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا
ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية
في الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب
بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي
يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها
الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك
بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى
اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد
وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء لم ينفكوا عن ذلك اذ قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا
يقول الا حقا فكان لا يخرجه غضبه عن الحق وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ
فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب
عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها
عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل
على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان

السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال تعالى والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا
تسرفوا وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الامور
اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما
منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا الى امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق
مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب ان
يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين
وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين
التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا
طرفي قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب
رأسا وامساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص له في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله
وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود
الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع ضح
غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق بيان السبب الذي به ينال
حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال
قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي
وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب خلقتا
معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير معلم ومؤدبا بغير مؤدب كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا
وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب
صبي يخلق صادق اللهجة سخيا جريئا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه
الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها
حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان
يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له
ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان
يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا
فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا
فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع
ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع السيئة وما العادة
لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال

... صلى الله عليه وآله وسلم ... [illegible]

... [illegible] ... قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... [illegible]

... السعادة الموعودة على حسن الخلق ... [illegible]

... عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... [illegible]

... فان الدنيا مزرعة الآخرة ... [illegible]

[illegible]

من تزايد الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اي بالاعتياد والتعليم يكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصا قابلا للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي يعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله ثم عالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزينت ظواهره بالعبادات وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره ان يخرج الى الاسواق للكدية والسوال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مائلا اليه فرحا

رة

ضهم

ملتفتا

ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الخلاء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما اشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقله من الجاه بالترغيب في الاخرة فكذلك من لم يسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم كلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى يقوي به نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا يسكن بذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدا الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويامره بخدمة من ساء خلقه ويراعيه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الان التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

بيان علامات امراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة

اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب ان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة

العلى

والمعرفة وحب الله سبحانه وتعالى وعبادته والتلذذ بها وايثاره وذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع
الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة
القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز بها عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع
والابصار او غيرها بل بمعرفة الاشيا على ما هي عليه واصل الاشيا وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا
هو الله تعالى فلو عرف كل شي ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة
المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم الى قوله احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فمن عنده شي احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان
كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والما او سقطت شهوتها عن الخبز والما فهي مريضة فهذه علامات المرض
وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شا الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا
يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات
وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطبا هم العلما وقد
استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا
العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها
عادات ومرايات فهذه علامة اصل المرض فاما علامة اصله عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة
التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فانه المهلك المبعد من الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد
يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة
فهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة
فكذلك المطلوب بالاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت
ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده
فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله
للمستحق فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك
واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب
نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا
الى امساكه بل يصير عندك كالما فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك
البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما
عن ساير الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشي مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلايق عنها
غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمينة راضية مرضية داخلة في زمرة
عباده المقربين النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين
الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في
الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل
الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار

وان كان

وان كان مثل الورود قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي
الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله في
كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال له قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال لقوله
فاستقم كما امرت فالاستقامة على سوا السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب
من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا يصدر الاعمال
الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد
منها على الترتيب

بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله
اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه
العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عين انفسهم فمن
اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على
خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه
شيخه واستاده عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز وجوده في هذا الزمان الثاني ان يطلب صديقا
صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه
الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ايمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله
امرا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى
فالح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مايدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال
وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا
كانت تهمته لنفسه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا
قد عز فقل في الاصدقا من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في
اصدقايك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا
كان داود الطايي اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط قال وماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كان
شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا و
يعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيية حيات وعقارب لداغة ولو
نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وقتله وانما نكايته على
البدن ويدوم المه يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديية على صميم القلب ونخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او
آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول
وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة
القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب
انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث ان

ح تخف عليه عيوبه صح

فيستفيد عيوب نفسه من لسان أعدائه فإن عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن
يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على
تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن
تنتشر على ألسنتهم الطريق الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبه
لنفسه إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع
الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد
نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا
عن المؤدب قيل لعيسى صلوات الله عليه من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل
من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب
عباد الله نصيحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك
الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات

اعلم أن ما ذكرناه إن
تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين
فإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد
فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله ولم يطلع على
سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا
وعد الله الحسنى والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى قال الله
تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين
أن النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى داود يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل
الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لمن
ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا
بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال عليه السلام
المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها
في معصية الله إذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان
الثوري ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء
الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس
ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي
جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة
من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات

ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من
الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة
فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة
الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل
آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك
الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه
وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات
قال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت
قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم وقال أبو يحيى
الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب ما زاد على الخبز فهو
شهوة وقال وهيب بن الورد من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف
صلوات الله عليه بعد ما ملك خزائن الأرض يا يوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وإن الصبر
والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فقعدت
فلم أطق القعود فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلي
الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل
فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه وقال اسمعي قد
أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد ها قد سمعتيه وانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي
إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى أتكلم قال إذا اشتهيت
الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات
في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال يا نفس اصبري فوالله ما
أمنعك إلا من كرامتك علي فإذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي
النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك
فلا يدرك إلا بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون
مقتصرا من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء
منه أنس به وألفه فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال
ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقتصر من الدنيا على ما
يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه أربعة رجل مستغرق
ذكر الله قلبه فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا
بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه
إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهو من الهالكين والثالث رجل مشغول بالدنيا والدين

يكون الغالب على قلبه هو الدنيا فهذا لا يخلو من أن يرد النار إلا أنه ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله على قلبه
والرابع رجل اشتغل بهما جميعاً لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة
ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب عليه وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح
فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة
من الدنيا أيضاً وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا أيضاً
ويتعلق بحديث قال إبراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رماناً فاشتهيته فأخذت منه واحداً فشققته فوجدته
حامضاً فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلاً مطروحاً قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك
السلام يا إبراهيم قلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك حالاً مع الله فلو سألته
أن يحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالاً مع الله فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فإن لدغ الرمان
يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ أربعين سنة
نفسي تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها فإذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم يمنع
النفس من التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن
الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون
سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا
يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد
وجب على العبد منعها عن الحرام فإن لم يتعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته الشهوة فهذه
إحدى آفات المباحات ووراءها آفة أعظم من هذه وهي أن النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن إليها
وتطمئن بها أشراً وبطراً حتى يصير ثملاً كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري
في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال الله
تعالى ورضوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا
فوجدوها قاسية نطرة بعيدة التأثر بذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حال الحزن فوجدوها لينة
رقيقة صافية قابلة للأثر بالذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب البطر والفرح ففطموها
عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عذاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش
الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك في الدنيا
والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي
إذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والتوحش إلى الانقياد والتأديب فإنه يحبس أولاً في بيت مظلم وتخاط عيناه
حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى
يأنس بصاحبه ويألفه إلفاً إذا دعاه أجاب ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس
بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولاً ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء
والذكر والدعاء ثانياً في الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عوضاً عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات

وربما يشق ذلك عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي فإنه يشق عليه إذ لا يصبر عنه ساعة
فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه على الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبن ولكنه إذا
منع اللبن رأساً يوماً فيوماً وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً ثم يصير له طبعاً فلو رد بعد ذلك إلى الثدي
لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام
والركوب فتحمل على ذلك قهراً وتمنع عن السرح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولاً ثم تأنس به بحيث تترك
في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع عن
النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت إذ قيل له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه فإذا
علم أنه من أحب شيئاً يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فإن ذلك
يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياماً قلائل فالعمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من
عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهراً ليتنعم به سنة وكل العمر بالإضافة إلى الأبد
أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا فلابد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة
والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب
الدنيا فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في
التدريس والإفادة فينبغي أن يترك أولاً ما به فرحه فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة
لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم
إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله والفكر فيه
وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سبباً ولا تزول
إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت والله أعلم بالصواب

بيان علامات حسن الخلق

اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه و
حسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء
الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء
الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق فقد قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون إلى قوله أولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون إلى قوله وبشر المؤمنين وقال إنما المؤمنون
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى قوله هم المؤمنون حقاً وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً إلى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات
فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض
يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت وذكر أن صفات الإيمان هي حسن الخلق فقال
أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وقال صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن
الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه وقال

لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً وقال إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول براً وصولاً وقوراً صبوراً رضياً شكوراً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً هشاشاً بشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمؤمن يعظم والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فإن حسن الخلق احتمال الأذى فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذباً شديداً وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك ثم أمر بإعطائه ولما أكثرت قريش إيذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ولذلك قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وحكي عن إبرهيم بن أدهم رحمه الله أنه خرج إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له أنت عبد قال نعم قال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الرجل إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه وأوضحه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا إبرهيم بن أدهم فنزل الجندي عن دابته وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل له بعد ذلك لم قلت أنا عبد قال إنه لم يسألني أنت عبد من قلت نعم لأني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله تعالى له الجنة فقيل له كيف سألت الله تعالى له الجنة وقد ظلمك فقال علمت أني أوجر على ما نالني منه فلم أحب أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانياً فقال يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعي أجاب وإذا زجر انزجر وروي عنه أيضاً أنه اجتاز يوماً في سكة فطرحت عليه من سطح إجانة رماد فنزل عن دابته وسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئاً فقيل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب وروي أن علي بن موسى الرضا رحمه الله كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل يوماً فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقي إلى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا

رحمه الله فظن أنه بعض خدم الحمام فقال له قم فاحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء وروي أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان إذا خاط له شيئاً حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوماً أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهماً زائفاً فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فرده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها في البئر لئلا يغر بها مسلماً وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الإنصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقيل إن أويساً القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار لا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال إن كان قد بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي أن علياً كرم الله وجهه دعا غلاماً له فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعاً فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأتعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

اعلم أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره

في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة
صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته
من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما راى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك
ظهور اوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى
يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شي دون شي وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة
تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل
يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا
ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام
والى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز
القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من كثر
الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب
اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض
دون الملونة والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر
عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان
الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي
مهما اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول ومكر وكياد و
مجانة وانما يحفظ جميع ذلك بحسن التاديب ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب بتعلم القرآن وباحاديث الاخبار
وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله
ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب
الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح
ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل ولا يهتك ستره ولا
يكاشف ولا يظهر انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك
ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه و
يقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين
فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام
معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل
ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم
بل يعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد
انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود
ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشي مما يملكه
والداه او بشي من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام

معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بداله حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في العطاء
لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة وذلة وان ذلك
من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع
فيهما اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان
ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة
وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا وكاذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع ان يبتدي بالكلام و
يعوده ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم من هو اكبر سنا منه وان يقوم لمن فوقه
ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على
لسانه شي من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ من القرناء
السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر ان ذلك داب
الشجعان والرجال فان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب
ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه
الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان
يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة و
التعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلوة ويؤمر
بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع
ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك
في الصبى فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود
منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها
وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم
عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا
يثبت فيه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة و
شره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل
الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل
التستري كنت ابن ثلث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما
الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك
به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت
ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة
قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك

سنين ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه
اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم
اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب فحفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين
وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت اهلي
ان يبعثوني الى البصرة لاسال عنها فاتيت البصرة وسألت علماءها فلم يشف احد عني شيئا فخرجت الى عبادان الى
رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بآدابه
ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر
عند كل سحر على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي
ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض
سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله **بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة**
وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا
حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فراى جوهرة
نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء
الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة
من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة
الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن
المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم
الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين
على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم
وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء
وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى
سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا
امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في
حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك
به وله حصن لا بد من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت
سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فترجع الى رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان
حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية
وانما يرفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت
قلبه اليه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله
لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم

معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب
كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك
قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها
الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء
الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن
يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العربية بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها
اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي الى اسرارها وغورها فاذا
قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة
فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل
فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة
فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة
التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط
المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه
في ورده وصدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه
لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق
وهي اربعة امور الخلوة والصمت والسهر والجوع فهذه الحصون من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه
ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد
وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك
العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم
لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت و
الاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب ظاهرة يشهد لها التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه
في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من
الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة
وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع
غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل
في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا
على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من
يقوم له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام
عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى
واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه
مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها

بحفر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء الصافي الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه
فيتجدد منه في كل حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في
بيت مظلم فان لم يكن مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء
الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه وهو على
مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض
القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات بعض اعظم من
والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها ان
بالاسهل فالاسهل وهي اعني في اول الارادة وآثارها اعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى
الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه
تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص كفي قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه
المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما
سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على
الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله
ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني غير الله
فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة
العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ووكل به من يقوم له
بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى
يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه
وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة
اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة
للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان
فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر
التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا
القلب عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها
ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان
الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان
ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يقطع العالم
بان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به
ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي

ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق
في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في
ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره
بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى
الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف فان
هذه مهالك الطريق ومواضع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع
عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق
الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان
اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر
الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ
ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال
الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في
صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان
لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من
الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في
طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه
ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين
عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون في الدنيا كانك عابر سبيل وقلت له مرة دلني على عمل اجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام
وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم
قسوة قلت لا بد لي قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم
قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذن منتهى الرياضة
ان يجد قلبه مع الله عز وجل ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل
قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف
بل لا يحيط به الوصف اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا
ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني
وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام
لتميل اليه القلوب والاسماع فربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله
وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة وتتضح مكيدة
الشيطان بان يظهر في اقرانه من هو احسن كلاما منه واجزل لفظا واقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك
في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه من اعانة القبول وان كان محركه هو الحق حرصه على دعوة عباد الله

الصراط المستقيم فيعظم بذلك فرحه فيقول الحمد لله الذي فضلني وايدني لئن يوازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذا وجده ضايعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من يعاونه عليه فانه يفرح به ولا يجد مشقة والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح لهم اوايل الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدريج الى لقاء الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولغلبة الشهوات المتعلقة بهما ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يمكنه نيلهما الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك ولم يسمح نفسه بترك الدين راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات ثمانية كتب كتاب في كسر شره البطن والفرج وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد وكتاب في كسر شره الكلام وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما ياتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب ويتلوه كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج بعون الله تعالى وحسن توفيقه وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه وذلك كله ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره ونواهيه

ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه اما بعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي صاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذ عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزوج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وآله وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال صلى الله عليه وآله وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤم اكول شروب وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال النبي عليه السلام ان الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال النبي عليه السلام لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال عليه السلام ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ قال فيه ان اقرب الناس من الله عز وجل يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله افترش الناس الفرش

وافترشوا التراب والركب صنع فعل النبيين واخلاقهم وخلقهم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله
على كل بلدة ليس فيها منهم ثم لم يكالبوا على الدنيا كالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا
غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم
ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر ذهبت عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت
عقول الناس لهم الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب
الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم
وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل
وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروي عن الحسن عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء
وقال عيسى صلوات الله عليه اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن
نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ايضا رواه طاوس وفي التورية مكتوب ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين لان السمن
يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القارئ السمين و
في خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل
على الشبع يورث البرص قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ياكل في معا واحد والمنافق ياكل في
سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف المؤمن او يكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعا كناية عن الشهوة
لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذ المعا وليس المعنى زيادة عدد معا المنافق على معا المؤمن و
روى الحسن عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ادموا قرع باب الجنة يفتح
لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظماء وروي ان ابا جحيفة تجشا في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا
وكانت عايشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتلي قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى من
الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع
فيقول اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب
الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عايشة رضي
الله عنها والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة فقال
اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته
ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال عليه السلام ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع
في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاء وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة
والآثار قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحيوة نتن في الممات
وقال لقمن العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وثمنها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة

نامت

نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شيء تخاف
اتخاف ان تجوع لا تخف ذلك انت اهون على الله تعالى من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وآله وسلم
واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح
الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل
اؤدي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غلة
عليه تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو عن الله راض وكان
الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة
نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع
الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجايع وقال ابو سليمان لان
اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه وكان
سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ
فيه حتى قال لا يوجد في القيمة بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في اكله و
قال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضع
الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال
وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة
حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد
الزيادة وقال صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر من السماء الى
الارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد
بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع
والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف
الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد النفس قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك
العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء
الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع
ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب
المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير
ممتلي فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله
عز وجل رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة بيان فوائد الجوع وآفات الشبع لعلك تقول
هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي
ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضرب نفسه وقطع لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري
مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لبشاعة الدواء وكراهته فاخذ يتناول
كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على ذلك الاطباء

وبكد الصبر يعتكف على غاية نفع الجوع الا لجماعة العلماء ومن جوع نفسه صار متصديا للمناجاة في الشرع من مدح الجوع وذم الشبع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد **الفائدة الاولى** صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وآله وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وآله وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شيء زكاة وان زكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رأيت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط ولا يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقرب الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح **الفائدة الثانية** رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما تكون العبادة الي اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وبلد فاذن تأثر القلب بلذة المناجاات امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية **الفائدة الثالثة** الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا يكسر النفس ولا يذلها شيء كما يذلها الجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرضت الدنيا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخزائنها قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الآخر **الفائدة الرابعة** ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى

اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم يجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدا لبلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجائع **الفائدة الخامسة** وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد قال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولأن احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديئة وحديث النفس باسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في اثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء **الفائدة السادسة** دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان يقول بعض الشيوخ عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد

ثم يحتاج الى مؤنة الطعام وربما انقطع عنه على عزم او في دخول الطعام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل
ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل
في كل حال والنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفائدة السابعة** تيسر المواظبة على العبادة
فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء
الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى
هذه لو صرفت الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه وقال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا
يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له
ان يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة
الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه
يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه
الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا
بها ويعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات في
قال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع
ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون
حول المزابل **الفائدة الثامنة** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول
فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر و
ينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان
منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع
اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي
الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو [illegible] حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء
الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء
الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه و
ان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر بعض الفلاسفة من حكماء اهل الكتاب قول النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من
هذا وانه لكلام حكيم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما
اعتاد واظن ان تعجب الطبيب [illegible] من هذا الخبر [illegible] لم [illegible] الاعلة التي
قل ما يدوم الادب [illegible] ورفع من الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع
ما ادخل الانسان بطنه [illegible] المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من [illegible]
وفي الخبر [illegible] صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم
الطغيان والبطر وغيرهما [illegible] خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير

ون

والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له يأخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تأكل
اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل وربما يتعب
احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال
بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لقلبي وقال آخر اذا اردت ان استقرض
من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان
ابراهيم بن ادهم يسأل اصحابه عن سعر المأكولات فيقال له انه غال فيقول ارخصوه
بالترك وقد سهل الاكل ملوم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان
مكتسبا لا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه
وبالجملة سبب هلاك من هلك حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم الاكل والفرج
وسبب شهوة الفرج شره الطعام وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاسباب و
الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم
ادمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات
ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة
الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم
لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة **الفائدة العاشرة** ان يتمكن من
الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في
ظل صدقته كما ورد في الخبر فما يأكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد
من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام
اولى من التخمة وكان الحسن اذا قرأ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية قال عرضها على السموات
السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما
فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارضين
كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب فقال لها هل تحملين
الامانة بما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما
لنفسه جهولا بامر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا آلافا فما
صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا قبورهم وسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا
انفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون البلاء وهم من الله في عافية يقول
احدهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكئ احدهم على شماله ويأكل من غير ماله
حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء
يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما تهضم دينك اين الفقير اين اليتيم اين الارملة
اين المسكين الذين امرك الله بهم وهذه اشارة الى الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقراء
ليدخر به الاجر فذلك خير من ان يأكله حتى يتضاعف سبب الوزر ونظر النبي صلى الله عليه وسلم

البطن

له ولهو ما ذكرنا انه تقدير ثلث البطن ومع ذلك احتيج الى زيادة لسقوط القوى بجملة لقد كان ابو ذر رضي
الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله لا ازيد عليه
حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان
يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين الادامين و
اختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث و
يسقط منه النوى وكان الحسن رضي الله عنه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة
من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر
اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان
اكل المؤمن عند ضرورة بقدر القوام فقط الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا
درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقه وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى
انتهى بعضهم الى ثلثين واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني
وعبد الرحمن بن ابرهيم بن دحيم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم
بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابرهيم بن احمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله
عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوي
سبعا وروي ان الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك يستعينون بالجوع على طريق
الآخرة قال بعض العلماء من طوى اربعين يوما لله ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض
الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه
من الغرور وكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا
تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام
وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى
الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه
درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته
وانساه جوعه وحاجته الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب
يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل
وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد
من السنة روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى
لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها اياك والاسراف فان
اكلتين في يوم من السرف فكان الاكلتين في اليوم سرف واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام
بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب له ان ياكلها سحرا قبل طلوع
الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام والجوع بالليل للقيام ولخلو القلب لفراغ

اذا جلس بين البطن فادعى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته
لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركت اقواما كان احدهم يمسي وعنده من الطعام
ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشرة فوائد
للجوع ويتشعب من كل واحدة فوائد لا ينحصر ذكرها ولا تتناهى فوائدها والجوع خزانة عظيمة في
فوائد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب
الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي اوردناها وبالوقوف على تفسير هذه الفوائد تدرك معاني
تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة
المقلدين في الايمان بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في اكله وبطنه
وما ياكله اربع وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد
ذكرنا ما يجب مراعاته في درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظائف خاصة
بالاكل وهي تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين
الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه
التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته
فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان
ياكل رغيفين مثلا فاراد ان يرده الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان
ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر
ولا يظهر فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقص
عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه
وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحياة والعقل
والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهما الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب
ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى يصلي قاعدا ورأى ان صلاته
قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل التستري عن بدايته
وما كان يقوت به نفسه فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت آخذ بدرهم
دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق ارز فاسويه ثلثمائة وستين كرة آخذ كل ليلة كرة
افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تعمل قال آكل بلا حد ولا توقيت ويحكى عن بعض الزاهدين انهم
يردون انفسهم في اليوم والليلة الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية ان يرد نفسه
بالرياضة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث
البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة
في الجمع للقلة وهو لدون العشر وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم
او تسع لقم الدرجة الثالثة ان يرد نفسه بالرياضة الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف
وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى

للذكر [illegible] الدرجة الرابعة ان يزيد على مقدار
[illegible] ان يكون ماوراء الحد اسرافا
قال الله تعالى ولا تسرفوا في حق الاكثرين
كان مقدار الحاجة الى الطعام مختلف بالشخص
والسن والعمل الذي يشتغل به [illegible]
[illegible] لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط
[illegible] ان ياكل اذا صدق جوعه
[illegible] عادة
[illegible] الجوع الصادق
[illegible] بالشهوة الكاذبة
[illegible] الجوع الصادق علامة
احدها ان لا تطلب النفس الادام
[illegible] حتى كان [illegible]
[illegible] الجوع

المعدة ورقة الحكي واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن
كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيامكم هذا قط وان كان
ليقوم حتى ترم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصايم بعد
المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين ان كان
رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر ليسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه لا يشتد بالنهار
جوعه لاجل سحوره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر
يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل
وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر
فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح
والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل
الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه
وانسا بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله ويصير الدنيا جنة في حقه فيكون الموت سجنا في حقه
واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له اشتهت نفسه الانفلات
منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس
فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول
اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح
بمعنى ان من اكله مرة ومرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن يتربى نفسه بالطعام ويانس
بالدنيا ويالف اللذات ويسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة هو يدعو
الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه
اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
اذكر انك ساكن القبر فان ذلك يمنعك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذائذ
الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى
روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت
من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على
ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه من شربة ماء بارد بعسل وقال
اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة
النفس وقد روى نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت
بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف وشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام
لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدناها

فاشتريت بدرهم ونصف فدعه نأخذ ثمنها فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما
فاخذها ووضعها بين يديه فقال قد اعطيته درهما واخذتها منه قال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر
الله له وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها
الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان
يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه
فقرب عشاؤه فجاؤوا بثريد لحم فاكل منه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد
ابن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار
ابن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في
الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف
من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء
فيقول لها يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي
لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال
احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف
واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما
رايته اكل الملح حتى لقي الله وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني
الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة
لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم
ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهيت لبنا منذ
اربعين سنة فوالله لا اطعمه حتى الحق بالله وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق
فسمعته يقول نفسي اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فاليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو
وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة
الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني
حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث بها الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج
قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا
الماء حتى ترتوي منه فما ارويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت
من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها فلقي صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد
مات ابوك قال بلى فناوله اياه واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد
ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت
ريح فاظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا لجراءتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا
بذنبك علي لا ذقته وترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فقال للغلام لما كانت الليلة تقرب ابو

يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ولم يكن الا تعففا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من
قلبه منزلة ما اعرفها من نفسي فقال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال له انا ان تركت اكل التمر عرفت
تلك المنزلة قال نعم وغير ذلك فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينيك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه
فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاود فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد
ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له
في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحيي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السليمي اني
متحفك بشيء فلا ترده علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن
وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته
وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة
وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قوله عز وجل
يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت
وقلت في نفسي اراك في واد وانا في واد وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في
دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد
ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا
بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع
اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي
يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبني آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا
ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي
يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب
الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسما الجوعي فسالته عن الزهد اي
شيء هو فقال اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا
العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد
اعتل فاتى عبد الرحمن المتطبب يساله عن شيء يوافقه من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال
صف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر تعلم
شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيئا
اقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا اقل من الاسفيذباج
يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب
فلم تسالني فقد عرفت ان هؤلاء كلهم امتنعوا عن الشهوات وعن الشبع منها وكان امتناعهم للفوائد
التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة و
الشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه
هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات وكفى بالمرء اسرافا ان ياكل

ما يشتهيه

ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء
خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا
وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل
لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن
ليصل او ليجلس وليذكر الله فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه
فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القرآن عقيب كل اكلة
كان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالذكر والصلاة وكان يقول اشبع الزنجي
وكده ومرة يقول اشبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من طيبات
الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه لتكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة
ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز
بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ
لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا هذه الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان
طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما تاتينا من العراق فاكهة احب
الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بالكلية
وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه
ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقوي
طلبها واشتد بي جهادها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك
فقال لا احسن ان اصف ما لقاني به ربي من النعيم والكرامة وكان اول شيء استقبلني خبز ارز و
سمك فقال كل اليوم شهوتك هنيئا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من الشهوات انفع للقلب من صيام
سنة وقيام ليلها بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس اعلم ان
المطلوب الاقصى في جميع الامور والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور
ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة
ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ
عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان
الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاوما
ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف
في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم
لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا
فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى
البطن فلا يؤثر فيه اصلا فان المقصود من الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع

ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الجوع والشبع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرد الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا يقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت لماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي هي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع الاخلاق المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم خير الامور اوساطها واليه اشارة قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال في ترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ من تهذيب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال ليكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك من الغذاء ايضا الى الاعتدال فانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب ادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من نظر من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق عن رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له تقدير ووقت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذن صائم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما وقال اني صائم فقالت عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك يحكى عن سهل انه قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات بورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك هذا قال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اي آكل كثيرا بل اني لا اقدر بقدر ما آكله الجوع وقد كان معروف يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له

ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا اجاعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث والذي اخذ العلم من السماع والنقل تلقيا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع عن مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهى ان يغمس خرزة في دبس فلم يفعل فيراه متناقضا فيتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها الفطن المحتاط او الغبي المغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فلست اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي وانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بنقير فقد قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره فينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس عليه نفسه بل لما عرض عليه ماء بارد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها فتركها وهذه اسرار لا يجوز ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل حين انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لا يفعله فينفره ذلك عن رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا فهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات وقلل الطعام

اعلم ان فيه آفتين عظيمتين هما اعظم من اكل الشهوات احديهما ان لا تقوى النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها

فيخفي الشهوة ويأكل مع الخلق ما لا يأكله في الخلوة وهذا هو الشرك الخفي سُئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت
عنه فقيل هل تعلم به بأسا فقال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي
بالشهوات وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالأعمال فإن إخفاء النقص
وإظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى
منه إلا بتوبتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقيل إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأن الكافر كفر
وأظهر وهذا كفر وستر وكان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر
عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء بل كمال العارف أن
يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمنزلته عن قلب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات
ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبيس حاله فهذا نهاية الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضده
وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها
كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق
من يأخذ ما يعطى جهرا ويرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فإنه على هذا فلا ينبغي أن يفوته
إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك
فاستره إصلاحا لغيرك لأنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم له من غيره فإنما يقصد الرياء بالمجرد
ويروجه الشيطان في معرض إصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من يطلع عليه
ليس يقتدي به في الفعل أو لا يترك باعتقاده أنه تارك الشهوات الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوة
لكن يفرح بأن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع
شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هو الشهوة الخفية فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت
إليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك
الشهوة وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة
نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوف
عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك
شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة
الطعام **القول في شهوة الفرج** اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين إحداهما أن يدرك
لذته فيقيس به لذات الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار وآلامها
أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب تسوق الخلق إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة
فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها
لكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم يضبط ولم يقهر ولم يرد إلى حد الاعتدال وقد قيل في قوله
تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق إذا وقب وهو
قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه قال في تفسيره الذكر إذا
دخل وقد قيل إنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول أعوذ بك من شر

سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال
وروي أن موسى صلوات الله عليه كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا
فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك قال له موسى من أنت قال أنا إبليس فقال لا حياك الله ما جاء
بك قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به أختطف قلوب
بني آدم قال فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه
وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه
بها ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا
كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويله علم موسى ما يحذر به
بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شيء أخوف
عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم إن
الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطي وأنت موضع سري وأنت
رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب وأعظم الشهوة شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا
لها إفراط وتفريط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن
سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين
أحدهما أن يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لعظم
شهوتها للطعام وما مثال ذلك إلا كمن ابتلي بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال
لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها وإصلاحها فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان
الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص والأمر الثاني أنه قد ينتهي في هذه الشهوة ببعض الضلال إلى
العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة
شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها بأن يستحيي منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد
والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي إلا بواحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية
إلى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لأجلها
وما العشق إلا سرف إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة
النظر والفكر وإلا فإذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والأولاد حتى حب اللعب
بالطيور والشطرنج فإن هذه الأمور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها
البتة ومثال من يكسر العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما
أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها
ويجرها إلى وراء وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما
أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فإذا إفراط الشهوة أن يغلب العقل
إلى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وإنما المحمود
أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما أفرطت فيكسرها بالجوع وبالنكاح

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم أن المريد في ابتداء أمره لا ينبغي أن يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل يمنعه عن السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما أحوجك إلى امرأة تستأنس بها فقال لا آنسني الله بها أي أن الأنس بها يمنع الأنس بالله وقال أيضا ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم فشرط المريد العزوبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة وهذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى صلوات الله عليه إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير إنما جاءت فتنة داود عليه السلام من أجل النظرة وقال داود لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول إبليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطئ به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه وآله وسلم احتجبا فقلنا أليس بأعمى لا يبصرنا فقال وأنتما لا تبصرانه وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فإنه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فإن قلت فكل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة بل ينبغي أن يكون إدراكه للتفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولكن لا يشتهي ملامسة الأنوار والأزهار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة

فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين ما أنا بأخوف على الشاب التائب من السبع الضاري من غلام أمرد يجلس إليه وقال سفيان لو أن رجلا عبث بغلام بين إصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيين صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون وآفة النظر إلى الأحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوته إليه فقال تقدم إلي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك وأشد منه فرأيت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى دفع ما لا يحب دفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول بإعادته وأمارة صدق الإرادة أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والخلق والورع وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين امرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت إلى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب الزفاف أصابت المرأة الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبحها فأراهم الرجل أنه أصابه رمد ثم أظهر أن بصره قد ذهب حتى زفت المرأة إليه وزال عنهم الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتأذى بها فإن تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روي أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم ثم كتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله فكتب إليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين ألف درهم وليس يمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير إليك مثلها ومثلها

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الجوع في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الغم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم نعماءك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا ميراثك هم الهموم واجل نظرك بالموت انما تلوت ما قال الله عز وجل في امثال الذي يحول اليك واصغاء ما ترجي انه لا يشتغل عن الله طرفة عين وهذا اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب فان عجز فالنكاح اولى به ودواء هذه الشهوة ثلاثة الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن ابن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت افكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد لو ارسلت الي لاتيتك فقال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان تبيت الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورده فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا او سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت ثلثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واحفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر اتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في زفافها تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح رحمة الله عليه

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا تقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال عليه السلام من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجل دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة وروي ان سليمان بن يسار رحمة الله عليه كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها عليه قال سليمان فرأيت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشار الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رأت جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه فاسفرت عن وجهها كانه فلقة قمر وقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع رأسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت خيمتها وجاء رفيقه وقد ابتاع لهم ما يرفقهم فلما رآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به حتى اخبره بشأن الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فسعى وطاف ثم اتى الحجر واحتبى بثوبه فاخذته عيناه فنام فاذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شأنك وشأن امراة العزيز لعجبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الابواء اعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منها وقال الآخر اللهم انه كانت لي ابنة عم كانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها

باثني وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم
الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها
اللهم ان كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج
منها وقال الثالث اللهم استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت
اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من
الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه
فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا
يمشون فهذا فضل من يمكن من قضاء هذه الشهوة ثم يعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان
النظر بدء الزنا فحفظه مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها
تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في
القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن
تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر
فاستحسن ثم ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلم يحصل الا على التحسر وان استقبح لم يتلذذ به وتألم لانه قصد
اللذة فقد فعل ما يؤلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا
الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي
غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن ابي بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فار
سلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي
ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا
هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى
ندخل القرية قال مالي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى
انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا
الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب
من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب
متعبد لازم مسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة
ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد
المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك
على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها فاطرق مليا وقال لها هذا
موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن
معاذ الله ان يتشوف العباد لمثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل
من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها

مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ
قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله
وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد
العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض
والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء
كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي
فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع
المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع
الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم ابدا الا غدا بين يدي الله عز وجل ثم بكت بكاء
شديدا وقالت اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن
علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك
قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء اشد من بكائها الاول
ثم انها افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد
موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها في اول امرها و
جعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله عز وجل فانا استحيي من الله عز وجل ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده والله اعلم
تم كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج ويتلوه كتاب آفات اللسان ان شاء الله وحده والصلوة على رسول الله

كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور
الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل
عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله واطلق
بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه من خوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وآي فصله ودين سهله صلى
الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبره عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله
العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة
اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او
موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق

أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذن لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في إطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وإنه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان ثم آفة الغناء والشعر ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين ثم آفة السؤال أعني سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو حادثة وهي تمام الآفات وهي العشرون منها

عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا وقال أيضا عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله أي حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقي فأومأ بيده إلى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل النبي عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الأجوفان الفم والفرج فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفة اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد البطن لأنه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسانه ثم قال هذا وروي أن معاذا قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسانه ثم وضع عليه إصبعه وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان أي تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا وروي أن عمر رضي الله عنه اطلع على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن هذا أوردني الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره وروي أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال يا رسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه وعن صفوان بن سليم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم وقيل لعيسى قالوا لعيسى صلوات الله عليه دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا إلا بخير وقال سليمان بن داود صلوات الله عليهما إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وعن البراء قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى صلوات الله عليه العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا عليه السلام من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به

الآثار كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع إن أطلقته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا

زمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رضي الله عنه والأحنف ساكت فقال ما لك لا تتكلم يا أبا بحر فقال أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقيل أقام المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فإن قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات وهي آفات كثيرة وهي سباقة إلى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر على أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا أن ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد أوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فإن النظر فيها أطول وهي عشرون آفة **الآفة الأولى الكلام فيما لا يعنيك** اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه

ولا على مسلم أصلا إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا كذا قال النبي عليه السلام بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذه المتألية على الله قال هي أمي يا رسول الله فقال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحب إلي من الدهم الموقوفة لا تكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك وإن السفيه يؤذيك واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه مما تحب أن يعفيك منه واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر به في حال ولا مال مثاله أن تجلس مع قوم فتحكي معهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر وإذا بالغت في الجهد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة

الاحوال المعطية ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانت مع ذلك كله مضيع زمانك
من الآفات التي ذكرناها من جملته ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات
صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع وهذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسولة
فيها آفات فانك تسال غيرك عن عبادته فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الريا
وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا
وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته
بالسؤال اما للريا او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك اما للريا او الكذب عن سائر
عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي عن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما تحدث به غيرك فتقول له ماذا
تقول وفيم انت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى به
واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسال عن مسالة لا حاجة بك اليها والمسؤل
ربما لا يستجيز نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان هذا
يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على داود صلوات الله عليه وهو يسرد
الدرع ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود
ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال
وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسال فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها ضرر
وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب هو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث
عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات
احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان
لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما
من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان
ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الآفة الثانية فضول الكلام**
وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه
ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين
فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر وقال عطا بن ابي
رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله والامر بمعروف
او نهيا عن منكر او ان ينطق بحاجته في معيشته التي لا بد له منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما
كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم اذا نشرت
صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني
بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم
جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر
بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح

بين الناس وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل
من ماله فانظر كيف قلب الناس فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه
قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا
وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا
يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان
الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ حاجته وعن مجاهد
قال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فامل ما شئت واكثر او
اقل وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه
قال فاخبروه انه مر في السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فسال سليمان عن ذلك فقال عجبت
من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي
المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من
كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار
تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال
شفتاي واسناني قال افما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية اخرى انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر
في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة
المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت
فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من
يكفيه وان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل
لسانه ورأى ابو الدرداء امراة سليطة فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس
في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وسببه الباعث عليه وعلاجه ما
سبق في الكلام فيما لا يعني **الآفة الثالثة الخوض في الباطل** وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال
النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة
فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم
فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث
ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك
لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها
صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل
ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة فكان علقمة
يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها
بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها الى اعلى الجنة وقال

الله عليه وآله وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضأوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في باطل

الآفة الرابعة المراء والمجادلة

وذلك منهي عنه فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في اسفل الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدل وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا ممارياً معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه قال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال ممارياً وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى صلوات الله عليه من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارقك اخ لك بقلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال اكثر وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض وكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم او تأخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه لكذا وكذا واما في قصده مثل ان

يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدال وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر لخطائه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مهلكتان وانما قوتهما بالمراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هي معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر عليه الصبر روي ان ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد علي منه وهو كما قال لان من يسمع من غيره الخطاء وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر جدا ولذلك قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطاء محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فانه يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدال وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله امرأ كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

الآفة الخامسة الخصومة

وهي ايضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى

لقيه صلى الله عليه وآله وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها
تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال
ما يجلسك هاهنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله
ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف
فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك فقال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب
منك شيئا هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف
يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان
يتعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة في اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه
ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط وعلى قصد الايذاء ويتناول الذي
يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة
محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول
انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد
والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فاما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على
قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان
في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع
فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن
بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشوش خاطره حتى انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه
فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند
الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في
خصومته سلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان عنده ما يكفيه فيكون
تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب
اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي
حاصله اما تجهيل او تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا
للناس حسنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله
يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال
انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام
والان الكلام وروي ان عيسى صلوات الله عليه مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير
فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال صلى الله عليه
وآله وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام
لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك

منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل
الكلام الطيب ومضادة الخصومة والمراء واللجاج والجدال فان ذلك الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص
للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر

الآفة السابعة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف

السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة
وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ابغضكم الي و
ابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون
في الكلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء
وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه سعد يسأله حاجة
فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بألسنتها وكأنه انكر
عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل
فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل
ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان
اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما
وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب
لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فاما
المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم
ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة الثامنة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث

واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم
شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الجنة حرام على كل فاحش
ان يدخلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون ما بين الحميم والجحيم
يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول
ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وآله وسلم
يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وآله وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب
النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي
الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى

من الجفا ويلتبس من غائلة البيان فيه شكوك ووساوس وإذا أجملت بادرت القلوب إلى
القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيا
نه فالأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله لا يحب
الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبي أمامي فقال إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا
وقال إبراهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيمة في صورة كلب أو في جوف كلب وقال الأحنف
ابن قيس ألا أخبركم بأدوأ الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو
التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فإن لأهل
الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيها وأهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون
عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس إن الله حيي كريم يعف ويكني كنى باللمس
عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة
يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش
من بعض وربما اختلف بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها
وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما
فإن هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش ولذلك يستحسن
في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد
كذا والتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح يفضي إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها
فلا ينبغي أن يعبر عنه بصريح لفظه كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري
مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن
عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج خراج في إبطه فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا من أين خرج فقال من
باطن اليد والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث
واللؤم ومن عادتهم السب وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصني فقال عليك بتقوى
الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئا قال
فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي بأس
أن أنتصر منه فقال المستبان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وآله وسلم المستبان ما قالا
فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى
الله عليه وآله وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول
الله وكيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه الآفة السادسة اللعن
إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى
الله عليه وآله وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم
القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض سفره إذا امرأة من الأنصار

على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وآله وسلم خذوا ما عليها وأعروها فإنها ملعونة قال
فكأني أرى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يعرض لها أحد وقال أبو الدرداء ما لعن أحد الأرض إلا قالت
لعن الله أعصانا لله وعن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه
فالتفت إليه فقال يا أبا بكر ألعانين وصديقين كلا ورب الكعبة ألعانين وصديقين كلا ورب الكعبة
مرتين أو ثلاثا فأعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا أعود وقال صلى الله
عليه وآله وسلم إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال أنس كان رجل مع النبي على بعير فلعن
بعيره فقال النبي يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك إنكارا واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من
الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من يتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على
الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله بأنه أبعد الملعون
وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله إذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة
الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلث مراتب الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله
على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى
والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلي الربوا وكل ذلك
جائز ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة فما لم يرد فيه لفظ مأثور ينبغي أن يمنع
منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالثة اللعن على الشخص
فهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا
فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله أبو جهل لعنه الله لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك
شرعا وأما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر لأنه ربما يسلم فيموت
مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فإن قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في
الحال وإن كان يتصور أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة
على الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال الكفر وهو في نفسه
كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنه الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري
والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق
أو زيد المبتدع أولى فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأحوال تتقلب إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول اللهم عليك بأبي جهل بن هشام و
عتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه إذ روي
أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب
عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون يعني أنهم ربما يتوبون فمن أين تعلم أنهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر
جازت لعنته وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم فإن كان لم يجز كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد
ابن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام

من ابي قحافة فقال ابو بكر يخلي هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم
غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تكن عونا
للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة
فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا
عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين او آمرا به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال
انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال
قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى
مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا
ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما
ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان
ظن انه كافر ببدعة او غيره كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهاك ان
تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة فقالت ما فعل فلان
لعنه الله قلت توفي فقالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا
تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال ايضا ايها
الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا
فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل
الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة والوحشي قاتل حمزة عم رسول الله قتله
وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم
يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون
الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات
على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم
يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه فقال ابن عون
انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي لا اله الا الله احب الي ان يخرج منها لعنه الله وقال رجل لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله
كل طعان لعان وقال بعضهم ان لعن المؤمن كعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع
لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقوله
الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم
حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة **الآفة الثامنة الغناء والشعر**

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح
الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان يمتلئ بطن احدكم قيحا حتى يريه خير له
من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا
اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله
خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مكروه قال صلى الله عليه وآله وسلم
ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب
كقول الشاعر: ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية
السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد
صورته وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم
يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخصف نعله وكنت
اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت
فبهت به قالت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل
عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي
فقلت يقول: ومبرأ من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل ... واذا نظرت الى اسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل
ما بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنائم امر للعباس بن مرداس
باربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره: وما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع ... وما
كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقطعوا عني
لسانه فذهب به ابو بكر رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اتقول في الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي واني لاجد للشعر دبيبا على
لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الآفة التاسعة المزاح** واصله مذموم
منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان
قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيب الاخ والصديق او تجهيله اما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب
قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب
والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة
الضحك يميت القلب ويورث الضغينة في بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار فما يخلو من هذه
الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله
يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف
كان وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا

الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف به
ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل
على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها فقال لا قال
ففيم الضحك قال فما رأى ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثمانين سنة لم يضحك وقيل
ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال
ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي
يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك
دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رأيت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكائه قال بلى قال
فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق
ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قلوص له صعب فسلم
عليه فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليسأله نفر به فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يضحكون منه ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه
فهلك فقال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقال عمر رضي الله عنه من مزح
استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص
لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا
الله واياكم والمزاحة فانها تورث الضغينة وتجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث
حسن من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال
لانه زاح عن الحق ويقال لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء
فان قلت قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان
قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا
ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان
المزاح حرفته ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو كمن يدور مع
الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذن لعائشة في النظر الى رقص الزنوج
في يوم عيد وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا
ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا
اقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح
فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسا ذات يوم امرأة
من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال عليه السلام لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء
فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت
ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه
بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد الا بعينه بياض واراد به البياض المحيط بالحدقة
وجاءت امرأة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه السلام نحملك على ابن البعير فقالت ما
اصنع به انه لا يحملني فقال عليه السلام هل من بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح به وقال انس كان لابي طلحة
ابن يقال له ابو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياتي ابا عمير يقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان
يلعب به وهو ولد العصفور وقالت عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بدر
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا
عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني
ابي بشي فقال اعطينيه فابيت وسعيت على اثري فلم يدركني فسبقته فلما حملت سابقني فسبقني فقال
هذه بتلك وقالت عائشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسودة فصنعت حريرة وجئت
بها فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتأكلين او لالطخن به وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت بيدي
من الصحفة شيئا فلطخت وجهها به ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يضحك وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ان عندي امرأتين احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احديهما فتتزوجها
وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم
فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة
بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وآله وسلم
من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وآله وسلم لصهيب وبه رمد وهو
يأكل التمر اتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق
مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا
لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل
الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال وكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة
وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك
فلما سلمت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتفرر منه حتى
لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت

والذي بعثك بالحق ما شرب منه شيئا قلت الله اكبر الله اكبر اللهم اهد يا عبد الله قال فخنس الملاح وجوه الناس
وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضربه بنعليه
ويامر اصحابه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الانصار لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله اولم تهده فيقول يا رسول الله انه لم يكن
والله عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه
مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب
الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر
قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص
على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان
بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة وقالت عائشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال لي النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك
وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى
الله عليه وآله وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا
جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك
حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به
واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا
انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة
المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون
وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على
خطه او على صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك
داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة الثانية عشرة افشاء السر** وهو منهي عنه لما فيه
من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حدث الرجل الحديث
ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك
ويروى ان معاوية رضي الله عنه اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابه ان امير المؤمنين اسر الي حديثا
وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن افشاه كان
الخيار عليه قال فقلت يا ابه وان هذا ليدخل بين الرجل وابنه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك

بالحديث

باحاديث السر قال فاتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطأ فافشاء السر خيانة
وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب
الصحبة فلا نعيده **الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب** فان اللسان سباق الى الوعد ثم
النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وآله وسلم العدة عطية وقال الواي مثل الدين او افضل
والواي اي الوعد وقد اثنى الله على نبيه اسمعيل عليه السلام فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا
نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله
ابن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله
بثلث النفاق اشهدكم اني قد زوجتها ابنتي وعن عبد الله بن ابي الخنساء قال بايعت النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابرهيم
ابن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجيء
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا
ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر
فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اربع من كن فيه
كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من
غير عذر فاما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق
ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة
حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان وعد ابا الهيثم ابن التيهان خادما فاتي بثلثة
من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب منه خادما
وتقول الا ترى اثر الرحى بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره به
على فاطمة رضي الله عنها لما سبق من موعده مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك
موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم هي لك وقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل
حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة فقيل فكان الناس يضعفون ما
احتكم به حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته ان يفي
فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين** وهو من قبائح الذنوب

ونو الحسن العيوب قال الفضيل ... سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه خطب بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال واياكم و
الكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الكذب باب من ابواب
النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان
الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال صلى الله عليه وآله وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا
هو لك به مصدق وانت به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال العبد يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجلين يتبايعان شاة و
يتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة و
قد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكذب ينقص
الرزق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم
يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله
عليه وعلى اصحابه ورجل له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم
في سفر او سرية فطال السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة
يشنأهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وآله وسلم رأيت كان رجلا جاءني
فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق
الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي
اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سأل النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها رسول المؤمن فقال
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال ابو سعيد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان
وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى بيتنا وانا صبي
صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال حتى اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لو افاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم وكان متكيا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا
وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك

عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقبلوا لي بست اتقبل لكم
بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن و
غضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان للشيطان كحلا
ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر رضي الله عنه بالجابية
فقال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو
الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حدث
بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها
مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رد
شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب وقالت عائشة ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكذب
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم
انه قد احدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى صلوات الله عليه يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب
لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث
وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق
فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق
الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح الآثار قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا
عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما
كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رأيناكم
فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي
شبيب قال جلست اكتب كتابا فاتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت
على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب
لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح يسمى الرجل كذابا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك
ابن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان
كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان
في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت
منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه
بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون
جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا

فيه فهذا كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ارأيت لو ان رجلا سعى خلف انسان
بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق به وهذا
الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا
فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك
المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك
دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او
استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب
فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة
والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرخص في شيء
من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث
امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين
فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كل الكذب يكتب على
ابن آدم الا رجل كذب بين الرجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى
الله عليه وآله وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء
ولقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بكذا يعني بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله
عليه وآله وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان ابن
ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في النساء من ذلك احدوثة
يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الارقم حتى ادخله بيته فقال لامرأته انشدك بالله هل تبغضيني قالت لا
تنشدني قال فاني انشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم لتحدثون اني
اظلم النساء واخلعهن فسل ابن الارقم فسأله فارسل الى امرأة ابن ابي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال انت التي
تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب
افأكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل
البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي
قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب
كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او
امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما او دفع عنه ضررا وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلأن اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما
بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به
مقصود صحيح له او لغيره اما ما له فمثل ان يأخذه الظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او يأخذه السلطان فيسأله عن
فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وذلك لان اظهار الفاحشة
فاحشة اخرى وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا
واما عرض غيره فبان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وبين الضرات
من نسائه بان يظهر لكل واحدة منهن انها احب اليه وان كانت امرأة لا تطيعه الا بوعد لا يقدر
عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار
ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه
المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا
علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان
ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث
يتردد وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب مباح بضرورة او حاجة مهمة فان
شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد
ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب مهما امكن ذلك وكذلك مهما كانت الحاجة له
فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير
والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه
ولامور ليس في فواتها محذور حتى ان المرأة تحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب لاجل
مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء رضي الله عنها سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال
صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لا
يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في
هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لم يثبت اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه
فهو لذلك يستنكف ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي
اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم قد روينا
في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب
بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح فهذا يكتب وكل من اتى
بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع
من الصدق ام لا وذلك غامض جدا والحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز
تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز
وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو
خطأ محض اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة فيه اذ في الصدق مندوحة عن الكذب
وفيما ورد في الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع

فيسقط وقعها وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس من الاغراض التي يقاوم
محذورات الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور
تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكبائر التي لا يقاومها شيء **بيان الحذر من الكذب بالمعاريض** وقد نقل عن السلف
ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل
عن الكذب وروي ابن عباس رضي الله عنه وغيره مثله وانما ارادوا بذلك اذا اضطر
الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا
ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل
بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ
الرجل عنك شيئا فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء
فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله
عنهما فلما رجع قالت امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة اهليهم ولم
يكن جاء بشيء فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر فبعث معك عمر رضي الله عنه ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر
فلما سمع ذلك عمر دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها
الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد الله تعالى
يحفظ عليه وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارأيت لو اشتريت لك
فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكره قال للجارية قولي
له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا لئلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في
البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هو ههنا
وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم
يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي
على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين
فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال يا بني اتق الله واياك والكذب وما
اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقرير لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض
باطل ولا فائدة فيه نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح
كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد
البعير وما اشبهه فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في
الضرير اذ قال انه نعيمان وكما يعتاده الناس من مداعبة الحمقى بتغريرهم اياه بان
امرأة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي ذلك الى ايذاء قلب فهو حرام
وان لم يكن الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة

فيمن تركه الله لسانا عن اختيار فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى
بني له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس ربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت
يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلوات الله عليه ان من اعظم الذنوب
عند الله عز وجل ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي
ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما ابدا الآفة الخامسة عشر
الغيبة والنظر فيها طويل فلنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في
كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله
بينه وبين الدم والمال وقال ابو برزة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا
يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياكم و
الغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر
له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم
باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليم بن جابر
اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف
شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابنه وقال البراء خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا
تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف
بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول
من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس
حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا
رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما تستحييان ان تاتياك فاذن لهما ان تفطرا فاعرض عنه ثم عاوده
فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا
صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض
عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال
للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما
على الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الربا وعظم شانه
فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى
الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما

فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يتنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه وآله وسلم أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكانت الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما إن كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد ويل لكل همزة لمزة قال الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقالوا ما أنتن ريح هذا الكلب فقال ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من خلق الله إلا أحسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء

بيان معنى الغيبة وحدودها

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته أما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيفما كان وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نؤوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه وأما في ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها إذا وهذا فاسد فإنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حد الغيبة وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني أراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحدا فإني قلت مرة لامرأة وأنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي الفظي الفظي فلفظت بضعة لحم

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائشة حاكت امرأة قال ما يسرني أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة وإنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حي وإما ميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كره من إنسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعي العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فإنهم يفهمون المقصود على صفة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيكون

[illegible]

مغتابا ومرائيا ومزكيا لنفسه ويجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي اليه المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسأل الله ان يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيه وكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبا ما علمت الى الآن ما عرفته الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين فقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا اداما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم الا بان يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظم فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله عز وجل ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله عز وجل ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم بالغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضا في الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار المستهزأ به واما الاسباب الثلثة التي هي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب في انكار المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الى شر من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله فقال اهل المجلس لبئس والله ما قلت اما والله لننبئنه قم يا فلان رجل منهم فادركه فاخبره بما قاله فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكى له ما قال وسأله ان يدعوه فدعاه فسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما رأيته يصلي صلوة قط الا هذه المكتوبة التي يصليها البر والفاجر قال الرجل سله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها او الركوع والسجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر

والفاجر وقال رجل لبعضهم يا [illegible] لو انك نظرت فيه [illegible] شيئا [illegible] فقال الا [illegible] ما
[illegible] الذي يوجد بها البر والفاجر
قال [illegible] هل يأتيني [illegible] ما كتب فيها [illegible] للرجل [illegible]
منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها
انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة
على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه
الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانها تنقل في القيامة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباح
من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله وشبه عنده باكل
الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل الرجحان
ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال
والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات
العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي اني احكمك في حسناتي
فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في
نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن شغله عيبه
عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز
غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا
خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه قال ما كان
خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان
ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه
وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان
يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر في
السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه
بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول انه اذا امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي علي غضبه بسبب
الغيبة اذ نهاني عنه فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم
بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف
غيظه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق
حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله تعالى يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا
امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف
ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب
ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان يغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا
ربهم بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر

الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط
الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة
وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل
والخذلان واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل
فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان
ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة
وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك
وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت
بالعذر وقالت المعزى اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها
ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في
غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر
وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق
وهما ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو
جمع بين العذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا
في الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت
محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذن انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره
غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليه سيئاته ولا تنفعك وقد جمعت الى خبث
الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل واذا اراد
العود
الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند
الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى والملائكة والنبيين
فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك
ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان يضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وقد
عرضت نفسك لان ياخذ بيدك يوم القيامة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى
النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه
فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم
المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من
حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة وانما حبب الشيطان اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير
متعرضا لمقت الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك كيف اهلكت
نفسك ودينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما
هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان
فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان

سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث
نفسك وتسيء الظن بأخيك ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما الخواطر و
حديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن
إليه النفس ويميل إليه القلب وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم وسبب تحريمه أن
أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان
لا يحتمل التأويل فعند ذلك لا يمكنك أن لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه
ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فلا يجوز
تصديق إبليس وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن يصدق به لأن الفاسق يتصور
أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز
أن يحد إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك دلالة محتملة فلا
يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله حرم من المسلم دمه
وماله وأن يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة أو بينة
عادلة فإذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك
مستور كما كان وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فإن قلت فبماذا تعرف عقد الظن والشكوك
تختلج والنفس تحدث فأقول أمارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا
ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد
قال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه أي لا
يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة وأما في الجوارح
فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا
من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان
وظلمته وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبته لكنت جانيا على
هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بالواحد وتسيء بالآخر
بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فيتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة
الأب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا
تكذبه ولكن تقول المستور حاله كان في ستر الله عني وكان أمره محجوبا عني ولم ينكشف لي شيء من أمره و
قد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم
فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فإن المغتاب فاسق وإذا كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا
أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر
بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي
إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر

ولا يخدعنك

فلا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر
إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستصغار وترتفع عليه بإيذاء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من
الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك
أحب إليك من تركه بالنصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته
وأجر الإعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع
وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب
الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته **بيان الأعذار المرخصة في الغيبة** اعلم أن المرخص
في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة
الأول التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا أما المظلوم من جهة
القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به وقد قال صلى الله عليه وسلم
إن لصاحب الحق مقالا وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر و
رد العاصي إلى منهج الصلاح كما روي أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهما وسلم عليه فلم
يرد فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجاء إليه أبو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم
وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب إليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة
إذ كان قصده أن ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن
ذلك هو المقصود كان حراما الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي فكيف طريقي
في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر
لما روي عن هند أنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا و
ولدي أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم
يزجرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت
متفقها يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان
الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث
ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو
بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن سكوتك ضرر بالمشتري وفي ذكرك ضرر بالعبد فالمشتري أولى
بمراعاة جانبه وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة
له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو
الواجب فإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أترعوون
عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الإمام الجائر
والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الإنسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم
على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة

التعريف ولا ان ساد ذلك العيب تكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد معرفا آخر ولكنه
التعريف بسياقة اخرى فهو اولى ولذلك يقال الاعمى البصير تعويلا عن اسم النقص السادس ان يكون مجاهرا
بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث
لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت منه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت
للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب
الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر وهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون
فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون الاظهار نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين
فتناولت عنده الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب اصبته
اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم
ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو
حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون
قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك
لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الفرية فقال تمشي الى صاحبك و
تقول له كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول
القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف
وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة
في عرض او مال فليتحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له
حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة
الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه وان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار
له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب قلت لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب
لكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم
يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف
لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة
عليه وما كنت لاحلل ما حرمه الله ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي ان يستحلها
وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين
حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز ان يحل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق
بالعرض ومن تصدق به فقد اباح تناوله فان كان لا ينعقد تصدقه فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا

اطلب

اطلب بمظلمته في القيمة ولا اخاصمه والا فلا يصير الغيبة حلالا ولا يسقط المظلمة بل لانه عفو قبل الوجوب
الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان قياسه قياس سائر الحقوق ان له ذلك
بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا
وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثا الامم بين يدي الله يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقم
الا من عفى في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو الآية فقال عليه السلام يا جبرئيل ما هذا قال ان الله
يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك في خبر وروي عن الحسن ان رجلا قال له
ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال قد بلغني انك قد اهديت الي حسناتك فاردت
ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام

النميمة

وقد قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله ابن المبارك
ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا
من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام
وقال حمالة الحطب كانت نمامة حمالة الحديث وقال الله تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت
امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر انه مجنون وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل
الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احبكم الى الله احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون و
يؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى
الله عليه وآله وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء
العنت وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله
في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وآله وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه
بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا كان حقا على الله
عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شهد
على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوء مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار
جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات
وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم
لم يف به وروي عن كعب انه اصاب بني اسرائيل القحط فاستسقى موسى صلوات الله عليه مرات فما اجيب واوحى الله
اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال
يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات
فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع
منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن
اليتيم وما اذل منه فقال البهتان على البرئ اثقل من السموات والحق اوسع من الارضين والقلب القانع اغنى

البحر والحرص والحسد والحزن والنار وتاجة الى الغريب اذ لم يحج ابدا من الزمهرير وتطلب الكافي اقبح من الجحود
للمنعم اطباق امر مادل من اليتيم **حد النميمة وما يجب في ردها** اعلم ان اسم النميمة انما يطلق
في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل
حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان المنقول من
الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك
الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما كان في حكايته فائدة لمسلم
او دفع معصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه
يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين النميمة
والغيبة والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض
في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل في حقك كذا او يدبر في افساد امرك
او في ممالاة عدوك او تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام
فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الثاني ان ينهاه
عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه في الله فانه
بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله الرابع ان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا السادس ان
لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وقد
تكون قد اتيت بما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال
عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ وان كنت صادقا
فانت من هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا ورفع
ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت في الزيارة واتيتني بثلث
جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامين وروي ان الخليفة سليمان بن عبد
الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل
ما فعلت ولا قلت فقال له سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان
صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته
وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين
الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال الله تعالى انما
السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من شر
الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل
قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت
صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي
اي خصال المؤمن اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا

ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال
ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند
بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى
قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه
فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي
النميمة الا انها اذا كانت الى من تخاف جانبه فتسمى سعاية وقال النبي صلى الله عليه وآله الساعي بالناس الى الناس
لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا امير
المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل قال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال
ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا
تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لم يألوا في الامة خسفا وفي الامانة تضييعا وفي الاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم
البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح
دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بايع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد
الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل وقال **شعر** وانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك
في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني
عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب
بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة
والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال
ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك
وصل اقاربك وآمنهم من قبول ساع او سماع باغ يريد افسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم
وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال
بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك
بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب
الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى
عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت
خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها
فجاء اهل المرأة وقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين وطال الامر
كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين
وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان
له لسانان من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجدون من شر
عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء

وقال ابو هريرة رضي الله عنه لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ابغض خليقة الله الى الله يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله عز وجل ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله عليه السلام حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول فلما خرج قالت له عائشة رضي الله عنها فقال ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال والكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرنا في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشرة المدح

وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع على المادح واثنتان على الممدوح فاما المادح فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا

عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان احدكم لا بد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رجلا يثني على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا اراك تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطي منك الثاني هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وربما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال عليه السلام لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك لانه لم يكن افتخاره بنفسه بل كان بالله وبالقرب من الله لا بكونه مقدما على ولد آدم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وآله وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بشر قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك عورتك فهذه آفات المدح

بيان ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو

الاخرون لا يعرف نفسه ويلاحظه حظرا بالنية وفي دقائق الرياء وآفات الاعمال ما لا يعرف من نفسه الا يعرفه
المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح
باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفين بن
عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت
تعرفني وقال آخر لما اثني عليه ان هذا تقرب الى بعيبك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما
اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله
عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي رضي الله عنه
انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك **الآفة التاسعة عشرة في الغفلة عن دقائق الخطاء في**
فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا
العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف
المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وآله وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده و
خطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال
قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل
اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره
بعضهم ان يقال اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون ويتعوذون من النار وقال
رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة
محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة حمارا
رايتني خلقته خنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك بالله حتى يشرك بكلبه فيقول لولا لسرقنا
الليلة [illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر والله ما حلفت
بها منذ سمعته وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقولن احدكم عبدي ولا امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي
ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للفاسق
سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان كاذبا
فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن
تأمل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا
لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه
الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ [illegible] وهو مع
جميع ذلك لا ينفك عن الخطر [illegible] ممن سكت فسلم فالسلامة
[illegible]

او عادته ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول
خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء
واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها
العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وانما شأن
العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحث وسؤالهم
عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون
لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل
عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم و
اختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال
انس رضي الله عنه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه
فصعد المنبر فقال صلى الله عليه وسلم سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام
رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوك حذافة فقام
اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام
اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بل
في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه
فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا فقال اجلس
يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال و
اضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا
هذا خلق الله تعالى فمن خلق الخلق هذا خلق الله تعالى الخلق فمن خلق الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن
يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر رضي الله عنه ما نزلت آية التلاعن
الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان
استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سأل عن
السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت الآية فلما لم يصبر حتى سأل
ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات
وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن
يضاهي اشتغال من كتب الملك اليه كتابا رسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع
زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع
العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه اهي قديمة ام حديثة وكذلك سائر الصفات
تم آخر كتاب آفات اللسان ويتلوه كتاب آفة الغضب والحقد والحسد وبحمد الله

[illegible]

رب العالمين وصلى الله عليه وعلى آله اجمعين **كتاب آفة الغضب والحقد والحسد** وهو من المهلكات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الراجون ويحذر سوء غضبه وسطوته الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم بانه ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال سبحانه وتعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمرسلون وعلى آله واصحابه الذين هم الائمة المهتدون والسادة المرضيون صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان الرجيم حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة اذا صلحت صلح الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميط عن القلب ان كان ويتقيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها **بيان ذم الغضب** ثم بيان حقيقة الغضب واسبابه **ثم بيان** ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا **ثم بيان** الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه **ثم بيان** فضيلة كظم الغيظ **ثم بيان** فضيلة الحلم **ثم بيان** القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام **ثم القول** في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق **ثم القول** في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته **ثم بيان** السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه **ثم بيان** الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب **ثم بيان** القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين والزمهم الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة

[illegible]

كان في بني اسرائيل ونحو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بترك الغضب وفي بعض الروايات وهب بن منبه للكفر اربعة
اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع **بيان حقيقة الغضب** اعلم ان الله لما خلق الحيوان
معرضا للفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة و
الحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى
تفشي اجزاءها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد
الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل
به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة
التي يتعرض لها الانسان كالسيف والسنان وساير المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور
من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد
عرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في
العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما يرتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه والعين
والبشرة يصفيها يحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب
على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب من فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض
الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تولد
تردد الدم بين الانقباض والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب و
معناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل
وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن
الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والاعتدال والافراط
اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك
قال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص
جدا وقد وصف الله سبحانه وتعالى الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء وقال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من آثار قوة
الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان يغلب هذه الصفة حتى يخرج عن سياسة العقل والدين و
طاعته ولا يبقى معه للمرء بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية
وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة
غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب حتى كان في الفطرة من النار كما قاله الرسول
عليه السلام وبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون
بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على
المحال ولا احتمل من احد مثله ولا اقيل ولا احلم ثم يذكره ويعرض الحرب بهله فمن سمعه ينغرس في نفسه
حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتد نار الغضب وقوي اضطرامها
اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فانه لو وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه

لم يقدر وينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب
من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه
حتى لا يرى بعينه ويسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره
وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى او انمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى
فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل
الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب
فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وينهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما
في جوانبها من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في
السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها فاما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته
اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج
الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق
وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح
صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن
اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد و
اما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله
عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق
والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب
على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش
المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات
والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة
والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى منك هكذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة
ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات و
الحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة غضب المفرط
واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والام واحتمال الذل من
الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه
وآله وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح
الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في
نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم خير
امتي احداؤها يعني في الدين وقال لا تأخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ
لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب
مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم

الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس واحتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاتها

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصل لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شي ويخالفه آخر فلا بد من ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلثة اقسام الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر به عورته وكذلك لو اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي هو يحفظه لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل والغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومن الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة عليه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتبه فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة مرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما لك يا عائشة جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكني دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يكن لغضبه شي حتى ينتصر له وكان يغضب على

من يأس من ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه فإنما غضب لله ولا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل
الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله
بغيره فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت
موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه
بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم
يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك
أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته وأن يعرفه حق معرفته فلم يغضبه
نسبة غيره إياه إلى نقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك
ابن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما
يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه وسب رجل الشعبي فقال إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن
كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم
ويحتمل أن يكون قد أثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فإذن اشتغال القلب
ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فإذن يتصور فقد الغيظ إما باشتغال
القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة
حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن طريق الخلاص من نار الغضب محو حب
الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب حب الدنيا ومن أخرج حب الدنيا
عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون
دفعه

بيان الأسباب المهيجة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها
فلا بد من معرفة أسبابها وقد قال يحيى لعيسى صلوات الله عليهما أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من
غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب
المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص
على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه
الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك
بنفسك كما سيأتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب
أب واحد وإنما اختلفوا بالفضل أشتاتا فبنو آدم جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وإنما
الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم
تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح
فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت هذا وأما الهزل فتزيله بالجد
في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله
بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة
النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء

وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة
وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على
مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد
زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب
عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة
غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض
المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة
نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس
أن المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع من الرجل والصبي أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل
يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي
من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه
عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من
كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن
الأتراك والأكراد والجهلة والأغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت
حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل أما العلم
فهو ستة أمور الأول أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال
فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه قال مالك بن أوس بن
الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
وكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وكان يتأمل الآية وكان وقافا على كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر
فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال
لغلامه خل عنه الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا
الإنسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو وقد قال
الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق
وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لأوجعتك
أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة وفيها ارحم
المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة
والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف
نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس
هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون يخاف
أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه الرابع أن يتفكر في

الى صورته عند غضبه او يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه
للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والعلماء والحكماء ويخير
نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبياء والعلماء في عادتهم لتميل الى
الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام
ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر
النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فيقول لنفسه ما اعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا
تأنفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري
في اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان
يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذل الانتقام الآن افلا
يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف
الايمان ينبغي ان يكرره على قلبه السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على
وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب الله عليه اعظم من غضبه واما
العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقال
عند الغيظ وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم
رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول ذلك وان
لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف
بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسببها الحرارة
الحركة فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة
عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ
بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ
بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفأ
النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضبت فاسكت
اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا
غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا
فليلصق خده بالارض وكأن هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب
ليستشعر به النفس الذل ويزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر غضب يوما
فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما
استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض
تحتك ثم اعظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت اخاك بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه

فسبقه

فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا ذر ارفع رأسك فانظر ثم
اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد
وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد
غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا
سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه وقال الثالث اذا ذهب
فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك
لست باله انما انت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم
من في الارض يرحمك من في السماء فاعطي الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي
لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال له شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا
سبيله

فضيلة كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر في معرض المدح وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن
لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله
عذره ومن خزن لسانه اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا
وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء
وجه الله وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية
الله وقال عليه السلام ما من جرعة احب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه
ايمانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره
اي الحور شاء

الآثار

قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم
القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك
اعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة
اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند
الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال
له رجل يا امير المؤمنين الا تسمع الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين
فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا
رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى
سلمان فقال يا عبد الله اوصني فقال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم
الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا
يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار
قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ويكون تكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من
جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التكبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين
وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وآله وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء
والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم
وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكأنما
تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق
بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني قد غفرت له وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم كان اذا اصبح يقول اللهم اني
قد تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض
هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله وكهلا قال الكهولة منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي
اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصبح ابن مسعود و
امسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم لا يدركني ولا ادركهم زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا
تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنذر الاشج فاناخ
راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يرى ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلتان تخلقتهما
او خلقان جبلت عليهما قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل
الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يعتد
بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون
سراعا الى الجنة فيتلقاهم الملائكة فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا
غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين الآثار قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم
وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك

قال علي رضي الله عنه صح

خ

بعظم

ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسأت استغفرت الله وقال
الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء
ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك
قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه
ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي
الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول له ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا
فغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس
رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه اشهد انك من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما
انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم
واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى
جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين
كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني
ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان
اتركه فاخشى ان يقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساء الى
البعيد فاحسن اليه حصل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني
اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم
ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشتم يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن
ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يكرمه الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك
بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال انت اذن اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك
حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك
سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي ومر المسيح ابن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا
فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا
يعرفون الا عند ثلاث لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك
اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت
تشتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة
فافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل غضبه
وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال
اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وان كثرت منه الي الجرائم وما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم

[illegible] صح

فلما الترك ويعني فاعرف قيل سم ريح جيد الحق والحق لازم مع اما المزيد وفي قال صفيته من اجل شرع عربي ولا
واما التعويض على فان زل او جفا نقضت ان النصل بالحر حكم بيان ان الكذب الذي يجوز للاضطرار و
المستثنى من الكلام اعلم ان كل ظلم صدر من شيء فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذلك سائر المعاصي واما القصاص والغرامة على ما ورد به الشرع وفصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا ابن امية ومثل قوله احمق وقال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق صفيق الوجه ثلاب للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت وخزاك الله وانتقم منك واما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثن تعني ارسلن اليه فاطمة رضي الله عنها فجاءت فقالت يا رسول الله ان ازواجك ارسلنني يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة رضي الله عنها والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف عن الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد

ما لم ينته الى خمود الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ومنهم بطيء الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال الغضب عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه ورأى عمر رضي الله عنه سكران فاراد ان يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له لما شتمك يا امير المؤمنين تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولا احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسيأتي ذمه الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او ترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه وكان تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان فضيلة العفو اعلم ان معنى العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص او غرامة

وهو بين الحلم وكظم الغيظ وبذلك اوقد ما قد تقدم قال الله تعالى خذ العفو الآية وقال الله تعالى وان تعفوا
اقرب للتقوى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة
من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب
مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وآله وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا
يرحمكم الله وقالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط
ما لم ينتهك من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين
امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما
فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال موسى
عليه السلام يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا ولذلك سئل ابو الدرداء من اعز الناس
فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو مظلمة فامره النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له مظلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المظلومين
هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا بعث الله الخلائق
يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم
عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم
اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا
ذلك ثلثا فقال النبي عليه السلام اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول
الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقول
كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وعن انس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا وقف
العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام
كذا وكذا الفا فدخلوا بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لوالي امر ان
يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ثلث من جاء بهن مع الايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى
دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احديهن يا رسول
الله قال او احديهن الآثار قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل
قلبه بتعرضه لمعصية الله بالظلم وانه يطالب يوم القيمة به فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان

عفو

يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا
ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه
وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول
ان آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما
الى يوم القيمة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه
اسرع اليه من دعائك الا ان يتداركه بعمل وعن ابن عمر عن ابي بكر رضي الله عنهما بلغنا ان
الله عز وجل يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله عز وجل شيء فليقم فيقوم
اهل العفو فيكافيهم بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتى النعمان بن المنذر
برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفى عنه والآخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه
وقال يعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها وقد تعاقب في اليسير وليس ذاك
لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها وعن مبارك بن فضالة قال اوفد
سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر وكنت عنده اذ اتى برجل فامر بقتله
فقلت في نفسي يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا
سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس
في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له
عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقال
خلوا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم
بالصفح وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت
ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا
قدر عفى واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقيل ليس الحليم من
ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفى وقال زياد القدرة تذهب
الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه
جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله تعالى
يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى ولا نتكلم انت كلاما فقال هشام
ويحك تكلم وروي ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر رضي الله عنه بصفين فقيل له
اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن
مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في
عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع
يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له
فيها وان كان حمله جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت احدا
ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه

حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق
قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد
قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه
وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت
الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب
الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف
فقد وافق الحق وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قال عمر بن عبد العزيز وروى ان عمرو بن العاص
كتب الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد
من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل
مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي
وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال
ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا
الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم
على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن
على الندور وانما الكامل من تميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة
او اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر القول في ذم
الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته بيان ذم الحسد
اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل
اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وآله وسلم في
النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا
يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل
الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك فطلع الرجل وقال في اليوم الثالث كذلك فطلع ذلك الرجل فلما
قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت الا ادخل
عليه ثلاثا فان رأيت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من
الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول
الا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجر ولكني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي
بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رأيت غير اني لا اجد على احد من المسلمين

فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكني ابكي على مكثي واياه بين يدي الله تعالى
فاشرف علي اما من جنته فبكائي له رحمة وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم
بن ايوب وهو على البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خائف ودخلنا معه على الحكم فما كنا
معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته
من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من
كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله
على خزائن الارض فماذا صنع حين كمل له امره وجمع له اهله وماله وقال لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه فقال الحكم فانا اقول لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له
يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك واعلم انه لن يزداد
الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتى عبد الملك باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء
بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب
من العفو فعفى عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له
فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارأيت ان جئتك بكتاب من امير
المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين
ابراهيم وموسى عليهما السلام ثم تلا ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى
الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب
في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان فضيلة الرفق اعلم ان الرفق
محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين
نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص
واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها
الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال
ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة
انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم
اذا احب الله تعالى اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلام ان الله تعالى ليعطي
على الرفق ما لا يعطي على واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون
الرفق الا حرموا وقال عليه السلام ان الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي
على العنف وقال عليه السلام يا عائشة ارفقي فان الله تعالى اذا اراد باهل بيت كرامة
دلهم على باب الرفق وقال عليه السلام من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال عليه السلام ايما
وال ولي فرفق ورفق رفق الله به يوم القيامة وقال عليه السلام اتدرون من يحرم على النار كل
هين لين سهل قريب وقال عليه السلام الرفق يمن والخرق شوم وقال عليه السلام التأني

[illegible]

في نفسي غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق
واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في
هذه الرواية امكان النجاة وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة
لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا
الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد
ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر
والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال عليه السلام لا
تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه رأى في ظل العرش
رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله
بثلث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام
قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال عليه السلام
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال عليه السلام ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك
فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل
الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة
واهل الرساتيق بالجهالة والعلماء بالحسد **الآثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس
آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ
على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء فقال وما ذاك فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم
قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها
السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر
الآية واياك والحسد فانما قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآية واذا
ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت
وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء
سيكفيكه مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم
بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك
فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا
الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك وقال احسن الى المحسن باحسانه
والمسيء سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح
الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب
له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ

الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك امر لي بصلة فقال هبه
لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس
هو لي فالله الله في امري حتى اراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا
وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان
فاستوهبه مني فوهبته فقال له الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك
قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء مساويه
وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا
وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن
هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا
وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه
الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك من
حسد وقد قال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رأيت ظالما
اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان
الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال
بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال عند
النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد وحكمه**
واقسامه ومراتبه اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان
تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم
عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها و
هذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين
بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يغبط والمنافق
يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد
ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي
نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها
وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية
تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك منه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا لو
تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقال تعالى اذ قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم
فلما كرهوا حب ابيهم له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه غيبوه عنه وقال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم

حاجة مما اوتوا اذ يؤثرون على انفسهم اي لا يضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال الله تعـ
في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله تعالى العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا بالعلم بغيا
بينهم فانزل الله تعالى العلم ليجمعهم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم
على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك
بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي عليه السلام
من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم
جاء ابي وعمي من عندك فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال
ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم **واما المنافسة** فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة
واما مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل
ان يأتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه
فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا
منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة
قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين
يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف
وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على
هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري
فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا
فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له
مثل ما لفلان من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته
الله مالا ولا علما فيقول لو ان لي مالا لكنت اعمل فيه مثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذن لا حرج على من يغبط غيره في
نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية
واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يحب
ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات
فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة
وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران
احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه فهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه
ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد

والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه
اذا ايس عن ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول النقصان
اما بان ينال مثله او بان يزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق
الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك عنده اشهى من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره
وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة
عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من الارتياح
الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه
وآله وسلم ثلث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ
اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا اللحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها
ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام
فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب
مساواته ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف
التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى
ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة
وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه ما
لم يعمل به ان شاء الله ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فاربع
الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة
عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهو غاية الخبث اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امرأة
جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان يكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه
فقد النعمة لا تنعم غيره بها والثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها
كي لا يظهر التفاوت بينهما والرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير
هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية
اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم
اسباب الحسد والمنافسة اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه
حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم
ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد
المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا
يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه
واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من
فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني

الاختصاص بنعمة لا يساويه فيها واما ان لا يكون لشيء من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد
الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من
آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ
في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه
الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاة له من جهة
الله له على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله
حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما
غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير
ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وكذلك قال الله
ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم فالحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل و
استغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز و
هو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان
يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان
يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان
يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان
لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته له وربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان
متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قالوا كيف
يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي
كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذ كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا
ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم
جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر ورياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر
الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال الله تعالى او عجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على
مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس
تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل
بها الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ و
تحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل بها الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الوعاظ
المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذ كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العلماء

على اهل بلدة واحدة اذ كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين على طائفة من المتفقهة
محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له السبب السادس حب الرياسة وطلب
الجاه نفسه من غير توسل به الى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون
اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا
نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة
من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس
في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد
وهذا وراء ما بين آحاد الناس العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة
وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم
واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل
برياسة وتكبر وطلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا
وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار
لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا
ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد
الثابت بسائر الاسباب اسبابها عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض
فيعسر ازالته ويستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها
او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معه على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك
حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما
يتجرد من سبب واحد

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي
ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد
لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام
تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه
في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه
على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين الشخصين
في بلدين متنائيين ولا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد
او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب
الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر
بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه و
ابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد

البزاز غير مقصود الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصود البزاز الثروة ولا يحصل له الا بكثرة الزبون
وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من
مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد
العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض و
كذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم
بينهما على مقصود اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد
لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع
اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها و
منشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما
مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه و
سماواته لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف
الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة
الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله وهي
بحر واسع لا ضيق به وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة
اللقاء وليس فيه ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد
العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر
ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص منه لا محالة ف
يكون ذلك سببا للتحاسد واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره بها وان يفرح
بها فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن يد الآخر والعلم في قلب العالم مستقر و
يحل في قلب غيره بالتعليم من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك انسان
جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال
الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا
يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته
فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها
بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها
فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان
غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا
متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا
حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور
ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة
فيها ولا تنال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا

والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به
الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى
وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس
يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض
لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد
اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعمة لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك
في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة
الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها وفتر عنه رأيك وضعفت فيه رغبتك فانت
فيه معذور فالعنين لا يشتاق الى معرفة الله ولم يجد لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات
يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم
يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك وبقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع
لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا
والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك
فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي
قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة
التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين
وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم
للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما
يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ
اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى
مغموما محروما متشعب القلب ضيق النفس كما يشتهيه لك اعداؤك وكما تشتهي لاعدائك فقد كنت تريد المحنة
لعدوك فتنجزت في الحال محنتك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث و
الحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع
فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من
غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود
في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل
قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امرأة
ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل

غيره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود
بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة
تزول بالحسد لم يبق لله عليك ولا على الخلق نعمة ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المومنين على الايمان قال
الله تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم
هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانما
يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا ساير النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك
ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص
بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت
بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدنيا والدين فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم
من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي
هدايا تهديها اليه اعني انك بها تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت
في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات
فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان
اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من
الم الحسد وهو غاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك
ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان يطول حيوتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر
الى نعمة الله عليه وتنقطع قلبك حسدا ولذلك قيل لا مات اعداوك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد
لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم
خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما تلازمه من غم الحسد
الا كما يشتهيه عدوك فاذن اذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما
تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق
شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت
الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدائك لانه لما رآك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه
والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من
احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم
مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه
اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي عليه السلام الرجل يحب القوم ولما يلحق
بهم فقال النبي عليه السلام هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال
متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صيام ولا صلوة الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر
بغيتهم كان حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان

يكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم
حتى عد اشيا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز
انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم
تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن
كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهية
حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطى في دين الله وينكشف خطاوه
ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك
اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له
والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة اذى فانظر كيف ابعدك ابليس لعنه
الله عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تكون من اهل واحد منها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على
نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي سهما الى عدوه
ليصيب به مقتله ولا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاولى
فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال
وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداوه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان
منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الرمية العايدة لم تفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت
لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان يذهب
في الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال
النعمة عن المحسود فلم يزلها ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد
زالتا عنه تصديقا لقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت
بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل
لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان
واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم فهذه هي الادوية العلمية فمهما
تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه
ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل
فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثنا عليه وان حمله
على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في
الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه
وتولد منهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل
قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب
قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حملك العدو
على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجا

تكلفا كان وطبعا يكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغبها وتعود القلوب الى التآلف والتحاب وبذلك
تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا ولكن النفع في الدواء
الذي يمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما يهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء
والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء
الله وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما
لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين
اما ان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني
فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل
فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه
الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تنقمع المادة لم يحصل
بما ذكرناه الا تسكينه وتطفئته ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده
فانه ما دام محبا للجاه فلا بد من ان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك
لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما التخلو عنه راسا فلا يمكنه والله

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن
آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن
حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له
ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك
الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب
زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل
قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما
الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح
نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب
الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة
ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة
من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في
اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما
تيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا
ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل
احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم
مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو
الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلف به وقد ذهب

ذاهبون

ذاهبون الى انه لا اثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه
لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ثلاث في المؤمن
له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من
جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء
فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب
لا عن الافعال وكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في
محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الايات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن
العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك
ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك
عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار
اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور
قطعا الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار
منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا
يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله اعلم بالصواب تم كتاب آفة الغضب والحقد والحسد
ويتلوه كتاب ذم الدنيا بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على خير خلقه محمد وآله اجمعين وسلم تسليما

كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن
عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها
ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار
سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن شرها و
وبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة
وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة
فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها
ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات
سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة
طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم
اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور
وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم

تحيت الصعيد فإن ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم تغن بالأمس تمنى أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من آله وأصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا **أما بعد** فإن الدنيا عدوة لله عدوة لأولياء الله عدوة لأعداء الله أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها وأما عداوتها لأولياء الله فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وإذ عظمت غوائل الدنيا وشرورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا و حقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها وجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب الاشتغال بفضولها

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم قال و الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها وقال أبو موسى الأشعري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لم يقدروا على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال عليه السلام يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذا إشارة إلى أن زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال عليه السلام إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب و الثياب وقال عيسى صلوات الله عليه لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال أيضا يا معشر الحواريين إني

قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن الله عصي فيها وأن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه و طالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها وروي أن سليمان بن داود صلوات الله عليهما مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وعن يساره قال فمر بعابد من عباد بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت و قال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال عليه السلام من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا و أملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم فهي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون علي منك كل شأنك صغير وإلى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم وروي في أخبار آدم صلوات الله عليه أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له أي شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما في بطني من الأذى فقيل للملك قل له في أي مكان تضعه

على العرش ام على البرد ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن هبط
الى الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا
يا رسول الله او مصلون قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا
شيء وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري
ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه
لآخرته ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا قد خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده
ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا
والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى ان جبرئيل عليه السلام قال لنوح عليه
السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من
الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا
وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم
وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر
والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر
للبغضة وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله عز وجل
ثواب خمسين صديقا ويروى ان عيسى صلوات الله عليه اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب
شيئا يلجأ اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا
فيها اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله اليه مأواك في مستقر من
رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا
ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى صلوات الله عليه
ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم
ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقد
قيل اوحى الله الى موسى صلوات الله عليه يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها
همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم
حتى آخذ منه للمظلوم ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من
البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى
رسول الله انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل
يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على
من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض فقال زهرة الدنيا

وقال

وقال علي عليه السلام لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فتنهى عن ذكرها فضلا من اصابة عينها وقال عمار بن
سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء
ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى
الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك
يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال بحبنا
الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت
حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من النار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال
كيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق
على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكب فيها فقال المسيح عليه السلام للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش
ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلام انه حق على
الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى صلوات الله عليه من ذا الذي يبني على موج البحر دارا
تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى صلوات الله عليه علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا
الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا و
لهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون
على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن غاب عن قلوبكم ذكر الآخرة
وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع
هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث
سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على
امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا
لآثرتم طلب الآخرة لانها املك بامودكم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا
للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم
بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما
تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تبصرون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون
بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في
وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم
لا يتبين في وجوهكم ولا تتغير حالكم اني لا ارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان
يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم على الغل وثبت مراعيكم على الدمن وتصافيتم
على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم
خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام
يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا

قيل • أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا • ولا أراهم رضوا في العيش بالدون • فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين • وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا
عليه السلام ليأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب وأوحى الله تعالى إلى موسى صلوات الله عليه أن يا
موسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد عليك منها ومر موسى صلوات الله عليه برجل و
هو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه
مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا • الآثار • قال علي رضي الله عنه
من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه و
عرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه
الله إن قوما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا من نافسك
في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره وقال لقمان عليه السلام يا بني الدنيا بحر عميق
قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الإيمان بالله وشراعها
التوكل على الله لعلك ناج وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية إنا جعلنا ما على الأرض
زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء إنك لن تصبح في
شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم
فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض
الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية قال فما حال
أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل • شعر • ومن يحمد الدنيا لعيش يسره
فسوف لعمري عن قليل يلومها • إذا أدبرت كانت على المرء حسرة • وإن أقبلت كانت كثيرا همومها • وقال
بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد و
صفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا
أنها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص وقال سفيان رحمه الله أما ترى النعم كأنها
مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط
منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال
انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وإنما قال
هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا
حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى
والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا
يفنى على ذهب يبقى وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما
للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية
فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل • شعر • وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يوما أن ترد الودائع • وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن

ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر ذكره وقيل لإبراهيم بن أدهم
كيف أنت فقال • شعر • نرقع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع • فطوبى لعبد آثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع • وقيل • أرى طالب الدنيا وإن طال عمره • ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه • فلما استوى ما قد بناه تهدما • وقيل • شعر • هب الدنيا تساق إليك عفوا
أليس مصير ذلك إلى انتقال • وما دنياك إلا مثل فيء • أظلك ثم آذن بالزوال • وقال لقمان يا بني
بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر
إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل
الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال
بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب وقيل • شعر • يا خاطب الدنيا إلى نفسها
تنح عن خطبتها تسلم • إن التي تخطب غدارة • قريبة العرس من المأتم • وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا
على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها • وقيل • شعر • إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق • وقال • شعر • يا راقد الليل مسرورا بأوله • إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة • كر الليالي إقبالا وإدبارا • يا من يعانق دنيا لا بقاء لها • يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة • حتى تعانق في الفردوس أبكارا • إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها • فينبغي لك أن لا تأمن النارا
وقال أبو أمامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت
أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح
بثلاث أخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه وإمساكه عن حقه والشر كله من هذا تبع وقال رجل
لعلي يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن
افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب وفي شبهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال
أطول أم أقصر فقيل أقصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فإنها
تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال أبو سليمان إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها وإذا كانت
الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما
ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال
مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا
من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي عليه السلام الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي إحداهما
تسخط الأخرى وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمشون
عليه ما يبالون أشرقت أم غربت ذهبت إلى ذا أم ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه
الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه أله أن يتنعم فيه يعني التنعم فقال لا لو كانت له الدنيا
كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي
حلالا لا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقيل لما
قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وساءله ثم أتى منزله فلم

فبني الاسيفه وتربينه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال
لقمان خذ من الدنيا بلاغك وخذ من الآخرة حظك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام
بعد عبادتهم الرحمن بحب الدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة
الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا
من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن
مسعود اذا رايت العبد يزداد دنياه وينقص آخرته وهو بذلك راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو
لا يشعر وقال خطب عمرو بن العاص على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يزهد فيه منكم والله ما اتت على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ثلاث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا من قال ذا من خلقها من هو اعلم بها اياكم وما يشغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل
على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن آدم رضي
بدار حلالها حساب وحرامها عقاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرامه عذب به ابن آدم
يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن
عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك
كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال فضيل ابن عياض الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد
وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك و
عجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على
معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات
رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا
بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده واجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك
وقال داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك
وقال بشر بن الحارث من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا
وقد الزق به شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم
يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من
رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن
دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري
اي عذاب الله ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله
ما هي لاحد بأهنأ منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد
اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول يا من يمسك السماء ان تقع على الارض امسك
الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله و
جاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره

الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا
من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما
مؤنة الدنيا والآخرة فاما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك
الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة ما بين السماء والارض كالشن
البالي ينادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء
وقال عبد الله ابن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال
وهب ابن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان
من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع
نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكر ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا
تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي
قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها
وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله عليه من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله
وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر
شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله
وارض برزق الله لا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل اكثر من عملك
واقصر من املك وقال ابرهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في
اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانك لا
تحبه في اليقظة وعن اسمعيل ابن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا
خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال
يحيى بن معاذ انما العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه و
قال ايضا الدنيا يبلغ من شؤمها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله
من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال بندار ابن الحسين من اقبل على الدنيا احرقته بنارها
يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله
عز وجل احرقته بنار التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه انما الدنيا ستة اشياء
مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب
واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة
لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها واشرف المشمومات المسك وهو دم
في ذم الدنيا
وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان
الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها
فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق
لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها

بلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا
من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل
فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم
اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت
ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق
وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند
ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف
اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا من بسط
له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه
فتهدمه من القواعد وتدب على جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم
هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت
عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره
في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل
بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل
آدم عليه السلام اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل
حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه
يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الخداعة
الختالة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بآمالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس
المجلوة فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا
الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مدكر فعاشق لها
قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت
حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته ومن راغب فيها لم يدرك منها ما
طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما
تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها منها غار
والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء وجعل البقاء منها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان
لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدري ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها
نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر
عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل
عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك
صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان
يخالف على الله تعالى امره او يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا

بسطها لاعمالها اغترارا الفطن المغرور بها المفتتن عليها انه اكرم بها دنيا صلح الله عز وجل لمحمد صلى الله
عليه وآله وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه تبارك وتعالى انه قال لموسى عليه السلام
واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان
شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة ابن مريم عليهما السلام كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف
ولباسي الصوف وصلائي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت
الارض ابيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على الارض احد اغنى مني وقال ابن منبه لما بعث الله
عز وجل موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته
بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا و
زينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما
لفعلت ذلك ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك
الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل و
الخشوع والخوف والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم
الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم
الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم
انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيامة وخطب علي رضي الله عنه يوما فقال في خطبته
اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال
لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور
اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما
اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم
والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها
مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول
منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها
واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة
الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين
واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار
ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة
امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات كلا انها
كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في
دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت الامور وبعثرت القبور

وحصل ما في الصدور وتوفيتم المحصل من بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب
وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان
الله سريع الحساب ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة
من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه
ويخرمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة
الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك
واستثقلت مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها
لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تأتي به من العجائب اكثر مما يحيط
به الواعظ فنستوهب الله الرشد الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا
وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر
يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل
بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر
ابن عبد العزيز رضي الله عنه فقال يا ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان كنتم
تكذبون به فانكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم
غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها واعملوا لما انتم
صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي رضي الله عنه في خطبته اوصيكم بتقوى الله في
الترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم
ومثلها كسفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه او افضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى
ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها
وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعيمها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس
بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين رحمه الله لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان
الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زهد فيها
وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب
ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة بعين انها
باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا
انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم تعبوا قليلا
وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم بيان صفة
الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها
فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن
اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك

حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رضي الله عنه انشد شعر
احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول شعر يا اهل لذات
الدنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق وكان يروى انه من قوله وقيل نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه
الطعام فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فلما اصابته الشمس انتبه وقام وهو يقول
الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زائل ولذلك قيل شعر وان امرء دنياه اكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور مثال آخر الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها تشبه
خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون
ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما
هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا
به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم مثال آخر الدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها
اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب
حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى صلوات الله عليه كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها
من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت
فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم
واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال آخر الدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا
مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها و
كشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها
قال العلاء بن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة والناس عكوف عليها معجبون
ينظرون اليها فجئت فنظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت
ما تعرفني قلت لا ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان
تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها
وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت
بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رأيت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض
قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف
على الخلائق فيقال اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها
تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي
فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على
قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته واذا هي ادبرت كانت احسن
شيء رآه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ
بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا مثال
آخر الدنيا وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل و

حالة لا يكون فيها مشاهد الدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام
حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في
سفر طويل ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم
صايف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح ومن راى الدنيا بهذه العين ولم يركن الى الدنيا
ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في نعمة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من جص
فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد
هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم ثلثيها
ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد من العبور والبناء على القنطرة
وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان مثال آخر الدنيا في ابتدائها
وخشونة مصدرها اعلم ان اوايل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة
الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي
الله عنه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض
عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر
ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنها مكروه والله اعلم مثال آخر للدنيا في
الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في
الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء الا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم
الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا
مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك
ملابسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى
عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ
العبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن
تصعب وتتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ
بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يتحلل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم يخرقها
الشهوات او يدنسها الطمع او يقسها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث
اعلاه خبث اسفله مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط
في آخره فيوشك ذلك ان ينقطع مثال آخر لتادية علايق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك
قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال آخر

لمخالفة

لمخالفة آخر الدنيا اولها ولنضارة اوايلها خبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوة
الاطعمة اللذيذة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح
ما يجد للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة
كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي
بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهب داره واخذ اهله وولده وماله فيكون مصيبته
والمه وفجيعته في كل ما فقد بقدر لذته فيها وحبه لها وحرصه عليها فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده
والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما الموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء
قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام
ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر
ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال عليه السلام ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا
وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد رايتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم
يرمون به حيث رايتم وقد قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل
لابن عمر رضي الله عنهما اني اريد ان اسألك واستحيي قال فلا تستحي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام
لم ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب
يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم
وسمنهم مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الآخرة
الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما يرجع اليه مثال آخر الدنيا واهلها في اشتغالهم
بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم
ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم
مرور السفينة واستعجالها وتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان
خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها
العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها
احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين
الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا
مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه
باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصار ثقلا عليه
ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو نادم على
اخذه وليس ينفعه الندم وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم
يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع
ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوكة تتشبث بثيابه

عنى يجرحه بشوكه وشوكه تتخلل رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته
عنه يمنعه عن الانصراف لو اراده فلما لحقهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه فلم يجد في المركب موضعا
فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من
تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة
واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المزخرفة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظه والخوف من
فوته وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رائحتها
فصار مع كونه مضيقا عليه موذيا بنتنه ووحشته فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها
وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما
مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن
رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم
بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح من يزعم انه بصير
ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند
الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم
الا من عصمه الله تعالى مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم يقول الله تعالى في
تحذيرهم اياهم عن اهل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه انما
مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا
الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج
عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب
فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء فقالوا يا هذا قال على ما انتم قالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء
رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم
بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا
هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا
هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل
عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن
اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم
تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره
على الترتيب قوما فدخل واحد فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه
ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما
استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك
من عرف سنة الله تعالى في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها
وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى يعظم مصيبتهم عند فراقها

فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها **بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد** اعلم ان معرفة
ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب
فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك
وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت
والمتراخي المتاخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة
في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم
بل هي ثلاثة اقسام القسم الاول ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل
فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة
نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر
النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا
الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها
بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول
بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت
الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا
لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة
فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا فلذلك
اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا
القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ
بالمعاصي كلها والتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان
والجواري والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة
وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ
كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس
والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك
الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه القسم الثالث وهو
متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد
الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل فهذا ليس من الدنيا
كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم
والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على
التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء
القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وطهارة القلب لا تحصل الا بالكف

عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا يحصل
معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت اما طهارة القلب عن
شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال
العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت
الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء
والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة
من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه
عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم
عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب
الا الدنيا وقد غصبت منه وحيل بينه وبينها وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليها ولذا قيل ما حال
من كان له واحد يتخذه فمات الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله
فاذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي
يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن
لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة
اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك
بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا
تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات
العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل
المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب فانه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلالها
حساب وحرامها عذاب فقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب
لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة
خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات
دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا
صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم
في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه
وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم الذي تسأل عنه اشار الى الماء البارد
والتعرض لجواب السائل فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك
قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في
كفه ثم امتنع من شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك
القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى
صلوات الله عليه وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان

عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق
امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا روي ان الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى
الله عليه وآله وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلاء والمحن
على الاولياء والانبياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع
الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه فقد عرفت
بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء
ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات
وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلثة
الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم
الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول عند الخلق
باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال والحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار
هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله
وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان
كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال عليه السلام من طلب
الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء
يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذن الدنيا حظ نفسك العاجل
الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى والاشارة
قوله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان
التي يحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان
كل ما هو لله ليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله
والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف
يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم
ويقرب منه وينبغي ان يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر
والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد
الضرورة حتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب
دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله
بعد العشاء الآخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى وكلما اصاب الحشف خباه لافطاره فان لم يصب ما يقوت
من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب باع النوى واشترى ما يقوت به وكان لباسه مما يلتقط من المزابل
من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك لباسه وكان ربما
مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف

ان تدعو لي فتحضر الصلاة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جهة اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ايها الناس
من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من
كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت
فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما ذاك تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله
ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت
الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يدخل في الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر فقال
هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويس
القرني واسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا وحده على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال
فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم آدم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية عليه ازار من
صوف ورداء من صوف بغير احذاء كريه الوجه جدا مهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي
فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر
لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت
حتى بكيت وبكى قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال
لا اله الا الله سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني
فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رأيتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين
كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون
بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك
الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث اسمعه منك فقال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من
حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي لا احب ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا
في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات
واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم
قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى وقال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه
واحسن الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا
ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك
حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات
محمد رسول رب العالمين صلوات الله عليه وعليهم اجمعين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن
الخطاب اخي وصفيي ثم قال واعمراه رحم الله عمر وعمر يومئذ حي قال فقلت له رحمك الله ان
عمر لم يمت بعد قال قد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كأن قد كان ثم صلى على النبي

صلى الله

صلى الله عليه وآله وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج
الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما
بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك
وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني
من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما
كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته
من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك
ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم
شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال ولم ارك وتراني فاذكرني
وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه
ساعة فابى علي وفارقته يبكي وابكي وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم طلبته بعد ذلك و
سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة
المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته
الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل
مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله عز وجل ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان
الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل تجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز
الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به
مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا
قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان متجافيا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال
الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة
والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك بيان
ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انساهم نفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم
اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان
الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر
وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان
اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها للآلات والاواني كالنحاس
والرصاص او للنقد كالذهب والفضة او لغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم
اما البهائم فيطلب لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس
ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان
يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي

صُبّ عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من
الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي
واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه
هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها
حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه
هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح
هذه الاعيان التي ذكرناها لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها
الخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن
بالشغل ولو عرفت نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم
تخلق الا لعلف الدابة التي تسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن
كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج
الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل
اليها الوان الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة
وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى
به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفره
لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن
وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج
من بطنه واكثر ما شغل عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا
سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا
وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصل بعضها ببعض وتداعت
الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا كيف
صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبتهم ثم نقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات
والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلثة القوت
والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب
الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان
فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني
عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت
الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية و
الاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة
للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد او معدن

او حشيش او حطب فالفلاح يحفظ النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما
نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق من غير صنعة آدمي ونعني
بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والات
كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن
كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات
النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجار كل عامل على الخشب كيف ما كان وبالحداد
كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف
فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان
خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى
النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب
المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة
اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة
كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى الات وتحتاج
الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى
حراسة القطن والات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع
ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفين لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل
بيت به وبما معه من الالات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع الجيران عن اللصوصية ولكن المنازل
المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن
بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت
بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج
الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة
المخاصمة وان ظلمت واما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا
فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب
الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم
عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل
تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من
هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض ليمكن
القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة
الحكم والتوسط بينهم لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون
الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله في
المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة

من الشجر والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعايش ويحتاج اهل
البلاد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلاد بالحرب مع الاعداء مثلا لتعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب في
الفلاحة بالصناعات لطلب القوت تعطلت عن الحراسة واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف
الى معايشهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او يصرف اليهم الغنايم ان كانت العداوة مع الكفار
فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى
ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فيحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة
الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى
من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان
والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام
فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي
النصفة في اخذ الخراج واعطايه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب
الامير والقايد على كل طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل
السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال
ثم هولاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل
وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الاولى الفلاحون والرعاة
والمحترفون والثانية الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالثة المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطاء
وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى
وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا يتناهى الى غير حد محصور كانها
هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه الحرف والصناعات
الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية
ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق
والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب
الة الصياد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن
قرية ليس بها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح
اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق
المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بالته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى
الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه
فيتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع الة كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجة والى انبار
يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الانبار لينتظر به ارباب الحاجات فظهرت لذلك
الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في
انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد
فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم امور البلاد

بسبب ان كل بلد ربما لا يوجد فيها كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث
التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم
ونصيبهم منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم
وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس لا
رتفعت هممهم ولزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه
الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث
معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات
الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام
كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد
من حاكم عادل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج
الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة
والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا
تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه
الحرف لا يمكن مباشرتها الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به
او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه
حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص
والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم
من يطلب اعوانا ويكون في يده شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما
الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او
سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا
طلب ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى فافتقروا الى حيلة في استخراج المال
وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة
ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان
ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب
الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد
زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون
بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما
اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق
من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق وما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش
الذي يخيل بائعه انه حشائش الادوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ
المكدون على رؤوس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم

انواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ويكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله وعن اليوم الآخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منه وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل

الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شأن المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فرأوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظنت طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء منها بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فانه لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع [illegible] وبالله التوفيق ومنه العصمة تم كتاب ذم الدنيا ويتلوه كتاب ذم

[illegible] والحمد لله رب العالمين وصلى [illegible]

[illegible] الله على خير خلقه محمد وآله [illegible]

[illegible] وصحبه اجمعين وسلم تسليما [illegible]

ع

كتاب ذم البخل وذم حب المال من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقليب الاحوال وردديهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا

اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها وان فقدت حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجدت حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كلها ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقدها صفة الفقر ومن وجودها وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونشرحه في فصول وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخا وحكايات الاسخياء ثم ذم البخل وحكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال الله تعالى الهيكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام هلك المكثرون مالا الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنياء وقال عليه السلام سياتي بعدي قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال عليه السلام اخلاء ابن آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا

الآثار روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته صررا وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه

وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت
بعضهم فابغض الدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن
صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل * اني وجدت فلا تظنوا غيره * ان التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بان تقاك تقوى المسلم * وقيل * لا يغرنك من المرء قميص رقعه
او ازار فوق كعب الساق منه رفعه * ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه * ويروى عن مسلمة بن عبد الملك
انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت
ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وعنده ثلثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك
لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما
مطيع لله فالله كافيه وهو يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي
اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي
ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من ماله مائة
الف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته
قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

بيان مدح المال والجمع بين المدح والذم

اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا
يمكن الوصول اليه الا به وقال ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم
الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه
وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا شر محض بل هو سبب للامرين ٢
جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم
وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع
فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد
الى هذا داب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال
اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسائل في الدنيا وهي الفضائل
النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن
كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجة
وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي
الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق ليحصلها صفة في ذاتها
والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود
من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق
ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس

التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده
واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل به الغرض محمودا في
حقه فاذن المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي
المقاصد الصادة عن سعادة الاخرة والسادة سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود مذموم محمود بالاضافة
الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه
وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال
مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء صلوات الله عليهم من شره حتى
قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره
وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم عليه السلام فقال اللهم اجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية في
شيء من الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد
الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتقش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد
صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في
النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها
فمن عرف غوائلها وفوائدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر من خيرها اما الفوائد فهي منقسمة الى دينية
ودنيوية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا
على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة
او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال
وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فهو المطعم والملبس والمسكن
والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ
للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد
الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط النوع الثاني
ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض والاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها
وانها لتطفي غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في
ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا
من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء
فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه
فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها
واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا
مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما وقى به المرء عرضه

ضرولبه صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يشوه من كلامه من العيادة التي تحمل
في المكافاة والاقدام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستعجام وهوان الاعمال والاستعجام وهوان الحاجات
التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل
الاخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة
نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به
غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور
ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل
به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الجباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف
المرصدة للخيرات فهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات
متمادية ناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص
من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء
والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية واما الآفات فدينية
ودنيوية اما الدينية فثلث الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء والمعصية
ومن العصمة ان لا يقدر وبهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة
عليه انبعثت والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك
ان وصبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثانية انه يجر الى التنعم
في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن
ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان صلوات الله عليه في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا
ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد
انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة
والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته
الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة
الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة و
ينبعث عليها الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان
ولا يخلو ايضا عن التعدي الى ساير الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالثة
ولا ينفك عنها احد وهي انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران و
لذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه
في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل
العبادات ومخها وسرها ذكر الله والفكر في جلاله ويستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح
في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير
في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه والتعرض

بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن
كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف
ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في
سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف
والحزن والهم والغم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال
اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات بيان ذم الحرص والطمع
ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن
ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب
المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه
نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوف الى الكثرة او طول الامل فاته عز القناعة
وتدنس لا محالة بالطمع وذل بالحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات
الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على
من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اوحي اليه اتيناه فعلمنا مما اوحي
اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا
من ذهب لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن
آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ
منها ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا
ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا
يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وآله وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان الامل وحب
المال او كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله
على القناعة فقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما
من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن
كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب
له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى صلوات الله عليه
سال ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا هريرة اذا
اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن
مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى

النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن
بحديث تعتذر منه غدا واجمع الاياس مما في ايدي الناس وقال عوف ابن مالك الاشجعي كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال
قائل منا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فعلى ما ذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا وتصلوا الصلوة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا قال فلقد
كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه [illegible] قال عمر رضي الله عنه ان الطمع
فقر وان الياس غنى وانه من ييئس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك
ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل   العيش ساعات تمر   وخطوب ايام تكر   اقنع بعيشك ترضه
واترك هواك فانت حر   فلرب حتف ساقه   ذهب وياقوت ودر   وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس
بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير ما ابتليتم بها ما
خرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك
وقال سميط ابن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقال الحكيم ما مالك قال
التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس عما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال يا ابن آدم
لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على
غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول
انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه
الا رفع حوائجه اليه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل
لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايما اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها على
دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع
واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد
قيل   ارفه بال فتى يمسي على ثقة   ان الذي قسم الارزاق يرزقه   فالعرض منه مصون لا يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه   ان القناعة من يحلل بساحتها   لم يلق في دهره شيئا يؤرقه   وقيل
حتى متى انا في حل وترحال   وطول سعي وادبار واقبال   ونازح الدار لا انفك مغتربا   عن الاحبة لا يدرون
ما حالي   بمشرق الارض طورا ثم مغربها   لا يخطر الموت من حرصي على بالي   ولو قنعت اتاني الرزق في دعة
ان القنوع الغنى لا كثرة المال   وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله عز وجل حلتان
لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم
ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة
بها وعاتب اعرابي اخا له على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت
ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت اليه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما
وزاهدا مرزوقا وقيل   اراك يزيدك الاثراء حرصا   على الدنيا كانك لا تموت

فوالله انك غابن ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت   وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد
ان تصنع بي قال اذبحك وآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلث خصال هي خير
لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على
الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا
تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين
وزن كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت
اثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمي ودمي وريشي
لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت
هذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال ابن السماك ان الرجاء
حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي
دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله
امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما
ثالثا وانشدني   شعر   اذا سد باب عنك من دون حاجة   فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه   ويكفيك سوآت الامور اجتنابها   ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب
ركوب المعاصي يجتنبك عقابها   وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد ان
وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل
في الشيء فيطلبه فيذهب عنه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا يحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى
هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له
فمن حبك الدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض ولم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله عز وجل فلو
لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء
من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خليقته من الحرص على الجمع اكثر
مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت من
اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واوما بيده الى رحا اضراسه

علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة

اعلم ان الدواء
مركب من ثلثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة
والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا
بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع
باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر
فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الاصل في القناعة
ونعني بالرفق في الانفاق ترك الخرق فيه قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله
وقال عليه السلام ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث منجيات خشية الله في السر والعلانية

بل القصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي أن رجلا أبصر أبا الدرداء رضي الله عنه يلتقط حبا من الأرض وهو يقول إن من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضعة وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه وأن شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى إذ قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله … مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال عليه السلام ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق العبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله قال صلى الله عليه وآله وسلم أبى الله إلا أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فاقد الضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش وقال أبو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السماوات والأرض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك

قيل استغن عمن شئت فأنت نظيره واحتج إلى من شئت فأنت أسيره وأحسن إلى من شئت فأنت أميره الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فإنه إن تنعم في البطن فالحمار أكثر أكلا منه وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وإن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى رتبة منه وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأولياء والأنبياء الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر أوصاني خليلي أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي أي في الدنيا قال أبو هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء

اعلم أن المال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من أصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرئيل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فأكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جبل الله تعالى وليا له إلا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قيل يا رسول الله أي الإيمان أفضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي

تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده كلما عثر وعن
ابن مسعود رضي الله عنه قال عليه السلام الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى
ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال عليه السلام ان الله جواد يحب الجود ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها
وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء
كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة
وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك
المنافع نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بني
العنبر فامر بقتلهم فافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين
واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نزل علي جبرئيل عليه السلام فقال اقتل
هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل
السراح وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام
البخيل داء وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله تعالى عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة
عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف و
قالت عائشة قال عليه السلام الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان
السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس
بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس اهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب
اهله فانت اهله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان ابدال امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا بصيام ولكن دخلوها
بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف
اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال رسول الله صلى الله عليه و
سلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له
صدقة وما انفق الرجل نفقة فعلى الله خلفها وقال عليه السلام كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه
واهله كتب له والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال عليه السلام كل معروف فعلته الى غني
او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى صلوات الله عليه لا تقتل السامري فانه سخي وقال
جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع
ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت لا بأس
وقال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا اليك فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا
تبقى وانشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان تجود بها
فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن المروءة والنجدة والكرم فقال

اما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية
واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال
والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل الى الحسين بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال
حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال
يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك
بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا
واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي
من يؤدي حقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا ينازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله
تاما وقيل للحسن البصري رضي الله عنه ما السخاء قال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان
تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لا مال اعود
من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني
لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة
رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال
لمن هذا الدرهم فقال لي فقال انه ليس لك حتى يخرج من يدك وبمعناه قيل انت للمال اذا امسكته فاذا
انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها
شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي رضي الله عنه الى الحسين بن علي رضي الله عنهم يعتب عليه اعطاء
الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان والجود
بالمال وورث ابو خيثمة الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسأل الله لاخواني الجنة
في صلواتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء
من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد العزيز
ابن مروان ان الرجل اذا امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي
لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج
راضيا وتمثل رجل عند عبد الله بن جعفر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة اودع فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين
ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا
[illegible] عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان
ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست
قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري
لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبيد الله
ابن عباس رضي الله عنه فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملأوا
عليه الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر عبيد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة

اليهم ثم لم يبق على امتهاجي وصفت الموائد فاكلوا حتى صدروا وقال عبد الله بن كلاب لم يوجد كل ما اردت فالدراهم
يقال فليستغن عندنا من حاجته في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال
الحسين بن علي لاخيه الحسن رضي الله عنهم لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا
دينا لا بد لنا من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه بنجيب عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا
وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد
بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع
المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء واما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك
واما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت
فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن
محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح
ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت
اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي بالحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف وسال رجل
الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر
علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور
ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر
العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل
من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعل الخمسمائة دينار قال هي عندي فقال احضرها فاحضرها فدفع
الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رضي الله عنه
رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال لكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم
واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس رضي الله عنه وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد
انا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس
فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا واخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس
ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانا على تجهيزها فليس للدنيا من القدر
ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدبت
الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان
رخص السعر ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف
فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها لمن لم تنله صلاته وكان ابو
طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا وكذا
فقال له قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه
بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف
درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف

درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة
وهو يريد الدخول على معن بن زائدة فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني
فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء
فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فليس لي
الى معن سواك شفيع قال فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له
بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط و
قراها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه فخرج
فلما كان في اليوم الثالث قراها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى
في بيت مالي درهم ولا دينار وقال ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله
عنهم حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا
اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام
فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات
لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا
سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل
وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ثم قال بعد مدة الجاتهما الحاجة الى
دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك
المدينة فاذا الحسن بن علي رضي الله عنهما جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه
ودعا العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت
وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن رضي الله عنه فاشتروا لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف
دينار ثم بعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنه فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة
والف دينار فامر لها الحسين رضي الله عنه ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها
بكم وصلك الحسن والحسين رضي الله عنهما قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله رضي الله عنه بالفي شاة
والفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار
وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه
فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ
بالله ان طار بجناحك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى
الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاءوا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة
فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له
هل لك ان تبادلني بعيرك بنجيبي وكان السخي الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في
النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه
من النوم فاذا بعيره ينحر دما فقام فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق

استقبلهم ركب فقال الرجل منهم من خالوف بن خالد فقال منكم بابيم ذلك الرجل فقال انا فقال هل تعرف من
شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعث منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا بنجيبه ثم قال هو ابي
وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه وقدم رجل من قريش من السفر فمر
برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل
لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم
يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما
ياكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي
في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم
قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقال انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله
عنه خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيته
خمسمائة وتعطيه الف وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي كل يوم من غلتي الف درهم ودينار و
استحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكى انه لم تجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار
وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقال انها انما سالت على قدرها ونعطيها
على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد رحمه الله لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا
وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت
علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى
وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقال عبد الملك بن
مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك
الا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه
قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ودخل
سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن سال الصكاك
على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين
على الفتى المعوان ثم قال حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار فقال لك دينك ومثله وقيل
مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله
مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فانكسرت درجته
بالعشي لكثرة من عاده وعن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع
بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة
من مكة فامر لكل من صلى فيه بحلة ونعلين وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد
الحافظ يقول سمعت الشافعي رضي الله عنه المجاور بمكة قال كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم
ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شي فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشي فجاء الى قبر
رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلمت جماعة في دفع شي لمولود فلم يتفق

لي شي للمولود ثم قام فاخرج دينارا وكسره نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك شي
قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه
فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون
ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة
فقالوا له اجلس وحضروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس
لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حملوا الدنانير الى الرجل صاحب المولود
وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا وكسره بنصفين فاعطاه نصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر
وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادري اي هؤلاء اسخى وروي ان الشافعي
لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغته خبر وفاته فحضر وقال ايتوني بتذكرته قال فاتي
بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رضي الله عنه سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال
هذا غسلي اياه اي اراد بهذا قال ابو سعد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك
الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من حفدته وزرتهم فرايت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثر
الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي رضي الله عنه لا ازال
احب حماد بن ابي سليمان لشي بلغني عنه انه كان راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان
ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام اليه الخياط فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة
دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه في قلتها وانشد الشافعي رضي الله عنه لنفسه يا لهف قلبي على مال اجود به
على المقلين من اهل المروات ان اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عندي لمن احدى المصيبات وعن الربيع
ابن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي رضي الله عنه فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني
وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباءه في
موضع خارج من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض
الثوب وليس عليه شي وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من
سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن
ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت
بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيها وانشد الشافعي رضي الله عنه ارى نفسي تتوق الى امور
يقصر دون مبلغهن مالي فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي وقال محمد بن عباد المهلبي دخل
ابي على المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بها المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون
في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام رجل الى سعيد
بن العاص رحمه الله فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك قال ابكي على الارض ان تاكل
مثلك فامر له بمائة الف درهم اخرى ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا
فقبل المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام
فكتب اليه ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد كما الدراهم والدنانير في البيع حرام الا يدا بيد

فلما وصل الى ابن خيثم البينان قال لحاجبكم اكام ما بالباب فقال الشهرين قال اعطه خمسين الفا وتجعلني دعاه كتبت له
بجلستنا فانك غافل ... فقال لم تفعل فخذ القليل وكن كانك لم تفعل ونكون نحن كانا لم نسأل
انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك
فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا
فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه
فيهم فسالت الخادم كم كان قال اربع مائة الف وجاء اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم
ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمان رضي الله عنه ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت
بعتها من عثمان رضي الله عنه ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن وقيل بكى علي
رضي الله عنه يوما فقيل ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني ودق رجل
صديقا له عليه الباب فقال ما جاء بك فقال لي اربع مائة درهم دين فوزن اربع مائة درهم واخرجها اليه وعاد يبكي
فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به بيان

ذم البخل

قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال تعالى الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والشح فانه
اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والشح
فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلى
الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل المنفق والبخيل
كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما واما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت
على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه
فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان
ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وآله وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله
عليه وآله وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم
والشح فانما اهلك الشح من كان قبلكم امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم فبكته باكية وقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدريك انه شهيد فلعله كان
يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الناس
مقفله من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت
رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته
بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسما فقلت غير هؤلاء

كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري
دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده
فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بما قالا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن فلان اعطيته ما بين
عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متأبطها وهي نار فقال عمر رضي الله عنه فلم
تعطيهم ما هي نار قال يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل
راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق
بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل
شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في
النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار
فلا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا
جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وآله وسلم واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن
الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه
بالبخل فقال صلى الله عليه وآله وسلم واي داء ادوى من البخل ليس ذلكم سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمع
الشح والايمان في قلب عبد وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله
عليه وآله وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته
وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل
متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ذنبك
صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال
ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك صف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل
ذو ثروة من المال وان السائل لياتيني يسالني فكانما يستقبلني بشعلة من النار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف
الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لكبك الله في النار ويحك اما
علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون **الايثار** قال ابن عباس رضي الله عنه لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها
تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها
في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك

وجود عبدك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله عز وجل وعزتي لا اسكنك
بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما اف للبخل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما
سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله
بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي رضي الله عنه في خطبته انه سياتي على
الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تبارك وتعالى ولا تنسوا الفضل
بينكم وقال عبد الله بن عمر والشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح
في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه فيحبسه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل
او الكذب وقيل وفد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي
عند الرضا سخيا وعند الغضب وقورا وعند القول متانيا وعند الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا و
قام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل
النميمة يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح
الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف
رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال
ابو حنيفة رضي الله عنه لا ارى ان اعدل بخيلا لان يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من
ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي رضي الله عنه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى
عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب
وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذن وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب
ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء
الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام
ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن
البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال له ولم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع
الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات بعض البخلاء

قال كان رجل من بخيل يدعوه بعض جيرانه فقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها واكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ
بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا
ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض الموت ولا اتقياها وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا
وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرا
والزيتون وطور سينين فقال اين والتين فقال هو تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى
اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك
قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه

فسئل عنه فقال له [illegible] ما في بيته فقال [illegible] مثقوب من حب الخشخاش وقال [illegible]
قال الكلام الكثير [illegible] فقال اما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال [illegible] ثوبه مخرق
فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ان محمدا كان له بيت من بغداد الى النوبة مملوء ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل
عليهما السلام ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يضمنون عنه ابرة ويسالونه اعارتها ليخيط
بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل وقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم
اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم
تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم
يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا عينيه لونا واذنيه
لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي
فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما
فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانيق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان
دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار فكان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت فاكلت كسرة
وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه
كسرة وملحا اذ سال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال
الثالثة قال له اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اوفى بوعده منك

بيان الايثار وفضله

اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه وانما
السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او غير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاء قد
ينتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج اليه فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل
يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا بخيل على
نفسه مع الحاجة وذاك يؤثر على نفسه غيره مع حاجته اليه فانظر ما بين الرجلين فان
الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة رضي
الله عنهم فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما امرئ اشتهى
شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام
وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة بضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى صلوات الله عليه
يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكني اريك
منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كاد

سلمت نفسه من اوزارها وفي بها من الله عز وجل قال يا رب بماذا بلغت بهم الى هذه الكرامة قال بخلق اصطنعته
بهم بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته
من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها
اذ اتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني
والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت به هذا الكلب
قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم فقال اطوي يومي
هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الالات
فاعتق الغلام ووهبه له وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
راس شاة فقال ان اخي فلانا كان احوج مني فبعث به اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى آخر حتى تداولته سبعة ابيات
حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاوحى
الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الآخر فايكما
يؤثر صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت
بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحيوة اهبطا الى الارض
فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل عليه السلام ينادي بخ بخ من مثلك
يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري
ولهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام
بحاله لم ياكل واحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فنزع خشبة
من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي
شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار
الي ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك
فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد
مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا
بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه
وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا
باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم
رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في تلك الميتة
فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي العظام ورجعت الكلاب الى البلد
فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي عليها من اللحم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار
الايثار واحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة ههنا والله الموفق

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حده وبماذا يصير الانسان بخيلا

وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول
قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ
المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا
يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به
صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا
غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا
بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة
اكلوها من ماله عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به
انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق
ذلك وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع
ماله او المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير
روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء بما امكن
وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر
وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود
ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير
محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن
امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف
فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل
والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو
ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه
فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه
علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة
الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي
لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي
يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي
يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو
ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص
فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله
واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح من الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح

اصيانه من المضايقة ما لا يستقبح اقرانه في المبايعة والمعاملة ويختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة
او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيره ويستقبح في
شرا الكفن مثلا او شرا الاضحية او شرا خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه
المضايقة من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامراة وشيخ و
شاب وعالم وجاهل وموسر ومعسر فالبخيل هو الذي يمنع حيث لا ينبغي ان يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم
المروة ولكن لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من
حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ
المال فالمضايق في الدقايق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل ثم يبقى
درجة اخرى وهى ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس
يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون عدة له على نوايب الزمان و
غرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال لهذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل
عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوايب الزمان مهما
وربما ظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة
وليس علي غيره ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه
ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللايقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة
الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال
حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير و
درجات ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما يوجبه العادة والمروة
هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان
من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه
والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الادمي فاسم
الجود عليه مجاز فانه لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة او اكتساب فضيلة
الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من
ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث
وهي اعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن
هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسال عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى
حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما
السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه وتعالى بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا
قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله سبحانه وتعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم
واحدة واخذتم عشرا فباي شيء تحتجتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان
تعبدوا الله تعالى متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم

يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح
قالت بعض المتعبدات اتحسب ان السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل فيم قالت السخاء عندي في المهج
وقال الخطابي السخاء في الدين ان تجود بنفسك تتعبها لله عز وجل وتسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله
عز وجل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن
يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن ان
تختار لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب
الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل
بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قليل وان كان قصير الامل ولكن كان له ولد
قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
الولد مبخلة مجبنة محزنة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة
السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته
وتفضل الاف وهو شيخ بلا ولد ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض
بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت
فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق منها وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج
لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله
لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان
الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل
من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة
فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر
ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم
ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله
احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده
ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله تعالى وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته اليه ويعالج
ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم
ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل
الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل ساير
البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر
حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة
ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية
فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن
البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج

ثقل المال على نفسي ان تصير وكان قد خطر لي بذله ولان حقيقة البخل لا يزيلها الا البذل تكلفا كما لا يزول العشق
الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك
الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه مع الحب
له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى
تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب خبث الرياء حتى
ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال
كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن ليشتغل عن
الثدي ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة
على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها الا ان هذا مفيد في حق من كان
البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة
فيه فانه يقلع من علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين
ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل
اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم
ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددهم ويكبرن ثم ياكل بعضهن بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين
ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الاخر فياكله ويسمن ثم لا يزال يبقى جائعا وحده الى ان يموت
فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى
الى ان لا يبقى الا واحد ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منه ومنع القوت من
الصفات هو ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت فالبخل
فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل
طبعا وسقط التعب فيه فاذن علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع
الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم يتحقق
المعرفة لم تتحرك الرغبة ولم يتيسر العمل فيبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله
فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين
ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيرها و
نقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح
بها امره بتسليمها الى غيره والبسه ثوبا خلقا لا يميل قلبه اليه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك
هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه
المصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد
سلب عنه في الحال وهو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع
بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال اراه
مصيبة او فقرا قال وكيف قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله

وقد كـ

وقد كنت قبل ان حمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما ان انكسر او سرق وعظمت مصيبة الملك
فيه فقال صدق الحكيم وليته لم يحمل الينا وهذا شأن جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله
اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة
نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا
بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يانس به
ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه
فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذ لا يبخل بها احد لقناعته بمقدار الحاجة

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه
وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق وياخذها الغافل فيقتله سمها
من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف الاولى ان يعرف مقصود المال
وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه
الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب
الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة
وهتك المروءة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب
ومنتهاه الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى وما
دام مائلا الى جانب القلة ومقتربا من حد الضرورة كان محقا ويجاوز جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع
في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة ان يراعي جهة الخرج
ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه
فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك
والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له
اذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به
وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك
لله مقصورة على عبادة او على ما يعين على عبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة
وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان يكون نيتك
في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة
ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من
حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا ياتي ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه
وعظم فيه علمه فالعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة
شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه
اخذها استحسانا لصورتها وشكلها واستلانة لجلدها فياخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية
يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل هي حية لين مسها قاتل سمها

المجالسة لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

بيان ذم الغنى ومدح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نشير الى ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى صلوات الله عليه قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تومرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم بصلاح الدنيا فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورضي الله عنهم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازدريت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك

ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود ابن عوف انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رحمه الله قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال لي يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الرحمن اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيمة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف مما ينفق منه قصدا ويعطي في سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على اوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة

اموالهم ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم
يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على انفسهم
كثيرا افتظن انك كذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين
ومن خوف الفقر آمنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي
الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر
ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا
مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا
وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان
اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم
يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك قال اني اذا اصبحت وليس عند
عيالي شيء فرحت اذ لي برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل
الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا
واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله
اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك ايها المفتون ضد لاحوالهم وذلك انك تطغى
عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند
البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تأنف من فخرهم
وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما
وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال
شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيامة اقوام يطلبون حسنات
لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب
نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا
ان من طلب الدنيا للتكاثر بها او تفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك من غضب الله
حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت
تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت في غفلة نعم وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف
على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال
الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من احب الدنيا
وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك
من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى
وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك
في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس

ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بما يسخط الله تعالى كيما
تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك في القيامة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي
من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة
في الناس وكأن العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب
وهذه المثالب فيك اف لك متلوثا في الاقذار تحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف والله
لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات
عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات
اموالهم وليت اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت
اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن
بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك
فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة
في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاس بالصحابة
بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في
دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين
بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع نفسك في مثل هذا الاحتياط ورب الكعبة ما احسبك
كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب
الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من اجترأ على
الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم
لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال
لأن تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري
ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من
الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة
رضي الله عنهم خافوا المسألة وقد بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه
في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيامة
فيقول لي عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال
موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامن والحلال
في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد
فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان
يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا تزول
عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك
اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا ان رسول الله

تعالى عليه وآله وسلم قال الحسن وقد قال الخطاب حديث وقال صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد
جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه
في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها وفرطت
في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما
فرضت وتم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به
فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى و
المساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت على
ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته و
اغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم
يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لذة فلا يزال يسأل
ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسائلة التي كانت لهذا الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى
الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها
وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائلة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها
وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ
في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا
من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك
ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا
وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسائلة والحساب فاما سلامة
واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم
الجنة بخمسمائة عام وقال صلى الله عليه وآله وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيتنعمون و
ياكلون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ما صنعتم فيما
اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما يسرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف
والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما وجل المتقون ولقد بلغني ان بعض الصحابة وهو عطشان
استسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب
ليتكلم فعاد في البكاء فما زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء
قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما معه
احد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك
احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك
عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

شيء من حلال ويحك انت في انواع النعيم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع
اف لكم ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المصطفى لتنظرن الى
اهوال هي هيبتها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثرة
لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال
المخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن
خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت فان
زعمت انك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لماله مؤثر على نفسه لا يخشى
الفقر ولا يدخر شيئا لغده مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور
بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله في
امورك كلها على ما يوافق رضوان الله ولن توقف في المسائلة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال
الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال
وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسائلة وآمن
من روعات القيامة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان
رجلا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذكر افضل وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال
لاعمال البر قال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا
فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل فقال بعيد
والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بتركك الدنيا
على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك
وارضى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر
نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل
وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتأسى بنبيك اذ هداك
الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا وتسرع مع لواء المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سابقا
الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا
تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب
ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي متى جمعت المال بعد هذا البيان فانك
مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر
والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال فراقب الله
واستحي من الله في دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل
في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول فكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب
فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال

فليس موجوداً ولو كان لو اجتمع ذلك الشيء من اورع الناس واين هو منهم في المباح لهم ونحن في زمن الحلال فيه مفقود
وكيف لنا من الحلال ما يبلغ القوت ويسد الرمق فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك
بل كيف لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم
فهيهات هيهات الحياة بادوا بين النفوس سواء اهوائها فعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور
ويا حزن طول بلاء اهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم ولكن القابلين لهذا قليل وفقنا الله واياكم
لكلامه بحمده هذا آخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد له ايضا ما
يروى عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في
اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت
قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى
عنها فنزل واديا من اوديتها فنمت وكثرت فتنحى عنها فنزل واديا حتى ترك الصلوة في الجماعة الا الجمعة
وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم عن الاخبار وسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما وضاقت عليه المدينة فاخبر
بامره كله فقال يا ويح ثعلبة قال وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم
ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرايض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا
من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان
يخرجا فيجمعا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما
فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان
ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالا ما يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ هذا منك قال بلى
فخذوه فان نفسي بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال
اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي
فانزل الله في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله بما
اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع
ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى
اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك
فجعل يحثي التراب على راسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى
ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه
فلم يقبلها منه ثم جاء بها الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فابى ان يقبلها وتوفي في خلافة

عمر رضي الله عنه فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفت من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى
آثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين رضي الله عنه
انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة وجاه فقال لي يا عمران ان لك عندنا منزلة
وجاها فهل لك في عيادة فاطمة ابنة رسول الله فقلت نعم بابي وامي انت فقام وقمت معه حتى وقفت
بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله فقال انا ومن معي قالت
ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا
فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال
شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف اصبحت قالت اصبحت والله وجعة
وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني
ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة
فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء
عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا
صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن الى حال
فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال
الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده
وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال
الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي عن جرير
عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليهما السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى
شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر
فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه
فرأى ظبية معها خشفان لها قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم
قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا
ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذي
اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا
وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن
اخذ الرغيف فقال انا الذي اخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في
المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية
حتى يشتري لنا طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اصنع في هذا
الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقال ذانك الاثنان لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا
المال بيننا فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه

على أحسن الحال فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء
مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها
وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين
إلى ملكهم فقال أجب الملك ذا القرنين فقال ما لي إليه حاجة فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك
لتأتيني فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين ما لي أراكم
على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم من الذهب و
الفضة فاستمتعتم بهما قالوا إنما كرهناهما لأن أحدا لم يعط منهما شيئا إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل
منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا
نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم
البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها فقالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها و
رأينا في نبات الأرض بلاغا وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وإن ما جاوز الحنك من الطعام لم
نجد له طعما كائنا ما كان ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا
القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض
فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في
آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك
ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل
وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة ذي
القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو
القرنين هل لك في صحبتي فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت في
مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق
قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما
عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات
تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل والله أعلم بالصواب تم كتاب حب المال ويتلوه كتاب ذم الجاه
والرياء بعون الله وحسن توفيقه وصلى الله على خير خلقه محمد وآله أجمعين وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا

كتاب ذم الجاه والرياء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما
تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى
وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فإنه المنفرد بالملكوت والملك فهو أغنى الأغنياء عن الشرك والصلاة

على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك وسلم كثيرا أما بعد فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي
هي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها علماء
العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وإنما يبتلى بها العلماء
والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن
الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في
المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت
مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت إلى
إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله
وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء
وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في
بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل غاية الإكرام وسامحوه في
البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في
أغراضه موقرين فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت
فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها في الباطن لذة
اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية
التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس
قد أبطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك
ثواب الطاعات وأجور الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين
وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج
من رؤوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة الشياطين وجب
شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض في ترتيب
الكتاب على شطرين الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان
ذم حب الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان
أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح
وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وكراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس في
الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها
[illegible] انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله
تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب امرئ
من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله
عليه السلام حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله لا ينظر

الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له
يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن بهذا انما عنى به المبتدع في
دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت
تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابرهيم ابن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما
صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد ابن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة
وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب
طمع وفراش نار وقال سليمان ابن حنظلة بينا نحن حول ابي ابن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر رضي الله عنه
فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المومنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال
خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق
عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن
ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المومن وروى ان رجلا صحب
ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا
تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت
المقت من الله تعالى وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي
اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق
يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار
تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر ابن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي
ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال
ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء ابن مالك وقال
ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني
اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا ادلكم على اهل
الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء
لم يوذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره
يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه
اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاها اياه ولو
ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه الا لهوانها عليه رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وروى ان
عمر رضي الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ ابن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب
الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل

غبراء مظلمة وقال محمد ابن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يوبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال
يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم و
امطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن
وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال ما هي قال
تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت
الله فيما امرني ونهاني فسالت الله فاعطاني وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى
احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال
[illegible] ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اغبط اوليائي عندي عبد مومن خفيف الحاذ
ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم
صبر على ذلك قال ثم نقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت
بواكيه وقال عبد الله ابن عمر احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى
عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وقال الفضيل بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك
الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل ابن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي
من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة
مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء وقال ابرهيم ابن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة بت ليلة
في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قدرت
على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا
عند الله فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار
الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه منشا كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء
والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها
من جهة الله سبحانه وتعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم
كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف
عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى به ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا و
العاقبة للمتقين جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال
تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس
لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب
الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه وآله وسلم حب الجاه
والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في
زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي [illegible]

انما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس بشرط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقاداتها وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة ولكنها محبوبة لانها وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل بها الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب الثاني هو ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليها اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها والجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه المال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بماله او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون واما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصاب هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات

الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يرفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر والاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبوعا فاذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومى اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته انما الكمال بعد ان سلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان يكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة

والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثر والتغيير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذن انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله والملائكة والسماويات فاحب الانسان ان يستولي على السماويات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك يحب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب الارض والبحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة والشعبذة او جر الثقيل او غيره فهو يستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه مشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه اما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح اما الاجساد فالدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه والى شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيه من القدرة والقسم الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني هو من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذن معنى الجاه تسخير القلوب ومن سخر القلوب له كانت له قدرة واستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوما او مقدورا فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذن مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوسل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة

فالبطر لا ينبغي [illegible] **بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له** قد عرفت انه لا كمال
بعد فوات التقرب بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال
العلم لله تعالى وذلك من ثلثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات
فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو
به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله سبحانه وتعالى باتم انواع الكشف على ما
هي عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم
كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله باق لا
يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى
والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم
لكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا
كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب
كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل و
مساحة ارض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك
وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم مثلها
مثل الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات
الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية
اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله
وما يجب له وما يستحيل في ذاته وصفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت
السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله
ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقو
لون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج
خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على
سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس معه اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع
في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذن لا سعادة الا في معرفة الله واما ما عدا ذلك من المعارف
فمنها ما لا فائدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله
كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن و
معرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة
طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها
وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله
وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله ويندرج فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ

المحبوبات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة
والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء
لكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة
حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة
باحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات
فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة
الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراكات فان
هذه القوى آلة للتوصل بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال
والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة جلال الله
فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق
اكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى
وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا
عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من
معرفة الله واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين
لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من
صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض
ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم و
القدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة
عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال فاذن الكمالات ثلثة
ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية اعني به عدم العبودية
للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة للعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية
ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى تسخير القلوب
والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله
تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة
بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل
كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير
عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي
على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
الاية وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد
عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا

فهو لنا حاصل الان فانا نعلمه فيخرجها الى الكمال الحقيقي [illegible] المحمود من حب الجاه وما يذم منه

فمهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن الطعام فيجوز ان يحب الطعام او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب سلطانه من المحل ما يحثه على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا ينبغي ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون له في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوصل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور فان قلت طلبه المنزلة والجاه في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان او يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباحان ووجه محظور اما المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول او بالمعاملة واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه فيما اخبر الله عنه اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي من السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله

فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغض الذم ونفرته منه

اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب السبب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرها لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم او بكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرنا في المدح السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقتدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما يمدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد [illegible] فهذه الاسباب [illegible] قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها اللذة وقد تفترق [illegible] اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال [illegible]

بتفتيش ازال الكمال ويبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقي لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه لذة اصلا لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرناه ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهمة على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه من المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري رحمة الله عليه حين كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي

ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي الفقيه به مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار وسلى عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى الكذب والتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول

اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس

تعيب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا تفرح بها لان الخاتمة غير
معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن
الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم
ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح
فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي ان تفرح
بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون
ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي
تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به فكذلك اذا اثنوا
عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان
ذلك من غاية الجهل فان المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب
فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا
لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع و
بطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله
فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة
عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف
لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفة اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد
مكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال لك
بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى
على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على
ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم القيمة
وقال ايضا الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة على وجل عظيم
من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال
انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس
بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك
فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق وكان
اشتغال قلبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله والمذموم بالحقيقة
هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا
فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما
علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل
بما يهمه من امر دينه [illegible]

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب
المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق
فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان
كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك
عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك
ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فغاية الجهل وان كان قصده التعنت
فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او
قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته
منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك
وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه
بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة
وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه واما
قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت انت به
وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل
بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره
الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء عنه والثاني ان
ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب انت بريء منه وطهرك عن ذنوب انت
ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع
الظهر وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو
ان المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب
عليه مع غضب الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم
ارحمه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابراهيم بن ادهم
لمن شج راسه بالمغفرة وقال اللهم اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون معاقبا بسببي ومما تهون عليك
كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة
وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكا
نت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه
في ان يحب المدح ويبغض الذم في حقه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح
ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية
في هذا الباب الحالة الثانية ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح
باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله
كمال الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا
قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا

للذام حتى تطول به الجلوس عنده أكثر مما يجلس عند المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء
حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع
المادح وأن لا يكون موت المادح المطري له أشد نكاية في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غمه بمصيبة
المادح وما ينالها من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا يكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه
من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد
ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث
لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام والشيطان يحسن
له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فإنما استثقالك
للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فإن العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي
أكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم إنه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي يمدحه لا يخلو عن مذمة
غيره ولا ينفر عنه بمذمة غيره كما ينفر بمذمته والمذمة للغير معصية كالمذمة له فالعابد المغرور لنفسه يغضب
ولهواه يغتاظ ثم الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتقد
على الله أنه يحسن صنعا وهو فيه يتعرض لمقت الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته
تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح
ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه
وأرشده إلى مهمه وأهدى إليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى
وقد روي عنه ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ويل للصائم
وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلا من فقيل يا رسول الله إلا من فقال إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض
المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح
والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح
والذام فلسنا نطمع فيها ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامات الحالة الثانية لم تف بها لأنها لا بد وأن تتسارع
إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن إكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر أن نسوي
بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل
فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان فإنه الكبريت الأحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده
من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات أما الدرجات في المدح فهو أن من الناس من يتمنى
المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات
لا بالعبادات ولا بمباشرة المحظورات وهذا على شفا جرف هار فإن حدود الكلام الذي يستميل به القلوب
وحدود الأعمال لا يمكن أن يضبط فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا
يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فإن لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة

فهو قريب من أن يستجره فرط الفرح إلى الرتبة التي قبله وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض
السرور إليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من
إذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من
الإخلاص ومنهم من يكره المدح إذا سمعه ولكن لا ينتهي به إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته
أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق لا أن يظهر الغضب وقلبه محب له فإن ذلك عين النفاق
لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الأحوال
في حق الذام وأول درجاته إظهار الغضب وآخره إظهار الفرح ولا يكون الفرح وإظهاره إلا ممن في قلبه
حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض
العدو والإنسان يفرح إذا سمع ذم من يبغضه وهذا شخص يبغض نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام عليه ويعتقد
فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذ صار بالمذمة
أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه وإذا سيقت إليه حسنات لم يتعب فيها فعساه يكون جبرا
لعيوبه التي هو عاجز عن إماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي
عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيها لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها
ولا يقطع شيء منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء
وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في
إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان
ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها
وهي عشرة فصول

بيان ذم الرياء

اعلم أن الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك
الآيات والأخبار والآثار أما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون
وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال مجاهد هم أهل الرياء
وقال تعالى إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله والرياء
ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزل فيمن يطلب الأجر و
الحمد بعباداته وأعماله وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله
فيم النجاة فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى أبو هريرة في حديث الثلاثة
المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الإخلاص وأن الله عز وجل
يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت
بل أردت أن يقال فلان قارئ فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم
وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث
آخر طويل إن الله تعالى يقول لملائكته إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وآله وسلم
إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل

يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم
الجزاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد
في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء
وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح
شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم
الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر رضي
الله عنه لمعاذ بن جبل حين راه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يقول ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجل
تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب
فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال
اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراءون باعمالهم وقال صلى
الله عليه وآله وسلم لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة
ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء
باطفاء النار وامر الريح فركدت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت
من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيئا هو اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق
خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حدثني حديثا
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت
حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة
املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا
عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا بلغت
به الى السماء الدنيا ذكرته وكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني
ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم ياتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد
ثم تزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله
يتجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من
صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس
في مجالسهم قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري بعمل العبد له دوي من تسبيح وصلوة وحج
وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول له الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب

العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال ويصعد الحفظة بعمل
العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس ممن يتعلم ويعمل بطاعة الله وكل
من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد
الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا
ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة
من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلثة آلاف ملك
فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به
جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه انما اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند
الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله
خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال ويصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة و
خلق حسن وصمت وذكر لله كثير تشيعه ملائكة السموات والارض حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله عز وجل
فيقفوا بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا
الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا
وتلعنه السموات ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان
في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها
عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر
الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس
فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هي يا معاذ قلت ما هي
بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو
منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه قال فما رايت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث
واما الآثار فروي ان عمر رضي الله عنه راى رجلا يطاطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك
ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت
لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده
وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل
بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فساله ثلث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك
ثم قال في الثالثة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك وسال رجل سعيد بن المسيب فقال احدنا
يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويؤجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقد
قال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب
عمر رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها

لي ما عرفت ذلك حتى دعوا الله بخير فقال ادعوا الله وحده وقال الحسن رضي الله عنه لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك رحمة الله عليه ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل وكيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتق من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله عز وجل فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما استدل الناس بها على هذه الامور ارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وغؤور العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي اضعف من قوته وعن هذا قال عيسى صلوات الله عليه اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة رضي الله عنه وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها الثاني الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على

الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا فكل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى بانه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها فلو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردتهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب احد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط عن اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الابيض الدقيق او المقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة الثالث الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب الرابع الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع

في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطرق الرأس خوفا من ان ينسبه
الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد
الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا
استحيى من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى
اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته
ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل
الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة
العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة الخامس المراءاة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف
ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته
ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين
وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح
منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت
الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد
ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى
قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جناية
في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في
ازالة ذلك عن قلوبهم مع انه قد قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه
كما نوع من القدرة والكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين
من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في
البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجح الحوائج على يده فيقوم له بها
جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى
وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء
وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء
هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا
يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة
فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو
ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف صلوات الله عليه حيث قال اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي
وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك
المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة
ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى حب المال ولا يقدر محب الجاه

والمال

والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير
اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاه الخلفاء
الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف
بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراءاة وهو ليس بحرام
لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب الماء و
يسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه
اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق و
ترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر
لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان
ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من
ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحترز من الم المذمة
ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنسوا به فاذن المراءاة بما ليس من العبادات
قد تكون مباحا وقد تكون طاعة وقد تكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل
اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراءاة و
ليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان
لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد
العبادة ثم لا يقتصر على احباط عباداته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دل عليه
الاخبار والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص
مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل
الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني
يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة رحمه الله اذا راءى العبد
قال الله تعالى انظروا الى عبدي كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة
الخدمة وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم
يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة
الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه
من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على
رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك الاصغر
نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف
مما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله
تعالى فقد قصد غير الله لعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي

تعظيم في قلوب الناس بما تقتضيه تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون من وجه ومهما زال
قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه إذا قصد تعظيم نفسه في قلب من
عظم غيره بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فهذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم
عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه وأجله ومصالح حاله
ومآله أكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله
إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون على أنفسهم لا يملكون
لأنفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولد شيئا بل يقول الأنبياء
فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يترقبه بطمعه الكاذب
في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن يشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا
هذا إن لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص
وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما نقلناه في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة
بن الصامت رضي الله عنهما إنه لا أجر فيه أصلا

بيان درجات الرياء

اعلم أن بعض أبواب
الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به
والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء الركن الأول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون
إرادة عبادة الله والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى
وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعا الدرجة الأولى وهي أغلظها أن لا
يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة
مع الناس فهذا جرد قصده إلى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس
وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداه فهذه الدرجة العليا من الرياء الثانية أن يكون له قصد الثواب
أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن
الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله
على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم الثالثة أن يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان
واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة وكان كل واحد منهما لو انفرد لما استقل
بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل
ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص الرابعة أن
يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان الرياء وحده لما
أقدم فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء
ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فهو محمول على ما إذا تساوى
القصدان أو كان قصد الرياء أرجح الركن الثاني المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول
العبادات وإلى الرياء بأوصافها القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات
الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة

وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الإسلام وهو الذي ذكره في كتابه في مواضع شتى كقوله
تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال الله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا
ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها الآية وقال تعالى
وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون
الله إلا قليلا والآيات فيها كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء
لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة
ميلا إلى قول الملحدة أو يعتقد طي بساط الأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر
خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد
حالا من الكفار المجاهرين فإنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الثانية الرياء بأصول العبادات
مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد
غيره فيأمره بإخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلاة وهو
في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم شهر رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق
ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا
من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد
غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند
الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في
محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وإن كان غير منسل عن أصل
الإيمان من حيث الاعتقاد الثالثة أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالسنن والنوافل التي لو
تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب
ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد
بالليل وصيام عرفة وعاشوراء ويوم الخميس ويوم الاثنين فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة أو
طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن
الذي قبله آثر حمد الخلق على الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك ولكن الذي قبله فعل ذلك واتقى ذم الخلق
دون ذم الخالق وكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك
النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه على نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات القسم
الثاني الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات الأولى أن يرائي بفعل ما في تركه
نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة وإذا رآه الناس أحسن الركوع
والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه من فعل ذلك فهو
استهانة يستهين بها ربه أي إنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلوة ومن
جلس بين يدي إنسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على

الشيء واشتهارهم بالمسبة لا محالة وهو داخل المرائي بتحسين الصلوة في الملأ دون الخلوة وكذلك الذي يقصد
عند اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته
وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا لاكمال العبادة الصوم فهذا ايضا من الرياء المحظور
لان فيه تقديم المخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصل التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك
صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم
والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة الشيطان وتلبيس وليس كذلك فان
ضررك بنقصان صلوتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين
لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك ليطلب منه ولاية يقلدها
فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه
امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي
فيه حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان
يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة وآذاني
الناس بذمهم وغيبتهم واستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك
تحسين الصلوة فيفوت الثواب ويحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن وان
لم يحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله فان ذلك
استهزاء كما سبق الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته
كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين
الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت
وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلى ونفسه
لكان لا يقدم عليه الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده
للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان
لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض
والكل مذموم الركن الثالث المرائى لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه
او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون
مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع
عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام
فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات او الصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فيأ
خذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج
فيتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع
وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وخلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم
ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة او غلام فهؤلاء

ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم
ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو متهم بجناية اتهم بها وهو مصر عليها فيريد ان ينفي التهمة
عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه
يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامرأة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه
بالخشوع واظهار التقوى الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حطام الدنيا من مال او نكاح امرأة جميلة
او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء
فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها او امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد
فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه
دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه الدرجة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او
نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من
جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا
من اهل الوقار وكذلك ان يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع
ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه
لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون
التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل
ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش يوم عرفة او عاشوراء او في الاشهر
الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى
طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانى صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم
ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يتحرز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته
ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع
من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن به انه يعتذر
رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة
في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة
القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء
فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن اما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم
يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان
كان له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به
ويرى انه واصحاب المراتب وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته
ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهال بآفات
النفوس وغوائل القلوب **بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل** اعلم ان الرياء جلي وخفي
فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو الذي لا يحمل على العمل

بحيث لا يخفى على أهل الدين أنه يريد به وجه الله تعالى كالذي يجتهد في التهجد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عليه الضيفان تنشط له وخف على قلبه ولم يثقل رجاء الثواب ولكان لا ينشط لمجرد رؤية الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر منه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدءوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له المكان فإن قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليها ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبدءون بالسلام ألم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله روي عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السياح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن يخلص أعمالهم فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملأ من الخلق إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن

غيرهم وكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فإنهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي إلا الخالص من النقد فكذلك يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه له من التقوى فإذن شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك الشخص تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم والصبيان الرضع أو غابوا وكانوا اطلعوا على حركته أو لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون على رزق وأجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للأجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فإن قلت فما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول أولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم فأما المحمود فأربعة الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله تعالى أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له وألطافه به فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به الثاني أن يستدل بإظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعله في الآخرة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة فيكون الأول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات إلى المستقبل الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم الله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه وأما المذموم فهو الخامس وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط الثواب من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول إذا عقد العبادة على الإخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون ورد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يحبط العمل إذ العمل قد تم على نعت الإخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أنه لا ينعطف عليه أثره لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بإظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف وفي الآثار

ترددت فيه تصلي الى ان حج ثم اكثرهم توقفه على ان صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في
الرياء اولى هنا ما ذكرناه فلم يقطع بما يظهر الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر
اثره في العمل بل بقي العمل صادرا من باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم
ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في
الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء
مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة
وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلوة خالصة
لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا
في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطاري بعد عقد العبادة
اما قبل الفراغ او بعد الفراغ القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بان يبتدي الصلوة على قصد الرياء
فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر
ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم ينعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت
فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود ويفسد افعاله دون تحريم الصلاة لان التحريم عقد والرياء
خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه
ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسده
وشبهوا ذلك بثوب ابيض تلطخت بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة
والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم
والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج
عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود
ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فتبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص
صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاحوال بالرعاية في احكام النية
حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون
طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما
رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية
فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس
ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة
وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم
فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط
احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا
فان كان نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا

والاخبار تدل على انه محبط فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة
البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لرجل قال صمت الدهر
يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم
الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة
لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل
بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير
عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء
فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل
وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي
ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا
من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقال صلى الله عليه وآله وسلم العمل كالوعاء
اذا طاب آخره طاب اوله اي ينظر الى خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو
منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه منفرد فما يطرأ يفسد الباقي
دون الماضي والصوم والحج مثل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام
لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل
نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب
حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة
مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها
ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف
بهجوم ما هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في امر هو اهون من هذا فقال اذا لم يرد
الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت
فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل
بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبوط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس
والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله انما هما حالتان فاذا
كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسر العمل
لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر
فقال اما الحسن فاراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء
بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها
انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به لاقتداء الناس به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه في
لا سرور يطلب به حب المنزلة عند الناس بدليل انه جعل له به اجرا ولا يذهب احد من الامة الى ان في السرور بالمحمدة اجرا
وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث قال اكثر من يروي الحديث

اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلوته فاسدة والاقتدا به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين
من قراين حاله ان قصده الريا باظهار حسن القراة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في البيت وحده
لما صلى لا يقال لا يصح الاقتدا به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه
فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتدا به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض
واجتمع الباعثان وكل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب
لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الريا لادى الفرض
ولو لم يكن باعث الفرض لانشا صلوة تطوعا لاجل الريا فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان
الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل
بنفسه وقد وجد فاقتران غيره لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع
الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمالات في تعارض
البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الريا في المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر بالصلوة في
اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدي صلوة لاجل الريا
فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلوة لم يعارضها
غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في ريا يكون باعثا على العمل وحاملا عليه
فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة فهذا ما نراه
لايقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقها لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه
وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقها في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على
تصفية القلوب وطلب الاخلاص على فساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم
عند الله فيه

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

لقد عرفت بما سبق ان الريا
محبط للاعمال وسبب المقت عند الله وانه من كباير المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق
الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها
العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتميز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع
بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد
كمال عقله وقد انغرس الريا في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات
فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما
قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قلع عروقه و
استيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار
من الم المذمة والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد للريا بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى
ابو موسى الاشعري ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناها
انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال الرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر
في القلوب والرجل يقاتل ليذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لت

يكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبت
الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال
عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم
من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر
من الم الذم كالبخيل بين الاسخيا وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع
في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد
هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات
معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على
الصبر عن الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم وهو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير
علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي
الى الريا وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الريا وليس يخفى
ان الانسان انما يقصد الشي ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه
لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ في الحال ولكنه ضار
في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك
طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الريا وما يفوته من صلاح قلبه
وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت
الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت
بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله
وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم
بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من
العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل
الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالريا حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي
الى النار فلو لم يكن في الريا الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك
سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد
حط عنهم بسبب الريا ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم
بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا
بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم
اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته
وهو يوم القيمة واما الطمع فيما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطا وان الخلق مضطرون
فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة و
المهانة فكيف يترك ما عند الله برجا كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي فاذا اصاب فلا تفي لذته بالم

منته ومسألته واما ذمهم فلم يحذر منهم ولا يزين ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا
يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا
عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا تقرر في
قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره و
يقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره
حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه
اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال
شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذبت ذاك
الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند
الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر في
قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحياة مع ما فيه من الكدورات
والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف
من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته
من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له
منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما الدواء
العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى
يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض اصحاب
ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في
اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في
بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما
يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة
ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما المقام الثاني في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد
من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من
اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات
الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خواطر
الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم
باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم
يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول المعرفة والثاني حالة تسمى الشهوة و
الرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان
يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا

او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من
قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة
اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ
يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء و
النفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والا باء
وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة
للشهوة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء
الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم
عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم و
ذم الغضب ويعزم على الحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى
سابق عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب
وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا
وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم
فجأة هكذا تكون اذ ينسى معرفة مضرتها الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان
الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر
لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال ويسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في
ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يبعثه الى ذكره الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه
فيكون الحجة عليه آكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذا خلت
المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة
ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان يصرف عن الفعل
فاذن لا فائدة الا في اجتماع الثلث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة
وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة
وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا
ويثمر بعضه بعضا واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه
والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتشغله وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور
الكتاب والسنة وانوار العلم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحمله الكراهة على الاباء
ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله اليه وغير مجيب
اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان
عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها
من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلفه

ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شكوا اليه فقالوا تعرض
لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم
بها قال او قد وجدتموه قال نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال
اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو
دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع الضرر الاعظم بالكراهة فلان يندفع الضرر الاصغر
اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث ابن عباس رضي الله عنه انه قال الحمد لله
الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا
يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان
ومنازعة النفس لا يضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات
للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان
ومن آثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح
قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور
القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا
في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب الاولى ان يرد على الشيطان
فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق
نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج
على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك الرتبة الثانية ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في
السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان
قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة
غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة والرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسد عند جريان اسباب
الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء
الصدقة والعبادة غيظا للشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة
غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن
الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك بسوء قال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان
اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة
من ان يزيد في حسناته وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث
عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال ايضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما
ملك وقلاك ويضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا
مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك مبتدع وخاف ان
يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم ومنعه وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة
فاشتغل معه ليرد ضلالته وهو يظن ان ذلك مصلحة له وهو غرض المضل ليفوت عليه بقدر تاخيره فلما مر

الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفعه في صدره ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه المضل
بقدر توقفه للدفع فيه فمر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان
فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر به الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في
المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع للاغواء الا الاخير فانه لا يعود اليه خيفة
من ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا كان لا يؤمن نزغه فهل يجب الحذر منه والتيقظ له
تحصنا منه او انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال
بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهب قوم من اهل البصرة الى ان
الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان
وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر وان صار الالتذاذ بالدنيا عندهم
وان كان مباحا كالخمر والخنزير عندهم واذا خلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا
حاجة بهم الى الحذر وذهب قوم من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل
يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له
امر ولا يكون الا ما اراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية
يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء
استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهي وسيلة الشيطان فكاد يكون غرورا اذ
الانبياء لم يتخلصوا عن وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات
وحب الدنيا بل منه في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا يخلو احد من الخطر فيه
ولذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ليغان على قلبي
مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامر الا بخير ومن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسائر الانبياء فهو مغرور ولم يامنوا مع ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء وآدم وحواء في
الجنة التي هي دار الامن والسرور وقد قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ونهاهما الله عن الاكل من الشجرة واطلق لهما
وراء ذلك ما ارادا فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف
يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن اللذات والشهوات المنهي عنها وقال
موسى صلوات الله عليه هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني آدم لا
يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من اوله
الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واتخاذ الحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب
الله فان من الحب له امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم
وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت
تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان
تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان فكيف ونحن في الغفلة من بعد الى المكان

الامر ومن شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للبلاء والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله
الاعراض عما حذر الله به بل من حسب الفرقة الثانية اذ في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس
والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يقدح
في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط
من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل لا يناقض التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك يحذر
الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا
ما اختاره المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد
الذين لا غزارة لعلمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم في بعض الاوقات والاستغراق بالله يستمر على الدوام
وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو
فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة
فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان
وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر
فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا لذكره كنا اهملنا ذكر الله
فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاولون فقد تجردوا لذكر الشيطان ونسوا
ذكر الله فلا يخفى غلطهم وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء
على قلبنا وهو منتهى غرض العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله وقوة الاشتغال به ونور
ان ظفر بمثله يقوى على دفعه ولم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد
شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص
من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من
الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه من الشيطان فيشتغل بذكر
الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان
له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الحاذر
ينام وهو خائف عن ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فلم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت
فينتبه في الليل مرات قبل الوقت وانما اسكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر
الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله
قد اماتت منه الهوى واحيا فيه نور العقل والعلم واماط عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم
عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو
واستضاؤا بنور الذكر حتى ابصروا لطائف العدو فان القلب مثال البئر يريد تطهيره من الماء القذر
لينفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيه الماء القذر والذي يجمع بين ذكر الشيطان
وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه يجري اليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا يجف البئر

عن الملائكة الغضب والصبر هو الذي جعل المجرى الملائكة الغفلة شيئا في ملائمة بالصافي فانه لجار الماء الغدير دفعة
بالتكثر والتسلسل من غير كلفة ومؤنة وزيادة

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب
الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار
ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل القسم
الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس فيه كما روي عن الانصاري الذي جاء
بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها
كان له اجرها واجر من اتبعه ويجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء
على الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم
على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من
الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به
فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان
لا يكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق
عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام وان لم يكن فيه ايذاء اختلف الناس في
الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة
فيها اما العلانية للقدوة فهي افضل من السر ويدل على ذلك ان الله امر انبياءه باظهار العمل للاقتداء
وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله له مثل اجر من
عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل
العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن
شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من
ظهور الرياء ومهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه و
لكن على من يظهر العمل وظيفتان احدهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به جيرانه دون اهل السوق ورب ما
يقتدى به اهل محلته فاما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات
ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية
القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه
الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا
الاقوياء المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف
مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فينظر الى جماعة من الغرقى فيرحمهم فيقبل عليهم حتى يتشبثوا
به فيهلكوا ويهلك والغريق بالماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة
مديدة وهذه مزلة قدم العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص

فيحبط اجرهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل
حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون
هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم
قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا
ملاحظته لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد و
حب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة
في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع
الضعفاء القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد
لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوى
عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون
والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك
عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير به فهو جائز بل هو مندوب اليه ان
صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك
عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها وما تبعت
جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قولا قط
الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال
ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت و
لا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال شداد بن اوس رضي الله عنه
ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها وقد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغداء
وقال ابو سفيان رحمه الله لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر
ابن عبد العزيز رضي الله عنه ما قضى الله في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا
في مواقع قدر الله فهذه كلها اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدر ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب
اذا صدر ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان
يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس
انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند
الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين
بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه
فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان
الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به
منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له

اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية
قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني
ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا
ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها
لا سيما ما يختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن
العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه
خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي له ستر المعاصي ويصح
قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه هو ان يفرح بستر الله عليه واذا
افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر انه من ستر الله عليه في الدنيا
ستر عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان والثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي
ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله
وان عصى الله بالذنب لم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله ظهور
المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس
له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل
عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن
الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون
ستره ورغبته فيه لكراهته ذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم
البدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته
الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في
ان يزول عن رؤية الخلق فيستوي ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون
وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان
الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف
لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم بفوات الحمد بالورع كانه يحب بالورع ولا يحب ان يحمد على طاعة
الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة
والرد واما كراهته الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان
يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة
الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة
طلب الثواب عن الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله
غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه
باطلاع الله وذمه له اكثر الخامس ان يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان
يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق فيه بين نفسه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع السادس ان
يستر كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذنب فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه

وتخشيه وان كان ممن تؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك
حذرا منه السابع مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبي مهما
اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلعم الحياء
خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم والذي
يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن
يستر ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه
يستحيي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع
الكريم ويهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل
يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا
يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب
الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال
احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى
لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء الثاني ان
يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة
بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخو
النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف
من مذمته ولا حب لمحمدته بل لو طالبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده من الم
الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الجاه او
الثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات
ايضا حتى انه يرى مستعجلا فيهدئ في المشي او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين
الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة
الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فيستحيي من شيبته
ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان يستحيي من الله فلا
يضيع الامر بالمعروف والقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب
التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به
وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به
وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار
الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه
ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح
وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال
ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد

يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه
في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلوتك وعلى طاعة بعينها فان
ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى
الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال
فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم ان من الناس من يترك
العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك
لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو
فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك
عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء
والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما
تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق
بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احداها ما يدخل قبل العمل فيبعث
على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة
الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك
لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى تندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل عقوبة للنفس
على خاطر الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة
واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص
بالمعالجات التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم
يطرئ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه
اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى
الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في
عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل
لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب وقال خلصها من التراب ونقها منه تنقية بالغة
فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو
ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء
فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم
ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا
حبه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فماله ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك
العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل
اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان
بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص

لا تشتهي الشهرة فيضطرك ذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القي في قلبك
حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك فيغلبهم على ذلك فكيف تتخلص منه الا بان
تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا ليلزم الكراهة و
الاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل
لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر
الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على
قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانت تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من
ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من
كراهة الرياء وابائه وخوفك وحيائك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهة ومنه خوفا وان لم يبق باعث ديني
بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد ان يبقى معه اصل
قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ في
المصحف فترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا
اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة و
كان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد فيه آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما
ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري رحمه الله هذا الكلام في معرض الوعظ اولى به
الى بخوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في
الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا
يتركه وارباب الاحوال قد يفعلون بحسب انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء
واما اطباق ابراهيم النخعي رضي الله عنه المصحف يمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله
واستئنافها بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم على
الترك للاشتغال حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة
وانثيال الناس عليه وتشغلهم اياه عن عبادات هي اكثر من رفع خشبة عن الطريق فيكون تركه ذلك للمحافظة
على عبادات اكثر منها لا بمجرد خوف الرياء واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت يحتمل ان يكون قد اراد
به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح
محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام بالحق المندوب اليه فلم يشتمل عليه على ان
الآفة مما يعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد لا
يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن رحمه الله في ترك البكاء واماطة الاذى لعله اخبر عن ضعف
ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا
للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها
الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل
العبادات اذا كان مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة

الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم
اول من يدخل الجنة ثلثة الامام المقسط وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث لا
ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام
عادل رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون
يحترزون منها ويتركون توليها بونا من تقلدها وذلك لما فيه من عظم الخطر اذ يتحرك بها الصفات
الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت
الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه و
ولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من
سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان يقول عمر
رضي الله عنه من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من والي عشرة الا جاء
يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر رضي الله عنه ولاية
فقال يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها بمسألة وكلت
اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم
تقل لي لا تأمر على اثنين وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن
لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي
عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات
وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا حولها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا
تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق من اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق
وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فايس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت
فيها ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في
الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان
تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل
فهذا قد اختلف الفقهاء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر
في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه
الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت جزما بالخير لكان يخاف عليها ان تتغير
عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل
مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لم تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي
به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب
للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لا نولي امرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رافعا

ابن عمر رضي الله عنه عن الولاية ثم تقلدها ليس هنا فقس وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة
فهو أيضاً في معناهما فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والإمارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع
اتباع الحق والعقاب فيه أيضاً عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم القضاة ثلثة
واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الإمارة فينبغي أن تتركه
الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الأقوياء الذين لا يأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان
السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين
بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلد فعليه أن يطالبهم بالحقوق
ولا يكون خوف العزل عذراً مرخصاً له في الإهمال أصلاً بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح
بالعزل إن كان يقضي لله فإن لم تسمح بذلك نفسه فهو إذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب
عليه ثواباً وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار وأما الوعظ والتدريس والفتوى ورواية الحديث
وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضاً عظيمة مثل آفة الولاية وقد
كان الخائفون من السلف رضوان الله عليهم يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلاً وكانوا يقولون حدثنا
باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن بشر كذا قمطرة من الحديث وقال إني أشتهي أن أحدث
ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم
وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند
العوام وإن كان باطلاً ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وإن كان حقاً ويصير مصروف الهمة بالكلية
إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثاً ولا حكمة إلا ويكون فرحه بها من حيث إنه
يصلح لأن يذكر على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه بها من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق
سلوك سبيل الدين ليعمل بها أولاً ثم يقول إذا أنعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني
في نفعها إخواني المسلمون فهذا أيضاً مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له
إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن
ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه فإن قلت مهما حكم بذلك
على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن طلب الإمارة وتوعد عليها حتى قال إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة يوم القيامة وندامة إلا من أخذها
بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا
جميعاً وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب
عمر أبي بن كعب حين رأى قوماً يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن
فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان يخطب ويعظ ولا يمتنع
منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من نصح الناس فقال
أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة
مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما

فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن القضاء لم يؤد إلى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك
العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والأغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة
لأفلتوا من الحبس وكسروا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم
فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إني أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة
يقومون بالوعظ فليس في النهي عنه خوف إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون
لذة الرياسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعاً للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في
الظاهر وتخيله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل
وجاهد نفسك فإن قال لست أقدر على نفسي فنقول له اشتغل وجاهد لأنا نعلم أنه لو ترك لهلك الناس كلهم إذ
لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة
دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله
ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر
سيرته فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار
مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب
إخلاء البلد منهم فإنهم نواب الدجال وخلفاء الشياطين إنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر
يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء
السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه يا علماء السوء تصومون
وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول
والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لا تكونوا كالمنخل يخرج
منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا
عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول إن قلوبكم
تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب
إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين
وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلاً مهلاً ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم
أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم
منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم
على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان
عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه
ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على
الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فإن قلت فهذه الآفات
ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن يهدي الله

لو تمكن الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق او التجرد وذلك لما في الكسب من
الآفات فاما المال الحاصل من الحلال فالتصدق به افضل من امساكه فان قلت فبأي علامة يعرف العالم
والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر
من هو احسن منه وعظا او اغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة
وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر
الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك
علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان انه قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ
دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل
يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن رضي الله عنه فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى
وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت
له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبين الحسن
رضي الله عنه يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن
اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج
ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه
فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ
وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم
افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى
مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزو فاكلف فرسا
وبغلا واكلف فسطاطا واني لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق
له الحسن رضي الله عنه واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا
عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة
وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل
من اهل الشام كان جالسا الى الحسن رضي الله عنه فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته
رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان
رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة
وقال انما تجالسون بالامانة كأنكم تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة
ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا الرجل فقال اقصر عليك
من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزا كذا وكذا واذا اغزى اخاه اغزاه كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس اما انا على
ذلك لا نتهمك لنصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنه وركب الحسن رضي الله عنه حمارا يريد
المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسألون عن شيء والا

ان يخلو بخدمة الحق عن الدنيا وما يحول وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره
واجر من اتبعه الى يوم القيامة الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال
لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة
والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ
والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء اما
اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب
تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلاة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات
وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها
جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصلوات والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف
وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها باتمام
العمل لله بادنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهي التصدي لمنصب الوعظ والفتوى
والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلاة
ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء راسا دون
الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها في
حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق
واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة
ولذلك سئل الحسن رضي الله عنه عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال
القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء رضي
الله عنه ما يسرني اني اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا
احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء
فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل
لانه يكون نفعه متعديا كالنكاح وقال قوم الجلوس بدوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله
وقال عيسى صلوات الله عليه يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها ابر وقال اقل ما فيها انها يشغلك اصلاحها عن
ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها والاشتغال
بذكر الله لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان
يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليعمل بما
يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس
لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه بالطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر وان كان
لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد
القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه
خوفا من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه

يخفوا اعمالهم فما في قلب العبيد فبهذه العلامات واشباهها يتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون
ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فهم الخاسرون بيان

ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم
في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة
فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتادها اصلا وكذلك
قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا
ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في
عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من
الشهوات او يستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال
في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم
على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب
له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت اسباب باعثة
على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان
يسبقوه بطاعة الله فيتحرك داعية الدين لا الرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او سبب آخر فيغتنم
زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم ويضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسخو بالتهجد
دائما وتسخو بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر
عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه
فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها
قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونهم معه
والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد
على صلاتك المعتادة وقد يكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما
اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند
ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة
العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان
المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس
بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة
ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في
ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان
كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة
في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون سببه
تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين

ويقارنه خطور في النفس لحب الحمد فمهما كان الغالب على باعثه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل
بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة
فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس
يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة
القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض
على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك
عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان
رضي الله عنه لابنه لا تري الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين
عند القرآن او الذكر او بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم
والتأسف وتارة تكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة نفسه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك
محمود وقد يقترن بها الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية
فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك
وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن
يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من
الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة تحزين للصوت
او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت لخشية الله تعالى ولكن يحفظ اثرها
على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان يقال انه
سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد
كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير
ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليري دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف
ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كانت لدام ضعفه فيستديم اظهار
الضعف والانين فيتكئ على من يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعيف
عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس واذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو
عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن
ذي النون رضي الله عنه انه قام وزعق فقام معه شيخ رأى عليه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين
تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع
النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه
وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد
على القلب متضادة مترادفة وهي مع تضادها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن
اين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل
وكن على وجل من عبادتك هل هي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر ان يتجدد لك

خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع
الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلثة النفر الذين حاجوا ايوب اذ قال يا ايوب اما علمت ان
العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى
الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني اعوذ بك
ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا
لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي
وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلثة
النفر لايوب يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن
تسود وجوههم بالرد فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا
وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النملة وبعضه اخفى من دبيب النملة وكيف
يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه
من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم ان اولى ما يلزم المريد في نفسه قناعته بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع
بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله
فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت
وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي
حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك
فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون
الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة و
نعيم الجنة ودوامه ابد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان
اظهاره لغيره محبب اليهم وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا العمل بحمد
الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما
يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان
المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو
فرائضه من النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط
الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يحاسب العبد يوم
القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع
اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في
جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان
حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذن ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع
غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي

ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا
ان يكون الله تعالى قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف
في دوام عمله وبعده لا في ابتدائه بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله
حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية
احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص
في انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص
يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل
عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب
على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة
وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة
في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره ولا ثواب له غيره نعم ان لم
يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته
فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد
كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل اليه ليرفعوه فحلف عليهم ان لا
يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفيان
الثوري رضي الله عنهما ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي فقال
علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء
رجل الى سفيان رضي الله عنه ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه كثيرا فقال
له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء فقال يرحم الله اباك كان وكان واثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت
كيف صار الي هذا المال فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال
لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع
ابيه في الله تعالى فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شيء
قلبك هذا حجارة عد انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال لي
يا مبارك تاكلها انت هنيئا مريئا واسال عنها انا فاذن يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله تعالى في
اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند
المعلم وعند الخلق وربما يظن انه له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته
بغير الله بطاعته خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم
وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد
ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه
لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضاء الله في رضاء الوالدين ولا يجوز له ان يرائي
بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته

من طلب الولد بل ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلم الله بعمله ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته وانما سكونه الى معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والمجيء والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه يرجى ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواه قصد الانقباض بمن يوثق بعلمه غليظ وهو ابله لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم فلا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري وكان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة تكرم للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو

وجد مثل تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا ورياء ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهر للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تحصى ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه وادائه الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها واجتزأ منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الآباد ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته تم كتاب ذم الجاه والرياء ويتلوه كتاب ذم الكبر والعجب بعون الله وحسن توفيقه والصلوة على محمد

كتاب ذم الكبر والعجب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار

الذي لا يدافعه عن مراده دافع، الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع، القادر الذي بهر أبصار الخلق جلاله وبهاؤه، وقهر العرش المجيد استواؤه واستيلاؤه واستعلاؤه، وحصر ألسنة الأنبياء وصفه وثناؤه، وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه، فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه، وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه، وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه، ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه، جل جلاله وتقدست أسماؤه. والصلاة على محمد الذي أنزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه، وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه، وخيرته وأصفياؤه، وسلم كثيرا.

أما بعد: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته. وقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه. فالكبر والعجب داءان مهلكان، والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان، وهما عند الله ممقوتان بغيضان، وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح المهلكات، ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين: شطر في الكبر وشطر في العجب.

الشطر الأول من الكتاب في الكبر

وفيه بيان ذم الكبر، وبيان ذم الاختيال، وبيان فضيلة التواضع، وبيان حقيقة الكبر وآفته، وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر، وبيان ما به التكبر، وبيان البواعث على التكبر، وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر، وبيان علاج الكبر، وبيان امتحان النفس في خلق الكبر، وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه.

بيان ذم الكبر

قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق. وقال عز وجل: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار. وقال تعالى: واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم على المروة فتواقفا، فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب. وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والإنس والجن والبهائم: اخرجوا، فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السماوات، ثم خفض حتى مست قدماه البحر، فسمع صوتا: لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول: وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم؟ فقال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى. وعن ثابت قال: بلغنا أنه قيل: يا رسول الله ما أعظم كبر فلان! فقال: أليس بعده الموت؟ وقال عبد الله بن عمرو: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال: إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين: أنهاكما عن الشرك والكبر، وآمركما بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما، ولو أن السماوات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها، وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء. وقال المسيح عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المقلون. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون. قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل الذر تطؤهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار، ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس، يعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى. وعن محمد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له: يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار، فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء. وقال: من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والغلول.

الآثار

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير. وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال: أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال: عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين. وقال الحسن: العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السماوات والأرض. وقد قيل في قوله تعالى: وفي أنفسكم أفلا تبصرون، هو سبيل الغائط والبول. وقد قال محمد بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر. وسئل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر. وقال النعمان بن بشير على المنبر: إن للشيطان مصالي وفخوخا، وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله.

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: بينما رجل يتبختر في بردته إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. وقال عليه السلام: من جر ثوبه خيلاء لا ينظر

الله يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر ومر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي
بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم
اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد
جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية
فيها اختيال وقال صلى الله عليه وآله وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
الآثار عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن رضي الله عنهما اذ مر عليه ابن الاهتم يريد المقصورة
وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن
نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك
في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله لان يمشي احدهم لاهم
ثم رجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تبارك وتعالى ولا تمش في الارض
مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن رضي الله عنه شاب عليه بزة له حسنة فدعاه
فقال ابن آدم معجب بشبابه معجب بجماله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك
داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر
اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال
عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه
فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن
عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلاثا ويروى ان مطرف بن عبد الله
بن الشخير رأى المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك
العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد رضي الله عنه ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ
ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع **بيان فضيلة التواضع** قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه
وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق
مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه
عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندنا بقبا وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من
لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا
من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد
اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في
نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك
الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا
نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا
رسولا واوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم
قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكرم
التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى للمتواضعين في الدنيا
هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة
طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله عز وجل يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه
مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت
وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول ضح
الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم التواضع
لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطعم فجاء
رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الى جنبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر
عن نفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال
التواضع وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين
فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار **الآثار** قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله
حكمته وقال انتعش نعشك الله واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله الى الارض وقال اخسأ اخسأك الله فهو في
نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه احقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى
شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو
سلمان الفارسي رضي الله عنه فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع
في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم
بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط
رضي الله عنه يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن
التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال
ابن المبارك رضي الله عنه رأس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك
بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال
قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى
الى عيسى صلوات الله عليه اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على
عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة

وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا
من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة
وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا امير المؤمنين ان امرءا اتاه الله
جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب
في ديوان الله من خالصي الله فدعا هرون رضي الله عنه بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود صلوات
الله عليهما اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع
مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة
ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن اتدرون ما التواضع التواضع
ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد رضي الله عنه ان الله لما اغرق قوم
نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه
وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلم
فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد رحمه الله عليه وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت
معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع
ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النمري رحمه الله الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا
تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان احد يسبقني الى
الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل
من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القسم رحمه الله عليه كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى
محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله تعالى لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال
فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل
الى الشبلي رضي الله عنه فقال له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي
ابعدك الله تعالى او شاهدك تجعل لنفسك مكانا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من رأى
لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
في المنام فقلت يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في مجلس الفقراء رغبة منهم في
ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان رحمه الله
لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر
فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل
ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال
عروة بن الورد رحمه الله التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال
يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر
على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في
الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز

وجل ولا امن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني
النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا
اراد الله تعالى به خيرا فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد
في نفسه ادركها النصيحة مع توفيق الله تعالى واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركها القناعة مع عون الله
عز وجل وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه
قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد
تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها
وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون
الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت
انظر اليه واتأمله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا
ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع
فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابرهيم النخعي رحمه الله هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه
الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذه بطنه كانه امرأة ماخض وقال
هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم
ودعا رجل لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه فقال اعطاك الله ما ترجو فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة
فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة
منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم قال ابو بكر رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى
والغنى في اليقين والشرف في التواضع

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى
باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن
احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على
الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون
الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما
سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان
يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون
متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل
نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه
لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة وللغير مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات
الثلث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في
قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون
الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال
عمر اني اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح

بعين العين وهو الاستعظام كبر وشمخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات
وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى
ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن
مجالسته ومواكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف
من استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته
ويتقدم عليه في مضايق الطرق ويرتفع عليه في المحافل وينتظر ان يبدأه بالسلام وان استبعد ان تقضى حوائجه
تعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في
النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم
وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر
من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك
الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته
وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا
عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة
النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا
يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك
الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ
وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر
مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من
في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر
ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الايات التي فيها ذم المتكبرين قال
الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال فادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وقال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سارفع فهم القرآن عن
قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها
ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح صلوات الله عليه ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة
تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا
اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس

عباس

بيان المتكبر عليه واقسامه وذكر درجاته وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى او رسله او سائر الخلق وقد
خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن الكبر باعتبار المتكبر عليه
ثلاثة اقسام القسم الاول التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض و
الطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة
بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون
عبدا لله وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الاية وقال تعالى
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا القسم الثاني التكبر على الرسل
من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار
فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه
نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم
وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين قال الله تعالى واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى صلوات الله عليه آمن
ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد
فاستنكف عن عبودية الله ومن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم
اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من
الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء
اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم
الاية ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين
ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعني عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي
الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وآله وسلم محقا ومنهم من عرف
ومنعه الكبر عن الاعتراف قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله
القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه
الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو
ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد
المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في
صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم
استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا

الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا
يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على
عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق
الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره
والاستيلاء على ملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد
نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك
في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر
انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله و
تشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون
تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر
عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد
شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رحمه الله انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف
فقتل فقام آخر فقال يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره
كبرا وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل كل بيمينك فقال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها
بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا
لهذا وما حكاه من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر مع النسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته
من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم صلوات الله عليه
والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد
عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس
فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا ولكن
الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم
وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه
خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه
وبين الخلق

بيان ما به التكبر

اعلم انه لا يتكبر الا متى استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد
لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي
هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى
العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر
في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع

ان يبدأوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة
عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له
ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم
ثم يستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده او اجراؤه وكأن تعليمه
العلم صنيعة منه اليهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الآخرة فتكبره
عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما
يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه
وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا
العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم
وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت
فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس
علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث
الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك
كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى
امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة
العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو
خبيث الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض
نفسه في عبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب
ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه
الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله
على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل
فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم ان
الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك قال
الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ
منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر
رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر في القصص فأبى
ان يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف
ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا فاني
رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري الامة

فأعز على بسيط الارض عالما لا ينبغي ان يقال انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان من وجد ذلك في
زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا
ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى
يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم
بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم
واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما
انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا
ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسال الله ان يعاملنا بما هو اهله
وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله اما العمل والعبادة فليس يخلو من رذيلة العز و
الكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما في الدنيا فهو انهم يرون
غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم
في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء
وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك
تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم
وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر لخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته
وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه
المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو لنفسه فالخلق
يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم
كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا
ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة
فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على راس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به فقال الخليع
في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد
بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي اسرائيل وهذا
خليع نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر
فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا
تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك
روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك
فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن حتى ان صاحب الصوف اشد
كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى صاحب الصوف الفضل لنفسه
عليه وهذه الآفة ايضا قلما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله
له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه

عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى و
يقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله
والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات
الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا وربما اسلم بعضهم فلم
يصبه مكروه في الدنيا والآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله تعالى من انبيائه وانه قد انتقم له بما لم ينتقم
لانبيائه وفي مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من
العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كان تهب ريح او صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا
بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني
فيه فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه و
ذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد
جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن
الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
لذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه
لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فقال له
النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسالك بالله حدثت نفسك ان ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها
احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر
مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ
في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على
الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي
العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين
ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا
في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال صلى الله عليه وآله وسلم التقوى ههنا فقد كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث
بن جزء الزبيدي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فاما
الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى بذلك ما قال
لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم فاحوالهم اخف من
حال من هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة و
تزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر
لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقيص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم
افطر منذ كذا وكذا ولا انام بالليل واختم في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه

عنها فيقول لتصدق فلان بماله او خرب ماله او مرض او ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما باحاد
العوام فيرتفع صبح يوم يصلون بالليل قائمين ويصلي اكثر ما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع ويكلف النفس
الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه في
دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا
وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما
مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها
في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران
ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه
ويفرح مهما اخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق
الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف
هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه من اهل
النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى
قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين
فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل الثالث
التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا
وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان
التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان ابن فلان وابن
فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب
وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور
بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن
البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع
من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي
ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان ابن فلان فمن انت لا ام لك
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى
عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله
من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك
الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها

قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها
اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك
يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم
وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكدي ومسكين وانا لو اردت لاشتريت
مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك وانا
انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك
جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك
مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل
عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا
بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره بقوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال
تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون السادس الكبر بالقوة وشدة
البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة
والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين
وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث
ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا
نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك
كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا
يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه
على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه

بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان
تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا
الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او بشيء من اسبابه
استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق
بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق
بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد
ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد
فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب
سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده
مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضه له
ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم

لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحاه وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وانما الحامله
ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويلزم الحسد ايضا
الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه
ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق
التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه
واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة
ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه
افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر
بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب
شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويت
قدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر
في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق
في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو
ان يسمى لاجل ذلك متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر **بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما
يظهر فيه اثر التواضع والتكبر** اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه
راسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره
وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله
فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له
او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه
قوم قيام وقال انس رضي الله عنه لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا اذا
راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء رضي الله
عنه لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده
اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري رحمه الله فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب
العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي
في غمارهم اما لتعليم غيره او لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلاة
وابدله بالخلق لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين
وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري رضي الله عنه قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن ادهم رحمه الله
ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه
ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب
جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى
نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف رجلا منكم شرا مني وقال انس كان الوليدة

من اماء المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها
ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل عليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها نجده وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه لا يحبس عن
طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع
خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفى فقال
الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه الغلام فقال هي
اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين
فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه
ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك وقال
علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة ابن الجراح وهو امير يحمل
سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت ابن ابي مالك رضي الله عنه رايت ابا هريرة رضي الله عنه اقبل من
السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن
الاصبغ ابن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق
حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين
قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به الكبر والتواضع وقال صلى الله عليه وآله وسلم
البذاذة من الايمان قال هرون رحمه الله سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال
زيد ابن وهب رضي الله عنهما رايت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه
ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن
ويخشع له القلب وقال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي
هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه كان قبل ان يستخلف يشترى
له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي
نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي
ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد رضي الله عنه صلى بنا عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين
ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو
عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء
لمرضاته كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب
خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من
سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجديد ليس من ضرورته ان يكون من
التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي عرفه

رسول الله من جمال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب
لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضاء بالثوب
الدون قد يكون من التواضع وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور
بيته فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال اذن تنزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله
هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه ليس من الكبر
ينقسم الاحوال اذن تنزل قول عيسى عليه السلام يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موردا
للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف ومثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله تعالى يحب ان يرى
اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا
قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى صلوات الله عليه ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بشيمة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابو سلمة قلت لابي
سعيد الخدري رضي الله عنه ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب
لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في
بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير
ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيى ويشتري الشيء
من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده ويجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير
والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله صغيرا او كبيرا اسود او احمر حرا او عبدا من اهل الصلوة ليس
له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان
لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل
المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد
من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع
قال ابو سلمة فدخلت على عائشة رضوان الله عليها ام المؤمنين فحدثتها بما قال ابو سعيد رضي الله عنه فقالت
ما اخطا منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى
احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح
فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض
ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من
الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما
هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في
معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم فالصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي
من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله

فهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى
نفسه فوق محله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرض لنفسه بما هو رضي به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا
في الدنيا والدين ولا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلن
نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء رضي الله عنه اعلموا ان لله عبادا
يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلوة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية
وسلامة الصدور لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضات الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم قوم اصطفاهم
الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا منهم ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه
السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا
يحقرونه ولا يتطاولون على من تحتهم ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم
نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على
حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى
الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا
ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها قال ما بينك وبين ان تكون في اوسطها الا
بغضك الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك
تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك
في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ
المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته والله

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا
يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه
وقلع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره

المقام الاول في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان
يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل
من كل قليل بذاته وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء
الا بالله تعالى اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه
فهي ايضا تطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة من كتاب الله
تعالى فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء
خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان
والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان في ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا
وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم
خلقه الله تعالى من اقذر الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما

ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده بحيث صار شيئا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف
والنعوت اذ لم يكن في ابتدائه كاملا اذ خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا
يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه
قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت
ولذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه
انا احييناه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعناه بعد ما كان اصم وبصرناه بعد ما كان فاقدا للبصر وقويناه
بعد الضعف وعلمناه بعد الجهل وخلقنا له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها واغنيناه بعد
الفقر واشبعناه بعد الجوع وكسوناه بعد العري وهديناه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف
يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال او لم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله كيف نقله
من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت
وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز
وغنيا بعد الفقر وكان في ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما
خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل
النعم عليه ليعرف ربه ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل
له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة
ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء
بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس
الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو كمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ
والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع
المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش
كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان
يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس
والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء
وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه ولا يأمن في لحظة
من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه
في دنياه فهو مضطر ذليل مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا غيره فاي شيء اذل
منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتأمله واما آخره فهو الموت المشار
اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه

وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب
فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير
رميما ورفاتا ويأكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا في اجواف
الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله
ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر منه البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان
لم تغن بالامس حصيدا كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول
البلى ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة
قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة
غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما
هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان
يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت ذلك
واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب
قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر والتجبر بل ما له وللفرح في
لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا
او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير
اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير
لا يهرب منهما الخلق ولو رأى العبد المذنب في النار لصعق من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجد ريحه
لمات من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا
حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يفرح وكيف يبطر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا
واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارأيت من جنى على بعض الملوك جناية
استحق بها الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس
يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا
سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة
وذلا فهذا هو العلاج العلمي القامع لاصل الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله ولسائر الخلق بالمواظبة
على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان رضي الله عنه لم لا تلبس ثوبا جيدا
فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست [illegible] اشارة الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل
ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة
اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما
يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه

حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وآله
ثم تفقه وكمل ايمانه فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم
ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل
الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها
حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة
بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت

المقام الثاني فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال
الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا
نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب
فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **شعر**
لئن فخرت باباء ذوي شرف ✽ لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ✽ فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات
ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت
دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي من بول انسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات بل هما
متساويان والشرف للانسان لا للدودة الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب
نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار
حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأة ويا اقذر من
المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب
اليه من الاب فليحقر نفسه به ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب وهو اصله
النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطا بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا
هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة
اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك
اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له
شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار
الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة و
التراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة
اعضاء ابيه التراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها
في نفسه السبب الثاني التكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر
نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه
الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه و
الصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعتين بيده ويتردد الى الخلاء كل يوم مرتين

ويخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذلته هذا في
حال توسطه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار
اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس رضي
الله عنه كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين
وكذلك قال طاوس رضي الله عنه لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء اذ رآه يتبختر قبل الخلافة
هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار و
صار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار و
سيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في
البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان
يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له
بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض او جدري او كابرص او قرحة او بسبب من الاسباب فكم من وجوه
جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها
السبب الثالث التكبر بالقوة والايدي ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه
لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه
منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم
تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة
فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واي افتخار في صفة يسبقك
فيها البهائم السبب الرابع الغنى وكثرة المال وفي معناه السبب الخامس وهو كثرة الاتباع والانصار و
التكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة
والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد
ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان
تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لرأى في
اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهود واف لشرف ياخذه السارق في
لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في
الآخرة وبال ونكال والتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى
واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء فمن عرف ذلك لا بد ان
لا يتكبر به ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه
اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم
به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله و
تقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات
والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا الى الخلاص

البتة افترى ان من عنده الرجل يعظم نفسه ويتكبر بثروته وقوته وفي بدنه كالاورام في نفسه بل يخضع وهذا حال كل عاقل بصير والمريض نفسه كذلك فانه لا يملك رغبته وما الذي بين بدنه واعضائه وهو مع ذلك بين آفات وآفات وامراض واسقام فهي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته ومعرفته اذ لا يعلم انه لا يدوم له ذلك في اقرب وقت فهذا طريق علاج الكبر بالاسباب وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن نفس الكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره

السبب الخامس التكبر بالعلم وهو اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم على ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق به الشرع من فضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا واراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس رضي الله عنه اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته لم يدع الشهوة ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله فهذا الخطر يمنع التكبر فانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر في نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا اوكل كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره سيده بامور فشرع فيها فترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه سيده ام لا فاخبره مخبر ان سيده ارسل اليه رسولا يخرجه عن كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به الجهد امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري الى ايهم يكون فكذلك ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء

ان يكون هو من شفعائه في عرصة العقاب اذا ... فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله تعالى بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا او تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله بان يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يحمله على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم وعابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يمكنه ان يخطر بباله ان خطر العالم وهو يعلم خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر رضي الله عنه وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذن من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى الجاهل قال هذا عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه سنا قال هذا قد اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشقي من شقي في بطن امه والخوف يشغل كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية وعدوا بان يضرب رقابهم لم يتفرغ المتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات اليهم غيره حتى كأن كل واحد منهم وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك امرت بالتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما روي ان ... فان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب ...

ذلك تدبرك في عيبك والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من
حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب
لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف
عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك سيدك اذ امرك بان تغضب
لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله
من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب
ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو في رعايته وقد وكل
الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا
محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه بل
يرى الخير له في ذلك فيغضب لا من قهر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب
التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدره عند الله في
الآخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه وقد
تبلغ ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده اقرب منك
في الآخرة فهكذا يكون بعض العلماء والاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو
لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد
البدعة مع التغضب عليه ومجانبته بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة
عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي
ان يتكبر عليه كيف وما كان فاعرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير
ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان
الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما
ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك فاذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب ان
يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر
مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد يحبط به جميع
وهو عند الله عظيم ويوقعه في مقته بوادّ اذا كان هذا ممكنا فليكن على نفسه خائفا فاذن كل واحد من العالم والعابد
على خشية في حق نفسه في خاتمة امره [illegible] ينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف لا غير [illegible]
فذلك يشغله عن التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم واما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستور
لا يعرف حاله [illegible] فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله تعالى
اما المكشوف حاله [illegible] لم يظهر له من الذنوب الا ما [illegible] في طول العمر [illegible] فينبغي ان لا يتكبر
عليه وكيف يمكن ان يتكبر عليه وهو [illegible] ذنوب [illegible] يقبل على الرجاء

فحينئذ [illegible] ثم يمكن ان تكون له ذنوب باطنة كالرياء منه القتل والشرب والزنا فمع ذلك فلا ينبغي ان
يتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى
وتخيل الخطأ فيه وكل ذلك اشد عند الله من كبائر الجوارح عليك فلعل باطنك من خفايا الذنوب بما صار
ممقوتا وقد يجري الفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله والاخلاص والخوف والتعظيم ما
انت خال عنه وقد يكون ذلك سببا [illegible] لعظيم الفتنة وتراه فوق نفسك بدرجات فيها ممكن
والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك لانك كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فيما هو ممكن
[illegible] وقد يكون في حقك فانه لا تدري [illegible] وعقابه [illegible] لا يخف [illegible] عذابك
فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب
ابن منبه رضي الله عنه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما
العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل
منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى
ان يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن
فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله تعالى ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال
وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل
عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الازل بشقوته
فما السبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف رأى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة
كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسأله عن
عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن
ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتى في النوم ثانيا وقيل له ائت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فسأله
فقال لي ما رأيت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة
الخشية قوله تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان
الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم
عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من
خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن
من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف
وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر
الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب مع هذه المعرفة يضمر التواضع ويدعي البراءة
من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعند هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة
بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن
النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول
ان يناظر في مسألة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له

والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما العمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها واذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملأ فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وها هنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها لا يكون الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء وكل ذلك من امراض القلب وعللها المهلكة له ان لم تتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك من يكفيك ذلك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اصادقة هي ام كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني ويروى ان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة وصلى فيها بالناس [illegible] الكبر فان [illegible] الملأ [illegible] يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان نفس [illegible] لا يترك [illegible] بيان غاية الرياضة

في خلق التواضع اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذن سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية وان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسيس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع والله اعلم بالصواب

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه مصيب وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود رضي الله عنه الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فلهذا جمع بينهما وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبرئوها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فعله العظيم إذ
فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر رضي الله عنه فقال ما زال يعرف في طلحة بأو منذ أصيبت
أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبأو هو الكبر في اللغة إلا أنه لم ينقل منه أنه أظهر
تيها ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس رضي الله عنه أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة
فإذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لأن
أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو لم
تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب أكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور
من الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه
ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يعجبنك ما رأيت مني فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة
مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال
الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر
بهذا أن العجب مذموم جدا

بيان آفة العجب

اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب
يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى
هذا مع العباد وأما مع الله فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها
لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغرها ولا يستعظمها ولا يجتهد في تداركها
وتلافيها بل يظن أنها تغفر له وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها
وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال
كان أكثر سعيه ضائعا فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد
من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن
أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب
إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وإن أعجب برأيه وعلمه وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة
والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي
خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ
بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وإن كان
في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور
القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله
إلى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتر في
السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في
علم وعمل ومال وغيره حالتان إحداهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره أو سلبه من أصله فهذا
ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا

من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو أن يكون غير خائف عليه
بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث إنه عطية من
الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى
الله تعالى بأنه منه فمهما غلب على نفسه أنه نعمة من الله تعالى مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فإذن العجب
هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن
له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على
استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره
شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن
قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله ولا تمنن تستكثر أي لا تدل بعملك وفي الخبر إن صلاة المدل
لا ترتفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك والإدلال
وراء العجب فلا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون
توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع فإن توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه
كان مدلا بعمله فإنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال
وهو من مقدمات الكبر وأسبابه

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم أن علاج كل علة
هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب
بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من
العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراها من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة
والعمل الذي يعجب به إنما يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته
وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر
ومجرى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه
وباختياره حصل وبقدرته وقوته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها تم عمله
أنها من أين كانت له فإن كان علم أن جميع ذلك كان نعمة من الله إليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة
يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه ما لا يستحقه وآثره على غيره من غير
سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة
ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه
من أين وما سببه ولم ينبغي أن يعجب هو بنفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم
ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفطن في صفات محمودة باطنة لما اقتضى الإيثار بالخلعة ولما آثرني
فيقال له وتلك الصفة هي أيضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غير وسيلة أو عطية
غيره فإن كان من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب به بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما
فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأني صاحب فرس وأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك
الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطي أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك

جوده وفضله لا بنفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في
الملوك ولا يتصور في حق الجبار مالك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فان
اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب
والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة
فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته
وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده
والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها
عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال
مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والاخر فيه مسامحة
اما الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت
اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من
ابصار العين اذ خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك
الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من
غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي
القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه
في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي يخيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب
على عمل هو من خلق الله سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب
الثاني الذي فيه مسامحة وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك
وبوجود عملك وارادتك وقدرتك وساير اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة
فالقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله تعالى ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزاين بها
يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة ارايت لو رايت خزاين الدنيا
مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى
دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن
المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها اكان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك
من مد اليد واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريب
انما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي و
البواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك
وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان
تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده
اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم
من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر

لك وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك
وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذن
لا ينصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى
الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب
والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره
ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا
وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك
بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا
جمعتهما لي وهلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال
عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو
قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذن ذلك يدل على ان نعمة الله تعالى عليه اكبر فلم
يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا
الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت
بين الجمال والقبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها ان رزقها وانها لو خيرت بين الجمال والقبح
مع الغنى لآثرت الجمال فاذن اكبر وقول الحكيم العاقل الفقير في قلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال
كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من
هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك وسيلة وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه
اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل
ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر و
الخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك
قال داود عليه السلام يا رب ما تاتي ليلة الا وانسان من آل داود قايم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل داود
صايم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك
فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك
الى نفسك قال ابن عباس رضي الله عنه انما اصاب داود صلوات الله عليه ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله
اذ اضافه الى آل داود حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود عليه السلام يا رب ان
بني اسراييل يسالونك بابرهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت
فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم اخبرهم باي شيء ابتليهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا
مخبرك في سنتك وشهرك ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة
وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم
وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا

هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة الف صوت يا ايوب انى لك هذا اى من اين لك ذلك قال فاخذ
رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب منك فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد
ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون
ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذى بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على
نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب
هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوها
من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالى ان يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة فلا يبالى ان يحرم
من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالى ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع
فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراى الخطاء الذى تزين
له بجهله فما به العجب ثمانية الاول ان يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن
صورته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرضة الزوال فى كل
حال وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى اقذار باطنه وفى اول امره وآخره وفى الوجوه
الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت فى التراب وانتنت فى القبور حتى استقذرتها الطباع
الثانى القوة والبطش كما حكى عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها
فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقبه الله تعالى حتى صار فى عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على
قوته كما روى عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة بمائة امراة ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من
الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتنى صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم فى
الحروب والقاء النفس فى التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو
ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبه الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه الثالث
العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراى و
ترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم
بالاستغناء بالراى والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر
انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان
اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتى من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان
ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى
كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدرى فان قاصر العقل قط لا
يعلم قصور عقله فينبغى ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان
من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا الرابع العجب
بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له

ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه فى افعالهم واخلاقهم
وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس
واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما
شرفوا به فقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل من لم يؤمن بالله فكانوا عند الله شرا من الكلاب
واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اى لا تفاوت فى انسابكم
لاجتماعكم فى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف
بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم الناس
من اكيس الناس لم يقل من ينتمى الى نسبى ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الاية
حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا
العبد الاسود يؤذن فقال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى
قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يا معشر قريش لا ياتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد
فاقول هكذا اى اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول
الله اعملا لانفسكما فانى لا اغنى عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة
آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع والا كان طاعنا فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم
ثم لم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم بعد
قوله لفاطمة وصفية انى لا اغنى عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال صلى الله عليه وسلم
اترجو سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو
منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنسيب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقى الله ان
يغضب عليه فلا ياذن لاحد فى شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن فى الشفاعة
والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة
فيمن اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا ينجى منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وبقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا
واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل
فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة رضى الله عنها عن المعصية ولكان ياذن لها فى اتباع الشهوات
لتكمل لذتها فى الدنيا ثم يشفع لها فى الآخرة لتكمل لذاتها فى الآخرة فالانهماك فى الذنوب وترك التقوى اعتمادا
على رجاء الشفاعة يضاهى انهماك المريض فى شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او عم
وذلك جهل لان سعى الطبيب وهمته وحذقه ينفع فى ازالة بعض الامراض لا فى كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا
اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب اثر على الجملة ولكن فى الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فكذلك
اثر عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف

الحذر وكيف يدل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم
من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوا من وعد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عموما ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم
فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة
واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم
على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم
لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له
ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم
العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة
ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين واما العجب
بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار
والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم عن قلة وعلاجه ما
ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن
في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب
والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من
اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الآية فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك يوم القيمة
يوم يفر المرء من اخيه ويهرب منك وكيف تعجب بمن لا ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط الا عملك وفضل
الله وكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحياتك السابع العجب بالمال
كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان يعدو اليك فقره
وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء
وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال
وقال صلى الله عليه وآله وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر رضي الله عنه كنت مع النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم
قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض
مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف
الفقراء عند الله تعالى وكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في
القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف
يعجب بماله الثامن العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون

انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك
هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما
اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا
وعلاج هذا العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي
لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه
الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها
نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون
متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة و
لن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد
وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع
ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض
في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير
بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات
والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا
يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له تعرف
الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه
الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا نسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به
من الاغترار بخيالات الجهال تم كتاب ذم الكبر والعجب ويتلوه كتاب ذم الغرور بعون الله وحسن توفيقه

كتاب ذم الغرور وهو من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات
والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلائق
من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور
ومكر الساعات والشهور اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة
الغرور والغفلة فلا نعمة لله تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر
بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب
البصائر قلوبهم كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في

يحيى بها بتنبيه موضح من نومه موضح لحجابه ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وهم كالذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء. فالمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً وإذا عرفت أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الأمور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم وغفلتهم عنها فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف

الصنف الأول من العلماء **الصنف الثاني** من العباد **الصنف الثالث** من المتصوفة **الصنف الرابع** من أرباب الأموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفاً كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من لم يترك الأهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصوراً على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته

اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغروراً فيه مخصوصاً ومغروراً به وهو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئاً يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا يكون دليلاً سمي الجهل الحاصل به غروراً فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فلنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور

المثال الأول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فإذن هي خير فلا بد من إيثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة

شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وإلى هؤلاء الإشارة بقوله الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان وأما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله تعالى وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وأبقى وقوله وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وبقوله لا يغرنكم الحياة الدنيا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولاً فكان يقول نعم فيصدق وهذا إيمان عام وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيراً وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقل منه فالنسيئة خير فإن هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهماً ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة تركه في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار نقداً لأجل الراحة والربح نسيئة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيراً من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من ألف ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحداً ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فإذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من النسيئة أراد به خير من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فساداً من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله وإلا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصياد تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أتجر بقيت جائعاً وعظم ضرري وإن اتجرت كان تعبي قليلاً وربحي كثيراً وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذباً فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم فأحسب أني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقاً فأبقى في النار أبد الآباد ودهر الداهرين وهذا لا يطاق وكذا قال علي عليه

بعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال
هذا عن شك منه فى الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله فبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الكلام
الثانى من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما
الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص
ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند آخرهم على ان دواءه النبت الفلانى
فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به
ولو بقى سوادى او معتوه يكذبهم فى ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا
واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر فى عمله بسببه ولو اعتمد
قول السوادى وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان
التقوى هو الدواء النافع فى الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة فى البصيرة والمعرفة والعقل
وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت
عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار
فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبى وقول السوادى لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه
الاطباء فكذلك لا يشكك قول هذا الغبى الذى استرقته الشهوات فى صحة اقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا
القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك
الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحى للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبى لامر
الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبى صلى الله عليه وسلم
حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما تختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح
والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة
كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان
يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذى يقابل النهى لان ذلك
الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشأن حتى يكون المراد انه من خلق الله فقط لان ذلك عام فى
جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الخلق وعالم الامر ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمية والمقادير
من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم
الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى
منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه
عرف انه امر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى
ذاته بل بامر عارض غريب عن ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلوات الله عليه وعبر عنه بالمعصية
وهى التى حطته عن الجنة التى هى اليق به بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وانه امر ربانى وحنينه الى
جوار الرب تعالى له انه امر ربانى بطبعه وذاته الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب عن ذاته
فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم

انفسهم

انفسهم اولئك هم الفاسقون اى الخارجون عن مقتضى طبعهم وخلقتهم استحقاقهم يقال فسقت الرطبة
عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه اشارة الى الاسرار التى لا تستنشق روائحها الا القلوب
نسيم من رياح القاطعين القاصرين فانها تتحرك بهم كانتشار رائحة الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر
الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه
وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض
والمقصود ان غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن
والمؤمنون بلسانهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى
فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الآخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم
عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من
الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز فقال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل
صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه وقال والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة فى جميع
كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده وهؤلاء ايضا مغرورون اعنى المطمئنين
الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون
الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين
من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى انفسهم وبالسنتهم انه لو كان
لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى من قول الرجلين المتحاورين
اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل فى التفسير
ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امرأة على الف
دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت
بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور
العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهى اكاذيب وان
كان فليكونن لى فى الآخرة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين
مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروى عن خباب بن الارت
انه قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت انى آخذه فى الآخرة فقال لى اذا
صرت الى الآخرة فان لى هناك مالا وولدا اقضيك منه فانزل الله تعالى قوله افرأيت الذى كفر باياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة
قائمة ولئن رجعت الى ربى الآية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وهو انهم
ينظرون الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليه نعمة الآخرة وينظرون الى تأخير الله العذاب عنهم
فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون

الغرور تمنى الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم
انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل
ايضا كما قال الشاعر لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانما يقيس المستقبل
على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس
تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله تعالى اذ
ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل
عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه
ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه
يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده
محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض
الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مبعدات ومهلكات من الله تعالى وان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما
يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه وكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم
الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا
مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت الدنيا ظن انه كرامة من الله تعالى واذا صرفت عنه ظن انه هوان
كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور قال الحسن رضي الله عنه كذبهما
جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او
فقيرا وعلاج هذا الغرور معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان
يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله
ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم
المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد
قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم
كلما احدثوا ذنبا احدث الله تعالى لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد
في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته
فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف
احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون وقال ومكروا ومكر الله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم
اجمعين وقال واملي لهم ان كيدي متين وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل
باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد
لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره واستدراجه اولى فاذن من امن مكر الله فهو مغتر

امثال هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك
الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على
الكرامة وهذا هو حد الغرور

المثال الثالث غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم
وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم
ان الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار
رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو
رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على
الله تعالى من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون
وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله تعالى قد احب
آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا صلوات الله عليه اراد ان يستصحب ولده في
السفينة قال ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم صلوات الله عليه استغفر
لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فلم يؤذن له فهذا
ايضا اغترار بالله وهذا لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي كما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد
العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان
يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع
باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا
يجزي فيه والد عن ولده شيئا وعند ذلك جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب
الله عليه فاذن له في الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله
كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته فهذا الكلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان
بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم
كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا
هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين آمنوا و
الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم اليق وهذا لانه ذكر ان ثواب
الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال وانما توفون اجوركم يوم القيامة افترى
ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل
يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في
انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة قيل للحسن رضي الله عنه قوم يقولون
نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا
هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات
هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح
ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك

العاصي فهو مغرور كما انه اذا تزوج ووطئ وانتظر الولد فهو راج يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع
الافات عن الحمل الى تمام الايام الى ان يولد فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي
مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى
ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل
الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عداهم فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا
موقنون اذ علموا انه لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب
اجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه
سوف يرى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت
ان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب
السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين
احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب
عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة من عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال
تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم و
انيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة على التوبة
فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر
له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو
ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل
او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور والثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي
نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى
قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها
خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط
والتشمر فكل توقع حث على توبة او على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا
الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك
وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن عزم العبادة فهو الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل
الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم
خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على
جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه
فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق
هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وقد
اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد صلى الله عليه وسلم

فقد

فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة خائفون على انفسهم
وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم
في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم
في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون
انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى
وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء
والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه
القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال
يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه
ومثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم
من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير
وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا
يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا
يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان
الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون
المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق
بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما تناوله من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به
من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام لا يقاومه التصدق بعشرة من الحلال والحرام وما
هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان يثقل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة
وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه
واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق
اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة
وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبها الكرام الكاتبون وقد وعده
الله العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات
ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين الى غير ذلك من آفات اللسان
وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد
على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها ويوازنها
بتسبيحاته حتى لا يفضل عليها اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على
النسخ ولا يحتاط خوفا من فوات الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا
الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق
بما جاء به القرآن وانا نبرا الى الله تعالى ان نكون من اهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا

البستان وما احد من يقدر على تخليص ما احدثه الضلالة والغرور على القلوب الا بجهد وتعب ولا يغتر بالكل الا
على سبيل التمني وبناء على الشيطان والهوى **بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف**
وهم اربعة اصناف الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية
والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا
بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه
لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم
علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحرام
والحلال ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة
الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء
مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على
طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل
واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها
ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو
كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا
الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم
الاحتماء وجميع شروطه فاذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك
يكفيه ويشفيه وكتب عليها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالله
لا يتعلم للمرض وانما تطلب القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الآيات والاخبار
الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا ووافق ذلك هواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان
كيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله
كمثل الكلب وكقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل
بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى
العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى وكقوله شر الناس العلماء السوء وقول ابي
الدرداء رضي الله عنه ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات واي
العلم حجة عليك فيقال لك ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشد
الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة
اكثر من ان يحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه
الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره
بفضيلة العلم هو الذي اخبر بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده
انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علم المكاشفة كالعلم بالله تعالى وصفاته واسمائه
وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله مثال من اراد خدمة ملك فعرف الملك

وعرف اخلاقه واوصافه ولون شعره وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضبه
عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من
زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع
ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته
في سياسة غلمانه ومعاملته رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط وبمعرفة
ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه
للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته
لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه فكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف
من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك امثاله الآف الوف وابد عليهم العقاب
ابد الآبدين لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم ياخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال الله تبارك وتعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله تعالى وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بخشية الله
علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن رحمه الله عن مسألة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك
فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا
يماري ينشر حكمة الله تعالى فان قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله تعالى فاذن الفقيه من فقه عن الله
امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه
الصفة فهو من المغرورين **وفرقة اخرى** احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا
انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء
وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو
مكب عليها غير متحرز منها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ادنى الرياء الشرك والى قوله لا يدخل الجنة
من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان
النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق
المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم
ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا
ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن او كقبور الموتى ظاهرها مزين
وباطنها جيفة او كبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظهره حتى استنار ظاهره وكرجل قصد الملك ضيافته
الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا
فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز رؤوسه واطرافه
فلا تزال تقوى اصوله وتنبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات
الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره
والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر
والجرب يتفجر من المادة التي في الباطن **وفرقة اخرى** علموا ان هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع

حجة الشرع الا انهم يحبونها بانفسهم ويظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله تعالى من ان يبتليهم ثم اذا ظهر
عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم
ونصرة دين الله تعالى وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست في
الدون من المجلس شمتت اعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي
حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويحزنه ونسي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماذا نصر الدين وما
ذا ارغم الكافرين ونسي ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب
عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام فلا نطلب العز
في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول
والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في من
رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه
وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيها هل
كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما
يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له
خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله تعالى فيتخلصوا
من عقاب الله تعالى ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح
الخلق لفرح بصلاحهم على يدي من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده
او على يد طبيب آخر وربما كان يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان
الاجر لي والثواب لي وانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على
انه لو امره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل
لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك
يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له
الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وت
دفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه
في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه
والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا
مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ
قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من
المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في
اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك
له بل يجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله
انه لمصالح المسلمين وانت من اقوام الذين يتعطل الدين في فقدهم واستحلوا اموال السلاطين ودعوا انه طلب الدنيا

والانابة الى التبتل والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله
تعالى فهذا على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به
في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به
في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه يقوم [illegible]
ومثاله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك
الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه
تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات و
اجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلوب من الرياء والحسد والكبر والحقد و
طلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون
اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخفايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا
لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش فقلعه الا انه لم
يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب
لطاف فانبسطت تحت التراب واهملها وهو يظن انه قد اظهرها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت
وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد
للغوائل فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان
باعثه الحرص على اظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في
الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم
والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بالاستماع عند حسن اللفظ
في الايراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين
والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به
من اطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال التميز واعتداد
بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور رجوته في الباطن بما انتظم له من امر الامارة والعز والانقياد والتوقير وحسن الثناء
فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويخالط اوراده و
وظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة
من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره ويسوقه عن من عرف حد فضله وورعه
ان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لمزيته في الفضل والورع وانما
ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته وانهم يستفيدون منه و
يرغبون في العمل وهو يظن ان تبويهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسره لمساعي
خلقه ويرى ان ذلك مما يكفر عنه ذنوبه ولم يتعقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعظ مثل ذلك عن
ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العز والاختلاء [illegible]
هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد

فيه غالبا ما ينبجع علم الاصطلاح تنفع به وانما يبغي بها اصطياد اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه
اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم
باطن المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة
واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في
غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزوه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزوه
اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا
يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى انما
غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روى ان بعض الحكماء
وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تبارك وتعالى الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا واني
لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة
من عيوب القلب وخفاياه ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه
او الى كثرة من يتبع غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا
بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة
منه فبعد ذلك لا يهتز عنه باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه
كما اثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كان
تجمعه في هذه الفئة وسلامته منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا يزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم
اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول
انما غضبت لدين الله تعالى لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما
قطب وجهه اذا ذكر عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله تعالى مطلع عليه في
ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا
من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على
اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره
اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعمله وعلمه الظان انه من خيار خلقه نعوذ بالله من الغفلة
والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال فهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل
بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم
عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل
المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش فخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب
وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد
وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد
ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من
به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة

وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسأل
عنه وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر
والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو
عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات
والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان
في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر
اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن
فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان قصد وجه
الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل فاما غروره من
حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله تعالى وسنة رسوله وربما
طعن على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه
عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا
من الله تعالى مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل علم الحلال
والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما استمع في الشرع من تعظيم الفقه
ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم
التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال
وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع
عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله واذا مات ملوثا بتلك الصفات
كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية
والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح
ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام
وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب
المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشنيعات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء
وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة
كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه
التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل
وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات
ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو
كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية
فانما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم

وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا
من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة أولئك وإفحامهم وافترقوا في ذلك فرقا
كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم
وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة
منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو إلى غير السنة والمحقة هي التي تدعو إلى السنة
والغرور شامل لجميعهم أما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا
وإنما أتيت من حيث إنها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى الشبهة دليلا والدليل شبهة
وأما الفرقة المحقة فإنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله
وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس
بمؤمن أو ليس بكامل ولا بمقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث
عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملت نفوسهم وقلوبهم حتى عمي عليهم ذنوبهم وخطاياهم
الظاهرة والباطنة وهي تظن اشتغالها بالجدل أولى وأقرب عند الله تعالى وأفضل ولكنها لالتذاذها بالغلبة
والإفحام ولذة الرياسة وعز الانتماء إلى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرتها فلم تلتفت إلى القرن الأول
فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى فما
جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم
بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبوله فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته
وإذا رأوا مصرا على ضلالته هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله تعالى ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر
بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله
يوما على الصحابة وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من
الغضب فقال ألهذا بعثت أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله تعالى بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما
نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله تعالى بالحجاج والجدل ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وقد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع
سؤال وإيراد إلزام فما كان جدالهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب
ويستخرج منها الإشكالات والشبهات ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات
ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا
أهل الأرض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان
على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه
إلى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى أن المبتدع ليس
يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها
لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لو لم يكن قد نهيت عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف أدعو إلى السنة

بترك السنة فالأولى أن أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه و
أتمسك بما يحبه وفرقة أخرى اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات
القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره
وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين
بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله تعالى إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور
هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم
محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس
إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله تعالى لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله
تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله
تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله تعالى وهو
من الساخطين ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى
يرى أنه من المتوكلين المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف
الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في
الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله
تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب إلى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير
مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا
لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح
الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من المترددين
إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن
المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله
حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما المخوف ما يتلوه على عباد الله
فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن بنفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق
الامتحان والتجربة وهو أن يدعي حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا لأجله ويدعي الخوف فما الذي
امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأنس بالله فمتى
طاب له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون
ويراه يستوحش إذا خلا بالله تبارك وتعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره
والأكياس يمتحنون أنفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق
من الله تعالى غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون فإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون
بل يطرحون في النار فيندلق أقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون
عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور لهم من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصل
هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم يقدرون أنفسهم قادرين على وصف المعاني العالية

في هذه المعاني فظنوا انهم مهما تقدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه ومانفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد واعليه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف به في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاجهم وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري واشباهه

وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان وليسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجلسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فيشهد شاهد حاله بزيادة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا

وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها وبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم

وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث واعني في سماعها وجمع الروايات الكثيرة وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد رأيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي حملني على ذكرهم في اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهيم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر وربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او ينسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من يسمع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطأه والحفظ طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتد اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرفا منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها بالمقابلة فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرنا كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون اذا بلغ الصبي او افاق المجنون سمع منه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا اجاز على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك نهاية الجهل ومن اين يوجد هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذا من افحش انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يبطل ذلك عليهم فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم وتقل ايضا اخبارهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل يطلعون اذا كثر واقتصروا واصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يبلغ سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري ويصح السماع

قول المحدثين لانه ليس من علمهم [illegible] من علماء الاصول والفقه وما ذكرناه مقطوع به في حق ائمة اصول الفقه
فهذا غرور رحماء ولو عموا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وافناء عمرهم في جمع الروايات
والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاحاديث بل المحدث يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى
وربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله
صلى الله عليه وآله وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا
يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب
اللغة واغتروا به وزعموا انهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب
والسنة بعلم النحو واللغة فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غرايب اللغة ومثالهم
كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينه ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتبة فلا
بد من تعلمه وتصحيحه ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على
الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع في
لغة الترك والهند وانما فارقتهم لاجل ورود الشريعة فيكفي من اللغة علم الغريب في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق
بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة
المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن و
اقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب
السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال
المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا
فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل
والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها
بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق
ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه
الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراءه حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقته
العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا
هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه
وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت
متعلقة بعلوم الشرع فاعتقد اصحابها انهم من الذين المختصون بها من حيث انها علوم فكان الغرور فيها اغلب
المغرورين بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن
المحمود منه لعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصد الاقصى فمن اتخذ منتهى المقصد عرج عليه
فقد اغتر به [illegible] عظم غرورهم في فن الفقه ظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى
يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل لدفع الحقوق وانهمكوا في الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر
واخطأوا فيها وهذا من جنس الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكل

الا الاكياس منهم ويشير الى مسألة لو فيمن ذلك فتواهم بان المرأة مهما ابرأت عن الصداق برئ الزوج بينه
وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر
الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس فالانسان يريد الحجامة بقلبه
ولكن يكره بنفسه فانما طيبة النفس ان تسمح النفس بالابراء لا عن ضرورة تقابلها حتى اذا رددت بين ضررين
اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض
فينظر الى الابراء الظاهر وانما لا يكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ومهما
تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل
مال الانسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى من الناس ان
لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم المذمة وخاف الم تسليم المال وردد
نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة
ايلام البدن بالسوط حتى يصير الداعي من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في
مظنة الحياء والرياء ضرب القلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى
فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف
على ما في القلب وكذلك ما يعطى اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يوخذ على
هذا الوجه فهو حرام الا يرى الى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي
بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله
اخرجتني من الجنة فماذا تريد فقال اني اسأت اليك في امر فهبها لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف
وقد ركن الى ذلك فقال جبرئيل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فنادى
فقال لبيك يا نبي الله فقال اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك فقال الا تسألني ما ذلك الذنب قال ما
هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا
يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل داود الصراخ والبكاء من الرأس حتى وعده الله تعالى
ان يستوهبه منه في القيامة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا
بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الرجل واختاره حتى ينبعث الدواعي
من ذات نفسه الا ان يضطر دواعيه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر
الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة السلطان
والساعي فقد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون
كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة
فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع
على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص

ثم يلحق بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة ابتداء مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون
لا يميزون بين الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة
وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله تعالى وكل ما تناوله
العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور
الفقهاء في امثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب
فان ذلك يطول **الصنف الثاني** ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة
منهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول
من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل
والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في
الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة
في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب
هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة رضي الله عنهم اذ توضأ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية
مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى
الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم
يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء
وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد
الخلق عن الله تعالى بطريق ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله تعالى بامثال ذلك
وفرقة اخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعها الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى
تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره يكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون
في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في
جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول
الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم **وفرقة اخرى** يغلب عليها الوسوسة في
اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد
والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن
والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من
تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان
وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد
اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة
ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل **وفرقة اخرى** اغترت بقراءة القرآن فيهذونه
هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في
معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى

ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن فمن مقاصد التلاوة وهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن
الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه ومالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف
عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب
بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق العقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم
تلاوته انما تراد كيلا ينسى بل يحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون
له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه
وانما هي لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم
يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته وفرقة اخرى اغتروا
بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم
من الرياء وبطونهم من الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك
يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة اخرى**
اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد
الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرائض ويعجزون
عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث
والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله في
كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث
برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيرها على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو
مغرور **وفرقة اخرى** اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس
ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب
وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه
الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله تعالى ولو جاء
غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد
امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع واعلم منه
ثقل عليه **وفرقة اخرى** جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم
وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفهم ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدث ويقول قد جاورت
بمكة كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد
عين الطمع الى اوساخ اموال الناس واذا جمع منه شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على
فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة
وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة
من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك
الا من جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة

والتذكير وكتاب ... من الكتب الذي رتبناها فيها وانما الغرض من الكل الاشارة الى مجامع ما سبق في
كتبت وفرقة اخرى زهدت في الدنيا وقنعت من اللباس بالطلس ومن الطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت
انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد
ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة
اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة
وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق
نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم
الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث
القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذ خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه
في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب
الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم
على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة من المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة
وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة الف
ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر
والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك ويظن بنفسه انه
متخلص منها وانه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة
تترجح بها كفة حسناته وهيهات ذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال
الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء
وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبابه فرح المغرور بذلك وصدق بتزكيته
ذلك ... وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لجهل الناس
بخبائث باطنه وفرقة اخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم
يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة
بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقرب المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم و
ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والآخر لا
يفوت او فضلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك
اكثر من ان يحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض
كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا
قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الكفايات على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت
وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل من ابر يا رسول الله فقال امك
قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان
يبتدئ في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله

بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض
هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد
معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه
فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء اهم من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات
لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة
الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذاهب
والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح
والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في
قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يخدع
مع نفسه ويظن انه مشتغل بمهم دينه

الصنف الثالث

المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم
والمغترون منهم فرق ففرقة منهم وهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة
فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيأتهم وفي الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي
احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادة مع اطراق الرأس وادخاله في
الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما
تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة
القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا
عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها
بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون
على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم
مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين يثبت اسمهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم
قطر من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت
من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم
في الميدان وكيفية تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات
ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان
تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة
فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل اجئت لتستهزئي بالملك و
للاستهزاء باهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فالقوها الى قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل
فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر
الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم
في بذاذة الثياب والرضا بالدون فارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركت
الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ... الملبس

ارفع قيمة من الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبوغة ولبست
من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم فظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب و
كونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات
اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة
وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون
بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي
الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك
من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه
فيطول اللسان في الصادقين منهم فكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم **وفرقة اخرى** ادعت علم المعرفة
ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا تعرف
هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان
ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء
فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة و
يتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم من الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك
جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم في الحديث عن الله محجوبون
ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من
الحمقى الجاهلين ولم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف
الهذيان وحفظه **وفرقة اخرى** وقعت في الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل
بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير
القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد
جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل تاديبهما
بحيث ينقاد لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب و
قلوبنا والهة الى حب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية
فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب
النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن
درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون
سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط
ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في
الدين والعلم صالح للاقتداء **وفرقة اخرى** جاوزت حد هؤلاء واجتنبت
الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا و
الحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد في

لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالا هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه
لا يخلو عن مقارفة ما يكرهه الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى وعن ترك بعض الامور حياء من
الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة
والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف
والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا
يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب
واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات
في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادته **وفرقة اخرى** ضيقت على نفسها في امر القوت
حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال
في مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال
فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض
هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور **وفرقة اخرى** منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة
فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكفلوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم
التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع
وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم
وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية
ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا
وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مسجد الله
فيطينه بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة **وفرقة اخرى** منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق
وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة
فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا
في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة
تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجه كان كمن اشتغل بالتفتيش
عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة اخرى** جاوزوا هذه الرتبة و
ابتدءوا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا واعجبهم
غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على
غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه و
حرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن
قد رأى مثلها قبل ذلك فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك **وفرقة اخرى**
جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا
على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا

الى انه قد وقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس يعني بهذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم صلوات الله عليه لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات كوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم صلوات الله عليه لما اري ملكوت السموات وحيث قال الله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمته غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل شعر

رق الزجاج ورقت الخمر　　فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح　　وكانما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فراوا اشراق نور الله تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليه يده ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر اذ يورثه ذلك دهشة من حيث لا يفهمه ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الان كما يكذب بما سمعه من قبل والله اعلم بالصواب

الصنف الرابع ارباب الاموال والمغرورون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع من كسبها فاذا قد عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك

وفرقة اخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقير وصرف المال اليه اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتقد ذلك وسيلة له الى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كان على غير ذلك فقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلم فقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرورهم هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه

وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر بن الحارث فاي شيء تبتغي بحجك تزهدا او

تم

صلى الله عليه

احسنا قال الى البيت او ابتغاء مرضات الله فقال ابتغاء مرضات الله تعالى قال فان اصبت رضاء الله تعالى و
فى منزلك وتنفق الفى درهم وتكون على يقين من مرضات الله تعالى اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة
انفس مديون يقضى دينه وفقير يلم شعثه ومعيل يغنى عياله ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا
فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة
بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا ابا نصر سفرى اقوى فى قلبى فتبسم بشر واقبل عليه
فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان يقضى به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات
وقد آلى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين **وفرقة اخرى** من ارباب الاموال يحفظون الاموال
ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل
وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال فقد
اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثاله من دخل فى ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول
بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغنى
كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق
على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء وفرقة اخرى
غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردى الذى
يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم او من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستسخار
فى خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك
عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله
وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا
هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء
اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على
مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى
الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا
خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من
فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما يدخله رقة كرقة النساء فيبكى وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على
ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور
وانما مثاله المريض يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى او الجائع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة
الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل
بها لا يغنى من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن
الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فان ذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان
قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى
احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول ان الانسان اذا فترت همته فى شىء اظهر الياس

استعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق
فى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق فى جو السماء مع بعده منه استنزله
واذا اراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحار استصعده واذا اراد ان يستخرج السباع والفيلة وعظيم الحيوانات
ليستسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعى والحيات ويعبث بها اخذها واستخرج الترياق من اجوافها واذا
اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها و
عرضها استخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات
فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص السمكة الى غير
ذلك من دقائق الحيل الآدمى كل ذلك لانه اهمه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر آخرته فليس
عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه وليس
ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شىء لم يعجز
عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج
الى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت
ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو عنه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور
لا بد منها اما العقل فاعنى به الفطرة الغريزية والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقائق الاشياء والفطنة
والكياسة فطرية والحمق والبلادة فطرية والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم
لا بد منه فى اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس
السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبارك الذى قسم العقل بين عباده اشتاتا
ان الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب احد
وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال يا رسول الله ارايت
الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو فى سبيل الله تعالى ويعود المريض ويشيع
الجنائز ويعين الضعيف ما نعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انما يجزى على قدر عقله وقال انس رضى الله عنه اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا
خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وحسن خلقه
فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم
وقال ابو الدرداء رضى الله عنه كان رسول الله اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سالهم عن عقله فاذا قالوا حسن قال
ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشىء قال
لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكاء قليل فيهم غريزة العقل نعمة من الله تعالى فى اصل الفطرة فان فات
بلادة وحماقة فلا تدارك له واما المعرفة فاعنى بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف
الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا فى هذا العالم واجنبيا من هذه
الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور ان يعرف هذا
ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة وفى شرح عجائب القلب وفى

وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى وتحصل الجميع
على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نتطرق في هذا الكتاب الا الى علوم المعاملة واما
معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان
لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله تعالى حب
الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله الى الله تعالى و
ينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء
الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته وانقمع عنه كل غرور منشاه
تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه
من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على
قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية
سلوك الطريق الى الله تعالى والعلم بما يقرب من الله وما يبعد عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله
وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها
فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذ باذن الشرع وما هو مستغنى عنه فيعرض
عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في
الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وان توضع
خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل
ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى يقوى بها الارادة وتصح بها النية
ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف
عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله عز وجل
والمريد المخلص اذا فرغ من تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى
على الصراط وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد
وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة
الدنيا ومن جهة شهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على
دينهم بالنصح والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما
عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد فقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فتغلب على قلبه الرحمة لهم و
قد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من
غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله
ويقلق نهاره ولا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير
ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرأ وصح وطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد
شدة القلق وطابت عيشته بعد نهاية التكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من
المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو

الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي ادنى زمان فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة
من نفسه في التمادي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض
القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فا
نبعثت من ذات نفسه عزيمة جازمة في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فكما
وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل
يسلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات و
التصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك
اذ راوه شافيا لدائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه
بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين
فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر
معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصته وامتدت الى قلبه
يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو
اخطأ او رد عليه من يرى الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر
الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع
في الغرور بل ربما جره ذلك الى وقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بسبب تركه احتمال النصح ووقع
في الكبر الذي هو رد الحق والتكبر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا
سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلع عليه فيسقط محله فيتبع ذلك بالاستغفار
وتنفس الصعداء او زيادة في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر
رغبتهم عن طريق الله تعالى فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة
فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو
ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا
ان النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد
وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجر كبيرة فعجزوا عن الترقي بسببها وفي قلبه لاخوانه رقة فجاء ليرفع الحجر
من راس البئر وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك وبخاصة بنفسه فيعظم بذلك فرحه
اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه
او كفاه ذلك فلم يثقل عليه ذلك ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك
في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب
بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا
لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه
عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم
اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر

عليهم ويرى كلهم جيرا من نفسه لجهله بالخاتمة وانما الى البهايم من حيث انقطاع عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف راه البهايم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية عرضه رعاية الماشية ويدفع الذيب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم يرى الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضي غيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا من اتصف بهذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب عن قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا يخرب بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك نعمة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله تعالى على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله لقد حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكذلك لا يزال السنة الوعاظ تحب الرياسة ولا يدعونها لقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرباء والظلم وساير المعاصي لقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فاما ان كنت يخشى ان يفسد طريق الاتعاظ او تحرس السنة الوعاظ وورائهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعي شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبايل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكايك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك عند الله تعالى بحالك اذ قواك على قهري ومكنك في التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه او علم ان ذلك من الله تبارك وتعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله تعالى ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حالته الاتكال على فضل الله تعالى فقط دون ان يقارنها الخوف من مكره ومن امن من مكر الله تعالى فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله تعالى ثم خايفا على نفسه ان يكون قد سد عنه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا ورياء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل من خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك تمثل الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له

نفس فقال افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله تعالى ابدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم كتاب الغرور وبه تم ربع المهلكات ويتلوه ربع المنجيات في اول كتاب التوبة على يد العبد الضعيف المفتقر الى رحمة الملك الغني احمد بن علي غفر الله ذنوبهما وستر عيوبهما وضاعف اقتدارهما ولله الحمد والمنة وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وعترته الطاهرين اجمعين في عام تسع وتسعين وثمانمائة الهجرية

[illegible]

كتاب التوبة من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبفضله يتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على محمد نبيه وصحبه الاكرمين صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب اما بعد فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا آدم صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء اجمعين وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة يعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه الى آدم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى آدم بملازمة حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب الى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خبائث الشيطان واليك الآن اختيار اهون النارين والمبادرة الى اخف الشرين قبل ان يطوى بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص في جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم به المقصود بهذه الاركان الاربعة

في بيان نفس التوبة وبيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران لارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وآله وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكأنه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب

التي تظاهرت بها الاخبار والايات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغنى عن القائد في خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يعدو على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله وسنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة او قطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو بشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الى المحبوب فهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله تعالى وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال صلى الله عليه وآله وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن

من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ فقال من فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبرئيل وميكائيل ودوديائيل فقالوا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم يا جبرئيل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله تعالى وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما ايضا من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا يستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض

مخلوقا بعضها لبعض وكذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا تخلق الإرادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا تخلق الحياة إلا بعد الجسم ويكون خلق الجسم شرط حدوث الحياة لا أن الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرط خلق العلم لا أن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان حيا ويكون خلق العلم شرط جزم الإرادة لا أن العلم يولد الإرادة ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود إلا ممكن وللإمكان ترتيب لا يقبل التغير لأن تغيره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد أن خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة فإذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا أيها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت إذ قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في حضيض عالم الشهادة فمن قائل إنه اختراع صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجه وأن القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الأمر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال بإشراق النور من كوة نافذة إلى عالم الغيب وإنه تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه فإن قلت فقد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بأنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال فاعلم أن جماعة من العميان سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل إن الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الأسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل أسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال

أكثر ما اختلف الناس فيه وإذ كان هذا كلاما يلتطم بعلوم المكاشفة ويحرك أمواجها وليس من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة تزجره عن ذلك الفعل فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فإن ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت كما إذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فإذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الإنسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها وهذا مثال مطابق فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة لا أصل الروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الأعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تنقلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما سقي بماء الطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب الشجرة إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبات الأشجار

وسوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرس تحتك أم حمار

فهذا أمر يظهر عند الخاتمة وإنما انقطعت نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وأن الموت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خيف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة

ثم يموت [illegible]نه فكذلك المعاصي فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم
تيقن من المأكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول
السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا
لبدنه المشرف على الهلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان
يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات
الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي يتضاعف اضعاف
اعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان يعمل سموم الذنوب
بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين
ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا
يبصرون وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد بالآية الكافر
اذ بين لك ان الايمان بضعة وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي
هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي
هي فروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع
الا بالاصل والفرع الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود
الاصل فلا يستدعي وجود الاصل ولكن بقاؤه يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع
بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل والفرع فلا يستغني احدهما عن الآخر
وان كان احدهما في رتبة الاصل والآخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها
خير من وجودها فانها لم تعمل عملها الذي له تراد ثم قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب
العالم الفاجر على عذاب الفاجر الجاهل كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم **بيان ان وجوب
التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة** اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا
اذ قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون فعم الخطاب ونور البصيرة يرشد اليه اذ معنى التوبة
الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا يكمل غريزة الشهوة و
الغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند
مقاربة الاربعين واصله انما يكون عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان
والعقول جند الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر لانهما ضدان فالتطارد
بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات
تكمل في الصبي والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس
وألف لا محالة بمقتضيات الشهوة بالعادة وغلب عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو جند الله
وحزبه ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يتقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان
وانجز اللعين موعده حيث قال كما ذكر الله تعالى في كتابه لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل و

وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات
ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود
آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الملائكة وكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات
ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام
فلا تحسب هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن
فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من
كفره وجهله فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة الاسلام فعليه التوبة عن غفلته بتفهيم معنى الاسلام
فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال
وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال
وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل على ان التوبة
فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن آدم عنها فخلقة الولد لا
تتسع لما لا تتسع له خلقة الوالد اصلا واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن
معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتوبتهم
وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا
عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن الله تعالى فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة
وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع
عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في
المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة
سبعين مرة ولذلك اكرمه الله بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واذا كان هذا حاله فكيف
حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان
القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب
النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال
والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة
في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة
تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس
الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صارت رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة
عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على
قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل الصقل بعد
وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك
الارياح التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصورة في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها
في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الرين وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه

العبد انما يشقى بكل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح عليه السلم وان ذلك واجب على الفور من [illegible] ولقد
صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة
لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل
اذا ملك جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه
كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصل
الى سعادة الابد وتنقذ من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا
مبينا وان صرفته الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي لهذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك
اعظم من كل فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل
مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد وقع الياس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلم
اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة فانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة
ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك
تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله
من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب الى قوله اجلها فقيل الاجل القريب الذي
يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود
صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب
التوبة فيتغرغر بروحه ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة على
تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت سبقت له من الله
الحسنى خرجت روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله خرجت روحه
على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار وقال الله تعالى انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو
اثرها بحسنة يردفها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اتبع السيئة
الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة
بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل
المحو والثاني ان يعاجله المرض والموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح
النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويد القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى
ان يختطفه الاجل فياتي الله عز وجل بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله عند عبده
والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض
العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي
قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر الى كيف
تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد

او ومن الطاعات وترك الشهوات فيمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم
اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات
تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة فاما التصقيل
الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدا عن المرآة كشغله في عمل اصل المرآة فهذه اشتغال
طويلة لا ينقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال
فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل
كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا
بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل
الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا
الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود
بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجب في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلوة التطوع
اي لمن يريدها فانه لا يمكن الوصول اليها الا بها فاما من رضي بالحرمان والنقصان عن فضل صلوة التطوع فالطهارة
ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان
يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى الدرجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحيوة ورضي
بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحيوة عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة
في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة كاصل الحيوة وما وراء اصل النجاة واصل الخلقة كاصل الحيوة وما وراء
اصل النجاة من السعادات التي بها تتهيأ النجاة تجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحيوة وفيه سعي
الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ
الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلم الى ان توسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما كنت تركت الدنيا
للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع رأسك على الارض فرمى عيسى
بالحجر ووضع الرأس على الارض وكان رميه الحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلم لم يعلم ان
وضع الرأس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لما شغله
الثوب الذي كان عليه علم في صلوته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق ما علم
ان ذلك ليس بواجب في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا
لكدورة رآها في قلبه اثرت فيه بمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به افترى ان الصديق رضي الله عنه بعد
ان شرب اللبن وعرف انه على غير وجهه وادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد ان يخرج معه روحه ما علم
من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله
بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر ان فتوى العامة
حديث آخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله
وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله [illegible] اياك ان تغتر بالحيوة الدنيا واياك ثم اياك ان تغتر
[illegible]

فالقاتل قبل الوفاة او اصنعها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف
بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون **بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها
فهي مقبولة لا محالة** اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون
بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله
ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على
الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك
الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا
طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله
الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال
الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب
وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر مقبول وانما عليك التزكية
والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح
المؤمنون وفي قوله قد افلح من تزكى ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان
القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ
النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يبق من الدين الا قشره
ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه
فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن توهم ان التوبة
تصح ولا تقبل كمن توهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص
الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان يتراكم الذنوب
حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول
القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف
المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين
عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار
والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وآله وسلم لله افرح
بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها الحديث
وبسط اليد كناية عن طلب التوبة من العبد والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل
الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم التائب من الذنب كمن

لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا
رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله عز وجل لما لعن
ابليس ساله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت عن قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال
الله تعالى وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الحسنات يذهبن
السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى **واما الآثار** فقد قال سعيد بن المسيب
انزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله
بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان
حقوق الله تعالى اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه من ذكر
خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب وروي ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله اليه
وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله عن
ذلك وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب
وقال حبيب بن ابي ثابت يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما اني كنت مشفقا منه فيغفر له
ويروى ان رجلا سال ابن مسعود ثم التفت اليه فراى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح
وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تياس وقال عبد الرحمن بن ابي القسم تذاكرنا مع عبد
الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله
وقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان
العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم
ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال آخر انا من ان احرم التوبة اخوف مني من ان احرم
المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة وروي انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة
ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فراى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم
عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك تقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك و
تركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري رحمه الله ان لله عبادا
نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا
من غير عي ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفا فورثوا الصبر على طول
البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم
وقرؤوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة ترك الدنيا
واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض
النعيم وخاضوا في بحر الحيوة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير
الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة
فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة مقبولة فان قلت افتقول بما قالت المعتزلة من ان قبول التوبة واجب
على الله فاقول لا اعني بما ذكرته من ان التوبة اذا كانت صحيحة مقبولة لا محالة الا ما يريد القائل بقوله ان

اكثر ... اعتقد بالتجارب ان ... يوجب زوال الورم لا محالة وان العطشان اذا شرب وجب زوال العطش وانه
اذا منع الشرب وجب العطش وانه اذا دام العطش وقع الموت لا محالة وليس يخلو من ذلك الثقة بربط المسببات
بالاسباب على الله تعالى فان قال قد يريد الله ان الطاعة تكون مكفرة للمعصية والحسنة تكون ماحية للسيئة كما
قد يريد ان الماء يكون مزيلا للعطش والقدرة متسعة بخلافه ولو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن لما سبقت
بارادته الازلية فوجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك
في زوال عطشه فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول لشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشرائط
دقيقة كما سياتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل
لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره
وادويته فهذا واشباهه موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها

الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها اعلم ان التوبة ترك الذنب
ولا يمكن ترك الشي الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب
اذا واجب والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى في ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات
من اولها الى اخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد

اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب
عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات بهيمية و
صفات شيطانية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من
الاخلاط في المعجون منه اثرا من الاثار كما يقتضي السكر والخل في السكنجبين اثارا مختلفة فاما ما يقتضيه
النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنا وحب دوام البقاء
وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل
عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات
الثانية الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيه يدخل
الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص
على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال اليتيم وجمع الحطام لاجل الشهوات
الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل و
استهلاك الاموال وتتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي
تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة
الشيطانية ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء
على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب
خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها
على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه
واضح بيان ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد

فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكوة وقتل
النفس وغصب الاموال وشتم الاعراض وكل تناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين
او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراءة على الله
كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد
وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان
لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر
فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد ان يطالب بها حتى يعفى عنها بيان ثالث اعلم ان الذنوب
تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا
ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وآله الصلوات الخمس والجمعة الى
الجمعة ما بينهن ان اجتنب الكبائر وفي لفظ اخر كفارات لما بينهن الا الكبائر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس
واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق
ذلك فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما هن سبع وقال عبد الله بن عمرو رضي الله
عنه هن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنه اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هن الى سبعين اقرب منها
الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف
كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال
ابن مسعود رضي الله عنه لما سئل عنها اقرأوا من اول سورة النساء الى ثلث وثلثين آية منها عند قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة
جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم اربعة في
القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة في اللسان وهي شهادة
الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم
باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام
عن موضوعات الخلقة وثلثة في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو
يعلم واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو
الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال
وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وان سالاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما وان
يجوعا فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه
فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما
فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب
اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة
ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة

بعضهم إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عز وجل عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر
في السرقة أهي كبيرة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ولا مطمع في تعريف
ذلك إلا بتقرير معنى الحرام أولا ثم البحث عن وجوده في السرقة والكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص
في اللغة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه
وصغير بالإضافة إلى ما فوقه فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظر صغيرة بالإضافة إلى الزنا
أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق
على ما أوجب الحد عليه مصيرا إلى أن ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب
النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرا لا محالة بالإضافة إذ منصوص
القرآن أيضا تتفاوت درجاته فهذه الإطلاقات لا حرج فيها وما نقل من ألفاظ الصحابة رضي الله عنهم يتردد بين
هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات أن نعلم معنى قول الله تعالى إن تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن
إلا الكبائر وقوله صلى الله عليه وآله وسلم رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن فإن هذا إثبات حكم الكبائر والحق
في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصغائر وإلى
ما يشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع
من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول إني أردت بالكبائر عشرا أو خمسا ويفصلها فإذا لم يرد هذا بل ورد في بعض
الألفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد أن السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وفي بعض
سبع من الكبائر ثم ورد وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به العدد بالحصر فكيف يطمع في عدد ما لم
يعده الشرع وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل كما أبهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في
طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب
ونعرف أيضا أكبر الكبائر فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر
جميعا أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة
الله تعالى ومعرفة صفاته ورسله وكتبه وإليه الإشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي
ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد أن يعرف نفسه وربه
فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء صلوات الله عليهم ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا وهو المعني بقوله
صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا تابعا للدين لأنه وسيلة إليه والمتعلق
من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والأموال فكل ما يسد باب معرفة الله فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حياة
النفوس ويليه ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب
والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن
تختلف فيها الملل فلا يجوز أن يبعث الله نبيا يريد ببعثه إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم
عن معرفته ومعرفة رسله أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب الأولى

ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر إذ الحجاب بين العبد وبين الله
والوسيلة المقربة له إليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى
كفرا الأمن من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته فإن هذا أيضا عين الجهل فمن عرف الله عز وجل لم يتصور
أن يكون آمنا ولا أن يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله
وبعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله تعالى وشرائعه وبأوامره
ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى
ما يعلم أنها لا تدخل وإلى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع فالرتبة الثانية
النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله عز وجل فقتل النفس لا محالة من الكبائر وإن
كان دون الكفر لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود إذ حياة الدنيا لا تراد إلا للآخرة
والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضي إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها
أكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوة
انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطعه وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوش الأنساب
ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا
ولا ينتظم أمور البهائم ما لم يتميز الفحل منها بإناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا
مباحا في أصل شرع قصد به الإصلاح وينبغي أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل لأنه ليس يفوت دوام الوجود
ولا يمنع أصله ولكن يفوت تمييز الأنساب ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التقاتل وينبغي أن يكون أشد
من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته الرتبة الثالثة الأموال
فإنها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي
أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها
فليس يعظم الأمر فيها نعم إذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك
بأربعة طرق أحدها الخفية وهي السرقة فإنه إذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك والثاني أكل مال اليتيم
وهذا أيضا من الخفية وأعني به في حق الولي والقيم فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه
فتعظيم الأمر فيه واجب بخلاف الغصب فإنه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فإن المودع خصم
ينتصف لنفسه والثالث تفويتها بشهادة الزور والرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه
طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة
الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها
ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا والتأكيد فيها ولعله أكل الربا فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي
مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يجعل الغصب الذي هو أكل مال الغير
بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع أولى بأن لا يكون
من الكبائر وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم أيضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير
إلى أن أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكثر ميل الظن إلى أنه غير

داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان يخص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فبقي مما ذكره ابو طالب المكي رحمه الله القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فجدير بان يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد بها يدل على تعظيم امرها فيعتد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان انعقد اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا يكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريد بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز ان يختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته فحد القذف ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذا هو ايضا ملحق بالكبائر في حق من عرف حكمة الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعد على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم وظلمهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم وجلائهم من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغي ان تكفره والى ما يتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذ لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باساميها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يجترؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر او لمس فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذا احكام اخروية يجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولا ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة اهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تصير كبيرة بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتاخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهي عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واما يعرف من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الصبح فقال صدقت وجاء آخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك

جارية اشتريتها فتفتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال له آخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره امثال يعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا لانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا لانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يكلموا الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في نوم والنائم لا يكشف له شيء الا بالمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق وقد بدى في امر الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد ويكذب به ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة اسرار الله تعالى فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس عنه فاذا المعبر صادق في تعبيره وهو صادق في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهو بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله تعالى ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه بضرب المثل فقوله يؤتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها وقد اشرنا الى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقايد فلنرجع الآن الى ما كنا فيه فالمقصود ان تعريف تنوع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب الامثال فلنفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الآخرة ينقسمون اصنافا ويتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين ومثاله من الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له بمرتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد

انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فينقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تحصر فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذا الهالكون الآيسون عن رحمة الله تعالى يتفاوت دركاتهم وهذه الدركات والدرجات بحسب اختلاف المعاصي والطاعات فلنذكر كيفية توزعها عليها اما الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله عز وجل اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون فهم الآيسون عن رحمة الله تعالى ابد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقال من يعبد الله لعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط فاما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجساد يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل شعر

وفي فؤاد المحب نار هوى ❊ احر نار الجحيم ابردها ❊

ولا ينبغي ان تنكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير شاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الالم من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزئين احدهما يرتبط بالآخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به رابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير السلطان مع الجلوس عليه بل من غلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين لذة الجاه والقبول لاختار الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذي به يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي به يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا تناسبها ولا يلتذ بها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يدرك الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذن فلا تدرك هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له لا يدرك لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك

لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلساً من القلب ولست أعني بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام
الصدر بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر
الأعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والأمر جميعاً ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من أمر ربي
هو الملك والأمير لأن بين عالم الأمر وبين عالم الخلق ترتيباً وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي إذا
صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يشم المبتدي مبادي
روائح المعنى من الحقيقة المطوية تحت قوله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله خلق آدم على صورته ويفطن بمن ينسب
الرحمة إلى الجامدين على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين في طرق تأويله وإن كان رحمته على الجامدين على اللفظ
أكثر من رحمته على المتعسفين في التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر وإن اشتركوا في مصيبة
الحرمان عن حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يريد ومن
يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس في أمر هو أعلى من علوم
المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجاهل المكذب وشهادة ذلك
من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخل تحت الحصر ولذلك لم نورده المرتبة الثانية
رتبة التعذيب وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فإن رأس الإيمان هو
التوحيد وهو أن لا يعبد إلا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك
لا إله إلا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو أن تذر بالكلية غير الله تعالى ومعنى قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحد من
ع السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة لا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير ولا يخلو عن اتباع
الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصاناً
في درجات القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن
فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول
المدة وقصرها إنما يكون بسبب أمرين أحدهما قوة الإيمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته
ولا يخلو بشر عن غالب الأمرين أو عن أحد الأمرين قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً
مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ولذلك قال الخائفون من السلف إنما خوفنا لأنا تيقنا
أنا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه
ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من
النار يخرج بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى أن يجوز بعضهم
على النار كبرق خاطف ويكون لبثهم ما بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم
والأسبوع والشهر وسائر المدد وأن الاختلاف بالشدة لا نهاية لأعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب
كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد
يعذب بأنواع أخر من العذاب ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف
الأنواع إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الأولاد واستباحة الحرم وتعذيب

الاقارب

الأقارب والضرب وقطع اليد واللسان والأنف والأذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب
الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات
وقلتها أما شدة العقاب فبشدة قبح السيئات وكبرها وأما كثرته فبكثرتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف
أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعني بقوله تعالى
وما ربك بظلام للعبيد وبقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون الثواب
والجزاء والعقاب جزاء على الأعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح إذ قال تعالى فيما حكى
عنه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً
عظيماً فإذاً هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع
ونور المعرفة فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً ويستند إلى ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار
بعين الاعتبار فنقول كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض أعني الأركان الخمسة
ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فإنه إذا حوسب رجحت
حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك اجتناب
الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا
حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة
راضية نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله في جنات عدن أو في الفردوس الأعلى فذلك يتبع أصناف
الإيمان لأن الإيمان إيمانان إيمان تقليدي كإيمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وإيمان
كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه
ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى
وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى وهم أيضاً على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت
معرفتهم بالله ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر إذ الإحاطة بكنه جلال الله تعالى غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له
ساحل وعمق وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل فالطريق إلى
الله تعالى لا نهاية لمنازله والسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم وأما المؤمن إيماناً تقليدياً فهو من أصحاب اليمين
ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضاً على درجات فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة
الأدنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها أعني الأركان الخمسة التي
هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان
الإسلام فإن تاب توبة نصوحاً قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له
والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلاً وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت إذ ربما يكون موته على
الإصرار سبباً لتزلزل إيمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما إذا كان إيمانه تقليدياً فإن التقليد وإن كان جزماً فهو قابل للانحلال
بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما إن مات على الإيمان يعذب
إلا أن يعفو الله عنه عذاباً يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة

الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات عند
اعقبها المرء العقاب بنزله الله المتقون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى
عليين ففي الخبر ان آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشر اضعافه ولا تظن ان المراد به تقدير المساحة
لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول
القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم يفهم من
المثل الا المثلية في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في كفة اخرى عشر عشيرها
بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته
بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية
وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والا بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال قيمتها مائة دينار
وقال اعطيته عشرة امثاله لكان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر
بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها
مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب في قوله اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي
ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي يدرك به ارواح
الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الموازنات اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون
عشرة امثال الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكان الجوهري
مرحوم اذا ابتلي بالصبي والبدوي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذا ابتلي بالبليد الابله في تفهيم هذه
الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل والانبياء
مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقولها لانه فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله تعالى
وبلاء موكل بهم سبق تقديره بحكم القضاء الازلي وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم
الاولياء ثم الامثل فالامثل ولا تظنن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلام فقط وهو الذي نزل بالبدن فان
بلاء نوح عليه السلام ايضا كان من البلاء العظيم اذ ابتلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك
لما اوذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من
هذا فصبر فاذا لا تخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا تخلو العلماء والاولياء عن الابتلاء بالجاهلين و
لذلك قلما تنفك الاولياء عن ضروب من الاذية وانواع من البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين
والشهادة عليهم بالكفر والخروج من الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما
يجب ان يكون المعتاض عن الجمل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه
الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واجتهد ان
لا تعجز عن درك النكتة والدقيقة التي ذكرناها فانها [illegible] للعاجزين عنها التي عرضها السموات
والارض والجنة البقاء ان يجعلها واسعة منه فقدرك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في
عالم [illegible] عن ذلك وعطله واهمله [illegible] بتعطيلها وتنسيها بالاعراض عن عطايا الله

بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم يكون من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليس ذات
الله تعالى مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله تعالى انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم
وترك الترقي الى الافق الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله تعالى وانعم بها عليه فكان كافرا لنعمته ومتعرضا
لنقمته الا انه اسوا حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة ترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع
ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه
الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى باريها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة
المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة الربوبية اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها
تزوجها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون قد انقلب وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤوسهم
عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى في من حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول
في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار
الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في
عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال الحيوة فحيث لا تبقى
الحيوة لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من
الله عز وجل وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب
كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال
ومنهم من له مثقال خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا
من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان وآخر من يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان و
ما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال
والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين
النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها
ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم
اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى حسنة فيقول
الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما
هو يهلك بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكي عن
ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ان في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها
وقال غيره ان ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف
العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض
بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب في
اكثر الاحوال ولكن قد يثوب الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذي العافية
الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها

بسبب الاسباب تقدير معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك اسباب النجاة والفوز في الآخرة خفية ايضا
خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي
الى الهلاك بالغضب والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشية الازلية التي لا يطلع
الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع
وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه
فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب
باطن يقتضي البعد من الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء
لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك
صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما
غيروا انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف
لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير
صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشأن في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح
فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى الرتبة الثالثة رتبة الناجين واعني بالنجاة
السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا
حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله و
عدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة
ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول
طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على العين كالحكم مثلا
بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه يقينا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة
العلماء والاولياء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان
عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وقال ما يدريك فاذا الاشكال
والاشتباه اغلب في هذا المقام الرتبة الرابعة الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون
فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز
حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله تعالى بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في
هذا العالم هو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله حكاية عن الله اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان
يخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا
يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادات
ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب
رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي
همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه

الحالة

٤٨٥

الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع
لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا الى نفسه ولا الى غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور
ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان يخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الى
ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته
فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف فعند ذلك يدرك ذوق الحيوة الطيبة وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات

ما تعظم به الصغائر من الذنوب اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا
صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار وكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها
ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك
القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الاعمال ادومها و
ان قل والاشياء تستبين باضدادها فاذا كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المتصرم قليل النفع
في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تأثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما
يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة و
مقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة
ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق العود اليها ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان
عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره
كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب وكراهيته وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره
يصدر عن الالفة به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور
تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة وقد جاء
في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره
وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في
قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الصغير كبيرا وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه
لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا
الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم
للتابعين رحمهم الله انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة اتم وكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله
كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز عن العارف
في امثالها لان الذنب والمخالفة يكبر بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها و
اعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد
كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد القلب حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه
بمقارفته اياه كما يقول اما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رأيتني كيف فضحته وكيف

لكربت مساويه حتى خجلته وكيف ذكرت مساويه حتى تحقق به وكيف لبست عليه ويقول التاجر في
تجارته اما رايت كيف روجت عليه الزيف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله
تكبر به الصغاير فان الذنوب مهلكات واذا دفع اليها العبد وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون
في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بان ينكسر
الاناء الذي فيه دواه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه
عنه وامهاله اياه ولا يدري انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله
به فيكون ذلك لامنه من مكر الله تعالى وجهله بمكامن الغرور بالله تعالى كما قال تعالى ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان ياتي الذنب ويظهره بان يذكره
بعد اتيانه او ياتيه في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله تعالى الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر
فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك
الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل
الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله عليه ويحدث
عنه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك فالاظهار كفران لهذه
النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال الله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما
انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما
يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه
مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم
واطلاق في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه
الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم
امادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يلحق من الاعمال
بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس رضي الله عنه ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها
الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها
وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله
الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم
النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احدهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف
اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع
منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام فيكون
له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مال طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين و
جمع حطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طرف الزيادة والنقصان تتضاعف

آثارها

آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي تكون التوبة توبة عنها
في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر وقد ذكرنا ان التوبة
عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل
واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها اما العلم فالنظر فيه
نظر في سبب التوبة وسياتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول
الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكا فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه
مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد عليه من النار واي شيء ادل على نزول العقوبة
من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان ولده المريض لا يبرأ
وانه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب اعلم ولا اصدق من الله تعالى و
رسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها
للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر
جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن
حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله تعالى قال لبعض انبيائه عليهم السلام
وقد ساله النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته
فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه
في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه
سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل
فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو
جحد للمشاهد بل ربما ينفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك
يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل
هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله تعالى متهاونا
بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع
الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه
مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه
سرقة وزنا بل من حيث انه مخالفة امر الله وذلك جار في كل ذنب واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك
فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله
تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط فيه وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط
صحته فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره
سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيه منها والى المعاصي ما الذي
قارفها منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها في ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها
عن آخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي

ولو كان يحتفيه غالب الظن يوصله اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر
او مرض ولم يقضه او افطر عمدا ونسي لنية بالليل ولم يقض فليتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد و
ليشتغل بقضائه واما الزكوة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان بلوغه فان الزكوة
واجبة على الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته وان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرفها
الى الاصناف الثمانية واخرج البدل وهو على مذهب الشافعي فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه
اصلا وحساب الزكوة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف وليسئل عن كيفية الخروج
عنه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد افلس فعليه
الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان
يسئل الناس ليصرف اليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال صلى
الله عليه وآله وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطاري بعد القدرة
لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فينبغي ان يفتش من اول
بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته
ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك
بينه وبين الله تعالى من حيث انه مما لا يتعلق بمظالم العباد كالنظر الى غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة
ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد
فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل
سيئة منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وآله وسلم اتق
الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع
الملاهي بسماع القرآن ومجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة
ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا
ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب عنده واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما
المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده وكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها
الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق
من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات
وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا
رأس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس بها والحنين اليها فلا جرم فان كل اذى
يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم
قال صلى الله عليه وآله وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب
المعيشة وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال تكفرها سلط الله
عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنب
والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه

ومن خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب للشيء خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد
روي ان جبرئيل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت ذلك الشيخ الكئيب
فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد فاذا الهموم ايضا
مكفرات لحقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى واما مظالم العباد ففيها معصية وجناية على
حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله
في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاءه الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم
بتمليكه الحلال ويكفر تناوله اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال
الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء لان العبد مفقود لنفسه
موجود لسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا يعرف ان ما
ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث ورد تكفير القتل باعتاق
رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال
او الاعراض او القلوب اعني بها الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها
الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو منوط بعهدته قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص
فان لم يعرف ذلك ولي الدم وجب عليه ان يعرف بعمده ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان شاء
قتله ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنا او شرب او سرق او قطع الطريق او
باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي
استيفاء حق الله تعالى بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في
محض حقوق الله قريب من التائبين والنادمين فان رفع امره الى الوالي حتى يقيم عليه الحد وقع موقعه
ويكون توبته صحيحة مقبولة عند الله بدليل ما روي ان ماعز بن مالك رضي الله عنه اتى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد
اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية والثالثة فلما كان في الرابعة حفر له حفيرة ثم امر به فرجم
فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة افضل من توبة
ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية
رضي الله عنها وقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله
لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما الآن فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت
اتت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتت بالصبي وفي يده
كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها
فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها
فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو
تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف فلا بد فيه من تحكيم المستحق
فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف او ستر

من الحج او نقص اجر اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من اول عمره فان
ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما و
يكون مطالبا به في القيمة اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات
من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في
الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه
وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة
تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل
واحد منهم ان يفعل ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى يفيض منه يوم القيمة
فتؤخذ حسناته او من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم
وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم كيف وذلك مما لا يعلم
وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي
في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما امواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا
وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال فليعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق
بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما
يسوءهم او يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا
واحدا منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتؤخذ عوضا في القيمة
واما من وجده واحله بطيب قلب منه فذلك كفارة وعليه ان يعرفه قدر جنايته ويتعرض له فالاستحلال
المبهم لا يكفي اذ ربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيمة ذخيرة
ياخذها من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتاذى بمعرفته كزناه
بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شافهه فقد انسد طريق الاستحلال
فليس له الا ان يستحل منها ثم يبقى له مظلمة الميت والغائب فاما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب
الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا
فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان
عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال
فان ابى الا الاصرار فينبغي ان يكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في
القيمة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في اذاه حتى اذا قاوم
احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيمة بحكم الله عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء
بمثله فامتنع من له المال من القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم في
القيمة احكم الحاكمين واعدل العادلين المقسطين وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل
عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله

فكملها مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول
بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل
خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو
له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب
بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما
بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا يعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو
بمثقال فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال
فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب والى امثالها كالذي
تعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيجزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا
العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في
الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول الامر الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال
ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها ما يكفيه
الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك
الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم من صدق في ترك شهوة
وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب عن ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه
ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان
لم يؤثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الزنا والشرب
والغصب مثلا وليس هذه توبة مطلقة وقد قال بعض من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات
لم يبتل بها وقال آخر من تاب عن ذنب واستقام عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان
لم يؤثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الزنا والشرب
والغصب مثلا وليس هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح
ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا يصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا
بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته
ونقول لمن قال تصح ان اردت ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة والفوز فهذا
ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله وان قال
من ذهب الى انه لا يصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية
لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من
يتوجع على ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف او
بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او الزنا فكيف يتوجع

على البعض دون البعض فالندم والتوبة بمجرد العلم بكون المعصية معصية فالجواب من حيث انها معصية فلا
يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب عن شرب الخمر من احد الدنين
دون الآخر فاذا استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان
المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة تواسى عدم الصحة ان الله تعالى وعد التائبين
رتبة تلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهي كالملك المترتب على الايجاب
والقبول فاذا لم يتم الايجاب والقبول فيقال ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهي الملك فاما تحقيق
هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق وترك السرقة لا يكفر الشرب
بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستلزم
المصير اليها بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان يكون عن الكبائر دون
الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله تعالى واجلب لسخط الله عز وجل ومقته والصغائر اقرب
الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك جنايات
ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل يستحقر الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب
واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن احد منهم
معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر
تحذيرا اخف منه على وجه يشعره بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل
دون السكر فهذا غير محال وجوده وان اكلهما جميعا بحكم شهوة ندم على اكل العسل دون السكر الثاني
ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض فهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله
كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه ان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله
تعالى يتسارع اليه العفو فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها
وفي اعتقاد مرتكبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون
الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترجيح
شرب الخمر عنده بحيث ينبعث من خوفه يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي الثالث ان يتوب عن
صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم او ما
يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه
ونادم على فعله ندما ما اما ضعيفا واما قويا ولكن يكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف
منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا
ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بحيث لم يعارضه الا ما هو اضعف
منه غلب الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد يشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر
ويكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله تعالى قد بلغ مبلغا ينقمع هذه
الشهوة الضعيفة دون القوية فيرجع عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في
نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلم ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان

بالكلية

بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعساني اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور
هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كنت تصلي لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك
الفسق لله فان امر الله فيهما واحد فلا يتصور ان يقصد بذلك التقرب الى الله تعالى ما لم يتقرب بترك الفسق
وهذا محال بل يقول لله تعالى علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا مليء في احدهما بقهر الشيطان عاجز
عنه في الآخر فانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا
يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة ومعصية لا سبب له الا هذا واذا فهم
هذا فهم ان غلبة الخوف الشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم
والندم يورث العزم وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم الندم توبة ولم يشترط التوبة الندم على كل ذنب
وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة
عن بعض الذنبين غير ممكن لانهما متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله عز وجل نعم يجوز ان يتوب
عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية اثرا في
كثرة العقوبة فيتصور ما عن الشهوة بالقليل الذي اشتد عنه ويترك بعض شهوته لله كالمريض الذي يحذره الطبيب
الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ويتوب
عن مثله الا بان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة واذا حصل
هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلافه في الترك
فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله تعالى في جميع الاوامر
والنواهي فان قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة فاقول لا لان التوبة
عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه
لكني اقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق بها ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر
وندم ولو كانت شهوة الوقاع باقية لكان حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك
مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من التائبين
وان لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب الاقتضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه
بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان تبلغ قوة الندم في حق العنين هذا
المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله مطلع
على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية
تمحى عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة
بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة
لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل
ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب
والآخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال
احمد بن ابي الحواري في اصحاب ابي سليمان الداراني رحمة الله عليه ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد

وقالت طائفة من علماء البصرة ذلك الآخر افضل لانه لو فترت توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في
عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق
ان الذي انقطع نزوع نفسه لضعف في نفسه فاما ان يكون انقطاع نزوعه اليه بفتور في نفس الشهوة فقط
فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة
اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة
باشارة الشيطان فهاتان قوتان يدل ترك المجاهد عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب
هذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين افضل من الفحل لان العنين في امن من خطر الشهوة
والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك
ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار
وان العلو في خطره اقتحام الاخطار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب افضل في صناعة الاصطياد
واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من ان يجمح به فرسه فينكسر عضو من اعضائه بالسقوط على الارض
ويأمن من ان يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تأديبهما
اعلى رتبة واحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق
المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت
بسبب استيلاء الدين عليه فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل انه
فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو
حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت
المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو
استرقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من علم
كلب الصيد وراض الفرس وهما ناعمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من
هو يشتغل بمقاساة التأديب بعد ولقد زل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا
ان ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود
حتى جرب بعضهم نفسه في ذلك فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل
في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات
فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينيه ولا
يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه ايهما افضل فاعلم ان هذا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة
ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال الآخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا
حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام الصوفية ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم ان يخبر عن حال
نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم
بل ان رتبة الانبياء على ما هي عليه افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على
ما هي عليه افضل من الجهل ولكنه الهمة والارادة والحال بحيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه ولا يهمه

امر غيره اذ طريقه الى الله تعالى نفسه ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعليم فالطرق الى الله
كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية
فاقول حضور الذنب وذكره والبكاء عليه كمال في حق المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى
ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق لان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة
الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل السالك
ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادئ الوصال وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب
فذلك ولم يتوان فيه فيتسع الالتفات الى ما سبق من الاحوال مع الكمال بل لو عاق عن الطريق الى ما بين
البلاد فمن يحاول ان يعيب السارق في عمره من حيث انه كان قد خرب جسرا من قبل الخليج على شط النهر
يبكي جالسا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت
وقت رحلة بان كان ليلا فقعد عن السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان عبرها فليبك بالليل
بكاء وحزنا على تخريب الجسر ابدا وكلما خطر ذكره جدد عزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له التشفي فيه
ان لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه
من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي
ربع المهلكات ولذلك شرط دوام التوبة ان يكون كثير التفكر في نعيم الآخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان
مبتدئا فقد ينبغي ان لا يطيل الفكر في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب
العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا
فكذلك ان تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل عنده وذلك
لا يصدقه على التصديق بهذا التحقيق ما يحكى من بكاء داود عليه السلام ونياحته فانه قيل انه بعده
في الانبياء عليهم السلام فيا ابن في غاية الاعوجاج لانهم قد نزلوا في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة
باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة
مقامهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا
عنها لفراغه عن المجاهدة وتاديب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
اني لا انسى ولكن انسى لاسن وفي لفظ انما انسى لاسن ولا تتعجبن من هذا فان الامم في كنف شفقة
الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق
ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وآله وسلم للحسين كخ كخ لما اخذ تمرة من
الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول القها فانها حرام ولكنه لما علم انه
لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طيرا يصوت به رغاء وصفيرا تشبها
بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فاياك وان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا
عن الغافلين

بيان اقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان التائبين في التوبة على اربع
طبقات الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من
امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة

فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة
التوبة النصوح واسم هذه النفس النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين
اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم
اوزارهم فوردوا القيمة خفافا فان فيهم اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه
الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها فلم
يشغله عن السلوك صراعها ومن تائب لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملي بمجاهدتها ثم تتفاوت درجات
النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة واختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن
مختطف يموت قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت
استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما
يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي ان يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من
الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو فرض ولكن لا ينبغي ان يؤيس الضعيف ان يسلك هذا
الطريق فيهيج الشهوة ويحصل الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانفكاك فانه لا يامن من ان تغلبه الشهوة
عن اختيار فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من اسبابها بالتيسير ليحصن بذلك
على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه ليسلم توبته في الابتداء **الطبقة الثانية**
تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب
تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه
كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه
النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم
عزم وتخمير راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال
التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل
ميزانه فترجح كفة الخيرات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد
من الله اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع
بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم
عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عنه علي رضي الله عنه خياركم كل مفتن
تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب ياتيه الفينة
بعد الفينة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة
المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله
من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل
درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان
الفقيه والطبيب بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق من درجات السعادات بما يتفق

لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وآله وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين
التوابون المستغفرون وقال ايضا صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة
والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة
اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب
فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك
جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره
الله عز وجل على قمعها وكفاه شرها هذه امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله
وساتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول له نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم
فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب
عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتاخيره وربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان
تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته
فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن
شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه فاذا تيسرت
له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين وكذلك ارتباط سعادة
الآخرة وورودها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية
والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي يستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على التفقه
فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه
فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير
هكذا سبق في الازل تدبير رب العالمين ولذلك قال الله تعالى ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فمهما وقع العبد في ذنب صار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من
علامات الخذلان قال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه
من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة
قبل التوبة وكل نفس فهي خاتمة ما قبلها اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور
ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر **الطبقة الرابعة** ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة
ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك
انهماك الغافل في اتباع الشهوات فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من
الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى
حتى مات بالتوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا نطلع
عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده وان يجلس في البيت ليهبه الله علما بالعلوم
من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار

وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة
وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صلى وصام عفي له فالناس
كلهم محرومون الا العالمين والعالمون محرومون الا العاملين والعاملون محرومون الا المخلصين والمخلصون
على خطر عظيم فكان من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله تعالى
بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان
ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك
سبيل المغفرة يعد عند ارباب القلوب من المغرورين الحمقى والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه
حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله تعالى كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره
ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن
فقرك وعيالك وكسلك بترك التجارة ليس يضره فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب يستحمق
قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب
هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الاخرة ورب
الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر بذلك اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى وكيف
يعتقد انه كريم في الاخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال بل
مقتضاه الفتور عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكريم يعطيه من غير جهد وهذا ينسيه
مع ترك الاجتهاد في غالب الامر في الدنيا وينسى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فنعوذ بالله من
العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون من الداخلين
تحت قول الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب
ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السابق بالضرورة الى سوء المنقلب

الباب … بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة
تضاده كما ذكرناه طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين
فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا
وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب او باللسان او بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة
وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد
الابق ويكون ذلك بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الابق المذنب
وجه للتكبر على العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فبالاعتراف
بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار
كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات
وفي الاثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهي

التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة
من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان
الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الاثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد
فيصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها
السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار
وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا
المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم او ما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلى فقال ان
الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة
له بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي
ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار
نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان
بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة
العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في
كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان
ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو
توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة
وعن راس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله من غير ان يتاثر به قلبه وهذا يرجع
الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله وابتهاله في سؤال المغفرة
عن صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح ان يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة
في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو
عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى
اواخرها ولذلك قال سهل رحمه الله لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء
فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة
واذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة
ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر
من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده ماواه ثم التنقل الى
الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو
الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم
ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم
التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية

الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكره حبيبه والمقصود ان التوبة من احدهما كالتكفير للسيآت
حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية ترفع الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضه محو
لاصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة والاستغفار بالقلب
والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا
ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرفت اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول
الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره صدق وانه لا يخلو عن الفائدة اصلا
فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرفت اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان
قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن
اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها
ولكان لا يترجح الميزان باحمال الذر وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخير الى ان
يثقل فتشيل كفة السيآت فاياك ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها
كالمراة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط وان
يقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع
اقطارها اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل اقول
الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم
او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة
الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاوقات يجري بالذكر والقرآن
وقلبي غافل فقال اشكر الله تعالى اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر
ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي
فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود لسانه
الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعوده الاستعاذة فقال الفضول سبق لسانه الى ان يقول
ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق
اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته
اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله تعالى و
ان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع تلك
العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا الادنى الطاعات وتضعيف
الآخرة اكثر لو كانوا يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات
فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل الفطن
للخفايا والسرائر فاي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلاثة اقسام ظالم
لنفسه ومقتصد وسابق اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن كلمة حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك
مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح

عليه واما الظالم المغرور فيستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم يعجز عن الاخلاص بالقلب فيترك
مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فيسعف الشيطان ويتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما
قيل وافق شن طبقة وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن
لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر
عليه وسال الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحايك ذمت حياكته فتركها
واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح ساكنا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا
انكر مذمة الحياكة ولكن الحايك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة
فلا اترك الحياكة ولهذا قالت رابعة العدوية رحمة الله عليها استغفارنا يحتاج الى الاستغفار فلا تظن انها
تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة
لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان
تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت ما قال الصادق رضي الله عنه حسنات الابرار سيآت المقربين
فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات
والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق رضي الله عنه ان الله خبا ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا تحقروا
منها شيا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله وزاد وخبا اجابته في
دعائه عز وجل فلا تتركوا في معاصيه فلا تحقروا الدعاء فربما كانت الاجابة فيه

الركن الرابع
في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار

اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشا على الخير
واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة وهذا
عزيز نادر والقسم الثاني من الذي لا يخلو عن مقارفة الذنب ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين و
غرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء
ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب
فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا
يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال الله تعالى
اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء اذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم
ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض آخر في العلاج
بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان تفهم علاج القلب عما به من مرض الاصرار فاذا
لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بيانهما فان قلت اينفع كل علم لحل الاصرار ام لا بد من
علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم بجملتها ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب
نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يختص كل علة علم مخصوص فكذلك داء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك
العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بامور الاول ان يصدق
على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان
باصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع

ونيل السعادة في الآخرة سببا وهو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الايمان باصل الشرائع هذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان الثاني انه لا بد ان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لا بد ان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثة له على الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى اليه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شي ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مومن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة انما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم مختصة بها اطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فان العاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه ذلك بان يتكفل كل عالم باقليم وبلد او محلة او مسجد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الناس لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن سائر الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض لا يدري انه مريض والثانية ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع عنه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالثة وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا

وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من داب الجهال والاغبياء فاذا فساد الاطباء هي المعضلة الزباء التي لا تقبل الدواء اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع النوع الاول ان يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعض الروايات تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا عما عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استاذن مكانه من الارض ان يخسف به واستاذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله حسنات وذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطابع معلقة بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الرين وقال الحسن رحمة الله عليه ان بين العبد وبين الله عز وجل حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والاخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما وانما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما اصابه النوع الثاني حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل

احوال آدم عليه السلام في عصيانه وما لقي من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل الشجرة تطايرت الحلل
عن جسده وبدت عورته فاستحيى التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ
التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني
فالتفت آدم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروي ان سليمان
عليه السلام لما عوتب على خطيئته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل لان المراة سالته ان يحكم
لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه فكان انما سلب ملكه اربعين يوما
هرب تائها على وجهه وكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج وضرب وحكي
انه استطعم من بيت امراة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على
راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام العقوبة قال فجاءت الطير
فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر اليه بعض من كان جفا
عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم الآن هذا امر كان من السماء ولا بد منه وروي
في الاسرائيليات ان رجلا تزوج بامراة من بلد وارسل عبدا يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها
واستعصم فنبأه الله تعالى ببركة تقواه وكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى انه قال للخضر عليهما السلام
بم اطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله وروي ان الريح كانت تسير بسليمان فنظر الى
قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكانها اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قالت انما نطيعك
اذا اطعت الله وروي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام اتدري لم فرقت بينك وبين
ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذيب لم خفت عليه الذيب ولم ترجني ولم نظرت
الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وتدري لم رددته عليك قال لا قال لانك رجوتني وقلت عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا ولما قلت اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله وكذلك لما قال يوسف
اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات
لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والاخبار ورودا للاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار ليعلم ان الانبياء
عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار نعم كانت سعادتهم
في ان عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الآخرة اشد
واكثر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة النوع الثالث
ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب
جناياته فرب عبد يتساهل في امر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به
فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شومها في غالب الامر كما حكي في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى يضيق
على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه اعداؤه قال صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بالذنب
يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وقال بعض السلف
ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصانا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر

وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان من رزق
التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به رزقه النافع في مجالسة
العلماء المنكرين للذنوب ومجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في
الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا مثال
العبد الذي لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا
وهو اشارة الى ان الذنب يتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل رحمة الله عليه ما انكرت
من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في
سوء خلق حماري وقال اعرف العقوبة حتى في فارة بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني
حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله
تعجب هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها
بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين سنة وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت احدا
صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى
ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان
في قصة تطول قال فيها كنت قائما اصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه
شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله واستترت في البيت ولم اخرج ثلاثة ايام وكنت
اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلاثة ايام فلقيت الجنيد رحمة الله عليه
وكان قد وجه الي واشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه
فسامرت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة فاخرجتك من بين يدي الله تعالى فلولا اني دعوت
الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وانا
بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر
وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا
من الفقر والمرض وغيره بل من شوم الذنب في الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلي بشي
كان عقوبة له ويحرم جميل الصبر حتى يتضاعف شقاوته وان اصابته نعمة كان استدراجا له ويحرم جميل
الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق
لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب
كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع
للدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه
الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما
وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال له واحد اوصني ولا تكثر علي فقال لا
تغضب وقال آخر اوصني فقال عليك بالياس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه
الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال

اوصيك ان يكون ملكا في الدنيا والآخرة فقال كيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكأنه صلى الله عليه
وآله وسلم تفرس في السائل مخايل الغضب فنهاه عنه وتفرس في السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الأمل
وتفرس محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ رضي الله عنه اوصني فقال كن رحيما
اكن لك بالجنة زعيما فكأنه تفرس فيه الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك
والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس
وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس فكأنه تفرس فيه آفة المخالطة التي كانت
الغالب على حاله في وقته وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب
حال القائل وكتب معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه
من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من التمس
رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام
عليك فانظر الى تفقهها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب رضاهم
وكتبت اليه مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لن يغنوا
عنك من الله شيئا والسلام فاذا على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوهم
الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن ولا انسان
يوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جمع اذ
سأله من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه في ذلك ان يعظه بما يشترك كافة الخلق
في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية للكافة و
الادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري رضي الله عنه اوصني فقال عليك
بتقوى الله فانه رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل
الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن
رحمة الله عليه اوصني فقال اعز امر الله يعزك الله وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلماء بركبتيك ولا تجادلهم
فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا
وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلوة افضل من الصوم
لا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين وقال ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب
ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني
انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل
لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته
مصيبة فاجتنبه وقال موسى للخضر عليهما السلام اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا
وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك
يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال
رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف كيلا تدنسه الآفات قال وما

علاج الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس
الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليهما اما بعد فخف مما خوفك الله واحذر مما
حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد
العزيز الى الحسن رضي الله عنهما يسأله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات
امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها
خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر
ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك
وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا
عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة
الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله
اما اولياء الله فغمتهم واما اعداء الله فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة من ظلم
العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تأتي الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم وباقيا
عليك واعلم ان الله تعالى آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ
من لا يدرى خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي يشترك العامة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل
هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا
وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم
ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الطبيب اول علاج المرضى وطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا
احد اركان العلاج واصوله الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله ما يضره
وانما يتناول ذلك اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى
علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بما
يضره فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته
ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر وكذلك يعالج
الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه
في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله
تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته والمهيج للشهوة
من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذائذ الاطعمة وعلاجه
الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة
وتفكر او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف
الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمام فهمه خوفه لا محالة واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت
الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف
فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسنيسره الله لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى

فتنيس العسري ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح
طرق الهدى وان لله الآخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا
بالصبر والصبر لا يكون الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب وهو تصديق الله
ورسوله وهو الايمان وكل من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان
بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب في الآخرة و
لكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب وليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر
فتأثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها
ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى بسبب الاعتياد والالفة والعادة طبيعة خامسة
والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
وقال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق النار فقال لجبرئيل
اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها
بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال
اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال و
كون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول الايمان فليس كل من يشرب في مرضه
الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه
ناجز فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير
السيئات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره ويجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف
التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن موقن
الا وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على
فضل الله فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب
خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول
ما يضره في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب المريض فان كان
المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج
الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك بان يورد على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت
آت وان غدا للناظر قريب وان الموت اقرب الى كل واحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب و
المتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار
ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض فاخبره نصراني طبيب ان
شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت الم لحظة
ان لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم يكون نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فليتفطن كيف
يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي نصراني لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبياء المؤيدين
بالمعجزات دون قول نصراني لم يقم معجزة لنفسه بالمعجزة ولا يشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار اخف
عندي من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج
اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على تركها في ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر
على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر على زخارف الدنيا
مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فيعالجه
بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله
لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة
والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة
كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة
في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا
تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازدادت رسوخا
وهو كلما طال عمره ازداد ضعفا فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ
ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى
فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله ان يرزقه العثور
بكنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة
في بلده وترك ذخائر امواله في صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط
على الظالم غفلة او عقوبة تشغله حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن و
الغفلة ممكنة وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر لامر ممكن
ولكنه في غاية الحماقة واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرف صدق الرسل وذلك
يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه
ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالته
كذلك فهو احمق معتوه وكأنه لا يوجد مثل هذا في العقلاء وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص
واحد مجهول عندك وقد تركت طعامك في البيت لحظة انه ولغت فيه حية والقت فيه سمها وجوزت صدقه
اتأكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة فيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام و
الصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق يفوتني الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام
لهما عندي شديد فيقال يا سبحان الله كيف تأخر صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة
الاولياء والعلماء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل
مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا في
كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا
الفانية المكدرة فلا يبقى لها اثر فقد ثبت ان كان عاقلا مع هذا الفكر انه لا نسبة لمدة العمر الى ابد الآباد بل لو قدرنا
الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص من الابد

[illegible] العاقل في الصبر عن الشهوات مدة يسيرة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد وذلك لا
يتناهى ولذلك قال أبو العلاء المعري: قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبعض
من قصر عقله عن [illegible] تحقيق الأمور وكان شاكا إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا وإلا فقد تخلصنا وهلكت
أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال فإن قلت هذه أمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالفكر
فما بال القلوب هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله
فاعلم أن المانع من الفكر أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات
العاصين في الحرمان عن النعيم وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا
على سبيل التفرج والاستراحة والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من
إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوة
فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من
ذلك وأما علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت و
ما بعده [illegible] مع استحقار ألم مواقعته وكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير
الموت وما بعده ومتألم به وأما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات
الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها
لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى و
استراحة بمعرفته وطاعته وطول الأنس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح
الأنس بمناجاة الله لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في
ابتداء التوبة ولكن يصبر عليها مدة مديدة وقد يصير الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها
تتعود والخير عادة والشر لجاجة فإذا هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات
ويهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقرع القلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر
موافقا للطبع فيميل القلب إليه ويعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو
سبب الخير بالتوفيق فإذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد
روي في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر فقال يا أمير المؤمنين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبرنا
عن الكفر على ما ذا بني فقال على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل
ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الأماني وأخذته الحسرة والندامة وبدا له
من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان بعض آفات الغفلة المانعة عن التفكر وهذا القدر كاف في التوبة

ولما كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من
بيان الصبر فلنذكره في كتاب بعده إن شاء
الله تعالى تم كتاب التوبة
يتلوه كتاب الصبر والشكر

كتاب الصبر والشكر وهو الرابع من المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله أهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات
المجد والعلاء المؤيد صفوة الأنبياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد
سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء
ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء وسلم فإن الإيمان نصفان نصف صبر و
نصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من
أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو
غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف يتصور
سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد
عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح
كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر

الشطر الأول في الصبر

وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته
وبيان أقسامه بحسب اختلاف الضعف والقوة وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان
به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده

بيان فضل الصبر

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف
وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة
له فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا
وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا
وقال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل
كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزي به فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات
ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى واصبروا إن الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى بلى إن تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين أمور لم
يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة
مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول وأما الأخبار فقال صلى الله عليه وسلم
الصبر نصف الإيمان وسيأتي وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلي
من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا و
ينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله
باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وروى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم

سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا صلى الله عليه وآله وسلم الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة عن الايمان فقال الصبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحج عرفة وقال ايضا صلى الله عليه وآله وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الانصار فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة وقال عليه السلام في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال عليه الصلوة والسلام لو كان الصبر رجلا لكان رجلا كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى واما الآثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي رضي الله عنه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوات والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل واما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما ينتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرنا اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة اما في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة

ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف والبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ واما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى القدرة والقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما يتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح عاقبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له هذا الاقبال حسنة وكذلك هو بالاسترسال معرض عن صاحب الشمال تارك للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فيكتب عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما

وكتبهما بخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى واعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ روي عن النبي عليه السلم انه قال من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال له ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و فيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا واهوال الاولى هي اهوال القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة يصدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارض مخلوقة من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من ان يتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاهوال والاحوال ولكني اقول بمجرد الموت يقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهي حصته منها فالانجلاء هو لغيره حصة غيره ومن انشقت رأسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي الصاخة الصغرى والخوف بعد الشكل والهول بعدها وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشر اوصافها فهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب و الترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار

من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الاخرة بالاولى وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل اعداد النشآت ليست محصورة في اثنين واليه الاشارة بقوله وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال فلا يكفيك القيامة الصغرى اوما سمعت قوله صلى الله عليه وآله وسلم في وقت الموت حتى قال اللهم هون على سكرات الموت او ما تستحيي من استبطائك هجوم الموت اقتداء بالرعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم و هم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون أيظنون انهم في الدنيا خالدون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة ولا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري تظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرن الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئة وحسنة على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالها الملائكة فيكون مع النبيين والصديقين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يخص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى

مقتضى الطريقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره والاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقي العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المولم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن داعي الشهوة وداعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان يفهم تقديرات الشرع بحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان يعرف كثرة ابواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر

اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل صلى الله عليه وآله وسلم مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باعتبار اختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث راى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله عز وجل يلحظ

بين

المعاني

المعاني اولا ويطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لابد ان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان اقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة احوال احدها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمانت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان يغلب دواعي الهوى ويسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله تعالى وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه لفاحش جنايته يشبه انه يسخر ما كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشيطان وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله تعالى وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن ارق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعاديه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل اعز موجود خلق في الارض الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلاثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى فالتاركون المجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام
بل هم اضل اذ البهيمة لم يخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد
خلق له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام
وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب
شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك
باسم الصبر واذا دام التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال الله تعالى فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر
على ان يصرع الشديد لا بتعب وزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين و
باعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشيطان ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت
وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما سياتي في كتاب
الرضا فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي
الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه
درجة التائبين والثاني الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالث المحبة لما يصنع به مولاه وهذه
درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا اعلى من مقام
الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصايب والبلايا واعلم ان الصبر ايضا ينقسم
باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر على المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على
الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حرمه بشهوة محظورة
فيهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا هو الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر
على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل
اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال

اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو من نوعين
احدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في
جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذا لا يستغني قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق
الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع
ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها
والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على
العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء
فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الولد مجبنة مبخلة ولما نظر الى ولده الحسن يتعثر في قميصه نزل

عن المنبر واحتضنه ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم صدق الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت
ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فان الرجل كل الرجل من يصبر على العافية
والصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع على القرب وان لا يرسل
نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي
بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم عليه وهذا الصبر متصل بالشكر
فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا
يقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصدك وحجامتك نفسك والجائع عند
غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء
النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختياره ولكن له اختيار في
ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه ثلثة اقسام القسم الاول ما يرتبط باختيار العبد وهو
سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها
فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين
ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهر فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فتقول
فاظهره اذا استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت
قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان استشاطه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك
ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم
من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا
كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلث احوال
الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات و
العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء
ومكايد النفس وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا
الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم
على شرط الادب الى آخر العمل فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله
تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج الى الصبر
عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال
ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد
ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو يحتاج الى الصبر عليهما وقد جمعهما الله في قوله ان الله يامر بالعدل و
الاحسان وايتاء ذي القربى هو المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى الصبر الضرب الثاني المعاصي فما احوج
العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة
خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان فما احوج العبد الى الصبر عنها في قوله تعالى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال عليه السلام المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى
بواعث الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر على المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة
خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين
على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة و
الكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي
يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره
غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احديهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له
الربوبية التي في طبعه وهو ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر حركة اللسان وصيرورة ذلك
معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم
الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض
الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات
ولم يقدر على الصبر وجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت
مع المخالطة ويختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها و
ايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه
اصلا الا بان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في
شيء معين لم يتصور فتور الوسواس القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو
اوذي بفعل او قول وجني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون
فضيلة قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على
ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين
هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحمرت وجنته ثم قال رحم الله
اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين
وقال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافاة ولذلك مدح الله العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال و
ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وآله وسلم صل من قطعك و
اعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن
والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن اخذ
رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على
اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث
ما لا يدخل تحت حصر الاختيار اوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض و
فساد الاعضاء وعمى العين وبالجملة سائر انواع البلاء والصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس

رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة وصبر عن محارم
الله سبحانه وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه
الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن محارم الله سبحانه
فاما الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال
صلى الله عليه وآله وسلم اسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين و
قال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب عليه وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الحزين
يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال ابو سليمان
والله لا نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من
عبيدي مصيبة في ماله او في بدنه او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له
ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ايضا من اصيب بمصيبة
فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها فعل الله ذلك به وقال
انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على
عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق
منزلته وقيل حبس الشبلي رحمة الله عليه في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤوك
زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في
جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امرأة فتح الموصلي
عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة
وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد
نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا
تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال
بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني وروي عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق
فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته
فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى
اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار
فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار
الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها
ويظهر الرضا بقضاء الله ويبقى على عادته مستمرا ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء
ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت

له اطابه مجيّا بكل فقال كيف الصبي فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى احسن منه الليلة ثم تصنّعت له
احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية
فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك عارية من الله فقبضه اليه فحمد الله واسترجع
ثم غدا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رايت لهم بعد
ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرا القرآن وروى جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وآله وسلم قال رايتني
دخلت الجنة فاذا انا بالرميصا امراة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره
ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا
يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاضت عيناه فقيل
له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضاء
فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه اذا عظم الله وسياتي ذلك في
كتاب الرضاء وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه
من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقى واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك وعلم
ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه فلذا اهتما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله
عليه بالثواب نال درجة الصالحين نعم من الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصائب وقيل من كنوز البر
كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال
والافعال فان الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر
عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في فايت لا تدارك
له او في المستقبل لا بد ان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع الزمان وآلة العبد قلبه وبضاعته
عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله عز وجل او عن فكر يستفيد به معرفة بالله
ما لمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون كذلك غالبا
بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من توهم
منازعته او يخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله
وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا
يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيارة والشهوة
عبارة عن حركة جند السيارة وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار
قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل
لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لمن خلق من الطين فابى
واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا لم يسجد الملعون
لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغي ان تطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن الخلق ووسواسه وعدوانه وطغيانه
وجولانه فقد ظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان يجري منه مجرى روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض
قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالعبادة والاصطلاح

عليه

عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالعبادة والاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح
بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعبادة فلا يلتفتن الى هذا فلك صنعت الجوهر وقالب الروح عن
الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيد عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من
المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك
بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء
عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه
مثل الهواء فان اردت ان يخلو عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر
ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان
والا من غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ
وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه
فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تتزاوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا
يتوالد الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة
كثر توالده فلا تزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب
للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال
اذا لم يكن شهوة فاذا اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين
ابن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك
فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم
لا يقطعه الا الموت **بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه** اعلم ان الذي انزل الداء
انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط
التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام
الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة
العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن
شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه
ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر
والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين
اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا سبيل لنا فيه الا بتقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر
فلزمنا هاهنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فطريق تضعيفه ثلثة
امور احدها ان ينظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من
قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة
المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك

الكلب في القلب بحركة الشهوة وهذا تحصيل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار
منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون
ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا
انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وهذا بالنكاح
فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عن المحظورات وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع
الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال عليه السلام عليكم بالباءة فمن لم
يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي
قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن
الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء يسير
مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر على التاديب واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين
احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في بيان
فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فاته وانه بسبب ذلك
مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا
في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة
يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما
قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر و
الثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ
عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال
ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين للاعمال الشاقة على قوة الخياطين
والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع
في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال وانكم
لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك منذ الصبي
حتى يانس به ويستجرئ عليه ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولم
يقو على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع
انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ
له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه
من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل و
الولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد
القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما
لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله تعالى حتى
اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا

الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب
الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل كل ذلك لم يسلم له من
الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء
من انسان وطغيان من يخالطه اذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد الانواع
الشاغلة واما النوع الثاني وهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش
فان تهيئة ذلك ايضا تحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه و
لكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم يهجم به ملمة او واقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب
ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في
زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعوائق والعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان
تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الاحوال والاعمال فذلك
يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء
هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار
العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا
ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه
وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب
سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة
عنا فلا ندري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب
اجله كالذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى
يقدر الله تعالى اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر و
يوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات و
بذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع
وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب
في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته
حتى ان الامطار تستدر بها في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن
الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات
حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج
الا الى ان تكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب [illegible]
واسهل من استنباط المياه [illegible] حاضرا في القلب [illegible]
الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال تعالى وليتذكر اولوا الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العوائق
كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق

شديد والسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل
القلب ثم شرح هجران الخلق واشد العلايق على النفس علقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة
والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون
اعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب
لما فيه من المناسبة لامور الربوبية وعنه العبارة قوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب
مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن
عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة
الاخرة ليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا
لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان
يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان
ملك مشوب بانواع الالام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وملك مخلد دايم لا يشوبه كدر
ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل
اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة
العجلة الحمق فوعده بالغرور ومناه مع ملك الدنيا ملك الاخرة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا كل على قدر امكانه
ولم يتدارك الموفق بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فذكر تعالى حال المغرورين فقال
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال تبارك وتعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا وقال عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما
استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله تعالى الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك
العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا
دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل فالتورية والانجيل والزبور و
القرآن وصحف موسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدايم المخلد والمراد منهم ان
يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الاخرة اما ملك الدنيا فالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك
الاخرة فالقرب من الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في هذا العالم
لا يعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الاخرة يفوت به اذ الدنيا
والاخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم لهم ايضا ولو كانت تسلم لكان يحسدهم ايضا ولكن ملك الدنيا
لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهم في التدبيرات وكذلك ساير اسباب الجاه
ثم ان سلم ويتم الاسباب ينقضي العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فضرب الله لها
مثلا فقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح

هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه
ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك
بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وساير اعضائه
فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم
اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا
هل يكون الا منكوسا في الدنيا منكوسا في الاخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة فقال
كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف قال من انت عبده فهو عبدي فقال كيف
ذلك قال انت عبد غضبك وشهوتك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدي فهذا
اذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الاخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا
الدنيا والاخرة جميعا والذين وفقوا للاستداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والاخرة جميعا فاذا
عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية
الشيطان وتلبيسه سهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير
بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الاخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس
ورسخت فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد ان يضيف اليه
العمل وعمله في ثلثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع
الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله تعالى
في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في افعاله
اعمالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل
في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه حتى يبدلها بنقايضها حتى يترسخ
باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان
يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور
ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك
البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان تقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان تنقمع تلك
الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الدين متين
فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر
عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة
النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها
قبل فان تفصيل الاحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عما كان يشق
عليه الصبر معه فتنعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه
وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته فالى ان يعلم

انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن الحلم والصبر على التعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين انه
سأل الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال
فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله اصبروا وصابروا
ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله
وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه شعر والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في
سائر الاشياء محمود وقيل ايضا شعر الصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل
هذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وله ثلاثة اركان في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه **الركن الاول** في حقيقة النعمة واقسامها
الخاصة والعامة **الركن الثالث** **الشطر الثاني** في بيان الافضل من الصبر والشكر
نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله
اكبر فقال اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم و
آمنتم وقال تعالى وسيجزي الله الشاكرين وقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو
رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال وقليل من عبادي الشكور وقد
قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء
والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال و
يتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال والله شكور حليم وقد جعل الله تعالى الشكر
مفتاح كلام اهل الجنة فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين واما
الاخبار فقد قال صلوات الرحمن عليه الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطا
قال دخلت على عائشة فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت وقالت
واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي او قال في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال
يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قال فقلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم
يكثر صب الماء ثم قام فصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم
يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار الآية وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي ان بعض
الانبياء مر بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت وقودها الناس و
الحجارة فانا ابكي من خوفه فسأله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن
فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته
الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي انه عليه الصلوة والسلم ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون
فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون فقال الذين يشكرون الله على كل حال

وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله في السراء والضراء وقال عليه الصلوة والسلم الحمد رداء الرحمن و
اوحى الله تعالى الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله تعالى في صفة
الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر
الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فاي المال نتخذ فقال عليه
ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود رضي الله
عنه الشكر نصف الايمان **بيان حد الشكر وحقيقته** اعلم ان الشكر من جملة مقامات
السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم
فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه و
يتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة
الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم ثلثة امور
عين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه
عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها
هذا في حق غير الله فاما في حق الله فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والوسائط
مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى
في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسا يعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس
وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة
في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله
فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال صلى الله عليه افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعاء الحمد لله وقال صلى الله عليه ليس شيء من الاذكار يضاعف كما يضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه
الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على
التقديس ولا اله الا الله تدل على التوحيد والحمد لله على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء
هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال
فمن انعم عليك ملك من الملوك بشيء فان رأى لوزيره او وكيله دخلا في ايصال ذلك اليك فهو
اشراك في النعمة فلا يرى النعمة من الملك بكل وجه بل منه من وجه ومن غيره من وجه فلا يكون موحدا
في حق الملك نعم لا يقدح في توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه
الذي كتب بقلمه والكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالكاغد والقلم ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما
دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل وال
الخازن ايضا مضطر من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق
وامر جزم يخاف عاقبته لما سلم فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد
فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات
في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط الدواعي ليفعل شاء ام ابى كالخازن المضطر الذي لا يجد
الى مخالفة الملك سبيلا ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده وكل من وصل اليك نعمة الله على يده
فهو مضطر اذ سلط عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والآخرة في ان يعطيك ما اعطاك
وان غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به وبعد ما خلق الله تعالى له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا
الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك ولو لم يعلم
ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة
الى نعمة اخرى وهو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخر ذلك والقى في قلبه من الاعتقادات
والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت
فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام
في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا
فاذا لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح
بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا
بيان هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع
والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا
شرطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك
مثلا فنقول الملك الذي يريد ان يخرج الى سفر فانعم بفرس على انسان تصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس
من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال منتفع به ومركوب يوافق غرضه
وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان
فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث انه يستدل به على عنايته
الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان
لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا لاستغنائه او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل
المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال
بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك
ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا
بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة ايضا الوزارة بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون
الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى
الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة
من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث
انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا
ايضا حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام

في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب
منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح بالدنيا الا
بما هو مزرعة الآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس
يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة
الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة
وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها
كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن
لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا
سقم بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي
الاشياء المرة حتى قيل شعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذا هذا شرط الفرح
بنعمة الله تعالى فان لم يكن اليه فعن هذا وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن باب الشكر
فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه
وبين من يريد نعم الله ليصل اليه بها الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل
يتعلق بالقلب وباللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته
والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر
كل عيب يسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان باظهار الرضا عن الله تعالى وهو
مأمور به وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السؤال فاعاد حتى قال في الثالثة
بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى
ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حاله
فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى
من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء
وافضى به الضعف الى الشكوى ان يكون شكواه الى الله تعالى فهو المبتلي وهو القادر على ازالة البلاء
وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الآية وقال تعالى ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم الآية فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد
العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين
من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك
واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي
اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم
على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن
بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة

لحظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول من قال الشكر ان ترى نفسك
فيها طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا
للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص وهذه الاقاويل تعرب عن احوال القائلين ولذلك تختلف اجوبتهم
ولا تتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم
اشتغالا بما يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا
عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان يظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها
كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا الا ان يفرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع
اللسان هل يشتمل على جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه
ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى لعله يخطر ببالك ان الشكر انما
يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر
كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين
ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير سوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شاكرا لله الا بشيء من ذلك
وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين احدهما ان الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن
الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين
يديه ركعا وسجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد
او نركع اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في افعالنا كلها والوجه الثاني ان جميع ما نتعاطاه
باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي اسباب
حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا
فاخذنا مركوبا آخر له وركبناه او اعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني
يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا
في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل
الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف
اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى
منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم
مني رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمت معنى ما اوحي اليهم فاني
اعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة منه
فكيف صار شكرا وكان الحاصل ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر
للخلعة الاولى والتفهيم [illegible] فاعلم ان
هذا باب من المعارف وهو اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير الى لوائحه فنقول ههنا نظران نظر
بعين التوحيد المحض فهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب
هذا

ونظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صادق في كل حال ازلا وابدا لان
الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود
المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره
لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي
موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون
غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت
ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هذا نظر
حبيب بن ابي حبيب حيث قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشارة
الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني
رحمة الله عليه حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما
يحب نفسه اشارة الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ولا
يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه
والوالد اذا احب ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف
الله وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبالحقيقة ما احب وهذا كله نظر
بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير
غير الله تعالى فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربع اذرع ولعله ياكل في كل
يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم العارفون لجهلهم بمعاني كلامهم وضروب الغافلين من يكونون ضحكة
للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم
يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم
حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم فقال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
على الارائك ينظرون وكذلك امة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بصنع السفينة فقال
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء
عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم
العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو
قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا
لعلموا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا
وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق
والموجد باطل من حيث هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان اذ كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور لانهم يبصرون باحدى
العينين وجود الموجود الحق فاثبتوا وجود الحق تبارك وتعالى كالذي

قبله جاحدا تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت ربا وعبدا بينهما
لا بقدر من اثبات التفاوت والنقص في الوجود الاخير دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد
من انواره قل عمشه وبقدر ما يزيد في حدة بصره ظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله تعالى فان بقي في
سلوكه كذلك لا يزال يفضي به الى النقصان الى المحو فينمحي عن رؤيته ما سوى الله فلا يرى الا الله
فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصا في وجود ما سوى الله دخل في اوائل التوحيد وبينهما
درجات لا تحصى فيها تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على السنة رسله هي الكحل
يحصل به انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول
لا اله الا الله الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا
قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا
الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم
من تتفتح بصيرته في بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم
من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز   لكل الى شأو العلى حركات
ولكن عزيز في الرجال ثبات   ولما امر صلى الله عليه وآله وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال
في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط وكأنه لم
ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال فترقى الى مصادر الافعال
وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب
وترقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير
رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ رأى
ذلك نقصانا واقترب فقال لا احصي ثناء عليك ثم قال انت كما اثنيت على نفسك فقوله لا احصي خبر عن
فنائه عن نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه
وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين
وهو ان لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق
ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يترقى من رتبة الى رتبة اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان
يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها
فوق البعض اولها وان كانت مجاوزة اقصى غايات الخلق ولكن كانت نقصانا بالاضافة الى اواخرها
فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضي الله عنها وعن ابيها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد
في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وان تغلغلنا في بحار التكاشف
فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلم المعاملة فنقول الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد

الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف
طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى
ومقام آخر فلنفهمن في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف
ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك قد ارسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا
ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان
احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته
والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبيد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقدر
على القيام بخدمة تغني عنه غناء وغيبته لا ينقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب
والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبإ
منزل العباد من الله تعالى في الثانية عين محال ثم اعلم ان العبد في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى
فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى
بمجرد الركوب والوصول الى الحضرة ما لم يقم بخدمته التي ارادها الملك منه واما في الحالة الثانية فلا
يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انعم
اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما
يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر
مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ بعيدا
منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب
ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله
سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته
وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن
بعدهم عبر الله تعالى اذ قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فاذا نعم الله آلات يترقى العبد بها عن اسفل
سافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب العبد او بعد
فالعبد فيها بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها في المعصية
فيكون قد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان
عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق
آلة للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر
نعمة الله تعالى في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل في
طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا يشملهما
المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه وتحت هذا بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي
لم يرد الشرع بافشائه وقد اندفع بهذا الاشكال الاول وهو ان الكل من الله فكيف يكون الشكر

وبهذا ايضا يتضح الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت
النعمة في جهة المحبة بفعل فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث انك محل فقد اثنى
عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف
فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي
الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك موجد
العلم ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية
لك وانت شي من حيث جعلك خالق الاشياء شيئا وانما انت لا شي اذا كنت انت ظانا لنفسك شيئية
من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شي اذ جعلك شيئا فان قطع النظر
عن جعله كنت لا شي تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه واله وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
لما قيل له ففيم العمل اذ كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدر الله تعالى و
محل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على
لسان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم
فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية
ايضا من افعال الله تعالى ولكن بعض افعاله سبب للبعض اي الاول شرط الثاني كما ان خلق الجسم سبب
لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحيوة شرط لخلق العلم وخلق العلم سبب لخلق الارادة و
الكل من افعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض اي هو شرط بمعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل
الحيوة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حيوة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا
للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حققه
ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فما السر في قول الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون
ومذمومون على العصيان وما الينا شي فكيف نذم وانما الكل الى الله فاعلم ان هذا القول من الله سبب
لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي
عن دار الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله تعالى والله تعالى مسبب الاسباب وهو مرتبها فمن
سبق له في الازل السعادة تيسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا
ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم
يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا
بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلا
سل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول
الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى
الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار و
اذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم وهو نداء عما تجدد للغافلين من كشف الاحوال

حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانهما اصل اسباب الهلاك

بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه الله

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر
استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه
الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الايات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر
بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق
على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في
جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة
الله في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود
هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان من الحكم في خلق الشمس ان
يحصل بها الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتنتشر الحركة عند الابصار والسكون عند
الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة
في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد
انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيقة التي يقصرون عن فهمها
اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا واما الحكمة في سائر
الكواكب السيارة منها والكواكب الثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم
الخلق انها زينة السماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيوانه واعضاء
لا يخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشر الى الف وكذلك اعضاء الحيوان تنقسم الى
ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم واما
الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد واحاد العروق والاعصاب والعضلات وما
فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف
الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى علم الله تعالى فما
اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد
به فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه
ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار
يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريد
به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى
ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة
الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالغذاء
والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا وكل
ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هو النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة

لذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله تعالى فقد
كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكمة الخفية
التي ليست في غاية الجلاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق
الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان
كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما
يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج
الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله
بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او الصورة
وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان
الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط
بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب
علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر
الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة
فهما من حيث انهما مساويان لشيء واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في
اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا
ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا
حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما
ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شيء لا كمن ملك
ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في
دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي
نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون
فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول
ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى
فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم
بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة ولعمرو خاصة
اذ لا غرض للآحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس
وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله عباده بقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب او
فضة فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس
والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والحبس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص
والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات

ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا كشف له بالترجمة الالهية
وقيل له من شرب في آنية من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا
على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا
اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما خلق له ظلم ومن
معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة
بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا
غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف الذي جاء لمعنى من الكلام كما قال النحويون ان الحرف
هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيع بالنقد فيتخذ
التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد
الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو
ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين
يخالف الآخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوسل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في
الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص وهو تيسر التوسل به الى غيره واما بيع
الدرهم بالدرهم مماثلة فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه
عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى
وضع الدرهم على الارض واخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوف اليه النفوس الا ان يكون احدهما
اجود وذلك لا يتصور ايضا جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فذلك مما يقصده فلا
جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في
عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه الى مصالح دقيقة
في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في نفسها
وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا الا مسامح
قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر
والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة
وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او ليتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة
فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة
الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغن
عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة
فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو ايضا مستغن
عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب
نعم بائع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور
ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاضل في الجودة ومقابلة الجيد بمثله

من الردى لا يرضى به صاحب الجيد واما الجيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات
والجيد يساوي الردى في اصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام
فهذه حكمة الشرع في تحريم الربوا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فليلحق هذا بفن
الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله
في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا
الملح لكان مذهب مالك اقوى المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد
ان يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم وراى الشرع التحديد بجنس
المطعوم احرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا يقوى فيها اصل المعنى
الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه
بالاحوال والاشخاص فيكون التحديد ضروريا فكذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه و
لان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرايع وانما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى عليه السلام
تحريم الخمر بالسكر وقد حرم شرعنا كونه من جبلة المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحمى داخل
في التحريم بحكم الحسم كما دخل اصل المعنى بحكم الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي
ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من
عرفت الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا يصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات
وملاعب الشياطين بل لا يذكر الا اولو الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك و
سكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر عنك فانه اما شكر واما كفران لا يتصور ان ينفك عنهما
وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك
عند ارباب القلوب موصوف بالحظر فاقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين
اذ خلق الله لك اليدين وجعل احدهما اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحان في الغالب التشريف
والتفضيل اذ تفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل ثم احوجك الى ان تعطي اليدين
اعمالا بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار و
ازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل
وكذلك اذا بصقت مثلا في جهة القبلة واستقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق
الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها
والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بدنك
في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت افعالك الى ما هي
شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء الحاجات ورمي البزاق فاذا رميت بزاقك الى جهة
القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك
فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي

ان يكون

ان يكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند
العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق
بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة نعم الفقيه
لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين بلي باصلاح امور العوام الذين تقرب درجتهم من درجة
الانعام وهم منغمسون في ظلمات اطم واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان
يقال الذي شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والآخر الاخذ
باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالف من وجهين احدهما بيع الخمر
والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح ان يذكر تركه
الادب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه والمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض
فينمحق بعضها في جنب بعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك
السكين اعز اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء
والاولياء من الآداب وتساهلنا في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول
عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد
بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو
مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد
كفر نعمة الله في خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال المعينة
على الطاعة واما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء
والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة
لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الا نسان
فانهما جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا
واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه نعم ان كسر ذلك من ملك
غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة
واحد لو خص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي
حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو اولى من غيره فترجح جانبه بذلك
فان نبت ذلك في موات لا بسعي آدمي اختص بغرسه او بغرس بقعة فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو
السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح
بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون
العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد
اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت
عليها براجمه فجاء عبد آخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد
فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كان كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة العبيد فالعدل في التخصيص

عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والا اخذ اختصاص بقدر ... من لا يميل بذل الاختصاص
عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان تفهم حكمة الله في عباده ولذلك نقول من اختزن من اموال الدنيا اكثر من حاجته
وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم
وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار
الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف
الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا
الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك لا تدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن
اليه اذ قال ان يسألكموها ان اللعب واللهو فكذلك اباحتنا العوام حفظ الاموال والاقتصار
في الانفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا تدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه
اذ قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه
ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله ركب بين مال الله الا بقدر
مطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم
تارك للعدل وخارج من مقصود الحكمة وكافر نعمة الله عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب
التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع
الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما
اوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله
بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله واورد آخر ورآء هذا معنى
الايجاز دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها كل من عرف اللغة وبهذا تبين
لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله حكمة في كل شيء وانه جعل
بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام
الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب
من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان الفعل المنقسم
الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من فعل الله فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى
فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى
تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير
ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير فيقول لسان الله
في جلاله وكبريائه صفتان منهما يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفتان اجل واعلى من ان تلمحهما عين واضع
اللغة حتى يعبر عنهما بعبارة تدل على كنه جلالهما وخصوص حقيقتهما فلم يكن لهما في عالم الفهم عبارة عن
علو شانهما وانحطاط رتبة ذوي الالهام عن ان يمتد طرف فهمهم الى مبادي اشراقهما فانخفضت عن ذروتهما
كما تخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر

الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالهما الى ان يتكلفوا لهم عبارة توهم من مبادي حقائقهما شيئا فذكروا
القدرة فجاسروا حينئذ على النطق فقالوا لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم
في الوجود الى اقسام ويختص بخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها
صفة اخرى وهي المشية ثم انقسمت الافعال الصادرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى
ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشية لرجوعها الى الاختصاصات التي بها يتم القسمة
والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون نهايته عبارة
الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشية ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة يوهم
لفظ المحبة والكراهة منهما امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباد الله الذين هم ايضا
من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشية الازلية ان يستعمله لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور
فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشية خاصة فذكر لنسبة المستعمل في اتمام الحكمة به عبارة
الرضا واستعير للذين استوقفت بهم اسباب الحكمة دون غاياتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة
اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها
فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضاء والقبول والاقبال فكان
الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده لو
عن اوساخه ثم يحاسن ثيابه فاذا تم زينته قال له يا جميل ما اجملك وما احمل ثيابك واطف وجهك
فيكون هو بالحقيقة المجمل وهو المثني على الجمال وهو المثنى عليه بكل حال فكانه لم يثن من حيث المعنى الا على
نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل الازال وهكذا
تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق
وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم ذكر له لفظ القضاء وقيل انه كلمح بالبصر فاضت بحار
المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فذكر لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض
لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير
نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت
هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة
كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا
خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسألون واشتمل مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله في السموات والارض
وكان زيتهم اولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار الملكوت
بين ايديهم بنورها فادركوا الامور كما هي عليها فقيل لهم تادبوا باداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا
فان للحيطان آذانا وحولكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش
فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفاء
ويقتبسوا من بقايا انوار كم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في
جنح الليل فيحيى به حيوة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيى به حيوة المترددين في كمال نور الشمس

قيل فيهم شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب شربنا واهرقنا على الارض فضله
وللارض من كاس الكرام نصيب فهكذا كان اول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا
كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما
فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر على ان يطير عليه ولا يقدر على ان
يستجر وراءه الاعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر
الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه الاعمى فهذه امور نسبة السير
عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان
يتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
ان عيسى يقال انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة
والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله مثلا لذلك تقريبا
الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه وكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم فاخبر
ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض
الاخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال تعالى قل نزله روح القدس
من ربك بالحق وقال يلقي الروح الامين على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن
سبيله والاغواء هو استيفاء العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب
عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبها الى العبد الذي احبه وعندك في العادة له مثال
فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من ينظف فناء منزله عن التراب وكان له عبدان
لا يعين للكنس الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا
ينبغي ان يقول هذا فعلي ولم يكن فعله على دون فعل ذلك احفظت انا اصطنعت فرده الى نفسك بل
هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب
اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك ايضا من افعاله فداعيتك
وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا يصدر منه
الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من
عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ
الذي يخرج صورا من وراء الحجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها
انما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن ابصار
الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء
فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه
كما يعلمه المشعبذ الذي يكون الامر اليه والجاذب بيده فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان
الا العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون
الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة

ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض
لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي
معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار
ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم
وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر فقيل خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن الاية وهذه امور لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه
عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا يحتملها افهام الخلق حيث قرا قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال
لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الاية لرجمتموني وفي رواية لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فانه
خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول
اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمة الله فاشكر العباد احبهم الى الله واقربهم اليه
واقربهم الى الله الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب اسرافيل
وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله بهم الانبياء وهم اشرف مخلوق على وجه الارض
ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته واعلا
رتبة نبينا صلوات الله الزاكية وتحياته وسلامه عليه اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم
العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد
بقدر ما اصلح لنفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنياهم كما اصلح العلماء دينهم ولاجل
اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا عليه الصلوة والتحيات كان افضل من سائر الانبياء صلوات الله
عليهم فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلي العلماء
الذين اصلحوا نفوسهم فقط فلم يتم حكمة الله تعالى بهم الا فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع واعلم ان السلطان
به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من فتنة
تدوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم سيكون عليكم امراء تنكرون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم
الاجر وعليكم الشكر وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق
ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال
السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة
اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات
السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

الركن الثاني من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة

ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص
ويعم فان احصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة واقسامها اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن

النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة
الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن
يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق وكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة ويعين عليها اما بواسطة
واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة
واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات القسمة الاولى ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما
هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى
ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل
كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار
فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار وتظنه
الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك
بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء
البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف
شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام
ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب بكمال عقله يلحظ العاقبة والام لفرط حبها و
جهلها وقصورها تلحظ الولد لحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها
ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه
الى امراض وآلام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه
ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو قسمة ثانية اعلم ان الاسباب الدنيوية
مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب
والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه
وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه
الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا
له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه قسمة ثالثة اعلم ان
الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى ما هو مؤثر لغيرها والى ما هو مؤثر لذاتها ولغيرها
فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي
لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها والثاني ما يقصد
لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصى
بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في انفسها حتى
يجمعوها ويكنزوها ويتصارفون عليها بالربا ويظنون انها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا
فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره
ولا يزال مشتغلا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال والثالث ما يقصد لذاته ولغيره

كالصحة

كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله او ليتوصل بها الى
استيفاء لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان وان استغنى عن الشيء الذي يراد سلامة الرجل لاجله فيريد الانسان
ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته و
لغيره ايضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما من حيث
انهما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل
اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب
والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكون
بلاء في حقه ولا يكون نعمة قسمة رابعة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ
فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي
يستحسن في سائر الاحوال والشر ايضا ينقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق
ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمة واما في الشر
فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بألم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى
نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية
عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل
بالتعلم تألم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة
والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع
الاصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه نافع بالاضافة الى الاحوال
وقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يحين وقت هلاكه ورب
نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع للنفس في
نجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة واعني بهما
العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وغير ضروري كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه
قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه قسمة خامسة اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالا ضافة
الى الانسان من حيث اختصاصه بها او مشاركته لغيره فيها ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض
الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها
السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل
وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا الحكيم
وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا
تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ عنها
فتستثقل والحكمة والعلم قط لا يتصور ان يمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الآباد اذا رضي
بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وادباره واقل الامر فيه ان العلم
والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالا

والمال ينقص به والمال يسرق والولاية تعزل بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال
والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال وابدا والمال يجذب تارة الى الهلاك
وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما
قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق
يتبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة
العسل ويراه مرا واما لقصور فطنتهم اذ لم يخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا
يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته
اللبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلثة اما من لم يحي بعد باطنه كالطفل
واما من مات بعد الحيوة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم
مرض اشارة الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحي حيوة باطنة وكل حي بالبدن
ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء
عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثاني لذة يشارك الانسان بها بعض الحيوانات كلذة
الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات الثالث ما يشارك بها
ساير الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج
حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين
فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله
تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة
من القلب وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى
عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها
الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة
معرفة الله تعالى في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل
تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل
على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة
المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة
والمال وساير الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد
يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى الاوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية
ويعتريه في بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد
واما الثاني فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان
يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما يكون كثرته في الاعصار القريبة
من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة ويقضي الله
امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون

فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذى في ملك الآخرة فان الدنيا
مرآة الآخرة فانها عالم الشهادة والآخرة عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في
المرآة تابع لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها اولى
في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك
ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا
نوع من الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب
الملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت
فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر
فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شانها ان تطلع
على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك الها حجابا فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله
الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم يدرك مرة بادراك
يسمى علم اليقين ومرة بادراك اخرى يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين
قد يكون في الدنيا ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم
اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الآخرة فاذا قد ظهر ان القلب الصالح
لملك الآخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا تتمة سادسة حاوية لمجامع النعم اعلم
ان النعم ينقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية واما الغاية فانها سعادة الآخرة
ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل فيه وغنى لا فقر معه وهي
النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وقال ذلك مرة للشدة
تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون
الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسألك تمام
النعمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة واما الوسائل فتنقسم
الى الاقرب الاخص كفضائل النفس والى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني والى ما يليه في القرب
ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب
الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذا اربعة انواع النوع الاول وهو الاخص
الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم
المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك
مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع
اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي انزله الله تعالى على لسان رسوله صلى
الله عليه وآله وسلم اذ قال تعالى الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه
لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة
والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان

يخلو وزنه ويتحرج عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فاذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى اربع علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهي الفضائل البدنية وهي اربع الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربع المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي اربع هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ست عشرة اذ قسمناها الى اربع وقسمنا كل واحدة الى اربع وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل للوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري واما الحاجة النافعة على الجملة كحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود واما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح ح ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وآله وسلم نعم العون على تقوى الله المال وكيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم قال الغنى فاني رايت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رايت المريض لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له وقد ذكرنا فوائد الاهل في كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك من ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذا نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان به عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع عنه الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر

عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن ان نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهجرة فان قلت كرم العشيرة وشرف الاهل من النعم ام لا فاقول نعم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الائمة من قريش ولذلك كان النبي عليه السلام من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى ائمة العلماء والصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضائل البدنية فاقول لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وانما يستحقر من جملة امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالجاه والمال اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها والثاني ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان زمان ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولى بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والولد والاهل في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعلماء وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال علي عليه السلام في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك الامور على ما

فمن عليه [illegible] الثقل على وفق ما ظهر لسيما بالتأويل مرة وبالتخصيص اخرى فتنزع نعم معينة على امر
آخر فان الغرق لا سبيل الى نجاة الا ان فيها منافع ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع فان اصابها
المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها
السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر
بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان
خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وقال نعم العون على التقوى المال وكذلك مدح الجاه وامتن الله على رسوله
ان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل
والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده الجاه واجتلاب
القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا لاجل ذلك لان الناس اكثرهم جهال بطريق
الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب [illegible] فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول
الى ترياقه ويهلكهم تماسيح بحر الجاه قبل العثور على الجواهر ولو كانا في عينهما مذمومين بالاضافة الى
كل احد لما تصور ان يضاف الى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ولا ان يضاف
اليها الغنى كما كان لسليمان عليه فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون
وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو
اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله
غرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على
الصبر عن الترياق ولا يستضر بفقده ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب من
الحية اذا رآها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد
ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغطاس
لو علم انه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر وواجب عليه
ان ينهى عن الخوض بمرأى الصبي ولا يتقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء كالصبيان الاغبياء
ولذلك قال صلى الله عليه انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال صلى الله عليه انكم تتهافتون على النار تهافت
الفراش وانا آخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ الاولاد عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس
لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق
فيه الترياق وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا
عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع
في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى
الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله
فاما ان سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله صلى الله عليه
وآله وسلم ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن يروي هذا

الحديث

الحديث ويعطي [illegible] ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء استاذن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه في ان يخرج جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بان يطعم المسكين
ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها
بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها منتقيا داءها ومستخرجا دواءها
ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا يعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق
كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه الطريق فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية و
الرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغنى عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق
بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن
جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل
فخصص بمن يميل الى الباطل عن الحق وكذا [illegible] ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل شعر
اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة
الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته
حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد
الهداية ولذلك قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد يدخل الجنة
الا برحمة الله اي بهدايته فقيل ولا انت فقال ولا انا والهداية ثلاث منازل الاولى معرفة طريق
الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه
على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هي
الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي
تعمي الهداية ولذلك قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم و
رحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد يدخل الجنة
الا برحمة الله اي بهدايته فقيل ولا انت فقال ولا انا والهداية ثلاث منازل التي تعمي القلوب وان كانت
لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا
وجدنا آباءنا على امة وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وبقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء
هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء
الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى
اليه بالعقل الذي يحصل التكليف وامكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات
وهو الذي شرفه الله بتخصيص الاضافة وان كان الكل من جهته فقال تعالى قل ان هدى الله هو

المعنى بقوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وأما الرشد فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل والرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها فالصبي إذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره فقد أعطي الهداية وتميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليسدد في صوب الصواب في أسرع وقت فإن الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى إذ أيدتك بروح القدس وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن تثبت إلا بما خوله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا ويستدعي تلك الأسباب أسبابا إلى أن ينتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء

اعلم أنا جعلنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد الأسباب للصحة فلنذكر من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل ولا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الإرادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض

وهيأ له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه لو أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس لم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا وأن يكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يماس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران عند جريان الحركات لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا فإن البهيمة يحتال عليها فتؤخذ ولا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص إذا قيدت وقد تلقي نفسها في البئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما يلذها في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهي العقل فيه تدرك

مضرة الاطعمة ومنفعتها ولما ضربنا لك المثل ويتبرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واسبابها فينقطع بعمرك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس نعاية العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة افضاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فايدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار والموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروايح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما حقايق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والامين سلم الانهاآت اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاوها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله تعالى عليك في الادراكات ولا تظن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشرة او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز الاطباء والكحالون عنه فهذا من حس واحد فقس بحاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان يستوفى في حكم الله تعالى وانواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر اعضائه وعجائبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك يسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تعالى الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسفله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فتبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجايب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين

والعروق

والعروق السالكة اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المراة من الترايب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزايها الى راس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الاعضاء لقضيت من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدا خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده كيلا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تاتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ منك كل ما حصلته الغذاء فان كل واحد يشتهي ما في يدك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم لا يكفيك هذا اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق الله لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهايم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سميناها هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا

الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة والآت الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب منه وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد منه مريد له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يديه او لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات الحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوايم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوايم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان تمتدان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها او ثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة الضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها رؤوس الاصابع حتى لا تتفتت ولتلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها برؤوس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد ان يكون

من الطاهر وحلين اليه حتى يدخل الطعام منه بجمل الفم منفذا الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة
واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان
وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس
والى حادة الراس قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك
الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب احدهما على الآخر مثل تصفيق
اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب
صنع الله فان كل رحى صنعه الخلق يثبت منها الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا النوع الذي صنعه
الله تعالى اذ يدور منها الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك
وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان او كيف تستجره الاسنان الى نفسها او
كيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف انعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم
ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من
فوائد الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو
يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان تزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق تحت اللسان عينا
يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن به الطعام وانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام
من بعيد فتثور المسكينة الخدمة وتصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا
الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمد
فتجذب الطعام فانظر كيف هيا الله تعالى المرئ والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام
ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطة فيهوى الى المعدة في دهليز المرئ فاذا ورد الطعام على المعدة
فهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد ان يطبخ طبخا تاما حتى
تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال
لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد
ومن الايسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء
من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك
يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى
من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم
حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وتنتشر
في اجزائها حتى يستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة
الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان
كما يتولد من جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهي الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة
وهي الصفراء ولو لم تنفصل عنهما الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل
واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال

العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر
في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من
كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقها ليس داخلا في تجويف الكبد بل
متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في
الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا
من الفضلات الثلث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد
الطلوع اقساما وقسم كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من القرن الى القدم ظاهرا وباطنا
فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاشجار والاوراق
بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء ولو حلت بالمرارة آفة فسد الدم
وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي
حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف
رتب منافع على هذه الفضلات الثلث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق
آخر الى الامعاء ليحصل به في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذع يحركها فتنضغط
حتى تندفع الثفل وينزلق ويكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها
فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها و
يخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تغتذي مما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة
ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد
الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب
من القلب الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن
وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها
وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الآدمي آلاف من
العضلات والعروق مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة
او ثنتان او ثلث او اربع الى عشرة وزيادة وكل ذلك نعمة من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك
او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله اولا لتقوى بها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة
الله الا الاكل وهو اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام
ويشتهي فيجامع ويستريح فيقعد ويرمح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم
بشكر الله تعالى عليك وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله تعالى فقس
على الاجمال ما اهملنا من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة
الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة من بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها و
ادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة

العروق الضوارب ولا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج
اليه من قوة حس وادراك وقوة وحركة وغيرها كالسراج الذي يدار في ارجاء البيت فلا يصل الى جزء
الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا
له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب
له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحيوة الظاهرة في ساير
اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفاء السراج الروح
ايضا ينقطع مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي
السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب
فينطفي مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى الروح به كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا يتشبث به النار
وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كهبوب ريح او اطفاء انسان
فكذلك انطفاء الروح تارة يكون بسبب من خارج وهو القتل كما ان انطفاء النار بفناء الزيت او بفساد
الفتيلة او بريح عاصف او باطفاء انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل
ذلك بقدر وكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله
الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفاء اظلم البيت كله فالروح
اذا انطفاء اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات
القدر والارادات وساير ما يجمعها معنى لفظ الحيوة فهذا ايضا نموذج الى عالم آخر من عوالم نعمة
الله تعالى وعجايب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
فتعسا لمن كفر بالله وتعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه على هذا
الوجه فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعاني كثيرة لا
نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده
وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا اخذ بعض الاعضاء
علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب في
مواضع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطافته ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى
من القلب الى ساير الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء نازل سهل واما الروح التي هي الاصل وهي
التي اذا فسدت فسد لها ساير الجسد فذلك سر من اسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا ان
يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير
فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات
ويتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المتقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك
بالعقل شيء من صفته بل بنور آخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية ونسبته
الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقول

لان ذلك طور لم يبلغه بعد كذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه
بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك
المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي
مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن
على العتبة جواز ولا لحاظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من
المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة الاطباء
ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة
التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن ادرك الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان
كمن راى الكرة فظن انه راى الملك ولا شك في ان خطاه فاحش وهذا الخطا الخفي منه جدا ولما كانت
العقول التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن
الله تعالى لرسوله صلى الله عليه ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في
كتابه من حقيقة هذا الامر شيا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله من امر ربي واما
فعله فقد ذكره في قوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي ولنرجع الى الغرض فان المقصود ذكر الله في الاكل وقد ذكرنا بعض نعم الله في آلات الاكل

الطرف الرابع في نعم الله في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمي بعد
ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى
وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل
ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع ساير الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها لفنيت
وبقيت جايعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بجميع حاجتك فخلق الله
تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما فارقك في الحس والحركة
ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يتغذى بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تتغذى انت وتجتذب
ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذايه فنقول كما ان الحشب
والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص
بدليل انه لو تركتها في البيت لم تزد لانه لم يحط بها الا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في
البيت لم تزد لانه لم يحط الماء لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج
ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركه في ارض ندية صلبة متكاثفة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركه في ارض
لا يتحرك الماء بنفسه فيحتاج الى الريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه
الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما الفاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض
ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد
بان احتياج غذايه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد فتحتاج الماء ليساق الى ارض الزراعة

الى البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون والانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الارض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل من الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فيفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر والكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة اذا اظلتها شجرة كبيرة تفسد وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك للقمر بالليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وكما انه ليس في اعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك في دركها كافة الخلق لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس بقادح في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالة حمي الهواء على طلوع الشمس وان سالت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار بعضها معلومة وبعضها مجهولة فالمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها والمعلومة بعضها معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس

كحصول

كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى السماء وقرا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرأ ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات والارض والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله فان من احب عالما لم يزل مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنعه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات

الطرف الخامس في نعمة الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انهم لا يغنيهم شيئا في غالب الامر بل يجمعون فاما ان تغرق بهم السفن او ينهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فياخذها السلاطين واحسن احوالها ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الاخطار ويغرروا بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للحمل والركوب في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سخرهم الله بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر يحملون اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتامل ما تحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها وما تحتاج اليه السفن وقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر تركناها طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما

ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه ثم بعد
ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم
الخبز فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكرها وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات
التي يحتاج إليها من الحديد والحجر والخشب وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن
والخبز من نجار وحداد وغيرهم وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق
الله الجبال والأحجار والمعادن وكيف جعل الأرض قطعا متجاورات مختلفة فإن فتشت علمت أن رغيفا
واحدا لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي
يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا
طلبه [illegible] منها الألف صانع كل صانع صناعته أصل من أصول الصنائع التي يتم بها مصلحة الخلق
ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس
الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا أن تمر على يدي الإبري خمسة وعشرين مرة
يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل الذي تحصد به
البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة
لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر إلى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق
أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله طريق اتخاذه بفضله وكرمه
لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي
يعمل بها المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتي أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في
إصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من [illegible] ذوي البصائر العميان فسبحان من منع الشيء
مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخس العمال
ودون الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها
فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة
أيضا فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء. في إصلاح المصلحين
اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش
لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد
فانظر كيف ألف الله بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم
فلأجل الألفة وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة
متجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤها ثم هذه المحبة تزول بأغراض
يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك مما يؤدي إلى التقاتل
والتنافر فانظر كيف سلط الله السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعبهم في قلوب
الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلاد
كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض ورتبوا الرؤساء والقضاة والسجن و

وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع
بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وحتى صار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام
وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم وانضباطهم واجتماعهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون
جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الأنبياء حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا
وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة
والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به إلى صلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين وانظر
كيف أصلح الله الأنبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرب الذي
لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يطحن الحب والحراث يصلحه بالحصاد و
الحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات
الأطعمة والسلطان يصلح الصناع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين و
الملائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال
ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله و
كرمه إذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة
من نعم الله تعالى ولولا عزلنا إيانا عن أن نطمع بعين الطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوقنا إلى طلب الإحاطة
والاستقصاء ولكنه زجرنا بحكم القهر والقدرة فقال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فإن تكلمنا
انبسطنا وإن سكتنا فبقدره انقبضنا إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى إلا أنا في كل لحظة من لحظات
قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله
الذي ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار الطرف الثامن في بيان نعمة الله في خلق
الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من معرفة الملائكة بإصلاح الأنبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي إليهم ولا تظنن
أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وتفاوت مراتبها تنحصر بالجملة في
ثلاث طبقات الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع إلى
الأكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء
بدنك بل من أجزاء النبات لا يتغذى إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى
ما وراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير
دما في آخر الأمر ثم يصير لحما وعظما فإذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة و
معرفة واختيار فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها كما أن
البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مخبوزا إلا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا
وعصبا إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة فأقول لا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في
جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم أو العظم والعرق ولا بد
من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم

وما اكتسب صفرة الدم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا يتم ما يجري على المقادير في الالصاق ويلحق الاستدارة
ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يزيل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر
حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت
صورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى
العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما سمن بعض المواضع
وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في قسمته والتقسيط ضاف الى راس الصبي وهو صبي
بعينه من الغذاء ما يوصله الى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر ويكبر الراس
البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه راس واحد كانما راس صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فهذه
جنس الهندسة في القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه يهتدي الى كل هذه
فمحيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت
في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء
من اجزائك التي لا تتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك كما تفصيل
ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد
والهداية والتسديد المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات و
الارضين واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب يتحرك من جانب الى جانب اكثر
من ان يحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد
ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحن اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة
ثانيا الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرقها
رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به
فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من
واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد
واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في
تعين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات
ولا الشم يزاحمهما ولا هما يزاحمان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا
فتزاحم بها اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي
يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل وسببه اختلاف
صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى
الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل
هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا
اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال

للمخالفة فيهم يمكن ان يشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن
الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق
متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة
فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هي نعمة الله عليك في الملائكة الارضية والسماوية و
حاجتك اليها في غرض الاكل فقط ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه
طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات
فاذا قد اسبغ الله عليك النعم ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم
مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلب هو
الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم بالجوارح شكر النعمة الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في طرفة
عين واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة الله تعالى عليه في السموات والارض
والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد ثم قد تم بها انتفاعه وان انتفع غيره ايضا فان لله
في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة
باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعر اسود ونعمة
الله في ترتيبها صفا واحدا ان تمنع الهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر في
الهواء ولله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها ولله في اشتباك الاهداب
نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما
يتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيمنع وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد
البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة
للمراة فتطبقها مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان
والذباب لما لم يكن له جفن خلق له يدان فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار و
اذا تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لانه يفتقر الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له
كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجايب صنع الله فلنرجع الى غرضنا فنقول
قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا بالراس ولا
الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس و
القمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط بعضه
بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة الله تعالى في الوجود من منتهى الثريا
الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار
ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم
يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها
وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه
الا ان يتبع السيئة حسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه

اوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلم اما من عبد من الآدميين الا وله ملكان فاذا شكرني على نعماي قال
الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر وكن من الشاكرين تكن بهما فكفى بالشاكرين علو
رتبة عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في
كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان
المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجتمع روح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لانقطع
حياته بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة
قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء
من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلم
حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي
نعمتان ان لينت اصلها وان طمست راسها وكذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعمة الله عز وجل الا
في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه
من النعم فان البصير لا يقع بصره في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه
فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر الخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم
ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله
ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع
من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها
اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك
لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه
اختصاصا فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء
عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار او في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي
واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا
على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة
في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره
وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عمت الخلق وبذلت في جميع الاحوال فلم يعدها الجاهل نعمة
وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك خصاص
ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق اليه الاختصاص
من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكا بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر
واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال ايسرك انك اقطع
اليدين والرجلين ولك عشرون الفا قال لا قال ايسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال
اما تستحيي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى

ضاق به ذرعا فرأى في المنام كان قائلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال
لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة ما يبلغ مائة الف وانت تشكو
فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه فقال عظني فقال لو لم
تعط هذه الشربة الا ببذل جميع مالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تعط الا تعطيه صح
بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله على العبد
في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة
نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن
النظر في احواله راى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير
من الناس وربما لا يشاركه فيها احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلثة امور في العقل والخلق والعلم
اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقل من يسأل
الله تعالى العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده
انه اكمل الناس عقلا فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه
يعتقد انه كذلك فهو نعمة فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث
لا يدري بقي فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى
من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يرى نفسه بريا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير
فينبغي ان يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلي غيره بالخلق السيء واما العلم فما من واحد الا و
يعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به لو انكشف الغطاء حتى اطلع عليه احد
من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع عليه الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله
فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر على القبيح واخفى ذلك عن اعين
الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا
اما في بعض الامور فلننزل عن هذا الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله
في صورته وشخصه او اخلاقه وصفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او
جاهه او في سائر محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان
جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان هذه
خصائص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له امور لا يبدلها
باحوال الآدميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به
الاكثر فان كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا
يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذا لله تعالى عليه نعمة ليست له على احد
من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة
يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري
نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لا

نفسه على سنة يتعارفونها تعتقد أنها بائن فيه الفساق كثيرة فينظر أبدا في الدين إلى من هو دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله عز وجل صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا إلى من فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فإذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به من قبل الله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك وكذلك قال صلى الله عليه من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله وهذا إشارة إلى نعمة العلم وقال صلى الله عليه إن القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صلى الله عليه وآله وسلم كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى إن عبدا أغنيته عن ثلاث لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وعن طبيب يداويه وعما في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا شعر

إذا القوت تأتى لك والصحة والأمن ... وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله تعالى في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من الشرق إلى الغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بغمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا يكون ما بقي الزمان إذ ما خلقت الدنيا ولذاتها إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليه واستعصت كالمرأة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت كالمرأة الجميلة ظاهرها عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقع أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن يقول المعرض عن الدنيا تألم بالصبر عنها فإن المقبل عليها أيضا تألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض يفضي إلى اللذة في الآخرة وتألم المقبل عليها يفضي إلى الألم في الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فإذا إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعمة الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فإن قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله تعالى فعساها تشكر

فاعلم أن للقلوب إما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصت بها أو أشعرت بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبدا إلى من هو دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أن أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه ظاهر فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما تشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله في بقية العمر بل في الإمهال في كل نفس من الأنفاس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج القلوب الغافلة لتشعر بنعمة الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستظهر بهذا الطريق تأكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا وكان يضع غلا على عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي أن يعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله عز وجل على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذا تمام الركن الثالث من أركان الشكر

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلا فما معنى الصبر إذا وإن كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى المدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عنه والصبر يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن لله في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه آخر فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وإما أبدا وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي

تفضي الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في
الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان
الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وهكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم قد لا يعلم الكافر
انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية او غيرها فلا صبر عليها والعاصي يعرف انه عاص فعليه
ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول
العطش حتى عظم بلاؤه والله لا يؤمر بالصبر بل يؤمر بان يزيل الالم وانما يجب الصبر على الم ليس الى العبد ازالته
فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجتمع
عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله
فيقتل ويقتل اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز ان يصير بلاء ولكن
بالاضافة الى حالة فرب عبد يكون له الخيرة في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال
الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تبارك وتعالى ان الانسان ليطغى ان
رآه استغنى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحمي العبد من الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه وكذا
الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان والخلق الحسن
فانه يتصور ان يكون في حق بعض الناس فيكون اضدادها نعما في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة
فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد في بعض الامور بلاء وفقدها نعمة مثاله جهل
الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه عيشه وطال بذلك غمه وكذلك جهله
بما يضمر الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه وحقده وحسده
واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه ابغضه وآذاه وكان
ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالصفات المرضية والخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة
عليه فانه ربما يكون وليا لله وهو يبغض الى ايذائه واهانته ولو عرف وآذى كان اثمه اعظم لا محالة فليس
من آذى نبيا او وليا وهو يعرف كمن آذى كان اثمه اعظم لا محالة فليس من آذى وهو لا يعرف ومنها
ابهام الله تعالى امر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة الجمعة وابهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان
هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث
قلنا ان لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل احد ولا يستثنى عنه بالظن الا
الآلام التي يخلقها في بعض الناس فهي ايضا قد تكون نعمة في حق المتألم وان لم تكن نعمة في حقه كالالم
الحاصل من المعصية كقطعه يده وتشويهه بشرته فانه يتألم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهي
نعمة ايضا ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله عز وجل
خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة انما
تتضاعف اذا تفكروا في آلام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم
اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم
في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما

ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او
بعضهم فاذاً في خلق الله البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى فاذاً كل حالة لا توصف بانها
بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما
متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه
ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل
فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان
كل مصيبة ومرض يتصور ان يكون اكثر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله و
زادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر اذ لم تكن اعظم منها في الدنيا الثاني انه كان يمكن ان تكون
مصيبته في دينه قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان
قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم
لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ
لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم الرضا فيه واذ كنت ارجو الثواب عليه وكان لبعض
ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له اشكر الله فضربه فقال اشكر الله فجيء بـ
مجوسي وقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله وكان
المجوسي يحتاج ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه
بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي على وسطه
على وسطك ماذا كنت تصنع فاذاً ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تأمل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا
في حق مولاه لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة
سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فترك احداهما فهو مستحق للشكر
ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له
ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقال بعضهم الا تخرج الى
الاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت كيف
افرح وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر
قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العذاب والعقاب كما قال تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منه ورب خاطر بسوء
ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك
قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد
اخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله على ذلك وهذا هو الوجه الثالث
وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر
تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب
التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانية اذ قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله
اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لابد من وصولها
اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها
فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدواء الكريه نعمة في
حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم
والادب وكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز
الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا
لهلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله فما من شيء من هذه
الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله في
ويعتقد فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكر
العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلاء كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه
اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية
الآباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصني فقال لا تتهم الله في
شيء قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وآله وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى
للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب
النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور وهو اتمة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة توجب
طمانينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته
واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا
عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه الدنيا سجن المؤمن و
جنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله فلم يرد الا الحيوة الدنيا ورضي بها واطمان اليها والمؤمن كل
منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب
الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في
البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة
الى الحجامة بمن يتولى حجامتك او مجانا يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر
على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في
المآل بل من دخل دار ملك للنظر وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار
كان ذلك بلاء عليه لانه يورث له الانس بمنزل لا يمكن المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من
ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفر عن المقام لخطر كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل
وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو
بلاء وكل ما يزعج قلبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء
ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا

يوقن بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس
على ابيه رضي الله عنهما فقال اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر الراس خير من العباس اجرك
بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر
على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه
وآله وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل
ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه و
آله وسلم ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني
خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى من سلبته كريمتيه فجزاؤه
الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه
واذا ابتلاه صبره وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل الا
بتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت رضي الله عنه قال اتينا رسول الله صلى
الله عليه وهو متوسد برداء له في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصره
فجلس محمارا لونه ثم قال ان من كان قبلكم يؤتى بالرجل فيحفر له بالارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على
راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي عليه السلام قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما
فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا رضي الله عنه من اجلال الله ومعرفة حقه
ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه تولدون للموت وتعمرون للخراب
وتحرصون على ما تفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلث الفقر والمرض والموت وعن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله عز وجل بعبد خيرا واراد ان
يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثانيا
قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثالثا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا
تسالني شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان
يوم القيمة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلوة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل
البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود
اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من
الثواب وذلك قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال شكا
نبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه
البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من
الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته و
يكون الكافر له حسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني
فاجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف

الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك
اللأواء الست تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك وعن عقبة ابن
عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحبه وهو مقيم على معصيته
فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اي اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن البصري رحمة الله عليه ان رجلا من الصحابة رضي الله عنهم
راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حايط فاثر في
وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال النبي عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه
في الدنيا وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله تعالى قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصايب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في
الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة وعن
انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة غيظ
ردها بحلم وجرعة مصيبة صبر الرجل لها ولا قطرت قطرتان احب الى الله من قطرة من دم اهريقت في
سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله تعالى وما خطا عبد خطوتين احب
الى الله تعالى من خطوة الى الصلوة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال توفي
ابن لسليمن بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي
الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده وقال للآخر ما تقول قال اخذت
في الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمن ولم بذرت في الطريق
اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب
سليمان الى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان
تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحب احب الي من ان
يكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله
ومؤنة كفاها واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله قال الله تعالى و
استعينوا بالصبر والصلوة وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي تعزيته فقال ينبغي للعاقل
ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذا وقال بعض العلماء ان
الله تعالى ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وماله ذنب وقال الفضيل ان الله تعالى
ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله وقال حاتم الاصم ان الله يحتج على الخلق يوم القيمة
باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمن عليه السلام وعلى الفقراء بعيسى عليه السلام وعلى العبيد
بيوسف عليه السلام وعلى المرضى بايوب عليه السلام وروي ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من
بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا ان
انّ فاوحى الله تبارك وتعالى اليه يا زكريا ان صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة
فعض زكريا على الصبر حتى قطع شطرين وقال ابو سعيد البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب

صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد
الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط و
قال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى
قلتها ثلثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلثين سنة ما
علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكو الى ملائكتي
اذا صعدت مساويك وفضايحك بيان فضل النعم على البلاء لعلك تقول هذه الاخبار
تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسال الله البلاء فاقول لا وجه لذلك لما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يستعيذ في دعايه من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة
وكان يقول هو والانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة و
كانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وقال علي عليه السلام اللهم اني اسالك الصبر فقال لقد سالت الله
البلاء فسله العافية وروى الصديق رضي الله عنه عن صاحبه صلوات الرحمن عليه انه قال سلوا الله
العافية فانه ما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض
الجهل والشك وعافية القلب اعلى من عافية البدن وقال الحسن الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر
فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر و
قال صلى الله عليه وآله وسلم في دعايه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا
لان البلاء صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منه اما في الدنيا او في الدين والآخر
بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسال الله تمام النعمة ودفع ما فوقه من البلاء ويسال الثواب
في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال
بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار وقال سمنون وليس
لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون ابتلي
بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب يقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب
واما محبة الانسان لان يكون هو في النار دون ساير الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى
يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم
ان ما غلب عليه حالة لا حقيقة لها فلا تسمعه من هذا الفن فهو كلام العشاق الذين افرطهم وكلام
العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما روي ان فاختة كان يراودها زوجها فمنعته فقال لها ما الذي
يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمن ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمن عليه السلام فعاتبه
فعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد
لما يريد وهو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي
يرد لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه
الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال المحبوب و
الوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين

يترك الدرهم في الحال الثاني ان يصير رضاه عنه مطلوبا من حيث انه رضا فقط ويكون له لذة في استشعار رضى محبوبه عنه تزيد تلك اللذة على لذة شاهد مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا ولذلك قد انتهت حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضي الله عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير شعور بالرضا فهؤلاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة

الافضل من الصبر والشكر اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل من الصبر وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش تحقيقه وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم في مخاطبة العوام اصلاحهم والطير المشفقة لا ينبغي ان تلقي فرخها الصغير الى الطيور السمان وضروب الحلاوات بل بالتدريج وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه فنقول هذا المقام في البيان لا يحتاج الى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله اذا اضيف اليها ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة في التفضيل كقوله صلى الله عليه وآله وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اما ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكر وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله صلى الله عليه وآله وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكره صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر وكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن وابدا المشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم قسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان ولا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه

وفي لفظ آخر يدخل سليمان بعد الانبياء باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب النبي صلى الله عليه وسلم وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم **المقام الثاني** هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة بل يجب ان يفرد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسام وشعب كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة فغايتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة واما بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهي افضل واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعدادها لان يحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول

الصلوة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن
التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراجه درهما افضل من قيام
ليال وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعه الشبع عن صفاء الفكر
في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المغرور اذا لم يكن حاله هذه الحالة فليس يستضر بشهوة
بطنه ولا هو يشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله اللايق بها الى حالة غير لايقة
وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فانه لا ينتفع به بل حقه ان ينظر في المهلك الذي
استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيله صيام مائة سنة وقيام الف ليلة منه
الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه ولذلك باعتبار
هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطاء اذ لو قال لنا قائل الخبز افضل
ام الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان الخبز للجايع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان
الاغلب هو العطش فالماء افضل فان تساويا فهما متساويان وكذلك اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر
لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء قلنا عدم الصفراء لان السكنجبين
مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حالة
وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتهيئة القلب بسبب خروج الدنيا منه لمعرفة الله وحبه
فالافضل المعرفة ثم دونها الحال ثم دونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى
طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل
الانفاق افضل من الاحوال فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه وعلى انه
افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو
كبرص على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل
الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول البرص
فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهي لا برص فيه ولنضرب
مثالا اقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم او القرآن واراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول
عنه وعلم انه لو امره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بي الى التكرار والدراسة لانه
يظن ان ما حفظه في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بجميل
ليتوفر دواعيه على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن وانه قد
استخدم لتعليمهم فيثقل عليه الامر فيقول مالي قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد وهو اعلم
ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي لو فقد هولاء العبيد فضلا عن عدم
علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه
فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طايفة وسلكوا طريق
الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار

واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فقالوا لو شاء
الله ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء
اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهولاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين
والفقراء قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا ولا في اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما
هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات صفة العلم
في نفسه وتاكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا في استجراره
الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فهذا المسكين الاخذ للمال
لو استطال المال بسبب البخل وحب الدنيا من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن
كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصبغ شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن
خبايث الصفات امتنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اخذها ونهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها
اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها فالمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في
ربع المهلكات والقلب بحسب تاثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون
الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى خصوص ما نحن
فيه من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان يقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل
في الآخر بل يقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر
بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر
ان يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا ان اعتبرنا في البلاء والمصائب وقد بينا
ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة هو عين الشكر
على الطاعة لان الشكر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى
واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث
الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة
فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجاري الصبر الطاعة
والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية اما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان تقع ضرورية
كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان
لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث
العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والثاني ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين
لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميلة فصبر كان
شاكرا لنعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من
صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل بها الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل
من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلم مثلا وكان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى وغيره عليهم السلم
لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك كلحم

على وضع وذلك محال جداً لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء وفي الزيادة نعمة وشكرها ان يصرفها الى الخيرات او ان لا يستعملها في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرفها الى الطاعة فالشكر افضل لانه يتضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله وفيه احتمال الم في صرفها الى الفقير آخر وترك صرفها الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر هاهنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وحسن الصبر على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكن اقتصر على المباح والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي يصدر عنها صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي تدل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الاخبار انما يريد به هذه الرتبة على الخصوص فان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذاً الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي يفهمه العامة افضل من الشكر الذي يفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في اثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنين قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه ولم يرد سواه وقد كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجهاً في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة فقير حتى يصرف اليه ثم اذا صرف [illegible] فهذا افضل من الصبر [illegible] فهذا اشق على النفس والفقير يحمل عليه الفقر لان هذا يستشعر [illegible] وذلك يستشعر الم الصبر وان كان [illegible] الم فراق المال [illegible] لان ذلك في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي [illegible] ماله عن رغبة وطيب نفس اكثر حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما ينتزعه عن نفسه قهراً وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فالايلام للنفس ليس مطلوباً لعينه بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابراً على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مولماً في حقه لذيذاً عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذاً وقد كان مولماً له ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين في البداية بل قبل البداية كالصبيان اطلق الجنيد القول بان الذي يولم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق واذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التحقيق فتفصل فان للصبر درجات واولها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب يفرح به وكذلك الشكر درجات كثيرة نذكر اقصاها ويدخل في جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وستره على عباده شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله تعالى وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا ذلك في كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول شكر واستعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا يحصى آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما في الاخبار والآثار وقد روي عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الاسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة ان لو لم يجمع الله بينهما فانسب صبر الفرقة الى شكر هذا الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذاً لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم والحكم ٥ تم كتاب الصبر والشكر ويتلوه كتاب الخوف والرجاء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله اجمعين وسلم تسليماً

كتاب الخ[illegible] جامع ر[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي

اعمالهم وصرف بسياط التخويف وزجر التعنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم
عن التعرض للاثمة والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة اللطف
واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيائه وخيرة خليقته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد
فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة
كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره
القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا
بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما
وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعانقهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على
شطرين الشطر الاول في الرجاء والثاني في الخوف فيشتمل على بيان حقيقة
الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به يجتلب الرجاء

بيان حقيقة الرجاء

اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت
واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى
سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام والذي
هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الان حقيقة
الرجاء فالرجاء ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسم للحال من جملة
الثلثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب ينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر
في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر ببالك موجودا في الحال سمي
وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر بقلبك وجود شيء
في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب
يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب
وارتياح يسمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك
المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق
وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم
تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب
وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت
الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد
علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية
مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق
بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو
زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي
ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن

ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما
يمنع نبات البذر في الارض او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى
ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا يصيب اليها
ماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر
في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا
لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهد جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم
يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث
بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات ونقى القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته
على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له
على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في تمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده
بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره
حمق وغرور قال صلى الله عليه وآله وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف
من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته
وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا
العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول
الجنة فاما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبول
التوبة اذا كان كارها للمعصية وتسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة
ويشتاق اليها فحقيق ان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى
السبب الذي قد يفضي الى التوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى
التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان
غيرهم ايضا قد يرجون ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه
عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على
ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء
العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين
بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت
انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان
فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض
وتعهدها وتنقية كل حشيش نبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده
الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك

لا محالة تفسد الارض والتعب في تمهيدها والرجاء محمود لانه باعث واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف
عن العمل والخوف ليس بضد الرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء
باعث بطريق الرغبة فاذاً حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت
الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال
لا بد ان تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك او شخصاً من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان
كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا
هو البيان لحال الرجاء ولما اثمر من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثمار لهذه الاحوال حديث
زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جئت لاسالك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن
لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا
فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك للاخرى هيأك لها ثم لا
يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وآله وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مراداً
بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم ان العمل على الرجاء
اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم اليه والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم
احدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما وقت
الموت قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب عليه السلام ان الله اوحى
اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب
ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن احدكم الا و
هو يحسن الظن بالله وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء و
دخل صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة
ربي فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف
وقال علي رضي الله عنه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك
وقال سفيان من اذنب ذنباً فعلم ان الله تعالى [illegible] فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال الله
تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما
منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس فيقول الله تعالى
قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلاً كان يداين الناس ويسامح ويتجاوز عن المعسر فلقي الله تعالى ولم
يعمل خيراً قط فقال الله من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه انه يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات
وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة
لن تبور ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم الى الصعدات
تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبرئيل عليه السلام فقال ان ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادي
فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام ان احبني واحب من يحبني و
حببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني

وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورؤي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب
الرجاء فقال اوقفني الله تعالى بين يديه فقال لي ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى
خلقك فقال قد غفرت لك ورؤي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني
بين يديه وقال يا شيخ ضيعت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت
عنك قال [illegible] عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم
عن جبرئيل عليه السلام عنك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال الله
صدق جبرئيل وصدق نبي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت
انت قال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلاً من بني اسرائيل
كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله عز وجل يوم القيامة اليوم اؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي
منها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلاً يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول
الله تعالى لجبرئيل اذهب فأتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله عز وجل له كيف وجدت
مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تعالى الى اي شيء
تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل
على ان رجاءه سبب نجاته

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب

اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه
الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى
طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع
الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سموماً في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي
هو شفاء لمن غلبت عليه البرودة وهو سم مهلك لمن غلبت عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية
الخوف والاسباب المهيجة له ولهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظراً الى مواقع العلل معالجاً لكل
علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور
اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط و
هذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف ايضاً تكاد ان
لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على
القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيف ما
كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد فساداً وازداد المنهمكون في طغيانهم تمادياً قال علي رضي الله عنه انما العالم
الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس
او فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فانهما مشتملان
على الخوف والرجاء جميعاً لانهما جامعان لاسباب الشفاء في حق اصناف المرضى ليستعملها العلماء لا الاخرق
الذي يظن ان كل شيء من الادوية صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين احدهما الاعتبار
والآخر استقراء الآيات والاخبار والآثار اما الاعتبار فهو ان تتامل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم في كتاب

الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمته التي اودعها في فطرة الانسان حتى اعد له في
الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالآلات الغذائية وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما
هو للزينة كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا يثلم
بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزيد جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال
الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايا والمزايد في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد
واذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال
من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت ابدا او لا يحشر اصلا فليس كراهيتهم العدم الا لان
اسباب النعم اغلب لا محالة وان الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حال نادرة وواقعة هائجة غريبة
فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله تعالى لا تجد لها تبديلا فالغالب
ان امر الآخرة كذلك يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف
عليهم فهذا اذا تأمل حق التأمل قوي به اسباب الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكم الشريعة وسنتها
في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من اعظم
اسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل
من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول آية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه
فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه الفن الثاني استقراء الآيات والاخبار وما ورد في الرجاء
خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال
تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه
وانما خوف بها اولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده
وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي
كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون
ارجى آية في كتاب الله تعالى قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن اهل
البيت نقول ارجى آية في كتاب الله تعالى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار فقد روى
ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في
الدنيا الزلازل والفتن واذا كان يوم القيامة دفع الى كل واحد من امتي رجل من هذه الامم اهل
الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم
فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن
من النار ويروى في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه
اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم وروي عن النبي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا

يطلع

يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري
لئلا تنظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم اما حياتي
فاسن لكم السنن واشرع الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه
وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبرئيل عليه
السلام تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله
عليه وآله وسلم رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول
الجنة وقال العلماء قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر الله تعالى يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدي اذنب ذنبا
فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ
ذنوبه عنان السماء غفرتها ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا
لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان
تاب واستغفر لم يكتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة
حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى انس
رضي الله عنه في حديث انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب
عنه قال محي عنه قال فان عاد قال عليه السلام يكتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي عن صحيفته
قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله وان الله تعالى لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار
فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها
الله تعالى الى سبع مائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه خطيئة واحدة ووراءها حسن
عفو الله تعالى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد عليه ولا اصلي الا
الخمس لا ازيد عليها وليس لله عز وجل في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة و
الكذب وعينيك من اثنين النظر الى ما حرم الله تعالى وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي
هاتين وفي الحديث الطويل لانس رضي الله عنه ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال
الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وآله وسلم ضحكت يا اعرابي
فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال صلى الله عليه وآله وسلم صدق الاعرابي الا لا كريم اكرم من الله
هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها
حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون
كلهم اولياء الله تعالى اما سمعت قول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض
الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله اكرم مع
تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله تعالى انما خلقت الخلق ليربحوا
علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي خبر آخر يقول الله تعالى انما خلقت الخلق وفي خبر ابي سعيد الخدري عن

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما خلق الله شيئا إلا خلق ما يغلبه وخلق رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور إن الله تعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا إله إلا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وفي خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال تدرون أي يوم هذا يوم يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعدما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله عز وجل إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر الأول لما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر فعلى الوعاظ أن يقتدوا بسيد الوعاظ فيتلطفوا في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وإن لم يراعوا ذلك كان ما يفسدون بوعظهم أكثر مما يصلحونه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم وفي لفظ آخر إنه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنب قيل وما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه وفي الخبر إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السماوات والأرض ثم قال فلا يهلك على الله إلا هالك وفي الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وقال صلى الله عليه وآله وسلم اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله وقال صلى الله عليه وآله وسلم إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال صلى الله عليه وآله وسلم أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا إصرا وقال تعالى ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه أنه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبرئيل وما الصفح الجميل قال إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبرئيل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه فبكى جبرئيل وبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبعث الله إليهما ميكائيل وقال إن ربكما يقرئكما السلام

ويقول كيف أعاقب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى وأما الآثار فقد قال علي رضي الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب إلى الأسود بن سالم بخطه إن العبد إذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له وقال إبراهيم بن أدهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لطار في الملكوت ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخي سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تغتروا وإن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ينتظرون حتى أرجع إليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة رمي بها في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث إن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره وكان يقول دعني وربي أبعثت علي رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب وقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت عليه دنياه وآخرته وروي أن لصا كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فمر عليه عيسى وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد قال وأحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي إلى جنبي فضم نفسه وتقدم إلى عيسى فمشى إلى جنبه فبقي اللص خلفه قال فأوحى الله إلى عيسى قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من عملهما أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فأخبرهما بذلك وضمه إليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن مسروق أن نبيا من الأنبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض البغاة حتى ألصق الحصى بجبهته قال فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تتألى علي في عبادي إني قد غفرت له وقريب من هذا ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تعنت على المشركين ولعنهم في صلوته فنزل قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى جماعة اوليك الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول الله انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه ومن يخدم رجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن في حسابكم ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي مع الاعمال لاني اعتمد على عفوك فكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابرهيم الخليل عليه السلم فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله اليه يا ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابرهيم يسعى خلف المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال له المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم ورأى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا ورأى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج رأى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار يقول اين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسأنا قال فاعاد السؤال كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور ثم قال والاخرى فقال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال والاخرى فقال ان يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال والاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال سيده لم ابطأت فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سألت لنفسي العتق فقال له اذهب فانت حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم وايش الثالث فقال ان يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تعالى وايش الرابع فقال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترى اني لا افعل ما الي

عنه عن ذلك ولك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رأيت جنازة يحملها ثلثة من الرجال وامرأة فاخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفناه فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا امره قلت وايش كان هذا فقالت كان مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت من انت فقال انا المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابو عمرو الاطروش كنا ببغداد نعود مع معروف الكرخي في دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالملاهي ويلعبون ويشربون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله تعالى عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فقالوا انما سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب واي دهر لم تعصك فيه كانت نعمتك سابغة عليهم ورزقك دارا عليهم سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكانك يا ربنا تطيع سبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كانك يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي يجتلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما نورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العارم لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام واما ذلك فينسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين

حقيقة الخوف اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الان انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي

وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذاتية للسبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث على احتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون تكون قوة خوفه فاخوف الناس اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فتفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط والياس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف من شيء هرب منه ومن خاف من الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذن يؤثر الخوف في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهي اخص منها الورع واخص منه

التقوى فانها اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه تقي وورع وعفيف فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما تظن ان كل ما هو خوف محمود فكلما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة قوية لا يؤلمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني العلماء بالله وبايامه وافعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فانه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لان الخوف بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا اذ المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص هو اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض وما يفضي الى الموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر

الاسباب الموصلة الى الله تعالى وتجرد ذلك يستدعي الحيوة مع صحة البدن وسلامة العقل وكل ما يقدح في
هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حالته مذموما فاعلم ان
معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف
فهو بالاضافة اليه فضيلة واما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة
ان السالك سبيل الله بطريق المراقبة والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء
ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي وولي يموت حتف انفه وهو محال
فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكلما ابطل العمر او العقل او الصحة التي
يتعطل العمر بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر
كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذا ان لم يؤثر
الخوف في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره
فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان
يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا
اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل او الصحة فهو مرض يجب علاجه
ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل يقول للمريدين
الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل **بيان**
اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان
يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما يكره المعاصي لادائها الى مكروه
في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروها من احد
القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعار ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف
فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين
يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء
بتمام حقوق الله تعالى او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف
استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في
عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر
النعم او خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في
الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة
في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حال
غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها
مخاوف العارفين ولكل واحد فائدة اذ فيه سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء
العادة عليه يواظب على الفطام عن العادة ومن يخاف اطلاع الله على سريرته اشتغل بتطهير قلبه عن
الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف العاقبة والخاتمة فان الامر

مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع للسابقة وفرع منها
يتخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة
الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما توقيعا يحتمل ان يكون فيه جز الرقبة ويحتمل ان يكون
فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فتعلق قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه
عماذا يظهر وتعلق قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ماذا خطر له في حال التوقيع من رحمة
او غضب وهذا التفات الى السبب وهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك الالتفات الى القضاء
الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم
لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى فقال كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد
فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاء حتى يقال كانهم منهم بل هم منهم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل
الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاء بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم منهم ثم يستخرجهم الله
قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله تعالى والاعمال
بالخواتيم وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى بنفسه لصفته
جلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى درجة ورتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة
الصديقين واما الآخر فهو في عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف
الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله فكل من عرفه وعرف صفاته
علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير معصية بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم
يخف معصيته ولولا انه مخوف في نفسه لما قدم المعصية ويسر له سبيلها وهيأ له اسبابها فان تيسير
المعصية ابعاد ولم يسبق له قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق
قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات وقربت له سبل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية
شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وآله وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت
قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة
جلاله وان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة و
القدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه الارادة القوية وآتاه الاسباب والقدرة
فكان الفعل بعد الارادة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعة
عليه وما الذي اوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد
اذا كان فوت المحالة يرجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما شاء ويحكم بما
يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا الخوف من القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن [illegible]
صيانة الاشياء لولا اذن الشرع لم يتجاسر احد على ذكره فقد [illegible] في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري [illegible] كان لا يعف
على سبيه فان الوثوب على [illegible] الى العتيد [illegible] والخائف ان السبع

بمجرد ما يستشعر العبد الخوف من الله بمعرفة كبريائه وهيبته ولانه يفعل ما يشاء ولا يبالي فان اهلك
العالمين [illegible] لم يخالف [illegible] عليك وابقاه على [illegible]
من [illegible] كنيسة او يمكنا من اهلاك [illegible] المستغرق اهلاكه [illegible] عنهم على غيرة ولحرمه اذ لا
يتخوف عن الشفقة علم بطبيعته وما هو موصوف به من قوة ومن سطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه
عرفت بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء
في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء
وعدم المبالاة الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في نفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت
وشدتها وسؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء
من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف
من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات
او الخوف من الحجاب عن الله وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة ويختلف احوال الخائفين
فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين
والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم
الفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في
نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من الانكار فيكون اعترافه به باللسان عن
التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه
الحسان وبالجملة كل لذة يشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فكما غيرهم وتفصيل ذلك وشرح معنى
ليس هذا اوانه ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له فالى هذه الاقسام يرجع
خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضل الخوف تارة تعرف بالتامل
والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة
لقاء الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه
فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة الا بتحصيل
محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا
بالمحبة وبدوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك
الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما
تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرقه من الشهوات وبقدر ما
يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون
الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى
الله واما بطريق الاستبصار بالآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة
على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال
الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ووصفهم بالعلم

لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة
الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك لما اوحي الى موسى عليه السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى
لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بالرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة
الانبياء لانهم ورثة الانبياء والرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في مرضه بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله كان يقول اسالك الرفيق الاعلى
فاذن ان نظرت الى مثمره فهو العلم وان نظرت الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلها حتى ان العاقبة
صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله والصلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله اجمعين وقد خص الله
التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى
عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك اوصى الله
الاولين والآخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال
تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك
مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع
اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي اليوم
انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم ارفع نسبي واضع نسبكم اين المتقون
فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال صلى الله عليه وسلم راس
الحكمة مخافة الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي
وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا
من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب
ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عليه السلام واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب
وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت
من معان شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر
لا يحصى وقد جعله الله مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني
في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من خاف الله
تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال [illegible] فيما امر الله به ونهى عنه [illegible] وقال يحيى
بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب
قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذو النون ايضا ينبغي ان يكون الخوف اغلب من الرجاء فاذا غلب الرجاء
تشوش القلب وكان ابو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله و

بني عبد فاذا انقطع رجاؤه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع نجالس اقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تخالط اقواما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله تعالى وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء اليأس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كلما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذن لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الآخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة تقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء قال الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله تعالى فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة قلت يا رسول الله يدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه

ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فان سالت دموعه اطفأ اول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والشوق والطرب وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها الدموع وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة فاذا كل ما ورد في الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلق به اما تعلق السبب واما تعلق المسبب

بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او الرجاء او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الغالب الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التأويل الذي يقال به الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع اكثر واغلب فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا يمازجها المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف اصلح لهم من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما

التقي الذي يتقي ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ويروى ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وان قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يستوي خوفه ورجاؤه واما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من دخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره ومثل عمر ينبغي ان يساوي خوفه ورجاؤه لا ينبغي ان يكون يغلب رجاؤه كما سبق في كتاب الرجاء وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في الارض النقية واكب على تعهدها وجاء بجميع شروط الزراعة غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون لحال المتقين فاعلم ان من اجل من الالفاظ والامثلة يكثر ذلك وان اوردناه مثلا فليس بما هو ما نحن فيه من كل وجه لان الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بان صحة الارض ونقاوتها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة وتمكن البقاع وغيرها وانما مثال المسلم بذر لم يجرب جنسه وبث في ارض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يخبرها وهي في بلاد ليس يدرى اكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزارع وان ادى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره لا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسلكنا الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وفي خبايا خبثه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف فهو امر اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق فكيف يعلم بجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عندها وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي من احوال الخائفين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين وان كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه بالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا اذ كان خصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خبايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقاء قلبه من ذلك فمن اين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واستتار عيبه منه وان وثق بعمله اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق ناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة الشر فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستندا الى الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال تعالى

يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال ويدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف وانما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الادكار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والمال والولد والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترسال الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعده الله تعالى لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا بكسب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر

لى الرجاء أحب إلى الله تعالى على حسن الظن به كذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله
يرجونه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله لابنه عند الموت اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن
والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى نبيه [illegible] أوحى الله
تعالى إلى داود عليه السلام أن حببني إلى عبادي فقال بماذا قال بأن تذكرهم آلائي ونعمائي فإذا أفضل السعادات
أن يموت العبد محبا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن
المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن
أفلت فلما أصبح سأل عن ذلك فقيل إنه مات البارحة

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد
حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله وباليوم
الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان
على الصبر فإن الجنة حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار حفت بالشهوات فلا
يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن
أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر
الله والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة إلى
المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد
أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا
وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس ومن ضرورة
المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل ففيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا
نفرد الخوف بكلام جملي فنقول يتيسر تحصيل الخوف بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا
كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان
معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو يرتعد وهو يحتال في الهرب قام
معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها و
سطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فبمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم
أنه لا يخاف إلا بسبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن
الخوف من الله على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف
العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى
ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل
الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الإيمان
وإنما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال القيامة وأصناف العذاب في الآخرة ويزيد
أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني
وهو الأعلى أن يكون الله هو المخوف أعني أن يخاف البعد والحجاب منه ويرجو القرب منه قال ذو النون

خوف النار

خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذا خشية العلماء حيث قال تعالى إنما يخشى
الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين أيضا حظ من الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي
من الحية تقليدا لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى إن الصبي ربما يرى
المعزم يقدم على أخذ الحية وينظر إليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدا له كما احترز من أخذها تقليدا لأبيه
والاعتقادات التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة
على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فإذا من ارتقى إلى ذروة المعرفة
وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في
مخالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا بمعرفة السبع
ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا
يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ذكرناه
[illegible] هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على
معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يدع المطيع إلى الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يلزم العاصي
بالمعصية حتى يعصي شاء أم أبى فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل
واقعا بها بالضرورة فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل كان ذلك لمعصية سابقة حتى تسلسل إلى
غير نهاية أو لا بد أن تنتهي إلى أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض
فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك
نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى
آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين
سنة قال صلى الله عليه وآله وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة
عن نور الله فهو من خصوص العارفين ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم
المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع العصفور
الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما
يتفق وذلك الاتفاق له أسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا وإن أضيف
إلى علم الله تعالى لم يجز أن يسمى اتفاقا فالواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن
السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلطت عليه الغفلة خلى وتركه فإنما يخاف خالق السبع وخالق
صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله مثال الخوف من السبع بل إذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع
عين الخوف من الله لأن المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله خلق
أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي

خلق الله خلق الجنة وخلق لها اهلا يحزنوا لاشتباه حالهم ام لم اكونوا خلقوا للنار وخلق لها اهلا يحزنوا لا
شتباه حالهم او فلا يرى احد نفسه في اعظم امواج القدرة لا غلبة الخوف بالضرورة فمن مخاوف العارفين
من قصد به المقصود من الارتفاع الى فوح الاستبعاد فيستبعد ان يصلح نفسه بسماع الاخبار والآيات
ويطالع احوال الخائفين واقوالهم ويخيب عقولهم ومناصبهم اذ هم اصحاب الراجين المغرورين فلا تماري
في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الاغبياء
اما خوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روي
انه كان يصلي على طفل فقيل في رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي
رواية ثانية انه سمع قائلا يقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك
والله اني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ادري ما يصنع بي ان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها
اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن
مظعون رضي الله عنه وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة رضي الله عنها هنيئا لك الجنة فكانت تقول
ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله اني لا ازكي احدا غير
رسول الله ولا ابي [illegible] قال فثارت الشيعة عليه فاخذ يذكر من مناقب علي رضي الله عنه ومناقبه وروي
في حديث آخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم
فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر انه دخل صلى الله عليه وآله وسلم على بعض اصحابه وهو عليل
فسمع امرأة تقول هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم من هذه المتالية على الله عز وجل فقال المريض
هي امي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا
يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها
سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله
تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه وآله وسلم
بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء الله لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة
رافعة اي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين في
الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وهو
قوله تعالى واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفي القرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قرأه
بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اذ علق المغفرة
على اربعة شروط يعجز العبد عن آحادها وقوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون
من المفلحين وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله افأمنوا مكر الله فلا
يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد
وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها وقوله اعملوا

ما شئتم وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقوله انما يتقبل الله من المتقين وقوله
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر السورة فانها اربعة شروط
للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله
فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد آمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكأنهما اذ علما ان الله علام الغيوب وانه لا
وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله قد آمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما
ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم صلى الله عليه لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت
هذه من الدعاوى العظام فامتحن وعورض بجبرئيل في الهواء حتى قال الك حاجة قال اما اليك فلا فكان
ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله عنه وقال وابراهيم الذي وفى اي عمل بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا
اخبر عن موسى عليه السلام حيث قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع
وارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس في نفسه خيفة موسى اذ لم يأمن مكر الله والتبس الامر
عليه حتى جدد عليه الامن فقيل له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال
صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله عنه دع
مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان
مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار
الله تعالى وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر منها بالمكر ولا احد من البشر اعرف
بالله وصفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة وعرف قصوره عن الاحاطة بكنهه لا يأمن عظم خوفه ولا
جلاله ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ان
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فوض الامر الى المشيئة واخرج نفسه بالكلية
من التدخل لعلمه بانه ليس اليه من الامر شيء وان الامور مربوطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات
والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي
قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك
من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر
والنفاق ثم يخلد عليهم العقاب ابد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لاملأن جهنم الآية وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا
يطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء
ما في الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح من [illegible]
[illegible] سبب الخير [illegible]
بالسوابق [illegible]
وباطنه [illegible]
الخاتمة [illegible]

المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وإنه أسرع تقلباً وأشد من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب
إن عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من أمنه وهو منادى بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف بعباده
العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء رحمة الله تعالى
وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب
من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة
أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة
على باب الدار والموت على الإسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام لأني لا أدري ما يعرض
لقلبي من باب الحجرة وباب الدار وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت
إلا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين
وصفهم الله تعالى إذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك
بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم
أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال إذا حضرتني
الوفاة فاقعد عند رأسي فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه واشتر به لوزاً وسكراً وانثره
على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنقلب وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا
بحضور جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له
علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقهما وكان سهل يقول المريد يخاف
أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر وكان أبو يزيد يقول إذا توجهت إلى المسجد فكأن
في وسطي زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار
فهذا لي كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي
ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وروي في أخبار الأنبياء عليهم السلام أن نبياً شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل
والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى إليه عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن يكفر
بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فإذا
كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب
تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة
رضي الله عنهم من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس
وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً [illegible]
وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث
كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وفي لفظ آخر وإذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة
والتابعون رضي الله عنهم النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف
السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت
هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكراً بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان

النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضي الله عنه إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فيصير بها منافقاً إني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وكان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق أن يكره من الناس ما يأتي مثله وأن يحب على
شيء من الجور وأن يبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق إذا مدح الإنسان بشيء ليس فيه أن يعجبه ذلك
قال رجل لابن عمر إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون فإذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا
النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشد من هذا ما روي أن نفراً قعدوا على باب حذيفة
رضي الله عنه ينتظرونه وكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم
تقولون فسكتوا فقال إنا كنا نعد هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفاقاً وهذا حذيفة كان
قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول إن على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون
للنفاق فيه مغرز إبرة فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور مقدمة
منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه
فهو النفاق إذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين إني أخاف على نفسي النفاق
فقال لو كنت منافقاً لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والخاتمة خائفاً منهما
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين
أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا
الجنة أو النار

بيان معنى سوء الخاتمة

فإن قلت إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فما
معنى سوء الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين إحداهما أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة فأن
يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة
الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقتضي البعد
الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من
شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في
تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن
الله حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه فأما المؤمن السليم
قلبه عن حب الدنيا المصروف همته إلى الله فيقول له النار جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي فمهما اتفق
قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى
للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت
بالموت الجوارح فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في الرجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة
إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة
فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجه
من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد أن يخرجه

من النار ولو بعد الف سنة فان قلت فما ذكرته يقتضي ان يسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان كل من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي وانما يختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة ويعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضادها ان كانت شقية نعوذ بالله فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني قوما باعيانهم فاخاف ان يقال بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له لم يبعد ان يظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الى قوله صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الامور على ما هي عليه ويكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا صغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم

المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على التصديق بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب متعارض والقلوب لما القي اليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخانقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله تعالى وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال او الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم واكد ذلك طول الالف به فانسد بالكلية طريق الخلاص منه فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما وقع له بحدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين وسيعلم من بان له حسن ويتمنى ان ينشد في هذا اذا انكشف الغطاء

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت … ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها … وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرميه موج الى موج بما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك عليه اغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر ذلك وانما يسلم من هذا الخطر البله من العوام او الذين شغلهم خوف النار وطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب فلا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل حب الله كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه

[illegible] انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان انتزع روحه في تلك اللحظة التي خطرت
فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة
حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في
قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل
خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا
قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم الى قوله بامره فاذا من فارقته روحه في حالة
خطرة الانكار على الله بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقته بينه وبين اهله وماله وسائر محابه
فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على
مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يموت على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد
المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاسفار وجهد الاسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح
والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام والانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون
الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والآخر
ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب
بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله
الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند
الموت فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير
محجوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي لم
يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه
بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان
يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة
وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى
عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر
مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او
بسبب آخر من الاسباب والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية
تقرب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره
في القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك ايضا تخالف منامات الصالحين
منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض
عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر
في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها اسباب عند الله نعرف بعضها
ولا نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة او بالمضادة واما بالمقارنة

فبان ينظر الى عين شيء آخر من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري
وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل من شيء الى ثان ومنه الى ثالث
ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني
والاول مناسبة وكذلك لانتقالات الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت
فمن ثم اذا اردت ان يكف خاطرك عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطامها
عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على
الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات
عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة فيقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول
النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة يتلألأ نورا فلا
يكون العبد على حالة الا انطبع مثاله في جوهر العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت
كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى احوال
نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك
فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعته اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذا رجع سوء
الخاتمة الى احوال القلب وتجاليه وخواطره ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخاتمة
خارجة عن الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تأثير فلهذا عظم خوف العارفين من
سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر
عليه وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط
وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي
رحمه الله يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وانه لا يكون في قلبه انكار ولا على لسانه
مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم الكركاني مناما لي فقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذاك
قال فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة والانكار لما جرى
ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال فقلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو
القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار الخاتمة وما وراءه فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر
لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وتستغرق جميع العمر في طاعة الله من
غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى
يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء في
السلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر
كلها ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر
مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا
كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الاسلام والسنة
تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يوما يبكي فقيل له علام تبكي فقال

[illegible]

[illegible]

أنزل ذكر الموت وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر
على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل يبكيان فقالا يا رب ما نأمن مكرك فقال الله هكذا كونا لا تأمنا مكري وعن
محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن أنس أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قال لجبرئيل ما لي لا أرى ميكائيل يضحك فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم
فيعذبهم وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل
يلتقط من التمر ويأكل قال فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال لكني أشتهيه و
هذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجد ولو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن
عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكأين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن
الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات فمن كنز دنيا يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإني
لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد وقال أبو الدرداء رضي الله عنه كان يسمع أزيز قلب إبراهيم
خليل الرحمن صلى الله عليه إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام
أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم
أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة
فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته منقوشة في كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا
لغيره إلا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى
يفيض القدح من دموعه ويروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله
تعالى وكان يقول في مناجاته إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت
إلي روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك
وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق
بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لا أريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء و
من لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء
قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقبل أن تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما
يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمير لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال إلهي بح صوتي في صفاء أصوات
الصديقين وروي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يا رب أما
ترحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدي كيف أنسى ذنبي و
كنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش
إلى محرابي إلهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله إليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة
المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي
وتوجته بتاج وقاري وشكا إلي الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا
ذليلا يا داود اسمع مني والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وإن عدت

إلينا

إلينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل
ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية
فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري
والصوامع والبيع فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتي الوحوش
من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الأوكار وتأتي
العذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل
كل صنف على حدته محيطون به وسليمان قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم
في ذكر الجنة والنار فيموت طائفة من الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي
النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين
كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينما هو كذلك إذ ناداه
بعض عباد بني إسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فإذا نظر سليمان إلى ما
أصابه أتى بسرير فحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها
وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله تعالى ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق
بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن
ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا أبتاه تقو بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج
إلى بني إسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود عليه السلام ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم
فخرج في أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا وما رجع إلا في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما
حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله
فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنه دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج فنظر إلى
عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا
أنفسهم على أطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع إلى أبويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا
نلعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا فرجع إلى بيت المقدس وكان
يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطراف الأرض وغيران الشعاب فخرج أبواه
في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد نقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك و
جلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يفطر على قرص كان معهما من شعير و
يشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده أبواه إلى بيت المقدس وكان إذا قام يصلي بكى حتى
يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه
للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أذنت لي أن أتخذ لك شيئا تواري به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فعمدت
إلى قطعتي لبود فألصقتهما على خديه فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت
إليه أمه فعصرتهما فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم
الراحمين فقال له زكريا يا بني إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيناي فقال يحيى يا أبت إن جبريل عليه السلام

السباع

[illegible] بين الخوف والرجاء مفازة لا يقطعها الا كل [illegible] فقال ابو بكر [illegible] وقال [illegible]
[illegible] من خشية الله وحب [illegible] الصبر على [illegible] الدنيا ونحن [illegible]
اكثر [illegible] على [illegible] في طلب [illegible] كان الخليل صلوات الله [illegible]
[illegible] عليه [illegible] اضطراب قلبه [illegible] السلام [illegible]
[illegible] خليله فيقول يا [illegible] ذكرت خطيئتي [illegible] الانبياء [illegible]
والنبي [illegible] الله [illegible] **[illegible] احوال الصحابة والتابعين [illegible]**
[illegible] رضي الله عنهم [illegible] روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال [illegible]
[illegible] يوم الخلق [illegible] وقال ابو ذر رضي الله عنه [illegible] واني [illegible]
[illegible] عنه [illegible] اني اذا مت لم ابعث [illegible] عائشة رضي الله عنها [illegible] كنت نسيا منسيا [illegible]
[illegible] ان [illegible] الموت انا [illegible] من القرآن [illegible] عليه [illegible]
[illegible] بالنبي [illegible] هذه [illegible] يا ليتني [illegible]
[illegible] عنه [illegible] رضي الله عنه من خاف [illegible]
[illegible] من اتقى الله لم [illegible] ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال [illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] فلو وقع [illegible] واستند [illegible]
[illegible] الناس [illegible] وقال علي رضي الله عنه [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
كان [illegible] يتلون كتاب الله [illegible]
[illegible] ذكروا الله [illegible] يوم الريح [illegible] اعينهم بالدموع [illegible]
[illegible] ثم [illegible]
[illegible] رضي الله عنه [illegible] علي بن الحسين رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
[illegible] الى [illegible]
[illegible] اكنتم تعملون [illegible]
[illegible] على [illegible] طاعتك [illegible]
[illegible] القرآن [illegible] الآية [illegible]
[illegible] يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا [illegible]
[illegible]
[illegible] الشهر [illegible]
وقال مالك بن دينار [illegible] الكعبة [illegible]

بكم في شوق ذهبت [illegible] وعفوه الا الغاية [illegible] فما زال ذلك [illegible]
حتى طلع الفجر [illegible] على [illegible] وروي ان
[illegible] يوم عرفة والناس يدعون [illegible] بكاء [illegible] حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على
لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال [illegible] مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله
عنه [illegible] فقال [illegible] كيف [illegible]
[illegible] على [illegible] الحسين رضي الله عنه [illegible]
[illegible] فقال له الحسن [illegible] يا [illegible] الصراط [illegible]
[illegible] الى [illegible] قال [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] قال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله تعالى [illegible] في قلوب
[illegible] الله وقال مالك بن دينار لقد [illegible]
[illegible] الى [illegible] الابق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان
اصلح من الجنة ولقد لقي آدم عليه السلم فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس [illegible]
ما لقي [illegible] العلم فان [illegible] كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين
[illegible] المصطفى ولم [illegible]
[illegible] ان يكون [illegible]
ان الله [illegible] ابن المبارك يوما على اصحابه [illegible]
[illegible] على الله تعالى [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] يا ابناه [illegible]
[illegible] وقال الفضيل
[illegible]
[illegible] الانصار [illegible] حتى [illegible] النبي صلى
الله عليه وآله [illegible] صلى الله عليه وآله [illegible]
من [illegible]
[illegible] ان الله تعالى [illegible]
[illegible]
[illegible]
في يوم واحد [illegible] الى الجنة [illegible]
[illegible]
[illegible] اربعين سنة [illegible]
[illegible]

لو ما تغيض عبرات لاستريح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلوة الفجر
بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم مهم
وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف
اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبينما هم يمشون اذ مر احدهم بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله
يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسالوه عن امره فقال اني
ذكرت اني كنت عصيت الله تعالى في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فخر مغشيا ثم افاق وقال زدني يا صالح فاني
اجد غما فقرأت كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا وروي ان زرارة بن ابي اوفى رضي الله عنه صلى
بالناس صلوة الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد
العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الا ميت فبكى وقال زدني يا يزيد
فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين النار منزل فخر مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه
الآية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي رضي الله عنه ووضع يده على راسه وخرج هاربا
ثلثة ايام لا يقدر عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على راس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه بشري اي
خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض بوله على
طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله
وقال احمد بن حنبل سألت الله تعالى ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر
ما اطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي
بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ولصلى حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال السري العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض
فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا
زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك
وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورئي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل الى اين فقال لا ادري وكان يمشي والها من الخوف
وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال
يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستاجرة وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي
يبكيك رحمك الله قال قرحة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على
الله وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري
قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت الى رجل في بعض الاحياء في خص
له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار
يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا
عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة فخر مغشيا عليه وانتهينا الى ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن
ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في

اعلم انك لست اول خليفة تموت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال صح

دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت به
الى السابع فاستاذنا فاذا امرأة من داخل الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم
يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال الا ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا
فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت له ضعيف آوه آوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم
لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلثة قد افاقوا وثلثة قد لحقوا بالله واما الشيخ
فانه مكث ثلثة ايام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلث عقل وكان يزيد بن الاسود
يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا ابدا فما رئي ضاحكا ولا
مضطجعا ولا آكلا سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف
اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت
قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا
البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال يكون قال على حال شديد قال الحسن
حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في
بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فنامت فاستبكت في نومها فقالت يا امير المؤمنين اني رايت
والله عجبا قال وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال ايه
قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال ايه قالت
ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر ايه قالت ثم جيء
والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا امير المؤمنين اني
رايتك والله نجوت اني رايتك والله نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويحكى ان
اويسا القرني كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس
فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المؤمن لا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم
وراءه وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع عليه فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة
حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام
ويا ليتني ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال
وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها
واذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع
علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل وعن ابن السماك قال وعظت
يوما في مجلسي فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها
قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة واما في النار ثم
غاب عني فتفقدته في المجلس الآخر فلم اره فسالت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي
ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في
الجنة واما في النار قال ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني

... [illegible] ... قلت بتلك الكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا واجتهدنا في طلب ارزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا دكنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا بل نساله ان يشوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من احوال الخائفين على ما اوردناه فان القليل من هذا ينبه القلب القابل ويكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله لا تكاد ترقا دمعته من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وان امن المغترون وفي الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال ان الظمآن يجزيه من الماء ايسره ولقد صدق فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان تظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن وقد انكشف لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك والله اعلم بالصواب تم كتاب الخوف والرجاء بحمد الله وحسن توفيقه ويتلوه كتاب الفقر والزهد وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا ٥١

كتاب الفقر والزهد

كتاب الفقر والزهد من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي تسبح له الرمال ويسجد له الظلال ويندك لهيبته الجبال وخلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية من ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ثم اكرم الخواص منهم بنور الحكمة حتى لاحظوا بصفاء بصيرتهم حضرة الجلال فلاح لهم من البهجة والبهاء والكمال ما استهتروا دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال فاستثقلوا ما صرفهم عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل لهم ظاهر الدنيا في صورة امراة جميلة تميس وتختال وانكشف لهم باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال وهي متلفعة بجلبابها لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال فتقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تحتمي معهم بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التنافس والتكاثر بالاموال واقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واكتفوا منها بوصال ليس له انفصال ومشاهدة ابدية ليس لها نهاية ولا زوال والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى آله خير آل

اما بعد فان الدنيا عدوة لله تعالى بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات واس القربات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منها ونبدأ بذكر الفقر

الشطر الاول من الكتاب في الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقير على الغني وبيان ادب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واساميه اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه لا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من سواه فانهم محتاجون اليه ليمد

وجوده ثم المدلول على هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء فهذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حالة باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه الراضي الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه الطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه حريصا الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الاحوال الخمس حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده وجود المال وعدمه فان وجده لم يفرح به ولم يتأذ وان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق معنى اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو فرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه وعن خروجه ايضا فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى دخوله في يده فغناه اذا على العموم اميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله اقرب وانما قرب العبد من الله بالصفات لا بالمكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى اسم الغني لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وهو الله تعالى واما هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة

من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التنعم بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر الى غير المعشوق لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الآخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر الكعبة والآخر مستقبل لها فهما سيان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان تظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال ان يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته في ذلك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار من جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الضرورة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من المال على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فيتن الى كراهية

الزكوة في درجة التعلق اليها بسبب الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من
المال ونفروا منه كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا منه اكثر من حاجتهم فنفروا
عما وراءه ولم يجمعوا في القرب والروايا يديرونه مع انفسهم بل تركوه في الانهار والآبار والبراري للمحتاجين
اليه لا انهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه او بغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم
الماء والمال والذهب والحجر وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف ان لو اخذ ان يخدعه المال
ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال
وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر
الفرار والنفار تنزلا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يتباعد الرجل
المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها اخذها اولاده اذا راوها فهلكوا
والسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد عرفت اذا ان المراتب ست وان اعلاها
رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والقناعة
ودرجته تختلف باختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا
فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره
عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية
واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف
نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو احق باسم الفقير واسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا
[illegible] ان قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله صلى الله عليه وسلم
كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله صلى الله عليه وآله وسلم احيني مسكينا وامتني مسكينا لان الفقر
المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو
الذي سأل الله في دعائه **بيان فضيلة الفقر مطلقا** اما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون
ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على
وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان
تحصى قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الناس خير فقالوا موسر من
المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال صلى الله عليه وآله وسلم نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير
الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وآله وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه
غنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء
امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير
تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص وبخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب
وبما ذكرناه من اختلاف درجات الفقير [illegible] تفاوت ما بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص

على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن ان
تقدير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يتكلم الا بحقيقة لانه لا
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا
بتخمين واما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويفارق به غيره
وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله عز وجل وصفاته وملائكته
والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثانية
ان له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة تتم بها الحركات المقرونة بارادتنا
واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله والثالثة ان له صفة بها يبصر الملائكة
ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابعة ان له صفة بها يدرك ما سيكون
في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات
يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى
ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من
جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن الا بظن وتخمين ولا يدرى تحقيقا
انه الذي اراده صلى الله عليه وآله وسلم ام لا وانما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوة [illegible]
ذلك لا يرشد الا بمعرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء [illegible] التفضيل
[illegible] على [illegible] درجة الفقير [illegible] الى الخمسة [illegible]
[illegible] التقدم بخمسمائة عام [illegible] التخمين [illegible]
التنبيه على منهاج التقدير في امثال هذه الامور [illegible]
صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل [illegible]
صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم
ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبرئيل
عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول
اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة ثم
قال يا جبرئيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبرئيل عليه السلام
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت ويروى ان المسيح عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه وقال
يا نائم قم فاذكر الله عز وجل فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ثم مر موسى
عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب
عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت
عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع رضي الله عنه قال نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيف فلم يجد
عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد صلى الله عليه وآله وسلم اسلفني او

فقال ... فقال انى رجل ... قال لى يا نبي بقالى لا والله الا برطنى يا محرشنى ... الله صلى الله عليه وسلم ...
بيته ... من العلوي ... الذين ... الارض وقال ... تصدق من ... الله ذهب بن ذعى هل
كنتم تشتد ... تعرف حلاوة الايمان ... عليك ... واحانبهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ... صلى الله عليه وآله وسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الفقر
ازين بالمؤمن من العذار ... على خد الفرس وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح منكم معافى في جسده
آمنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام
يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته
وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته
فلم يخرج فيها شيء ثم مر باخر فقال بسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس
من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا يا رب وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل
لملائكته اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما اعد الله عز وجل لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال
رضيت يا رب قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في
النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء وفي لفظ آخر فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد وفي حديث
آخر فرايت اكثر اهل النار النساء فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران قال
صلى الله عليه وآله وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود
لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر رايته دخل الجنة
زحفا وقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر عن اهل البيت انه صلى الله عليه وآله وسلم
قال اذا احب الله عز وجل عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك
له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل
ذنب عجلت عقوبته ... قال موسى عليه السلام ... من خلقك ... لاجلك فقال كل فقير
فقيل يمكن ان يكون المتاني ... ان يكون المراد به شديد الفقر وقال عيسى عليه السلام اني
لاحب المسكنة ... في البيان ... يا مسكين ... وانال ... السادات واغنيا
... بالفقر ... فيقول ... الا تحبيني ... لا يحبون ...
ذلك الفقير ... من ... يدخلون ... واصحابه
... من الفقراء ... صلى الله عليه ... الجنة بخمسمائة عام وكان
... الاغنياء ذلك ...
... صلى الله عليه وآله وسلم ...
... صلى الله عليه وآله وسلم ... يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ... زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا يعني الاغنياء ... فمن شاء فليؤمن ... الاية ... على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ... فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله

بسم الله الرحمن الرحيم ... عن ابي ... الاعمى ... عن ... قال ... الذكر ...
ابن ام مكتوم امامي استحييت ... فنظر ... عيني هذا الشيخ ... النبي صلى الله عليه ...
بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي
ما زويت الدنيا عنك لهوانك ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف
فمن اطعمك او كساك فيّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل
الصفوف وينظر من فعل ذلك به فياخذ بيده فيدخله الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اكثروا معرفة الفقراء
واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا
من اطعمكم كسرة او سقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال فنظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم ونظرت
في اسفلها فاذا فيهم من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب
والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني
بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال يا رسول الله والله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات
وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن بن عوف صاحب السابقة
العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء
الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا قد استضر
بالغنى هذا الحد ودخل صلى الله عليه وآله وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض
لوسعهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف
اغبر اشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وقال عمران بن حصين رضي الله عنه كانت لي من رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف
بباب فاطمة رضي الله عنها فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا ابي فقال انا ومن معي يا رسول الله
فقال انا وعمران فقالت ومن معك يا رسول الله قال عمران رضي الله عنه ... فاطمة رضي الله عنها
والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا ...
... الا ... كانت عليه ... قال ... الله ...
عليكم ... فقالت ... رسول الله صلى الله عليه ...
... رسول الله صلى الله عليه وآله ...
... الله تعالى ... الاخرة على الدنيا ثم ضرب
على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت
عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انك في بيوت من قصب
لا اذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في
الاخرة وروى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ابغض الناس فقراء ...

الفقراء واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال القحط من الزمان والجور من السلطان
والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين
اشد حبسا او اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا
فقالت امرأته احدث امر قال اشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقه فجعله صررا وفرقه ثم قام
يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة
قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج قال ابو هريرة
رضي الله عنه ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم
ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشراب فلم يقل له ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري رضي الله
عنه فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه
الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير
اعز منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا
منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف
خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ملعون من اكرم بالغنى واهان
بالفقر وقال لقمن لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ رضي
الله عنه حبك الفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من
علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك
فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة الف درهم في يوم
واحد وجهوا اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك
بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعا حتى
ترقعيه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة الاف درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليه الرجل فقال ابرهيم
اتريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة الاف درهم لا افعل

فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن هدي للاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا
بثواب فقركم والا فلا فالاول القانع وهذا الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره
ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضى هو الكراهة
لفعل الله عز وجل في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله
فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروي عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال
لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروي عن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال احب العباد الى الله عز وجل الفقير القانع برزقه الراضي عن
الله عز وجل وقال عليه السلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه

كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء
الصادقون وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القا
نعون بعطائي الراضون بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون
فهذا في القانع والراضي فاما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله عز وجل واما
الآثار في الرضى والقناعة فكثيرة ولا يخفى عليك ان القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه
ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضي
الله عنه ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
ابو الدرداء رضي الله عنه ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا
مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر
ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابرهيم بن ادهم من اهل
النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل
نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابرهيم يا رجل اكلت الرغيف وانت
جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابرهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس
تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا
بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن
واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال
الحسن رحمة الله عليه لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون
فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وكان ابو ذر رضي الله عنه يوما جالسا في الناس فاتته امرأته
فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو
منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون رحمة الله عليه اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له
وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى
ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا
انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقيل في القناعة شعر
اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ⁘ واقنع بيأس فان العز في الياس ⁘ واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم
ان الغني من استغنى عن الناس ⁘ وقيل ايضا شعر ⁘ يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ⁘
مقدرا اي باب منه يغلقه ⁘ مفكرا كيف تأتيه منيته ⁘ اغاديا ام بها يسري فيطرقه ⁘
جمعت مالا ففكر هل جمعت له ⁘ يا جامع المال اياما تفرقه ⁘ المال عندك مخزون لوارثه ⁘
ما المال مالك الا يوم تنفقه ⁘ ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ⁘ ان الذي قسم الارزاق يرزقه ⁘
فالعرض منه مصون ما يدنسه ⁘ والوجه منه جديد ليس يخلقه ⁘ ان القناعة من يحلل بساحتها ⁘
لم يلق في ظلها هما يؤرقه

بيان فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا فذهب

الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطا الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر
ويقال ان الجنيد دعا على ابن عطا لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب
الصبر وجه التفاوت بين الصبر والشكر ومعرفة اسباب طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وانه
لا يمكن الا مفصلا واما الفقر والغنى فمن تفضيل بعضها انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير
صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راضي بالاضافة الى غني منفق ماله ليس حريصا على امساك المال
والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني
المنفق في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا
في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه
ابن عطا فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد
له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا سبق الاغنياء بالخيرات
والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم
الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء وقد استشهد ابن عطا لما سئل عن ذلك فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله
الاول ففيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في
التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد
ابن اسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسولا فقال
اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا
يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال
صلى الله عليه وآله وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما
خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا
نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة
عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق
الفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا
يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم واما قوله ان الغني وصف
الحق فقد اجاب بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق بجواب
آخر دون فقال التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قال بل هذا يدل على ان
الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع
فيها ولذلك قال تعالى فيما روي عنه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل رحمه الله تعالى حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من
صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس يكون ادلة الغني والفقر وجاء لذلك تعلق بعمومات تقبل التأويل
بكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغني بانه صفة الحق بالكبر فكذلك يناقض

ولا تقدر عليه ويعتمرون ٣

من فضل الغني بانه صفة الحق بالكبر فكذلك يناقض قول من فضل الفقر لانه صفة العبد بالجهل والغفلة
لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم
والجهل على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي
ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى
الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غني
لم يشغله الغنى مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير شغله
الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد
معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من
الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به
سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا
معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان فرضت
فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا
بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت
الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر
ولذلك قالت الصحابة رضي الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة
الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل
لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع من الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه
حتى قال عيسى صلوات الله عليه وآله لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال
بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل
عجل قوم موسى من حلي الذهب والفضة ايضا واستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء
ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا اليك عني اليك
عني اذ كانت تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك
لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا ان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال
صلى الله عليه وآله وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذا
الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على
المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم
وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة
لله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها
والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ
ليس في الوجود الا الله عز وجل وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره و
يكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما بقدر بعده عن الآخر ومثلهما مثل المشرق

والقرب منهما في الحسن بالمنزل ذرعهما ابعد بما تقرب من الحسن بهما ابعد من الآخر الا بين القرب من احدهما
والبعد عن الآخر فيهما فحب الدنيا هو عين بغض حب الله تعالى فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف
قلبه [illegible] او فيهما اذا فضل الغنى والفقير بسبب متعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا
فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن
المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه واذا سرق
منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سريته لما ظن انه منقطع القلب
عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فتحقق اذ ذاك انه
كان مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا
الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل
لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته تتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته
فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيرها في اثارة الانس
في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف من تعبد وهو في طلب
الدنيا كمن يطفئ النار بالحلفاء وكمن يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان الداراني رحمة الله عليه تنفس
فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وعن الضحاك من دخل السوق فرأى شيئا
فاشتهاه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله وقال رجل لبشر بن الحارث
ادع الله عز وجل لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك العيال ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع
لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل
الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل
الصديق في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع ان احسن
احوال الغني ان يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن
نوقش الحساب عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما
رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد
لا تخطئني فيه صلاة ولا ذكر واربح كل يوم خمسين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب
ولذلك قال شقيق رحمة الله عليه اختار الفقراء ثلاثة اشياء واختار الاغنياء ثلاثة اشياء اختار الفقراء راحة
النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما
ذكره ابن عطاء من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه
جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله
تعالى لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر من الرد عليه بان الله تعالى
ليس غنيا بالاعراض والاسباب فحجة صحيحة تبطل بقية المقال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد
ليس بصحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض

المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله عز وجل قبل ان يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة والتسعون
اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر
عليه ليس من صفات الله تعالى واما التكبر على من يستحق التكبر عليه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على
الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف
الله عز وجل وانما وصف الله عز وجل انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك وللعبد ان يطلب
اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان
المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة
والنبات واقرب الى الله عز وجل منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان
الكبر حاصلا له ولائقا به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة
وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تنعقد فلجهله بذلك وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة
الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة
ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في صفات الله عز وجل ولما كان معرفة
بعض الاشياء قد يضره صارت معرفة الامور التي لا ضرر فيها من صفات الله عز وجل
هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى فقد المال ووجوده فهذا
نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة فاما الغنى بوجود المال فلا
فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر المنفق لماله في سبيل الخير
الحريص والتعرض في حق شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وقد فقده ووجد فله حالة الفقد و
حالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك
سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على
الفكر والذكر الا قدرة مدخولة مشغولة والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل قوت آل
محمد كفافا وقال صلى الله عليه وآله وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان
كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة على سلوك الدين
فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس قصده الاستعانة
بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا
والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت
الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا
ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث
في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب
ما لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله
عز وجل فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا يكون اذاه في فراقه
بقدر حبه وقدر انسه وانس الواجد للدنيا بالدنيا اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا

قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين احدهما
غنى مثل غنى عايشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به
ادعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون
كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان بوجوده يبقى حيوته ثم يستعين بقوته وحيوته على الكفر
والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه اقل والاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا
فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر وبقي النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم
سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في
محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما
والعلم عند الله عز وجل

بيان ادب الفقير في الفقر

اعلم ان للفقير ادابا في باطنه وظاهره
ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادب باطنه فان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله تعالى به من
الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة
لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط
ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله عليه واله وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب
فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له
وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله عز وجل واثقا به في قدر ضرورته انه ياتيه لا محالة
ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر
فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله عز وجل
على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء
وهذا يدل على ان كل فقير فليس بمحمود بل المحمود الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد
شيا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلثة اثلاث شغل وهم وطول حساب واما ادب ظاهره فان يظهر
التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله تعالى يحب
الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل
عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما في اعماله فادبه ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه
قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه تيه الفقير على الغني
ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع
قال الثوري رحمه الله تعالى اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراي واذا خالط السلطان فاعلم انه لص
وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته
فاذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء واما ادبه في افعاله
فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من
اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روي عن زيد بن اسلم رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه واله وسلم درهم
من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة

الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل
من صاحب المائة الف وينبغي ان لا يدخر الا بقدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلث درجات
احديها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد
عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلم ففهم منه الرخصة
في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنته وهي اقصى المراتب وهي رتبة
الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح
الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة

بيان اداب الفقير في قبول العطا

اذا جاءه بغير سوال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور
نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها
فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما
يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب
وهو الصدقة والزكوة او الذكر والريا والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول
وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها
منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد اهدي الى النبي صلى الله عليه و
سلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه واله وسلم يقبل من بعض الناس و
يرد على البعض وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي او ثقفي او انصاري او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين
وجاءت الى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال من
اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سايرها وكان الحسن
رضي الله عنه يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال
من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على ان الواعظ
والعالم امرهما اشد في قبول العطايا وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم
والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المايتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيا قال اتركه
عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذ والا فلا وامارة هذا
ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه
منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر رحمة الله عليه ما سالت احدا قط
شيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقائه عنده
فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد
هذا فقال ومتى اعيش حتى اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات فقبل ذلك
منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون
للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه
فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى

باطنه فان كان مفارقا للمعصية في السر فيعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق
عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه واما الثاني فهو ان
يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه
الفاسد وكان سفيان الثوري رحمة الله عليه يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به
لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان يأتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون
ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه
ام لا فان كان محتاجا اليه فيما لا بد له منه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من اتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ فلا يرده
وقال بعض العلماء من اعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط وكان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل
رضي الله عنهما شيئا فرده فقال له السري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد
علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد
شهر فانفذه لي وقال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة او غيره فاما
اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء والانفاق
عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق
الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان يأخذ في العلانية ويرد في السر او يفرق في السر وهذا مقام الصديقين
وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى
من هو احوج منه او يأخذ ويوصل الى من هو احوج فيفعل كلاهما في السر وكليهما في العلانية وقد ذكرنا ان
الافضل اظهار الاخذ والاخفاء في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب من موضعه واما
امتناع احمد عن قبول عطاء السري رحمهما الله فانما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه
ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم
يأمن مكيدة الشيطان على نفسه قال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله
فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من
يرى ولا يرى فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها
اليه فنظر اليها فاخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه ثلاثا فلا حاجة بي الى الباقي
فرده قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي
فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب
وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي
الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة انما اتتك
ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء

قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا حق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا
انت في اخذك الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله تعالى متعرض للحساب وان عصيت
الله تعالى فانت متعرض للعقاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله
تعالى وكسرا لصفة النفس فيأتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا
رخص لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد
وان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك البذل
والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء
وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو لقلبك فتمسكه
ويكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم
والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله
لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله تعالى من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله تعالى
عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد
بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال
من الزكوات وقال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل
معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله تعالى وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ولله
عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف الاقوياء
والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله عز وجل واما الاسخياء فهم اهل
حسن الظن بالله عز وجل واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله عز وجل فاذا مهما وجدت هذه الشروط في
المال وفي المعطي والآخذ فليأخذ وينبغي ان يرى ما يأخذه من الله عز وجل لا من المعطي فانما المعطي واسطة قد سخر
للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس دعا
شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني
صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال له
صاحب المنزل شقيق ما ذا قصدت بها فقال اردت ان اجرب توحيد اصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام
يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا
اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من
حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد وردت اخبار في ذم السؤال والتشديدات وورد فيها ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله
عليه وآله وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفي الخبر ردوا السائل ولو بظلف محترق ولو كان السؤال حراما
مطلقا لما جاز اعانة المتعدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما
يباح لضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم

لانه لا ينفك عن ثلثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله عز وجل اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عز وجل عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سال لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما لا تحل الميتة الا لضرورة والثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا فانه ربما لا يسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فانه قد يبذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيا وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما موذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا لضرورة ومهما فهمت هذه المحظورات الثلث فهمت قوله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال مسئلة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي لفظ اخر كانت مسئلته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله تعالى قال ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال صلى الله عليه وآله وسلم استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر رضي الله عنه فاذا تحت يده مخلاة مملوة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين ايدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه بالدرة ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من عمر رضي الله عنه ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير واما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله عز وجل ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير جائز او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله عز وجل وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه شيئا فانما اعطاه على اعتقاده انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لا يعرف اصحابه باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد الى مالكه فاستدل على هذا الوجه بفعل عمر

على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء كما قررناه في مواضع فلا تظنن ان يغفل عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضي الله عنه فاذا عرفت ان السؤال يباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجد بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب لان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا ينبغي ان يسترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه اولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق يكون صدقه كفارة لسؤاله ان شاء الله عز وجل واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر به الخروق من ثيابه عن اعين الناس وكمن يسال لاجل الادام وهو واجد للخبز وكمن يسال الكرى لفرس في الطريق وهو واجد كرى الحمار او يسال كرى الجمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلث من الشكوى او الذل وايذاء المسؤول فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسال سؤال محتاج ولكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به من حد الشكوى واما الذل فان يسال اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص منه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص معروف لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملام ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فالظاهر انه غير متاذ وينبغي ان يسال من لا يستحيي منه لو رده او تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتدأ به فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقال النبي

صلى الله عليه وآله وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن رده الى البواطن وقراين الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان مع انه ترجمان كثير الكذب و لكن الضرورة دعت اليه وهو سؤال عما بين العبد وبين الله عز وجل والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند ساير الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم القاضي و السلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاذا ما اخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده الى صاحبه فان كان يستحيي من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتقضى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل اليه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيا اصلا وكان بشر رحمة الله عليه لا ياخذ من احد اصلا الا من السري وقال علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بالضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير واكل الميتة كان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قراين الاحوال وكانوا ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من صديقه ومنهم من كان ياخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكبش والاقط وكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك واما السؤال فقد امتنعوا عنه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سال ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك انهم ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا ياخذون مالهم بغير سؤال و استيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضى القلوب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدون والا كانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان يعلم ان المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضى بالباطن وحالة لا يشك في الكراهية ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قول النبي صلى الله عليه وآله حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي والله جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا مال ورثه

من كسب ابيه او احد قرابته اكل من ايدي الناس وان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدي الناس علمت ان جميع ما ياكله او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبه انت او مورثك فاذا بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسال الله عز وجل ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده ٥

بيان مقدار الغنى المحرم السؤال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم من سال عن ظهر غنى فانما يسال جمرا فليستقل منه او ليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير و ليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو قال غداء يوم او عشاء ليلة وفي حديث آخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات و يلحق بنفقته عياله وولده وكل من تحت كفالته واما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس فاما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغي ان يطلب دقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير والادام على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقل ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه في اربعين يوما او خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير بعيد فهو بتاخير السؤال خايف ان يبقى مضطرا عاجزا عن معينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال

خارجاً عن حد الضرورة اشتمل السؤال عن كراهية ويكون كراهيته بحسب درجات ضعف الحاجة
القوت ثم راجع المدح التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا ينضبط وهو منوط باجتهاد العبد
لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكاً طريق الآخرة وكلما كان يقينه اقوى
وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله عز وجل اعلى فلا يكون
الاستعداد للمستقبل ان الله عز وجل رزقت يومك لك ولغيرك الا من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف
الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر و
يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التي ابيح بالضرورة وحال من يحتاج
مترجحة وان كان لما يحتاج اليه في السنة اشد من حال من يسأل للاسبوع واذا خرج لحاجة وراء السنة
كلاهما ... الظاهرة وكلاهما صادر عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله عز وجل
وهذه الخصلة من امهات المهلكات **بيان احوال السائلين** كان بشر رحمة الله عليه الفقراء ثلاثة فقير
لا يسأل وان اعطي لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في
جنات النعيم وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذاً قد اتفق كلهم على ذم السؤال
وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف
تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال
فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك
يا ابا اسحاق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا استاذ فاذاً
درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها
ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين
الى اعلى عليين ... خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل السافلين ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن
لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك بانه ربما يقدر عليه واما ارباب
الاحوال فقد يغلب عليهم حالة تقتضي ان يكون لهم السؤال من درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان هذه
لا تدرك الا بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم رأى ابا الحسين النوري رحمة الله عليه يمد اليد ويسأل الناس في بعض
المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري
لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم وكأنه اشار به الى قوله صلى الله
عليه وآله وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا
لما يأخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة والقاها على المائة ثم قال احملها اليه
فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اسأله
فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد
على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا
لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله
لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم

وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد
القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله عز وجل
بكنه الهمة فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن انكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره
بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه
خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه خال عن
حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق
والمعرفة فقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق
فهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين
ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين
المتكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة اتباع الشيطان نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم
القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد
في المطعم والمشرب والملبس والمسكن وبيان علامة الزهد

حقيقة الزهد اعلم ان الزهد
في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان
ابواب الايمان كلها كما قال السلف رحمة الله عليهم اجمعين يرجع الى قول وعمل وعقد وكأن القول لظهوره
اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما
ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا
طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه
وكل من عدل عن الشيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما رغب عنه لرغبته في
غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذاً يستدعي حال الزهد
مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا مرغوبا فيه بوجه من
الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك التراب والحجر وما اشبهه لا يسمى زاهدا وانما
يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون
عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع
فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله عز وجل
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه وقد يطلق الشرى بمعنى البيع
ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من يوسف
فباعوه طمعا في العوض فاذاً كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا
زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن
يميل الى الباطل خاصة وان كان هو في اللغة للميل ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور
الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله عز وجل

[illegible]

عز وجل او تركها طمعاً في ثواب الآخرة فترك التمتع بالاشربة الدنيا طمعاً في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعاً في الحور العين وترك التفرج بالبساتين طمعاً في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعاً في فواكه الجنة وخوفاً من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفواً صفواً لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة اصلاً

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً قيل معناه ايهم ازهد في الدنيا فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة الى قوله من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله ورزق ربك خير وابقى وقال الله تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ووصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثيرة وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عز وجل عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوماً اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير قال كل مخموم القلب صدوق اللسان فقلنا يا رسول الله وما مخموم القلب فقال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبباً للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات قال الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا قلباً فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا مؤمن حقاً قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزاً فقال صلى الله عليه وآله وسلم عرفت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه فانظر كيف بدأ في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال عبد نور الله تعالى قلبه بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطاً للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور

وقال صلى الله عليه وآله وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي منه فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط معها غيرها صفه لنا وفسره لنا فقال حب الدنيا طلباً لها واتباعاً لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضاً صلى الله عليه وآله وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله عز وجل الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالماً الى دار السلام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع اللبن والظهر واللحم والوبر لعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله عز وجل فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت بك من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهباً لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله عز وجل لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني ما كلفهم فقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه انه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها البس الين الثياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر يا حفصة الست تعلمين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهل بيته حتى فتح الله عز وجل عليه خيبر نشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرب اليه يوماً طعام على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك ووضع على الارض نشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثني له ليلة باربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها نشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه نشدتك الله هل تعلمين

ان امرأة من بني ... صنعت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل
ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال
حتى ابكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول
عمر رضي الله عنه وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير
طريقهما واني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغيد وعن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة
وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال لما ورد موسى صلوات الله عليه ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال فهذا ما كان اختاره انبياء
الله تعالى ورسله وهم اعرف خلق الله تعالى بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه
انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الى قوله بعذاب اليم قال صلى الله عليه وآله وسلم
تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عز وجل عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي
حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله
بثلاث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يستكمل
العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه
من كثرته وقال المسيح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا
ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال وكيف يستقيم
عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف
سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم امر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني
ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت
نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل عليه السلام ان تواضع لله فقال بل نبيا عبدا ثلاثا وقال صلى الله
عليه وآله وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه
وآله وسلم من اراد ان يؤتيه الله عز وجل علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه
وآله وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت
ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا وعن عيسى صلوات الله عليهما اربع
لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في

مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن ايرادها فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس من الدنيا الى الآخرة واليه
يرجع اكثر كلامهم مع الخلق وفيما اوردناه كفاية واما الآثار فقد جاء في الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع
عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا
صنعوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال
تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال الصحابة رضي الله عنهم ايضا لصدور التابعين
انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال
كانوا ازهد منكم في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد
رحمة الله عليه كفى به اثما ان الله عز وجل يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان رحمة الله عليهما
اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا
صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة
وقال يوسف بن اسباط رحمه الله اني لاشتهي من الله عز وجل ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس في
ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله وروي ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء
بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بن عياض بعشرة آلاف فلم يقبلها وقال له بنوه قد قبل الفقهاء وانت
على حالتك هذه فبكى الفضيل رحمه الله وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بقرة يحرثون عليها فلما
هرمت ذبحوها قبل ان لا ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا جوعا يا اهلي خير لكم من ان
تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير رحمه الله كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت
ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيئا لغد اينما ادركه المساء نام وقالت امرأة ابي حازم لابي حازم رحمهما الله هذا الشتاء قد
هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم
البعث ثم الوقوف بين يدي الله عز وجل ثم الجنة او النار وقيل للحسن رحمة الله عليه لم لا تغسل قميصك فقال
الامر اعجل من ذلك وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين
حتى يرفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص
واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله عز وجل من عبادة المتعبدين المجتهدين
الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكأنه التفت
الى معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون
عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدي الى الصحة اكبر منه في الاعطاء المؤدي الى السقم وكان الثوري
رحمه الله يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء
وقال سهل رحمة الله عليه لا يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشياء الجوع والعري والفقر والذل
وقال الحسن رضي الله عنه ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون
على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له
ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام

على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا
الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله عز وجل ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوه ان يغفرها لهم فلم يزالوا
على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة

بيان درجات الزهد

واقسامه بالاضافة
الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلث
درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه
يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد
والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه
والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير
الدرجة الثانية ان يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه
لا يشق ذلك عليه وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى
البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه
وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه
ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة
ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الاخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة
فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا
كما ان تارك الخزفة بالجوهرة امن من طلبه الاقالة في البيع قال ابو يزيد رحمه الله لابي موسى عبد الرحيم
في اي شي تتكلم فقال في الزهد فقال في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه
يتكلم في شي الدنيا لا شي ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة
بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه
ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة
القاها الى كلبه في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح
والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في
المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراجه فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت
اليها ونسبة الدنيا بل لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة
الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف
سنة صافية عن كل كدر لما كان لها نسبة الى نعيم الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي
نسبة لها الى نعيم الابد فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيا معتدا
به ولا يراه شيا معتدا به الا لقصور المعرفة فاذن سبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد
وكل درجة من هذه ايضا درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت بحسب تفاوت الخلاف قدر المشقة في الصبر
وكذلك درجة المعجب بزهده بحسب قدر التفاته الى زهده واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب فيه فهو
ايضا على ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الالام ومناقشة

الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار وفيه الخبر ان الرجل
في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم
لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله عز وجل
ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراغبين فان هولا ما تركوا
قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا اخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان
لا يكون له رغبة الا في الله عز وجل وفي لقائه ولا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات
ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد
الحقيقي الذي لا يطلب غير الله عز وجل لان من طلب غير الله عز وجل فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل
طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله تعالى من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه
لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب
الا الدينار فكذلك من عرف الله تعالى وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة و
بين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن لا يحب الا لذة النظر ولا يوثر
غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور في قلوبهم متسع بل تلك
اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة
الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب
للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه
اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد
كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط
بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل
ولتفصيله مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى
الله عز وجل فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة
للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه
وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي
الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار
والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودة ملك القلوب
اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت
هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في اية
واحدة سبعة منها فقال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في اية اخرى الى خمسة فقال تعالى
اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع اخر الى اثنين
فقال وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى الواحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان

هي المأوى فالهوى لفظ يجمع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذا فهمت طريق الإجمال
والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى
فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر
أمله لا محالة لأنه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فإن من أراد شيئا أراد دوامه ولا معنى
لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال
قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل أي لستم تريدون البقاء
إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في
سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسنيين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة و
يبادرون إليه مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على
فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى إن خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي
وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة
ثقب من آثار الجراحات فهكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضي الله عنهم أجمعين وأما المنافقون ف
فروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم فإيثارهم البقاء على
الشهادة استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين وأما المخلصون فإن الله عز وجل اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا التمتع
عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه وإذا فهمت
هذا علمت أن ما ذكروه في حد الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد ما رآه غالبا على نفسه
أو على من كان يخاطبه فقال بشر رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا إشارة إلى الزهد في
الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك
من الزهد وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر
الشهوات وقال الفضيل رحمة الله عليه الزهد هو القناعة وهذا إشارة إلى المال خاصة وقال الثوري رحمة
الله عليه الزهد هو قصر الأمل وهذا جامع لجميع الشهوات فإن من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء
فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس رضي الله عنه إذا خرج يطلب
الزهد وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال أويس أيضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون
وهو إشارة إلى الرزق وقال أهل الحديث الدنيا هي العمل بالرأي والمعقول والزهد إنما هو اتباع العلم ولزوم
السنة وهذا إن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى
بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فإن من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوها
حتى ينقضي عمر الإنسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده
وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا
إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال وأين هذا ممن
يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس رضي الله عنه ولا شك في أنه أراد طلب الحلال وكان يوسف بن

أسباط رحمة الله عليه يقول من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من حلال فقد أخذ بأصل الزهد
وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس
رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف
سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته أو على اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصاره
على حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر
الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الراهنة
التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا
يكون إلا واحدا ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما
قاله أبو سليمان الداراني إذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله
عز وجل وقد فصله مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع
ذلك ضد الزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله
تعالى وإنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف
المزهود فيه بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة كما قال إبراهيم بن أدهم فالفرض هو الزهد
في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع
في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد إذ قيل لمالك بن أنس رضي الله عنه ما الزهد قال التقوى وأما
بالإضافة إلى خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد إذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر
الحالات لا سيما خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا سماسرة العلماء بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد
فيها لا تتناهى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت
تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد قال توسدك الحجر أي تنعمت برفع رأسك عن الأرض
في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما أنه لبس المسوح
حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف
ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى آثرت الدنيا علي فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان قال أحمد رضي الله عنه
الزهد زهد أويس بلغ من العري أن جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه
صاحب الحائط فقال ما أقمتني أنت إنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط فإذا درجات الزهد ظاهرا
وباطنا لا حصر لها وأقل درجاته الزهد في كل محظور وشبهة قال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة
والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فإن قلت
مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله عز وجل فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس و
مخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى
هو الإقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بالضروريات النفس فمهما
اقتصر من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضه الاستعانة بالبدن على العبادة لم يكن مشتغلا
بغير الله فإن ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج

ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله عز وجل مثل ناقتك في طريق الحج فلا غرض لك في تنعم ناقتك بل
غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان يكون في صيانة بدنك عن
الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة
ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد فان قلت فلا بد
وان التذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذ لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ
الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن قضى حاجته يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا ولا
مطلوبا بالقصد ولا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الطيور
ولكن لا يكون اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين
من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس بالدنيا
ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله عز وجل ولذلك كان داود الطائي رحمه الله له حب مكشوف
فيه ماء فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة
الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء
مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين
في معرفة المضادة التي بين الدنيا والاخرة

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم ان ما
الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما يقتنيها
للترفه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك
لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من
بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال
والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز
منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على بيان هذه المهمات الست فنقول الاول المطعم
ولا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه
فلا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فاما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل
درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا
اشتغل بما تناوله لم يدخر شيئا ولا يرتبط لوما الى ان يحل نفسه فقط وهذه رتبة الضعفاء من الزهاد
ومن ادخر لاكثر من سنة فتسميته زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه
الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من ايدي الناس كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا
فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد واما عرضه
فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره
الله عز وجل في اطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على
الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو كان
من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل

في التنعم وخرج من اخر ابواب الزهد فضلا عن اوايله واما الادام فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت
او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دايما او
اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من اخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة
الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صايما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل وياكل
ليلة ولا يشرب واعلاه ان ينتهي الى ان يطوي ثلثة ايام واسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام
وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والصحابة في كيفية
زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عايشة رضي الله عنها كانت تاتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك
اللحم والمرقة والادام وقال الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف
وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبيد وقال عيسى عليه السلام
بحق اقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل رحمه الله
ما شبع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم منذ قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر وقال عيسى عليه السلام يا
بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد
ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيدها ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده فقال اما اني لست احرمه ولكن اتركها
تواضعا لله واتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صايف فقال اعزلوا عني حسابها فقد
قال يحيى بن معاذ الرازي رحمة الله عليه الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك
الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه و
الزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده
والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى
المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص و
قلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد
وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين
وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع ابواب الزهد من حيث المقدار اما الجنس فاقله المسوح الخشنة
واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى
يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا او ما يقاربه
فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع
ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا
للدنيا ولينظر فيه الى احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عايشة رضي
الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في هذين وقال النبي صلى
الله عليه واله وسلم ان الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي رضي الله عنه

لا ألبس قميصي أبداً ولا أنام بليل على وطاء أبداً ولا أركب على مأثور أبداً ولا أملأ جوفي من طعام أبداً فقال عمر رضي الله عنه من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عز وجل عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيباً واشترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان إزاره أربعة أذرع ونصفاً واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً واحداً ثوباً سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجباً وكان قد أهداه إليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكأنه إنما لبسه أولاً تأكيداً للتحريم كما لبس خاتماً من الذهب يوماً ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شأن بريرة رضي الله عنه اشترطي لأهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما أباح المتعة أولاً ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر إليها اذهبوا بها إلى أبي جهم وأتوني بأنبجانيته فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فإني نظرت إليه في الصلاة ولبس خاتماً فنظر إليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم قد احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجداً ثم قال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه وعن سنان بن سعد رضي الله عنه قال حكت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جبة صوف من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها فقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سئل شيئاً لم يبخل به قال فدفعها إليه وأمر أن تحاك له واحدة أخرى فمات صلى الله عليه وآله وسلم وهي في المحاكة وعن جابر رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل فلما نظر إليها بكى فقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد فأنزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة ربهم ويبكون سراً من خوف عذاب ربهم خفيفة على الناس مؤونتهم وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأفئدتهم عند العرش فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال من أحبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وأوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال لها إن أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه وعد على قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم واشترى علي رضي الله عنه ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا

يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول إن الفقير ليمر بي وأنا أصلي فأدعه يجوز ويمر علي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته فلا أدعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخالطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر إليك وقال أبو سليمان رحمه الله تعالى الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم من العشرين إلى الثلاثين درهماً وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على رأسه وقال بعض السلف أول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الإيمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله عز وجل وابتغاء لوجهه كان حقاً على الله عز وجل أن يدخره له من عبقري الجنة في تخات الياقوت وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا تلبسوا ملابس أعدائي ولا تدخلوا مداخل أعدائي فتكونوا كما هم أعدائي ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر رضي الله عنه في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر رضي الله عنه راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه إلى ابن عمر رضي الله عنه فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم بالزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه إن الله عز وجل أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التنعم وقال إن لله عباداً ليسوا بالمتنعمين وروي فضالة بن عبيد رضي الله عنه وهو والي مصر شعثاً حافياً فقيل له أنت الأمير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإرفاه وأمرنا أن نحتفي أحياناً وقال علي لعمر رضي الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً وقال أبو سليمان رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يلبس الشعر من أمتي إلا مرائي أو أحمق وقال الأوزاعي رحمة الله عليه لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك إلى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلمك ولا تجيبني فقال أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي أو فقراً فأشكو ربي وقال أبو سليمان لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً أوحى إليه أن وار عورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحداً سوى السراويل فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي عليه حال إلا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فإذا أعتق فله والله ثياب لا تبلى أبداً ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب أن لك فضلاً على الناس

بكا ايك المعنى ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق
من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله
لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا الحديث ويبكي المهم الثالث المسكن وللزهد فيه
ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها
ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما
بشرا او اجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر
عن اخر درجات الزهد وان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع
فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن فاختلاف جنس البناء بان كان من الجص والقصب او بالطين او الآجر
واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا
والزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا
آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين
والاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول
والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شي ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التدريز
والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد هو البنيان بالجص وانما كانوا
يبنون على السعف والجريد وقد جاء في الاخبار ياتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما يوشى البرود اليمانية وامر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العباس ان يهدم علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال
لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجهه صلى
الله عليه وآله وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها فدعا
له بخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا خص لنا قد وهى فقال صلى الله عليه وآله وسلم ارى الامر
اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا
على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم
على حاله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة العبد يوجر
عليها الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما اكن
من حر وبرد وقال صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر
رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني
بنيان هامان لفرعون يعني قول الله تعالى حكاية عن فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الاجر وقال
ان فرعون اول من بني له بالجص والاجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف
جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهص ثم رأيته الآن

مبنيا

مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان اصحاب الرهص خيرا من اصحاب
اللبن وكان من السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان
منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي
عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة
اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس
لما شيدوا فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكني اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر
وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم
ويموتون على غير دينكم المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى عليه
السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يشرب بيديه فالقى الكوز وهكذا حكم كل اثاث فانه انما يراد
لمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو
الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان
يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة ياكل
فيها وياكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون الة واحدة في اشياء للتخفيف واعلاها ان
يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع
ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الصحابة
فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم
حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم
حشوها ليف وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم
على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وآله وسلم فدمعت عينا عمر فقال له
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك
وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وآله وسلم اما ترضى
يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الاخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل
يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه
اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم
عمير بن سعيد امير حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها
حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها
راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو
تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي
الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول

[illegible]

الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت [illegible]

[illegible]

[illegible] كلما ذكرت الدنيا [illegible]

صلى الله عليه وآله وسلم ينام على عباءة [illegible]

القرآن [illegible]

[illegible] رضي الله عنها [illegible]

[illegible]

القدر منه وغايته بها ان يعلم ان [illegible] فيا كلونه [illegible] عما يكون في اعلى [illegible] يعتبرون [illegible] المعصية فيكون
شهوة [illegible] عليها ولذلك [illegible] جامع الدنيا وجميع الشهوات [illegible] على نفسه حتى يعتادها
ثم [illegible] الخروج [illegible] بسبب علمه [illegible] والنفس [illegible]
كدودة القز [illegible] وكل من اتبع شهوات الدنيا [illegible]
[illegible] حتى تظاهر عليه البلايا [illegible] المال والجاه [illegible]
الاخرة [illegible] حظوظ الدنيا [illegible] من الدنيا [illegible]
[illegible] ولو ترك [illegible]
[illegible] الموت [illegible]
التي فاتته [illegible] الى الدنيا ومخالب ملك الموت [illegible]
يكون اهون [illegible] الموت [illegible] عن الاخرة بالمجاذبة من الجانبين
[illegible] من حيث انه فما ظنك [illegible]
الا من صميم القلب [illegible] السرائر [illegible] فهذا اول عذاب يلقيه قبل ما يراه من حسرة
فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين [illegible] الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى
الحجاب تسلط عليه نار جهنم اذ النار [illegible] على المحجوب قال الله تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم [illegible] العذاب بالنار على الم الحجاب [illegible] الحجاب كافيا من غير علاوة النار فكيف
[illegible] قال الله تعالى ان [illegible] في روع [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم
[illegible] احبب من احببت فانك مفارقه [illegible] ان العبد [illegible] نفسه باعماله
[illegible] الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما
احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله تعالى عليكم [illegible] كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء
لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا خياركم [illegible] من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء
[illegible] وكان احدهم يعرض له المال الحلال [illegible] اخاف ان يفسد علي قلبي [illegible] فمن كان له قلب
[illegible] والذين [illegible] الدنيا [illegible] الحياة الدنيا
[illegible]
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه [illegible] فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا
من العلم [illegible] قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك
[illegible] فقال لا استطيع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن [illegible] الزهد [illegible]
[illegible] المدح بالزهد [illegible]

يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك
لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ
النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف
المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل
لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم
باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة اليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا
طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق
نفوسهم فظهرت عليهم [illegible] الى الدنيا متبعون للهوى [illegible] كلام الاحرار
فاذن المعرفة الزهد امر مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات
الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل
ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده العلامة الثانية ان يستوي
عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه العلامة الثالثة ان
يكون انسه بالله والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة
الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل
به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله
فلا يجتمع وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن
الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم صلوات الله عليه
اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن
شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون في احد هذين المقامين و
مقامه الاول ان يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه
قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال نعم
قلت قد بلغني انه ورث عن ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير
فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد اراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس
ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل
في الزهد بقدر ما تركه وآخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعل عيسى عليه السلام فنسال الله
ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجري على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل
الله غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه شيء فلا بعد في ان نعظم
السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح
والذم [illegible] ولا يبالي
[illegible] وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد
السخاء [illegible] الراحة في الخروج من الملك [illegible]

عن الله بالتكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصرآباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى تم كتاب الفقر والزهد بحمد الله وحسن توفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الاوساط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه تعالى تكفل برزق عباده وكفل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل منزلة من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني

بيان فضيلة التوكل

اما من الآيات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين

وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية فانه سؤال في معرض الاستنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملأوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال [illegible] فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه ويروى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي قال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وآله وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال جبريل لابرهيم عليهما السلام وقد رمي به الى النار بالمنجنيق الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبنا الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا واما الآثار فقال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص رحمه الله قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية ان يلجأ الى احد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ رحمه الله في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم رحمه الله سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني رحمة الله عليهما اين تامرني ان اكون فاومأ الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال

بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التو
اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم
من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل
اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة
ونحن انما نحتاج فيها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له
والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن
قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل
التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول
وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا
بها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب
وينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في
قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول
الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق الثانية ان يصدق بمعنى اللفظ
قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام الثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام
المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار الرابعة ان لا يرى
في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا
واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني
عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد
بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن تكذيب ما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه
انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة ان توفي عليها ولم يضعف بانواع المعاصي
قوتها لاحكام عقدتها والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا
فاعل بالحقيقة الا واحد وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة
الرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد
وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث
كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكلت فهي مرة المذاق وان
نظر الى باطنها فهي كريه المنظر وان اتخذت حطبا اطفات النار واكثرت الدخان وان تركت في البيت ضيقت
المكان فلا تصلح الا لان تترك مدة على الجوز للصيانة ثم يرمى بها عنه وكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق
بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن ولكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت
الموت والقشرة السفلى القالب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق
القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده
وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند

الادخار

الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد
من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل
بانشراح الصدر وانفتاحه واشراق نور الحق فيه اذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس
في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك
توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوائب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة
الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض
وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار
هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم
المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون
واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه و
عروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى
الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده
والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت
الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة
وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبار اخر سواه كثير وبعضه اشد كثرة من بعض ومثال الانسان
وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد من هذا
الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا
التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك منه نصيب
بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف
وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار
فقال فيماذا انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت
عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث فطالبه
بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما
يفهم به كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل
حال التوكل بالتوحيد الثالث اما الاول وهو النفاق فواضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود
في عموم المسلمين واما الثالث فهو الذي يبنى التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حالة التوكل
فلنذكر منه القدر الذي يرتبط به التوكل دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف
لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك
مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره
بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما

سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة
اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي
بهما ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات
اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد
في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك
قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون معناه انهم يقولون
لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح مخلوقة لا تهب ولا تتحرك ما لم تحرك
فالتفاته التفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه
وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته
من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت
اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الموقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة
والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة تسخير القلم في يد
الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله عز وجل هو الكاتب
كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخر على
هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فياتيك في المهلكة الثانية وهي
الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله عز وجل وهذا الانسان
يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه
وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت
تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم
هو المسخر وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين
فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء
من ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس القلم يسود البياض ولم يمتد بصرها الى
اصابع الكاتب ويده فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن
مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها وكذلك من لم يشرح الله عز وجل صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة
جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب
القلوب والمشاهدات قد انطق الله عز وجل في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء
حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق ينطق بلا حرف وصوت الحقيقة لا [يسمعه]
الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم
انما اعني به سمع الحقيقة والسلام فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت
وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض [مع]
ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلمات الله تعالى الذي

لا نهاية له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي
باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه
فنادى به على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم
اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض
الاسرار فاذا عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة
افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها
قدرا يسيرا نفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله عز وجل
للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت
وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل
الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن وطنه ونزل بساحة وجهي [illegible] ما ترى
فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها
فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على
ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر عن وطنه
فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين
فنحتت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي ثم فصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم
غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة راسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك
وعتابك فتنح عني وسل من قهرني قال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها القلم وتعديها عليه واستخدامها له فقالت
اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة
والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والشجر والحجر لا يتعدى شيء منه مكانه ولا
يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم
والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب
ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها فقالت
القدرة دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت
اني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما
ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه
مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصولته
اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقالت صدقت ثم سأل الارادة
ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا
ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكن انهضت وما انبعثت
ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان

العقل بالاشخاص العقلية وانخصها باضطرار فاني سكين مسخر تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه
وسخرته والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وراحة وسكون مالم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحكم
الحاكم الذي لا ادري الظالم ام العادل وقد وجبت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما لا يسعني معه مخالفة حكمه بطاعة
على التحالف بالمعرى ما دام هو في التردد مع نفسه والضمير في حكمه وانا ساكنة لكن مع استعداد وانتظار لحكمه
فلذلك الجرم حكمي ان يجب بطوع من تحت طاعته والتحيت العزيز لتقدم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني
ودع عنك عتابك فاني مهما [illegible] عن جرم ودون قد ردي الاعيا فهم في الحظون هم فقال صدقت
واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا لهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال
العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت
وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انبسطت بنفسي عليه فكم كان هذا
اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه
وقال لقد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني
كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني
خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من العظم او الخشب ولا خطا
الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد من
ذلك شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل
ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما
انت فيه فما هذا بشانك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك
وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم
واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو وراءي فاذا جاوزتني
انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث
وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت ولقد قطعت منه ثلثة منازل في اوله منزل القدرة ولا
[illegible] عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت يشبه السفينة التي
هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي
على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت به قوته الى ان يركب السفينة كان كمن يمشي
في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت
لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء
الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي به يكتب العلم وحصول اليقين الذي به يمشي على الماء اما سمعت
قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى صلوات الله عليه لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان
يمشي على الماء فقال السالك قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري
اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه
نحوي فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم

الجبروت

الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اول امره
كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم
قلما الا كذلك فقال القلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى
لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك يده لا تشبه الايدي وقلمه لا يشبه الاقلام وكلامه لا يشبه سائر الكلام وخطه لا يشبه
الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فان كنت لا تشاهدها هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه
وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تبارك وتعالى وصفاته
عن مشابهة كلام البشر [illegible] يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه
وآله وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته شيئا من التشبيه فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا
والا فلا تلعب بالتوراة وان كنت فهمت الحديث وصدقته وسلمته من ان ينعكس ويتخيل في اعتقادك شيئا
بوجه فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى
فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادي بما نودي به موسى اني انا ربك فلما سمع السالك
من القلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على
نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه القلم
اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له القلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار
هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب
يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم فتعجب منه [illegible] فقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا
اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال
قد طال مقامي عندك ومرادي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم فسافر اليه وقال له ايها القلم ما
بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال
لقد نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته فاحالك على اليد قال لم انس
ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته
قال نعم قال فسل عن شأني الملك الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي
وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال السالك فمن يمين الملك فقال القلم اما سمعت
قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من
عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه
بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع بع
فرأى القلم متحركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه القلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين
الذي رايته في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك
الى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبلها فسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة
فاسأل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ وان يطلق بالجراءة لسان السؤال

فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة
الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك
وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك
من سخطك ومالي الا ان اسالك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل
عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه
فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك
فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به فان اصحاب سيد الانبياء
صلى الله عليه وآله وسلم كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا
من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر
عن اسولته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا
حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان
صح عندي عذركم وانكشف لي ان المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم
الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر في عالم
الشهادة استبعد ذلك منه وقيل كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو
الظاهر والباطن فالاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه
الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل
الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو الآخر في المشاهدة والاول في الوجود وهو
الباطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس الظاهر بالاضافة الى من طلبه
في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهذا كان توحيد السالكين لطريق
التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى ان ينبني على
الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك [illegible]
لعالم الملكوت كانكاري [illegible]

[illegible]

يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموا بلسان الظاهر وردوا اذ روح التوحيد الى حضير
فهمه فان من عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال
له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما
رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلفت الانبياء
ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة فان قلت
فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي
عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا فلذلك
يحتاج صاحبه الى عالم متكلم يحرسه بعلمه او الى ان يتعلم
وهو اهل السنة من علماء الدين وائمة الحق ليحرس بها العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل
بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد
يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه
انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب
السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى
ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم بل قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع
التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا
خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل
من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في
عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فهو من عند الله عز وجل فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا
فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا
في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء
ان شاء ولا يشاء ان لم يشأ لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علمت انه يفعل ما يشاء اذا شاء
[illegible]

القدرة [illegible] بالضرورة [illegible] [illegible] ويجري [illegible] الامور [illegible] ان يكون [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] ومعنى كونه [illegible]
[illegible] على الاختيار [illegible]
[illegible] بين المرتبتين [illegible]
[illegible] اهل الحق [illegible] من الاختيار ارادة [illegible]
[illegible] جميع [illegible] في الغالب [illegible] ان [illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible] والبحر [illegible] العلم [illegible]
كتاب الله [illegible]
[illegible] ان العلم [illegible] الارادة والارادة [illegible] القدرة والقدرة [illegible]
المتقدم فان قلت ذلك [illegible] الله تعالى [illegible] ذلك [illegible]
البعض من هنا على البعض فاعلم ان القول [illegible] بعض [illegible]
او بغير [illegible] جميع ذلك على القدرة الازلية [illegible] الذي لم [illegible]
في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة [illegible] على [illegible] وهو بعيد [illegible]
وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات [illegible] الشروط على الشرط [illegible]
من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا [illegible] يجوز ان يقال [illegible]
حصلت [illegible] الذي هو شرط [illegible] بعض [illegible] مما ظهر للعامة [illegible]
لم يظهر الا للخواص [illegible] الحق [illegible] الا بالحق واللزوم وكذلك
جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير [illegible] تعالى الله [illegible]
علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق
وكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب [illegible] يكون الا كما حدث وعلى الترتيب
الذي وجد فما تاخر ما تاخر الا لانتظار شرطه [illegible] الشرط محال [illegible] بكونه [illegible]
[illegible] العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحيوة ولا يتاخر [illegible] الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم [illegible]
[illegible] الحق ليس [illegible] من ذلك [illegible] بحكمة وتدبير [illegible]
[illegible] على وجود الشرط [illegible]
[illegible] فالحدث [illegible]
[illegible] الحدث [illegible] القدرة الازلية [illegible]
[illegible] المقيد [illegible] الحدث [illegible] الشرط [illegible]
[illegible] الاعضاء [illegible] الحدث [illegible]
[illegible] عقيبه [illegible]
[illegible] الحدث [illegible] الوجه فان [illegible]
هو [illegible] الى الحركة [illegible]

[illegible] المآء اذا وقف عليه [illegible] والعطش والكتبة وهذه [illegible]
[illegible] في ارادة [illegible]
[illegible] على وجهه [illegible] فعلا اختياريا [illegible]
[illegible] الفعل الطبيعي [illegible] السطح [illegible] الغرق [illegible]
الغرق [illegible] ضروريا او التنفس [illegible] الى الارادة التنفس كنسبة [illegible]
[illegible] الى [illegible] الاغراق [illegible] الارادة [illegible]
[illegible] الاجفان [illegible] اذا [illegible]
[illegible] الارادة [illegible] الحركة [illegible]
[illegible] ضروريا فاما الثالث وهو [illegible]
[illegible] الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة [illegible]
[illegible] وهذا [illegible] الاختيار [illegible] عنه وبيانه ان الارادة تبع العلم [illegible]
[illegible] الظاهرة او الباطنة [illegible] يوافقك من غير
تردد وتحير [illegible] بعقل [illegible] بغير تردد ان يقصد عنك مثلا [illegible]
[illegible] في [illegible] يوافق فلاجرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة
الارادة [illegible] السيف من غير روية وفكرة ويكون ذلك [illegible]
ومن الاشياء ما يتوقف [illegible] يحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان
[illegible] الفعل او الترك فاذا حصل الفكر [illegible] احدهما خير الحق ذلك بالذي يقطع به من غير
روية وفكر [illegible] الارادة [illegible] السيف والسنان فاذا انبعث لفعل ما ظهر للعقل
[illegible] الارادة [illegible] الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة
[illegible] الارادة [illegible] الان [illegible] في دفع السيف [illegible]
من [illegible] على [illegible] عن ارادة خاصة وهي التي انبعث [illegible]
[illegible] الخيرين [illegible]
[illegible] الارادة [illegible] العقل [illegible]
[illegible] القدرة [illegible] الداعية [illegible]
[illegible] الفعل [illegible] نفسه [illegible] الاعضاء [illegible]
[illegible] فان الفعل [illegible] الحكم [illegible]
[illegible] نفسه وان حكم [illegible] الفعل [illegible]
[illegible] الارادة والقدرة [illegible]
[illegible] ولا [illegible] ان لا [illegible] نفسه [illegible]
[illegible] العقل [illegible] ان [illegible] نفسه
[illegible] الارادة [illegible] الداعية [illegible]

بالعلم وكم زال الخطاب باعتبار تفاوت الحديث عن الوجه ان نفعا [illegible] عن الدين بالملك المنازل في الانفس الى الله
وانما لم يتميز ولم يحدث فيها شي [illegible] بتميزه [illegible] بوجود الشرط فظهرت العلة فكذا ينبغي ان يعلم
صدور المقدورات من القدرة الازلية [illegible] المقدور استحالة حادثة فهذا [illegible] عالم
آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد [illegible] ان كان
الفاعل بالحقيقة واحدا هو المخوف والمرجو وعليه الاعتماد والتوكل ولم يقدر على ان نذكر من بحار التوحيد
الا قطرة من بحر [illegible] من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك [illegible] مثال
كالنسبة بماء البحر الى قطرات منه وكل ذلك منطوي تحت قول لا اله الا الله وما اخف مؤنتها على اللسان
وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظها على القلب [illegible] حقيقتها ولبها عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم
فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال
للعباد فاذا كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول
بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم
مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى
آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى
كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد ان خلق الله عز وجل فيه الارادة بعد ان خلق الله فيه
العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط
المعلول بالعلة والارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا كيف ما كان
الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك
سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال
في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم
ملك الموت الذي وكل بكم وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال الله تعالى افرأيتم ما تحرثون اضاف
الينا ثم قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وقال تعالى فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل وكما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم
والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون
الرب به راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال تعالى ثم ان علينا بيانه وقال تعالى افرأيتم ما تمنون
أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم
ويأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا ويقول يا رب أذكر ام انثى أسوي ام معوج فيقول الله عز وجل ما شاء
ويخلق الملك [illegible] يصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض اهل القلوب ان الملك
الذي يسمى الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في الجسم

لذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك [illegible] من اشارات القلوب بما [illegible] فاما
كونه الروح [illegible] ان يعلم [illegible] وكذلك ذكره تعالى في
القرآن [illegible] على كل شي شهيد فقال تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو [illegible] الاشياء [illegible]
طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي
بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى او لم يكف بربك انه على كل شي شهيد وقد وصف الله
تعالى نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين فقيل [illegible] الموت والحياة [illegible]
لملك الموت انا اميت الاحياء وقال لملك الحياة انا احيي الاموات [illegible] الله تعالى اليهما كونا على عملكما فانا
محركهما من الصنع وانا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذا [illegible] متعلقة [illegible]
هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم للذي [illegible] ولما [illegible] تاب الى
الايمان اليه والى الزرع ومعلوم ان الزرع لا يأتي على [illegible] الايمان اليها وكذلك لما قال
التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال صلى الله عليه وآله وسلم عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل
الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق لاهله والحقيقة ايضا ومن اضافه الى غيره فهو [illegible]
كلامه والتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الحقيقة [illegible] واضع اللغة للمخترع [illegible] الى
مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق [illegible] ان نسبته الى الله تعالى [illegible] النسبة
الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا
ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالتجوز اي تجوز
عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام اصدق بيت قالته العرب قول لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه
وانما يقوم بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم
الذي ليس كمثله شي وهو السميع البصير فانه [illegible] وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق [illegible]
قال [illegible] لما [illegible] كان ولم يكن [illegible] فلا كنت اليوم صرت تعرف [illegible]
ولم تكن [illegible] اليوم [illegible] التراب والتعاجب والغضب [illegible]
وكيف [illegible] على [illegible] في كتاب الشكر ولا نطول باعادته فهذا هو [illegible]
الذي [illegible] من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة [illegible]
يورث [illegible] الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة [illegible]
التوكل [illegible] بالوكيل وطمأنينة القلب [illegible] الكفيل [illegible]
من ابواب الايمان [illegible] فلنذكر [illegible]
اعتقادا قاطعا لا يسترب فيه [illegible] الله تعالى [illegible]
كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم [illegible] الحكمة [illegible]
ثم [illegible] كشف لهم [illegible] الامور [illegible]

اللطف بهم حقا بالعموم حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله تعالى الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة او يخفض ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم عليه به بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق كما ينبغي وعلى ما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل به لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحهم ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الان بحر اخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشائه المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشيئة ولا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه الرموز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله

وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان اعمال المتوكلين والكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا

واثق

واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القدرة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء واما القدرة والقوة فليستجرئ بها على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس واما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر خصمه او لم يظفر هلك به حقه او لم يهلك فان شك في واحد من هذه الاربعة او جوز ان يكون خصمه اكمل منه في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية ويصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعيا وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك كمال العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه عنه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عنه وان كان متيقنا لكونه ميتا وجمادا في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الان ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او المبيت معه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عنه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء اخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال الله تعالى لابراهيم اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان

بما هو احوط [illegible] في حياته [illegible] جميع الحيل [illegible] ولا يطمئن باليقين الى
[illegible] الا ان يرتبط بالاخرى [illegible] فلذلك لا يكون في [illegible] كم من مطيق [illegible]
[illegible] الى وجوده وكذا [illegible] ولا يعتمد عليه [illegible]
[illegible] الا الظن وما يدريه الا النفس [illegible]
[illegible] ولا يمنع اليقين [illegible] فهي احد الاسباب التي [illegible]
[illegible] بالخصال الاربع احد الاسباب التي [illegible] ولذا اجتمعت هذه الاسباب
[illegible] مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان مثله وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
[illegible] واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة في
[illegible] الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته
وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف
غيرها ولا يفزع الى احد سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في
غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وكفايتها
وشفقتها ثقة [illegible] نوع ادراك بقدر ما له من التمييز ويظن انه طبع من حيث الصبي لو طولب بتفصيل
هذه الشروط لم يقدر على تلفيقه لفظا ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن
كان باله الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل
على امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل
وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل بالتكلف والكسب
وليس فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعورا به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده
والى هذه الدرجة اشار سهل رحمة الله عليه حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني قيل واوسطه قال ترك
الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة
وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله عز وجل في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه
يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة
والارادة والعلم وسائر الصفات [illegible] فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي
فان الصبي يفزع الى امه ويصيح [illegible] بل هو مثل صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام
تطلبه وان لم يتعلق بذيل امه فهي تحمله وان لم يسألها اللبن فهي تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل
يثمر ترك الدعاء [illegible] ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال
[illegible] والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط
[illegible] فان قلت [illegible] فاعلم ان [illegible] ولكنه عزيز [illegible] المقام
[illegible] الاول [illegible] والثاني [illegible] لا يكاد
[illegible] الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبعي
[illegible] عن [illegible] على الدوام

ظاهر

ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت [illegible] فان
[illegible] يرى حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة فكذلك الانقباض [illegible] القلب بالكلية عن
الحول والقوة وملاحظة الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم [illegible]
[illegible] شبه صفرة مريض [illegible] لا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول [illegible]
[illegible] العبد تدبيره وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير [illegible]
الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله تعالى [illegible]
والابتهال [illegible] التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي
بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير
الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه
باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير [illegible]
توكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة [illegible] بل من تمام توكله عليه
ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه [illegible]
فهو ان يعلم من عادته [illegible] انه لا يحاج الخصم الا من السجل فمن تمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون [illegible]
وعادته وافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه [illegible]
وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه [illegible]
بعد ان حضر وفا باشارته واحضر السجل [illegible]
الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت [illegible]
كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل [illegible]
النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا [illegible]
انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير [illegible]
تفصيله في الاعمال فاذا فزع المتوكل الى حوله [illegible]
الوكيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
القلب [illegible]
الكلمة [illegible]
الى الله تعالى فقط [illegible]

ومن الشيئين المترقب ثواب لا اكله الا ... [illegible] ... مما ذكرناه من قبل في التوحيد ...
ولكن ذلك لمن ذاق الحكمة ولسان الكلمات واكثر الخلق ... بالقشر ... الى اللبنة ...
بعد وصول الفضل ... ان لا اله الا الله ... الجنة ... [illegible]
... [illegible] ... الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع
... [illegible] ... العمل الصالح ... الدنيا بالحرث ...
... [illegible] ... حرث نفس ... الصدق والاخلاص ... [illegible]
الا المقربون وهم المخلصون نعم ... من اصحاب اليمين ... درجات عند الله وان كان لا
... [illegible] ... الواقعة ... [illegible]
الى ... [illegible] ... اصحاب اليمين ... الظل ... [illegible]
والحور العين فكل ذلك لذات المنظور والمأكول والمشروب والمنكوح ... البهائم على التمام
وفي لذات البهائم ... الملك ... على عليين في جوار رب العالمين ... تلك اللذات ...
... على البهائم ... الملائكة ... البهائم ... بالمياه في
اصناف المأكولات ... اعلى واشرف ... ذوي الكمال ...
من احوال الملائكة في قربهم من جوار الله تعالى في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعدهم ...
حتى ان يكون ... [illegible] ... ولبس ...
الحيوان ... صنعة الكتاب ... [illegible]
... الكتاب ... البهائم ... الملائكة
... بالملائكة ... كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل
لان الانعام ... درجة الملائكة ... الانسان ... والقادر على
... الذم ... طلب الكمال ...
... لا اله الا الله ... لا حول ولا قوة الا بالله ... [illegible]
... حال التوكل ... لا حول ولا قوة الا بالله ... الى الله تعالى ...
... [illegible] ... على ...
... السماء والارض ... [illegible]
... [illegible]
[illegible]

حتى الكلمة بترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحي وسيتضح ذلك
عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل ... بيان اقاويل الشيوخ في حقيقة التوكل ... ليتبين ان ما
ذكرناه ... لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي
يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت فقلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك
ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار
يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام
الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان
ما فعله الله سبحانه وتعالى فعله بالوجوب فلا يميز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل ... وهذا
من اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات ... الدرجات وليس
... عن الحيات ... المقام الاول من التوكل فقد ... ابو بكر ... الى الحيات
الحيات التي ... ولم يتغير ... رسول الله صلى الله
عليه وسلم ... التوكل ... [illegible]
لكن ... ان ... ذلك واكثر منه ... التوكل ... الحيات ...
ان يخاف ... الحيات اذ لا حول ... ولا قوة الا بالله وان ... على ...
... على خالق الحول والقوة ... عن التوكل ... الخلع
وقطع الاسباب وخلع الارباب ... على علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال ...
... الحال وان كان اللفظ ... تعالى ... الى الحول ...
... الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل ... عشرة آلاف درهم
عليك ... ان تموت ... ان ...
... الله عنك ... اشارة الى ... في ...
... هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال
... فقال ترك كل سبب ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
[illegible]

وترك التدبير والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة او كاللحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع
والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطا عنه
فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل
جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصايل
والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود جملة حركات العبد لا يعدو هذه
الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل
واحد منها مقرونا بشواهد الشرع الفن الاول في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب المنافع
على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمين اليه
الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله عز وجل ومشيته ارتباطا
مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جايع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه و
تقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد الى الطعام سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه
باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شي فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك
شبعا دون اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله
عز وجل وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت ان يخلق الله عز وجل نباتا من غير بذر او تلد الزوجة من غير وقاع
كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاوه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال
والعلم اما العلم فهو ان يعلم ان الله عز وجل خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك و
يسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله عز وجل لا على اليد والطعام وكيف تعتمد
على صحة يديك وربما تجف او تفلج في الحال وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك في الحال ما يزيل
عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى عليك من يغلبك عليه او
يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن له علاج الا
بفضل الله تعالى فبذلك فليفرح وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل الدرجة الثانية
الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي
يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد
فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد
على فضل الله عز وجل لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جايز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله
الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقا النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين
احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر
عنه من غير ضيق وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله عز وجل والثاني ان يكون بحيث يتقوى على التقوت بالحشيش
وما يتفق من الاشيا الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو غالبا الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه
آدمي او ينتهي الى محلة او قرية او الى حشيش يجتزي به فيحيي به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وبهذا
كان يفعله الخواص ونظراوه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل

والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الما فيها على وجه الارض وما جرت
سنة الله تعالى بصعود الما من البير بغير حبل ولا دلو ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود
الحشيش والما يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحر
لا يصبر عن الما وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد
المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شي مما يوجد في البوادي
فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق
الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البير من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه فبين
الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ما ولا
حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد
فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت
ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي
لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب
فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني
ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة
وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله تعالى دون الاسباب لا يناقض التوكل
كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفا
بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب الخفية لا الى السبب فان قلت
فما قولك في القعود في البلد بغير كسب اهو حرام او مباح او مندوب اليه فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب
السياحة في البوادي اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان
ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت
على نفسه بحيث لا طريق لاحد عليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بالعبادة
فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسوال
والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه
بل تطلعه الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله تعالى فهذا افضل فهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا
يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلما الحكما وهو ان العبد لو هرب من
رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله عز وجل ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال
له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شي الا في الرزق
والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو توكلتم على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعايكم الجبال وقال عيسى صلى الله عليه وسلم
انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى
الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد

بلا تعب منهم وعندهم شغل لو فقدوه دون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم ياكل بذل
كالسؤال وبعضهم ياكل بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم ياكل بامتهان كالصناع وبعضهم ياكل بعز كالصوفية
يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التي
يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب
ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بالحيل
الدقيقة اكتسابا لمباح المال مباح فاما اخذ الشبهة او اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على
الدنيا والاتكال على الاسباب ولا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب المنافع
مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصف المتوكلين
بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بانهم يتعاطون
هذه الاسباب وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر ولا يمكن احصاؤه وقال سهل
رحمه الله التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم و
لعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد
ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى
مقطوع والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب
الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل والمتوكلون
في ملابسة هذه الاسباب على ثلث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي
بغير زاد ثقة بفضل الله عز وجل في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه وتيسير حشيش او قوت او تثبيته على
الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك
ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار
فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار
متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله واذا كان نظره الى الله
يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل
الله بتعريفهم وتحريكهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث
والرابع من كتاب ادب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينته الى
كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك كله ربما اهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق
بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما
يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم
ثم ان كان هذا المكتسب يكتسب لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا
اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعي فيه الشروط وانضاف
اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح اخذا الاثواب تحت حضنه
ودخل السوق وكره المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل هذا وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي

فاني

فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم
وتطييب قلوبهم واستغراق وقته بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام
التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك السعي والكسب بل باعتبار قطع الالتفات
الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق
الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من
درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل
الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد قال ابو جعفر الحداد وهو
شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا
ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في
التوكل بحضرته وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع
معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا
على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهذا اقوى لكنه بعد
اشتهار القوم بذلك فقد صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة
كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لذكر و
فكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه
الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى
وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب له اولى لان استشراف القلب الى الناس
سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما يستشرف اليه نفوسهم كان احمد
بن حنبل رضي الله عنه قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده
فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فقبله وسئل احمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت
نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص رحمه الله اذا نظر الى عبد في العطاء او خاف
اعتياد النفس لم يقبل منه شيئا وقال الخواص رحمة الله عليه وقد ذكر اعجب ما راه في اسفاره رايت الخضر عليه
السلام ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذا المكتسب اذا راعى اداب
الكسب وشروطه كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته
كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او
خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في
السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده فقد سكن اليه
وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لان السري كاتبه وقال بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل ارايت
ان اخذ الله سمعك وبصرك فالرزق الى من فوقع ذلك في قلبه فرمى بها واخرج الآلة من يده وتركها وقيل
تركها لما توهمت باسمه وقصده لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان رحمه الله عليه خمسون دينارا
يتجر بها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب

[illegible]

[illegible]

وجلست فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقال رزقي في السماء وانا اطلبه من الارض [illegible]
[illegible] وكان عمر رضي الله عنه [illegible] وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا
امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث قلت لا والله لا استغيث فما استتممت
هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه احد
فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر فهممت ان اصيح فقلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا
بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وادلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف
ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة أليس هذا احسن نجيناك من
التلف بالتلف فمشيت وانا اقول ‌ نهاني حيائي منك ان اكشف الهوى ‌ واغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في امري فابديت شاهدي ‌ الى غائبي واللطف يدرك باللطف ‌ تراءيت لي بالغيب حتى كأنما
تبشرني بالغيب انك في الكف ‌ اراني وبي من هيبتي لك وحشة ‌ فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا انت في الحب حتفه ‌ وذا عجب كون الحياة مع الحتف ‌ وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي
الايمان بها وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه
في اسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا
يتم اصلا **بيان توكل المعيل** اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين
احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها
ان يطيب نفسا بالموت والجوع وهو ان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير
الرزقين له وهو رزق الآخرة فهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليفه العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر
عندهم الايمان بالتوحيد وان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك
باب من ابواب الايمان فلا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر الصديق
رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او القعود عن الاهتمام
بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين
عياله فان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة
فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده ولا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر مع الجوع
فان كان لا يطيق [illegible] قلبه [illegible] لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي
نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ [illegible] فقال له [illegible] لا يصلح لك التصوف الزم السوق
لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام [illegible] وقال ابو علي الروذباري
اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق [illegible] بالعمل والكسب [illegible]
[illegible] في حق [illegible] نفسه والصبر على الجوع والتوكل
في عياله [illegible] ان التوكل [illegible] الصبر على الجوع
[illegible] ان يأخذ الرزق [illegible] البلاد والاسفار [illegible] التي لا تخلو عن حشيش
وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل

باستصحاب القوت الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب
[illegible] ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل
الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت الارض انكشف له
ان الله عز وجل دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن
الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف [illegible]
سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم اذا انفصل
سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله بما اشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن
له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولما كان لرخاوة مزاجه لا يحتمل الغذاء الكثيف
ادر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند الانفصال على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام
فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل
يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ محض جهل فان [illegible] ما نقصت اسباب معيشته
بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر عليه فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه واحدا
الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط
الله عز وجل الشفقة والحب على قلبه فلذلك قد خلق الله عز وجل الشفقة والمودة والرحمة على
قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعث
داعيته الى ازالة حاجته فقد كان المشفق واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون
عليه لانهم رأوه في كفالة الام وهو مشفق خاص فلم يروه محتاجا ولو رأوه يتيما لسلط الله تعالى داعية
الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذوه ويكفلوه فما رؤي الى الآن في بلاد الخصب يتيم قد
جاع مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى متكفل بواسطة الشفقة التي خلقها في
قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ [illegible] وقد كان له المشفق واحد
والمشفق الآن الف نعم كانت شفقة الام اقوى [illegible] ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت
فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض [illegible]
ضعيف شفقة الآحاد [illegible] على الضرورة [illegible]
[illegible] القضاء [illegible] الجنين
فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا لصغره واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون
اليه [illegible] هذا القادر [illegible]
معنى التوكل في حقه وان التوكل مقام من مقامات الدين [illegible]
التوكل [illegible] الله [illegible] العبادة [illegible]
في ترك الكسب [illegible] الله تعالى [illegible] اليه فوق
كفايته وانما عليه [illegible] الناس [illegible] علم او عمل
مستغرق الاوقات [illegible] بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس [illegible]

[illegible]

سنة الله عز وجل علم ان الرزاق ليس يعلق رزقه بالاسباب ... [illegible]

والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه ... [illegible]

رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الارزاق ... [illegible]

احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب الامثال

اعلم ان مثال الخلق ... [illegible]

السؤال ووقفوا في ميدان على باب قصر الملك ... محتاجين الى الطعام ... [illegible]

من الخبز وامرهم ان يعطوا بعضهم ... [illegible]

اذا خرجوا اليكم لا ينبغي ان ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

شئ فقال اثنان منهم ليتني مرضت للغلمان ولبثت لطعامي فخفت ... المصير ... الثالث الى
الصباح فقال بدرجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو محجوم الدنيا وباب الميدان الموت
[illegible] المجهول ... الوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل ... جائعا ... [illegible]
ذلك الى الميعاد المتفاوتة لانه الشهادة احياء عند ربهم يرزقون ... فالغلمان هو المتعرى في الآلا
والمشان المجردون عن الاسباب ... الراي ... الامصار وباب الى
والمتابع على هيئات الملوك ... المجرون ... على هيئة التوكل والاحتيا
والرزق ... فان مات ... الشهادة والقرب عن الله عز وجل
وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل ماية تعلق بالاسباب ... قام ... من الشرف
اثنان ... الاسباب بمجرد حضورهم ... الله ...
... كان في الاعصار ... الاسباب ...
الذي ... في التعرض لاسباب الادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال
... في ادخاره ... في الوقت فيأكل ان كان جائعا
... ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ... الحال ... ولا يدخر الا
... الذي يدرك من يستحقه ويحتاج اليه ... موجب التوكل تحقيقا
... الحالة الثانية المقابلة ... ان يدخر لسنة فما فوقها
... من المتوكلين ... النار والنملة وان ادم الحالة الثالثة
[illegible]
... التوكل ... الاربعين يوما ...
... التوكل ...
[illegible]

في الاقتناع ... بكرة وعشية ... فلم درجة ...
كان امله ... درجة من اهل شهر ولا درجة من اهل ... اشهر ...
... ولا يمنع من الادخار ... فان ... ضعف قلبه ...
... كان ... في التعقيب ... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
رضي الله عنها ... مجاهدة ...
... الثلاثة ... قلنا وما هي يا رسول الله ...
... الشتاء ... واذا جاء الصيف
... وعرية القصير ...
اليه ... فمعنى ذلك ... فادخاره لا ينقص الدرجة واما ... الشتاء ...
في حق من لا يتزعزع قلبه بترك الادخار ... نفسه الى ايدي الخلق ...
فان كان يستشرف نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى
اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله تعالى ... يشغله وجود المال ... يشغله عدمه ...
ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدنيا في عينها ... لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ... اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الصناعات فلم يأمر التاجر بترك
تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم
ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى ... الاشتغال بالله ... فصواب
ادخار ... حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج
عن التوكل بادخار قوت سنة لعياله ... ان ادخر شيئا ... لا عن الادخار
... ليفطر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ... اذا ... ولا تمنع
اذا اعطيت ... فالاقتداء ... المتوكلين ... الله عليه وسلم ... اذا
... ويقول ... صلى الله عليه وآله وسلم ...
توكلهم اذ كان لا ... ولكنه ... باعتبار ضعفا بالاضافة الى ...
في ... لا ... اسامة ...
وسلم ان الله عز وجل ... الضعفة ...
... الناس ... عن ستة ...
... العالمين ... اعتبار ... ودرجاتهم ...
... ابو امامة الباهلي رضي الله عنه ... الناس ...
... الصفة ... وجد ...
... الخلق ... وكانت ... اوله ...
... في حق ... ان ... قال الله
... حالهم ... الحال ... عند ...

[illegible]

... ويشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي من أصحابه كنت عنده ضحوة
من نهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام إليه بشر قال وما رأيته قام لأحد غيره قال ودفع إلي كفا من دراهم
وقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي مثل ذلك قط قال فجئته بالطعام فوضعته
فأكل معه وما رأيته يأكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه
وحمله معه وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته فقال لي بشر لعلك أنكرت فعله قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن
قال ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وإنما أراد أن يعلمنا أن التوكل إذا صح لم يضر معه
الادخار ... [illegible]

[illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصف المتوكلين ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز الى فقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة
بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل اسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس شرطا في التوكل
لذلك كان الخواص رحمه الله ياخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله جارية
بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يقدر
عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلما امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف
يتاذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن
ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه تعالى ولما اعطاه فاستدل على ذلك
بتيسير الله وحسن الظن بالله عز وجل مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك مقطوعا به اذ
يحتمل ان يكون خيرته في ان يتكلف بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل عوضه ويكون ثوابه في التعب والنصب اكثر
فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغيرت ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا
ان الله تعالى علم ان الخيرة كانت لي في وجودها الى الان وان الخيرة الان لي في عدمها كما اخذها مني فبمثل
هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من
حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية به ولطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما
يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قدمه الي
وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك فرح ايضا وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني
وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله عز وجل ما يعتقده المريض في الوالد الشفيق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه
التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وافعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا
يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير
لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه او ببقائه فانه لا يدري ايهما خير له لا في الدنيا ولا في الاخرة
فكم من متاع في الدنيا سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا

بيان آداب المتوكلين

اذا سرق متاعهم للمتوكل آداب في متاعه اذا اخرج عنه الاول ان يغلق
الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان
مالك بن دينار رحمه الله لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب لما شددته ايضا الثاني
ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم او يكون امساكه سبب هيجان
رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الى مالك بن دينار ركوة ردها وقال لما اهديت
رحمه الله عليه ركوة قال خذها فلا حاجة بي اليها قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكان
احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف
قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها الثالث ان ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي
ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه في حل
او في سبيل الله عز وجل وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون نيتان لو اخذه
غني احدهما ان يكون ماله مانعا من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل

الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال المسلم آخر ومهما نوى حراسة
مال غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى
الله عليه وآله وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم ان تمنعه من الظلم وعفوه اعدام للظلم ومنع له
ليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغري العصاة الا ان وكله
يتحقق بالنية فان اخذ ما له كان له بكل درهم سبع ما يزيد درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له
الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر
غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه من امر الولد الا الوقاع
فاما الخلق والحيوة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم فكذلك امر السرقة
الرابع انه اذا وجد المال قد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت في
ذلك لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي اساءة الظن بالمسلمين
وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى
ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول
بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين ويروى ان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها
حتى اعيى ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في
مكان كذا فلبس نعله وقام ثم استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل
الله عز وجل وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر
لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فرايتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة
وغفر لك وانت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيمة قلت ولم ذلك قال اني
لما رايت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما هممت
بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هي لمن امضى السبيل فقلت وما امضى السبيل
فقيل لي قد كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا لك وحكي عن
بعض العباد بمكة انه كان نائما الى جنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان
فحمله الى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزاحا فجاء هو واصحابه
ردوا الذهب فابى عليهم وقال خذوها حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله تعالى ولم يقبله فالحوا
عليه فدعا ابنا له وجعل يصر صرة صرة ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء هكذا كانت اخلاق السلف رضي الله
عنهم اجمعين وكذلك من اخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له ان يرده الى البيت بل يخرجه
لفقير آخر وكذلك يفعل في الدراهم وسائر الصدقات الخامس وهو اقل الدرجات ان لا يدعو على
السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتاسفه على ما فات وبطل زهده
وان بالغ في الدعاء بطل ايضا اجره فيما اصيب به ففي الخبر من دعا على من ظلمه فقد انتصر وحكي ان الربيع
بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه
فقال اما اني قد كنت رايته وهو يحله فقيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما احب الي من ذلك يعني الصلوة

قال فجعلوا ابن عون على السارق فقال خلوا تعملوا او توا او حرقوا فاني قد جعلتها صدقة وقيل لبعضهم في شيء قد
كان سرق منه الا تدعو على ظالمك فقال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارايت لو رد عليك
قال لا اخذه ولا انظر اليه لاني كنت قد احللته له وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال
انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه
فقال لا تغرق في شتمه فان الله عز وجل ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله
وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم
بما ادعاه عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله في
الله تعالى انه مظلوم ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه لا في دينه فقد شكى بعض الناس الى عالم
انه قطع الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك علیه م
فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال
اعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسأل يوم القيامة ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من
ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه الفن الرابع السعي في ازالة الضرر كمداواة المرض
واشباهه اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر
الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة
ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع
به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليها الرقية والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها
والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب
الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع
بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين
يدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله وامره به اما قوله
صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت
وقال صلى الله عليه وآله وسلم تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله تعالى شيئا فقال
صلى الله عليه وآله وسلم هي من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور ما مررت بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك
بالحجامة وفي الحديث انه امر بها صلى الله عليه وآله وسلم وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله عز وجل وبين
ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت
الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها
ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس هو من التوكل الخروج عن سنة الوكيل اصلا وفي خبر مقطوع من
احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه و
سلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ رضي الله عنه عرقا اي فصده وكوى اسعد بن

ذراع

زرارة وحمى السوق الى علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وكان به رمد العين لا تاكل من هذا اي من الرطب
كل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير وقال لصهيب رضي الله عنه وقد رآه ياكل
التمر وهو وجع العين تاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالجانب الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واما فعله فقد روي من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء
كل سنة وتداوى صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه كان صلى الله عليه وسلم
اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر آخر انه كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا خرجت
به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا ومما ذكره في تداويه وامره به خارج عن الحصر
وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر بعض العلماء رحمهم الله في الاسرائيليات
ان موسى صلوات الله عليه اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرئت
فقال عليه السلام لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف مجرب
وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى واقامت علته فاوحى الله تبارك وتعالى اليه وعزتي لا ابرأتك حتى
تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى
الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروي في خبر
آخر ان نبيا من الانبياء شكى علة يجدها فاوحى الله اليه كل البيض وشكا نبي آخر الضعف فاوحى الله اليه كل اللحم
باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله اليه
مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد وتفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور
الله تعالى الولد وكانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا تبين ان مسبب الاسباب اجرى
سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان
الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه
الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء
بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل السكنجبين ويسكن
الصفراء بشروط اخرى في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما
يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال فاما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة
وان كان قد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر وتطرق الاسباب
ابدا يحصر في هذين الفنين والا فالمسبب هو الله دون الطبيب والدواء فقد روي عن موسى عليه السلام
انه قال يا رب ممن الداء والشفاء فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطباء قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون
نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في
الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع واما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا من
الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل
وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكبيرة عنه وقلما يعتاد الكي في
اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة كالرقية الا انه يتميز عنها

بالنار وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من موضع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه احراق فان الاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكي دون الرقى وكلاهما بعيدان عن التوكل وروي ان عمران بن الحصين رضي الله عنه اعتل فاشاروا اليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى وكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا ويسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن وما انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله فرد الله عليه ما كان يجد من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي اكرمني الله بها فقد ردها علي بعد ان كان اخذها مني بذنب فاذا الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم منهي عنه وذلك يدل على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها

بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال

ويدل على قوة المتوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد نظر الي الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر رضي الله عنه وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله عز وجل ان يعافيك فقال اسال الله فيما هو اهم علي منها وكان قد اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال لقد هممت ثم ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا فقال وكان احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ان يترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل لا يخبر الطبيب بها ايضا اذا ساله وقيل لسهل رحمه الله عليه متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذا من ترك التداوي من الاكابر فهم بحيث لا يحصى ولكن لا يصح جمعه مع فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا بان نحصر الصوارف عن التداوي فنقول لترك التداوي اسباب الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة رضي الله عنها في امر الميراث هما اختاك ولم يكن لها الا اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تداوى وامر به السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر رضي الله عنه اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء رضي الله عنه اذ قال اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون

هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع ولا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن ياكل ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكر الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل سالناك عن الغذاء فقال هو الذكر فقيل سالناك عن طعمة الجسد فقال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها السبب الثالث ان تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه اشار الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمودا وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى اي الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من الزهاد والعباد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقية فيتركه توكلا السبب الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده في البلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وآله وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الصيالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود رضي الله عنه تجد المؤمن اصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما وامرضه قلبا ولما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه وكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي الصبر ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدا مع الصبر على قضاء الله عز وجل افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله فانه في وثاقي وان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليها النفوس قيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان سهل رحمه الله يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعات يتعجب من ذلك ويقول صلوته من قعود مع الرضى بحاله افضل من التداوي للقوة والصلوة قائما وسئل سهل رحمه الله عن شرب

الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو
افضل لانه اذا اخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد لسئل عنه لم اخذته ذلك ومن لم ياخذ فلا سؤال
عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب
لا اذا كان الله غالبا مدهشا وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس
ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك
التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى
يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وفي الخبر حمى يوم كفارة الذنوب بالحمى حال زيد بن ثابت
عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رضي الله عنه وقد سال ذلك طائفة من الانصار
كانت الحمى تزايلهم ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا
دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من تمنى العمى وقال عيسى صلوات الله عليه لا يكون عالما من لم يفرح بدخول
المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى صلوات الله عليه
نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال تعالى فكيف ارحمه مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد
درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك
التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فيعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف
بتدارك الفائت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفة وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو
الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال للربح العظيم الذي في مخالفة
النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا
يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب
من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغي ان يشتغل بعلاجه
من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي وقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال
في عافية فقال ان كنت لم تعص الله عز وجل فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء ادوى من المعصية
وما عوفي من عصى وقال علي رضي الله عنه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيد لهم قال ما هذا الذي اظهروه
قالوا هذا يوم عيد لهم يا امير المؤمنين فقال كل يوم لا يعصى الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى من بعد ما
اراكم ما تحبون قيل العوافي والانسان يقع في المعاصي بدوام العافية عليه كما قال تعالى ان الانسان ليطغى ان
راه استغنى فالاستغناء قد يكون بالعافية اكثر مما يكون بغيرها واي استغناء اتم من العافية وقال بعضهم انما قال
فرعون انا ربكم الاعلى كما ذكره الله تعالى ذلك في كتابه حكاية عنه فقال الشاهد في يحيى فحشر فنادى فقال انا ربكم
الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية
ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى بريد الموت فهي مذكرة به ودافعة للتسويف وقال تعالى
اولا يرون انهم يفتنون الى آخره الآية قيل يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضين
ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف يستوحشون ان لذلك

حرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او
يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة رضي الله عنهما فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في
الخبر ان الحمى حظ كل مؤمن من النار وفي حديث انس وعائشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع
الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه
فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زواله
اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله صلى الله عليه وسلم

بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال

فان قال قائل انما فعل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ذلك ليسن لغيره والا فهذا حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال
فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قال ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه
ان لدغته الحية والعقرب ان لا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب يلدغ الظاهر فاي فرق
بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ
البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى
بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة رضي الله عنهم في
قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق
الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطائفة الاخرى بل ندخل
ونتوكل ولا نهرب من قدر الله عز وجل ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من
ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء
فقال له المخالفون في رايه انفر من قدر الله عز وجل فقال عمر نعم نفر من قدر الله عز وجل الى قدر الله ثم ضرب مثلا
فقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احدهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله
تعالى وان رعى المجدبة غائبا فلما اصبح جاء عبد الرحمن فساله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المؤمنين
شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في الارض فلا تقدموا عليه وان وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا
فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم
رضي الله عنهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهى
عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء واظهر طرق التداوي الفرار من المضر
الهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار
من الضرر وترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى
ان الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل

[illegible]

... بعض الأحباب بالفرار من الزحف لأن فيه كسر [illegible]

... ونظر إلى ظواهر الأخبار والآثار [illegible]

... وأما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك فإن قلت

... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التداوي لينال الفضل [illegible]

... على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات [illegible]

... ثواب الصابرين [illegible] من مقامات [illegible]

... [illegible] لطائف المنافع حتى صار [illegible]

... يشغله عن حاله ضعفه عن الجمع [illegible]

... بالإضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالإضافة إلى [illegible]

... من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضي [illegible]

... الأسباب وفقدها فإنه لم يكن نظره في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب

... والرغبة عن المال كراهة لزوال [illegible]

[illegible]

[illegible]

... من كنوز البر

... [illegible] على البلاء معاملة بين العبد وبين الله تعالى

[illegible]

... للطبيب [illegible] لا في معرض الشكاية [illegible]

... من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن [illegible]

رضي الله عنه بعض أمراض يجدها [illegible]

من يقتدي به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر

إذ يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقد قال الحسن [illegible]

ثم ذكرا [illegible] لم يكن ذلك شكوى الثالث أن يظهر به عجزه وافتقاره إلى الله تعالى وذلك يحسن من

يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي أنه قيل لعلي رضوان الله عليه في مرضه كيف أنت

بشر فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية [illegible]

افتقاره مع ما علم به من القوة والصرامة ويتأدب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

[illegible]

احبك وحب اشتري الى حبك [illegible]

يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها [illegible]

فقال صلى الله عليه وآله وسلم المرء مع من احب [illegible]

ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا [illegible]

قال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها [illegible]

ابو سليمان الداراني من خلق الله خلق لا يشغلهم الجنان [illegible]

ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم [illegible]

الخوف من النار فقال حق على الله تعالى ان يؤمن الخائف [illegible]

ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة [illegible]

[illegible]

المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد [illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] شيئا من الدهش ما اقترن في وجه العقل

[illegible] الا ابن عن نيل الحق بجلاله وعلمه

[illegible] بنار محبته والصلوة على محمد خاتم

[illegible] اما بعد فان المحبة [illegible] وقادة الحق وارضية

[illegible] من الدرجات وما بعد ادراك المحبة مقام الا

[illegible] واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من

[illegible] المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها

[illegible] امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله

[illegible] المحبة الكبرى والانس والشوق ولزوم المناجاة

[illegible] من هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بمشية الله تعالى

[illegible] ثم بيان ان لا مستحق لها الا الله تعالى ثم بيان

[illegible] ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا

[illegible] ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام

[illegible] ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد [illegible] علامة محبة العبد لله

ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط [illegible] الادلال في حق الانس ثم بيان [illegible]

[illegible] ثم بيان [illegible] جملة من حكايات

[illegible] شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى [illegible] اعلم ان الامة مجمعة على ان

[illegible]

فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقد ورد في حب الله عز وجل من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فإذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فإذا قوي سمي مقتا فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته الأصل الثاني أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبب إلي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم أنه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبا فلا حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب ولذات الحواس الخمسة تشاركها فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فإذا قد بطل خاصية الإنسان وما يتميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن يدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر إذن حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا الأصل الثالث أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته لا لأجل نفسه هذا مما يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلنبين أقسام المحبة وأسبابها وبيانه أن المحبوب الأول

عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب وأي شيء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه ولذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحيوة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما أنه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فإذا المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فإن العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فإذا المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب السبب الثاني الإحسان فإن الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي أشار إلى أن حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها وبهذا السبب يحب الإنسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأول فإن المحسن من يمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود إلا أن الفرق أن أعضاء الإنسان محبوب لأن بها كمال وجوده وهو عين الكمال المطلوب فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب يكون سببا في دوام صحة الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته والأستاذ محبوب لكونه سببا للعلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فإذا يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه

السبب الثالث هو ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو
الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك
الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن
ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور
الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة و
الماء الجاري محبوب لا لتشرب الماء او تؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم تعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار
والاطيار المليحة والالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب
حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر
كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله عز وجل جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله جميل يحب الجمال الفصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال
اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة و
الشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان
فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا
متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا
خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا
نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فاي معنى
لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصور ومعلوم ان العين تستلذ
بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو
منقسم الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول و
لا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر كماله الممكن له
اللائق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن
والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو
وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها
وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن
الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب
وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم
فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة
بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال
هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم
والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك

بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع
عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم
لم يشاهدوهم بل على حب ارباب المذاهب مثل احمد والشافعي وابي حنيفة ومالك وغيرهم رضي الله عنهم حتى ان
الرجل ليجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب
عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري
من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه
الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا
مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين
وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما
الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله عنه و
يفضله ويتعصب له فلا يحبهما الا لاستحسان صورتهما الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم
وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل
وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا
ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع تلك الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذا علم حقائق
الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين
بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون
يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السير الجميلة من غير علم وبصيرة
لم توجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها
الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب
اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال
الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل وبغض
ابليس الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء
ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ
يناله المحب منهما بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب
حبه على القلوب اذ يئس الناس من انتشار احسانه الى المحبين مع بعد المزار ونأي الديار فاذن ليس حب
الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان
كل جمال وحسن فهو محبوب في الصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصورة الظاهرة
بالبصر الظاهر والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها فلا يحبها
ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه
للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال
صورته الباطنة السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما

لا بسبب جمال وحظ ولكن لمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فما تعارف منها ائتلف وقد
حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله تعالى فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب
الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من احسن
اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى
الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه
لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة
كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا
لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت
هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب
كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة الحقيقية الا الله تعالى **بيان**
ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك
لجهله وقصوره في معرفة الله سبحانه وان حب الرسول محمود لانه عين حب الله وكذا حب العلماء والاتقياء لان
محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب
الاصل فلا يتجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه
بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في
غيره الا آحادها وانها حقيقة في حق الله عز وجل ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة
له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان
ان التحقيق يقتضي ان لا نحب احدا غير الله تعالى فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه
وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان
ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من
ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله والى الله وبالله فهو المخترع الموجد له وهو
المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال
الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى
عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله
عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته فان احب
العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا
موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة
تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن
عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي
به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل
وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان

الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشخص
بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها
وهو خطأ محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة
الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها
وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذا ان
كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه
وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته
وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة التي
يشاركه البهائم في التنعم بها والاتساع فيه دون عالم الملكوت التي لا يطأ ارضها الا من يقرب الى شبه من الملائكة
فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم واما
السبب الثاني وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته و
قمع اعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه
فانه محبوب لا محالة عنده فهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو
الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها اذ ليس يحيط به حصر حاصر كما قال تعالى و
ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان
من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها
لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على
المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال فمن الذي انعم عليه بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته
وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان
اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه و
دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره و
سخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب
اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه
محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه
اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما
عاجل وهو المنة والاستسخار او الثناء والاشتهار بالصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق
الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان الا لغرض له
فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه
من الذكر والثناء او الشكر او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه
فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما
نزل عن ماله لاجلك اصلا والبتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط

[illegible]

بيطلق ... [illegible] ... احسانه وهذا ايضا موجود
في الطباع فانه اذا بلغك ان ملكا عالما عابدا عادلا رفيقا بالناس متلطفا بهم متواضعا لهم وهو في قطر من اقطار
الارض بعيد عنك ... [illegible] ... فاسق متهتك شرير وهو بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة
بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول
آمن من شر الثاني لانقطاع طمعك من التوصل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث
انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب
فان الله هو المحسن الى الكافة والمتفضل على جميع اصناف الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء و
الاسباب التي هي من ضروراتهم ... [illegible] ... بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم
تكن ضرورية ... بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم
ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل
ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به

[illegible]

[illegible]

عند البحث الى الاعمال الفقهية ثم كافة العلوم ... [illegible]
كلما كان اعظم رتبة ... كانت القدرة ... [illegible]
تعالى فلاجرم احسن العلوم واشرفها ... [illegible]
به فاذا جمال صفات الصديقين الذين ... [illegible] ... احدها علمهم بالله و
ملائكته وكتبه ورسله وشرائع انبيائه والثاني ... على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله
بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة ...
الى سنن الخير ... هذا يحب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب
هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط
بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق
كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل
خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ... الذي علمه
الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان ... [illegible]
هو في نفسه زينة وكمال للموصوف به فلا ينبغي ان تحب بهذا ... [illegible]
بالاضافة الى علمه بل ... اهل زمانه ... [illegible]

[illegible]

ما ثبت هي قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانسان في بعض الامور
وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه
من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق
قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها و
رياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر
عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن
له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين
مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته
الا بتمكين الله في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها
الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من
عباد الله لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في
قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة
وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو
اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب
قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقائص
والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة
والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه الا
للواحد الحق الملك القدوس ذو الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل
كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص والكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه
وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره
وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح
وجوه التقديس والتنزه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفات فلا نطول به فهذا
الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة
الى ما هو اشد منه نقصانا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس واصل
النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي
لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر
الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي
الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته
القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المتفرد

بالعزة

بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي
تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كان كمال معرفة العارفين الاعتراف
بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك
وقال سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان حب الله
تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن
او ينكر كون الله عز وجل موصوفا بها او ينكر كون الكمال والجلال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند
من ادركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه
الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات
وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا
يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى
داود عليه السلام ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن
عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة
من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين
كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي
ان اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر
لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل واما السبب الخامس للحب
فهو المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء ينجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير
يالف الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار
اكثر من انسه بالصانع وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في
الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى
ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد تكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق
بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال او غيره كما اشار اليه عليه السلام اذ قال الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب
ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز
ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق
اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء
والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من الصفات
الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى
الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب
بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي

اليها قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق
ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض وقال اني جاعل في الارض خليفة اذ لم يستحق آدم خلافة الله
تعالى الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون
ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما يقول الجاهلون
علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لبعض الانبياء وهو موسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال يا رب وكيف
ذلك فقال مرض فلان ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض
كما قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين
مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال
بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت
وقال آخرون اتحد به واما الذي انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد واتضح مع
ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول
القايل: لا زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله فلم يزل يعدو في وجده على
اجمة قصب قد قطعت وبقي اصولها حتى تشققت قدماه وتورمت ومات فيه وهذا هو اعظم اسباب الحب و
اقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعقولة من اسباب الحب وجملة ذلك ظاهره في حق الله
تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصاير حب الله
تعالى فقط كما كان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من
هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وقصور عن كمال الحب
ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف
بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجمال والجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك
امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق الشركة الى صفاته فيستحق
اذن اصل المحبة وكمال استحقاقها لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم

وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة اعلم ان اللذات
تابع للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى
طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور
هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي
هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل
الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع فلا تخلو غريزة من
هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها وكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله عز وجل
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور
الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف

واقع

واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لساير اجزاء
البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق
مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك
به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي فارق
الانسان بها البهايم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان يذم وهذه الغريزة خلقت
ليعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى طبع ساير الغرائز هي
لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في شي خسيس يفرح به و
الذي ينسب الى الجهل ولو في شي حقير يغتم به حتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في
الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما
يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعر من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهي
منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال
ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير
امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض
بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس
ويخبر عنه يجد له لذة وان جهله تقاضاه طبعه ان يتفحص عنه فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار
تدبيره في رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حايك فان اطلع على اسرار
الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه من امور الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان
خبيرا بباطن احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ
من علمه بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته
فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف واشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات
ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل
في الوجود شي اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها
ومدبرها ومرتبها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة
الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان
تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى
انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما يستشعر النفوس عند الاتصاف به
كمالها وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ
العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي
ان يعلم ان لذة المعرفة اقوى من ساير اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة ساير الحواس الخمسة فان
اللذات مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة
بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر

الى الوجه الجميل الذي هو الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان يكون مؤثرا على
غيرها فان المخير بين النظر الى الصورة الجميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق الروائح الطيبة
اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها الذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا احضر
الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج
اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنقول اللذات تنقسم الى ظاهرة
كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين
ولا للانف ولا للاذن ولا للشم ولا للذوق ولا للمس والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات
الظاهرة فلو خير الرجل بين اكل الهريسة والدجاج السمان واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء
ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار الهريسة والحلاوة
وان كان عالي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر على ضرورة القوت اياما
فاختيار الرياسة يدل على انها الذ عنده من الهريسة والمطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه
بعد كالصبي او كالذي ماتت قوته الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسات وكما
ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة
جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق
وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية واعددت لهم ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل
والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه
بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت
الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا
الاية فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين
الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم
دائما وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها
فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقتطف من ثمارها ويكرع
من حياضها وهو امن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها
الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محله الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير
احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم الاية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد
وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان
الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض
ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال

الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا
انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله
لا تدخل في الحصر تفاوت درجاتهم وقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس
كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا للمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي
الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما كون معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله وملكوت سمواته
واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند
من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان
عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من
سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه ادرك لانه فقد الصفة التي بها يدرك فضل اللذات التفاوت بين
اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب العلم بمعرفة
الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي
حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية
فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف
في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره
وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه الذ الاشياء
وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة
فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف له اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء هاجك الى العبادة
والانقطاع عن الخلق فسكت ثم قال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي
شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا قال ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع
ذلك كله وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغوفا
في طلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في المنام فقال ما فعل ابو نصر
التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى ياكلان ويشربان قلت فانت قال
علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق انه قال رأيت في النوم كاني ادخلت
الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورأيت رجلا
قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في
سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي
عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين بشر
ابن الحرث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن
كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من
نار ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة شعر
احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاكا فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله تعالى لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال عن رب العزة تبارك وتعالى أنه قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إني أقول يا رب يا الله فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا أو كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وما له صورة ولا شكل وأي معنى لوعد الله تعالى عباده به وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذات كما قال بعضهم شعر

كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وقال بعضهم

وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فإن الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة المتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها فمن رأى إنسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا يرجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فإن صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الإسفار قبل انتشار ضوئها ثم يرى بعد تمام الضوء فإنه لا يفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف فإذا الخيال أول الإدراك والرؤية هو استكمال لإدراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لأنه غاية الكشف لا لأنه في العين بل لو خلق هذا الإدراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلا استحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل في الخيال أيضا لمعرفتها وإدراكها درجتان إحداهما الأولى والثانية استكمال لها وبين الثاني والأول من التفاوت في مزيد الكشف والإيضاح ما بين المتخيل والمرئي فتسمى الثاني أيضا بالإضافة إلى الأول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال الله تعالى لموسى عليه السلام لن تراني وقال تعالى لا تدركه الأبصار أي في الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسدت بطول تراكم الخبث على جوهرها فلا يقبل الإصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله سبحانه من ذلك ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الأخبار سبعة آلاف سنة ولن يخلو نفس عن هذا العالم إلا ويصحبها غبرة وكدورة ما وإن قلت ولذلك قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر عنها فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ من جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره وأزف استحقاق الجنة وذلك في وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فإنه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول وعند ذلك تشتغل بصفائها ونقائها عن الكدورات حيث لا يرهقها قتر ولا غبرة ولا ذلة أن يتجلى فيه الحق سبحانه فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فإذا الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة

لا نهاية لجماله فلا ينتهي الى زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه
الاشارة بقوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يكون الا في زيادة
الكشف وانما يتنعم بدرجات النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة
مشاهدة كما ينقلب النوى شجرا والحب زرعا ومن لا نواة في ارضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب كيف
يحصد الزرع فمن لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على
درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف
البذر اذ يختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
تعالى يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر
والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل على الناس
بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح و
المطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على
الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله
تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا
من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك
لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة قالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل
الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة
النظر في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر
المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم بها بعينها فقط الا
انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة
المعشوق رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا
لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله بقدر
معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها
نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب
لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر معها لذات الجنة سائر فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو
عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا
فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا
بدلا عنها لم يستبدلوا بها نعيم الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة
خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة
الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا
تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني
كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث

كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه
على القرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد والرابع
اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق
كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق
ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب
وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه
فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر واشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت
عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى
اليه نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به
والعقارب والحيات والزنابير مثال الشهوات المسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم
والحزن وضعف الشهوة والحب مثال قصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلى والتفاتها
الى اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو
عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال فلا يدوم ولا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت
العقل ويعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمه ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقل ما يدوم بل يعرض من
الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال
هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا
يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فالاحاطة
بكنه جلال الله سبحانه وتعالى محال وكلما كثرت المعرفة بالله تعالى وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت
كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في
الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افضل السعادات
طول العمر في طاعة الله تعالى لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على
المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه
لانه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى الغاية التي هي ما تيسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة
تحصل له بطول العمر وقد رأى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل
المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا
الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والمعرفة
والعلم اساس كل سعادة وقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى
لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند ذوي العقول والكمال وان لم يكن كذلك عند
ذوي النقصان كما لم تكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب
او العين في الآخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا فيه وارباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل

العاقل [illegible] من الجمال [illegible] عن ان يلتفت الى رؤيته
يجلوس في بيته او في حبس [illegible] بالعين او ضرير فان العين محل [illegible]
لا لطول نظر المحجوب لا حكم له والحق [illegible] الاذواق والحسة فلا يحكم عليها بالقصور عن [illegible]
هنا وحكم الجواز [illegible] البهيم والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من
شواهد الشرع ان ذلك ممنوع [illegible] الفاظ واردة في الشرع
يجري على ظاهرها [illegible] **بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى**
اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة
لقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص
وتكدير ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب
ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك
عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون
وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي
لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله تعالى بكل
قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى
وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله
ثم ذرهم وبقوله تعالى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود سواه ولا محبوب
سواه فكل محبوب فهو معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك
قال تعالى ارأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال صلى
الله عليه وآله وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله تعالى فلا يبقى فيه
شركة لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومشغول قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها
مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد
وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب
ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب
والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا
ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص انسه بالله تعالى ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا
الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره
ولا يطيب قلب امرأته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف
ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد
وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف
والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم
الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم يجر ذلك الى الزهد في

الدنيا

الدنيا وفي [illegible] تعالى [illegible]
لمعرفة الله تعالى ومحبته فكل ذلك مقدمات لتطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وآله وسلم الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة
المحبة قوة المعرفة بالله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا
وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر
شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وهي المعرفة والعمل الصالح
يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا عن الدنيا ثم
[illegible] طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما
الاول علم المعاملة وغرضها العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم
المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج
اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة
والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي
والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته
والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء
فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك
فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي انفسهم وبقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى قل انظروا ماذا
في السموات والارض وبقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وهذا الطريق هو الاسهل
على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه الاكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار
والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة
والتوصل بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه
خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج
عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بالشهوات وحظوظ النفس والمانع
من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعالي السموات الى
تخوم الارض الا وفيها عجائب وآيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته و
ذلك مما لا يتناهى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
فالخوض فيه انما هو خوض في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى
واحد وهو على الايجاز ليقع التنبيه على جنسه فيتيسر على طالب الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى

ثم الافعال الالهية كثيرة فلتطلب اعلاها واجلها ولتنظر في عجايبها فان اقل المخلوقات هي الارض وما عليها
اعني بالاضافة الى الملايكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم من الشخص والشمس
على ما ترى من صغر الحجم هي مثل الارض مايه ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى
صغر الشمس بالاضافة الى فلكها التي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة
بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك
فهذا النظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما اصغر الارض في الجرم بالاضافة الى الارض وصف
عرفت بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر
الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض
ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما تعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على
صغر قدره وتامله بعقل حاضر وفكر صاف وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات
اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير ساير الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر
كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحه واخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء
الغذاء والاته ما دبره في ساير الحيوانات وركب فيه من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة و
الهاضمة ما ركب في ساير الحيوانات كلها هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى
غذايه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل
وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف
قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري
فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في ساير اجزايه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه
حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف الحركة وهي بعد بعيدة منه فيترك المص
ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذايه فيقصده مع صغر حجم
وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقته الصغيرة الاجفان لصغرها وكانت الاجفان مصقلة
لمراة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فانظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه
بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق له الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافهما
حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين
وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب
واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين وعلم الذباب كيفية التصقيل
ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رات المسكينة
ضوء السراج بالليل ظنت انها في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا تزال تطلب الضوء
وترمي بنفسها الى الكوة فاذا جاوزته ورات الظلام ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليه
مرة اخرى الى ان تحترق فلعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة
الآدمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ تلوح للآدمي انوار الشهوات من

الدنيا من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد
بها فيهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت
تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار ابد الآباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ويقول اني ممسك بحجزكم عن النار وانتم تتهافتون فيها تهافت الفراش فهذه لمعة من عجايب صنع الله
في اصغر الحيوانات وفيها من العجايب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقتها
ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في كل حيوان
ونبات اعجوبة واعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل وعجايبها وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى
اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لو تاملت
عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو
اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله تعالى له اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع
منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات
نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنيانها بيوتها من الشمع و
اختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في
شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن درك ذلك وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منها
فان المربع يخرج منه زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة
ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة
ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد
اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده
لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليهنا عيشه فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه
اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجايب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا
القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به علم العلماء والانبياء ولا نسبة
لما احاط به علم الخلايق كلهم الى ما استاثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في
جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة
فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدايم والفكر الملازم
فعساك تحظى منه بنصيب يسير ولكن تنال بذلك الملك العظيم الذي لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المومنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل الايمان ولكنهم متفاوتون
لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم
من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها
رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق و
اشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهولاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون
بالحقايق هم المقربون

ورجحان الآية وان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت المحبة مثالا فالمستحسنون لصاحب التصانيف مثلا كالشافعي يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء منهم لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به ومحبته له اشد فان من راى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى بيتا آخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعف معرفته وكذلك من يعتقد في الرجل انه شاعر فاحبه ثم سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفاصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنع الله تعالى ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على عجائب صنع الله تعالى اطلاعا استدل بها على عظمة الله تعالى وجلاله فازداد به معرفة وحبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت به الحب ايضا اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حال الرضا والنعماء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فامثال ذلك هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال الله تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا

وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما احسسنا من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا من لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانما تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لا تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فاذن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله اثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

صلى الله عليه وآله وسلم هو لنا هنا وفي بعض الاخبار وفي الاسرائيليات ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل
ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني
ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي
من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى
كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اوانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابرهيم
خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وقال بعض السلف ان
الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم
ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال
يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس
كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة
وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ
وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون
من حبي اول ما اعطيهم ثلث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات
والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما
اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام الى كم تذكر الجنة ولا
تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر
وخرقت من قلوبهم خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا
اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم
اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من
رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من
قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت
جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلم وقل
لهم ان ربكم يقرئكم السلم ويقول لكم الا تسالون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع
الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله تعالى فلما نظروا الى
داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود عليه السلام اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه
والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم ان الله يقرئكم السلم
ويقول لكم الا تسالوني حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم
واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال
شيخهم سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك
نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك
واتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا

ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو
من نورك وقال الآخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل
محبتك وقال الآخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكر نعمتك وقال
الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء
بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الآخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه
عندنا وقال الآخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك
فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر اسالك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها
وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا
باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى
ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى
نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات
بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي
واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي
نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة
الشفيقة ولدها وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت به ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا و
اهلها ولم احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي
لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا
سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي لاقعدنه في الفردوس و
لاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود ايضا قل لعبادي المتوجهين الى
محبتي ما ضركم اذا احتجبت عنكم من الدنيا اذ بسطت ديني لكم وما ضركم سخط المخلوقين اذا التمستم رضائي وفي اخبار
داود عليه السلام ايضا ان الله تعالى اوحى اليه يا داود انك تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا
من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك
فقلدنيه ولا تقلده الرجال [illegible] فاني سريع الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني وا
عينك على الشدائد واني قد حلفت اني لا اثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته انه القى كنفه
بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكنت الغنى قلبك فاني
قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشياء الي لا تضاد
عملك فيكون متعنيا ولا ينتفع به صاحبك لا تعلم لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

... على ... الموت ... اهل يحيى ... المشتون علينا يا داود لا يخرج
... فستعمل ... لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى
... [illegible] ... احجب عنك يحيى ...
من يحيى ... شهوتك ... الشهوات ... الشهوات فانما ...
... في موضع ... ان احجب عقولهم عني ...
... [illegible] ... يحيى ... قطاع الطريق
... الشهوات ... الصوم ... والتجرد ... الافطار فان يحيى ...
... الشهوات ... الحجب بيني وبينك مرفوعة
... [illegible] ...
... ولو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا
شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين
علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي
اذا رجع الي فهذه الشواهد ونظائرها مما لا يحصى تدل على اثبات المودة والشوق والانس واما تحقيق
معناها فينكشف بما سبق **بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها** اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة
على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى
يحبهم ويحبونه وقال الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال عز وجل قل فلم يعذبكم بذنوبكم
وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب
كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احب الله عبدا تاب عليه قبل الموت فلم يضره
الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب
فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ... وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت
لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز
اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط
وبينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة
والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي
كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء
اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى والوجود
التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم

اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق لاحدهما بان يكون فيه اصلا فليست الجسمية
لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لخلقه وهذا التباعد في سائر الاسامي اظهر
كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي
اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة
والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور في نفس
ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا انما هو محال على الله تعالى فان كل كمال و
جمال وبهاء وجلال ممكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده
ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا
ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه
ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف
نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد ...
في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى
ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا
العبد من سلوك طريق القرب ... حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه
وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده
من نفسه ويأذن له ... رأيا او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما
فيه من المعنى الموافق الملائم وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به ولكن لكون
العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملك
وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه
واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب فيقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله للعبد
انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك
دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات
البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان
ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا
اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير
عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال
القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل
القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب
القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة التلميذ
واما التلميذ فمتحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب

من استفاده ولا استاد بانت مع عجز تعيين وكذلك ينبغي ان يفهم ترشح العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علماً واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة وقهراً في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاد وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لا نهاية له ايضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذاً محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه واما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئاً يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت فمحبة الله تعالى للعبد امر ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله تعالى فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله عبداً ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالاً ولا اهلاً فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حماراً فتركبه فقال انا اعز واكرم على الله من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاده قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا فقال لا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله تعالى واما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله تعالى للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله فانها ايضاً علامات حب الله للعبد

القول في بيان علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت حب الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوباً الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محباً للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله عليه وآله وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله تعالى ان تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة

السجود

السجود بتقديم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروى عن اسحاق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه اقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غداً قلت يا عبد الله فيم جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله آخر قسمه كما ابر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكأنه توقف فقال لو كنت صادقاً لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله تعالى افضل من الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت هل يتصور ان يكون محباً لله فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها وكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله تعالى بكل قلبه فيحبه ويحب ايضاً غيره فلا جرم يكون تنعمه بلقاء الله تعالى عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثاني للكراهة فهو ان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة فليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله تعالى فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلاً وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون مؤثراً ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظباً على طاعة الله تعالى ومتقرباً اليه بالنوافل وطالباً عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تعالى المحبين بالايثار فقال عز وجل يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة الآية ومن بقي مستمراً على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق

تعالى غير المحب وقد روي ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة
وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدفعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت
به الى النهار ثم قالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه
وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت
اما اذا كان الله تعالى امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذا من احب
الله تعالى لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وقيل ايضا واترك ما اهوى لما قد هويته
فارضى بما ترضى وان سخطت نفسي وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك فليس كل من عمل بطاعة الله
عز وجل صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال يحبهم
ويحبونه واذا احبه الله تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهوته فلا يخذله الله عز وجل ولا يكله الى نفسه
وهواه وشهوته ولذلك قال الله تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان
هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة
ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب
فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل قليل
في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية
عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا فاذا دخل
سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل
اذا قيل لك اتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر
المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب
من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا
يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره
وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا
يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه
وليس ذلك شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو
دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله تعالى على قلبه احب جميع خلق الله تعالى لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن
والرسول وعباد الله الصالحين وقد حققنا هذا في كتاب الاخوة والصحبة ولذلك قال تعالى ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني
لله تعالى وقال سفيان من احب من يحب الله تعالى فانما احب الله عز وجل ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما
يكرم الله تعالى ويحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سر الارادة فادمنت قراءة
القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك

تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعدت
الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان
لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله تعالى والقرآن هو البيان وقال سهل علامة حب الله تعالى حب القرآن
وعلامة حب الله تعالى وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ
منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على
التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب
والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله عز وجل كيف تصح محبته
قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله وفي اخبار داود عليه السلام لا تستأنس
الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطأ ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان
اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى
ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان
الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن
اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طير قد عشش في شجرة
يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطير قال ففعل
فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء
من عملك ابدا فاذن علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من
كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة
كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره
فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الانس والحب صارت
الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تكرر
على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن
الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال
هشت اليه واستأنست به وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن
طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه واوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا
موجود لمن طلبني وقال موسى عليه السلام يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال
يحيى بن معاذ الرازي من احب الله تعالى ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر
كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتأسف على ما يفوته
مما سوى الله تعالى ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند
الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه واطمأنوا اليه

فذهب عنهم التأسف على الغائب فلم يتشاغلوا بالحظ لانفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما ما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع عن غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسأله ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدءوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتفى محب الله تعالى من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل وكل هذا مشاهد في المشاهدات موجود فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان تفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املكت ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود وكان هذا بسببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه الله سبحانه كما قال الله تعالى رحماء بينهم ولا يأخذه في الله لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تعالى اولياءه اذ قال في بعض الكتب الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما يأوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء لم يفارقه اصلا فان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده فرح وضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه اياه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه وصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي هو للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكانت امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقرب المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال تعالى جزاء وفاقا اي جزاء وفاقا لاعمالهم فقوبل الخالص بالصرف

من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشرب كل شارب على قدره وانما يسوى بين المشوب في حبه وما لم يشب... فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور العين والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة قوم آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين صلى الله عليه وآله وسلم اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين شيب اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون وكذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني وقد يكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي في بعض الكتب ان الله يقول ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بشؤم الشهوات عقوبة للعموم فاما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن ادهم رحمه الله قائلا يقول وهو في سياحته على الجبل

كل شيء منك مغفور سوى الاعراض عنا
قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان لهذه التقلبات في القلب اسبابا خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا اراد الله تعالى المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن الظن او بغلبة الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان

التي تجلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من اوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي
هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يوجب ويورث السلو كاوصاف الجبرية
والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم حرمت الاستدلال بها شغلا للقلب من
حبه الى الحبيب يجري وذلك نحو المقت والسلو هو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق
الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور
هذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور
وشرح الحذر منه بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب
من خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف
هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن
عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى وقربه وعلمه ومكنه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو
عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة
ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم
يثبت لذلك طاقة البشر فانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب وقد روي ان بعض الصديقين
ساله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله و
وله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه فقال يا رب انقصه من
الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المحبة وذلك ان مائة الف
عبد سالوني شيا من المحبة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك
فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال
سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشار وهو جزء
من عشرة الاف الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد
قيل في وصف حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد   على الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب   كان فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه فغابت   عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الاوقات تجري   له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد   ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار احوال العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره ه

سرت باناس في الغيوب قلوبهم   فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراص لقرب الله في ظل قدسه   تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى   ومصدرهم عنها لما هو اكمل
يروح بعز مفرد عن صفاته   ومكاتمة اولى لديه واعدل
ساكتم من علمي بها ما يصونه   وابذل منه ما ارى الحق بذله
واعطي عباد الله منه حقوقهم   وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه   الى اهله في السر والصون اجمل

وامثال هذه المعارف التي اليها الايماء
لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز لمن ظهر له شيء منها ان يكشف لمن لم يكشف له بل لو اشترك الناس فيها
لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت

والادوام عن كثير مما تيسر من العلوم ولكن لله فيما هو سر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في اظهاره اسرار وحكم
ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد و
المحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل
في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتستعجل
عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه ويضطرب احواله فيظهر
حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق
سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما انا صانع   بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فمالي منه غير ذكر بخاطر   يهيج نار الشوق والحب في صدري

والعاجز عنه يقول

يخفي فيبديه الدمع اسراره   ويظهر الوجد عليه النفس

وقيل

ومن قلبه مع غيره كيف حاله   ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء و
يظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله تعالى ودخل ذو النون على
بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضره فقال الرجل لكني اقول لا
يحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب
اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها
ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفي
افعاله واحواله دون اقواله وافعاله وينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل
الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح
فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات
يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك واظهار القول و
الفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي
ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم وقال يا اخي له محبون
صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان
كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس
المحبين في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت
الله تعالى ثلثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي
عنده شيا وذكر اشياء من مكاشفات ايات السموات في قصة طويلة قال في اخرها فبلغت صفا
من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فسالت ما انتم فقالوا نحن المحبون لله تعالى نعبده هاهنا منذ
ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه
الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر

بالذي يحول ثم تشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردده كما حكي عن الجنيد قال مرض استاذنا
السري فلم نعرف لعلته دوا ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيبا حاذقا فاخذنا قارورة مايه فنظر اليها الطبيب
مليا وكرر النظر ثم قال اراه بول عاشق فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى
السري فاخبرته فتبسم وقال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري
مرة لو شئت ان اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي الا حبه ثم غشي عليه ويدل الغشية انه افصح في
غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات المحبة وثمراته ومنها الانس والرضا كما سياتي و
بالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من
رذايل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليهم وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون
لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا
ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم و
الاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته
الكاملة واسماؤه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو ازال عنهم جميع
النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل
ويظن انه محب لله تعالى وهو الذي فقد فيه العلامات او يلبس من نفسه نفاقا ورياء وسمعة وغرضه
عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء وا   اوليك بغضاء الله في ارضه
وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون   فكيف تقول هذا فقال
في اذن القايل سرا لا يخلو اما ان يكون مومنا او منافقا فهو حبيب ابليس وقال ابو تراب النخشبي في علامات
المحبة ابياتا وهي   لا تخدعن فللحبيب دلايل   ولديه من تحف الحبيب وسايل   منها تنعمه بمر بلايه
وسروره في كل ما هو فاعل   فالمنع منه عطية معقولة   والفقر اكرام ولطف عاجل   ومن الدلايل ان يرى من عزمه
طوع الحبيب وان الح العاذل   ومن الدلايل ان يرى متبسما   والقلب فيه من الحبيب بلابل   ومن الدلايل ان يرى متفهما
لكلام من يحظى لديه السايل   ومن الدلايل ان يرى متقشفا   متحفظا من كل ما هو قايل   وقال يحيى بن معاذ
ومن الدلايل ان تراه مشمرا   في خرقتين على شطوط الساحل   ومن الدلايل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فما له من عاذل   ومن الدلايل ان تراه مسافرا   نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلايل زهده فيما يرى   من دار ذل والنعيم الزايل   ومن الدلايل ان تراه مسلما
كل الامور الى المليك العادل   ومن الدلايل ان تراه باكيا   ان قد رآه على قبيح فعايل
ومن الدلايل ان تراه راضيا   بمليكه في كل حكم نازل   ومن الدلايل ضحكه بين الورى
والقلب محزون كقلب الثاكل   **بيان معنى الانس بالله عز وجل**   وقد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق
من اثار المحبة الا ان هذه اثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب
عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث
القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وسمي هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر
غايب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا

على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره
انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم القلب بهذا
الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها
لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة
ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له انت
مشتاق فقال لا انما الشوق الى غايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق
بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم يكن
شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من
الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من
اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلم لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا
اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه
ولذلك قال بعض الحكماء في دعايه يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلم
كن بي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن
لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو
ذقت حلاوتها لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة
قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى
قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة و
قال بعض الحكماء عجبا للخلايق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت
فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة
الذكر فان خالط فهو يكون كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في
غيبة وغايب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه
في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر المترفون و
انسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اوليك خلفاء الله في
ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله تعالى وعلامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين
الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصاير اكمل
من جمال المدركات بالبصر ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل
انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضا
وقال ليس الا الصبر واما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على
القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد و
وراها اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله واستحال عنده خروج الدهن
منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل شعر   الانس بالله لا يحويه بطال

وليس يدركه الجهول مقاله … والآنسون رجال كلهم نجب … وكلهم صفوة لله عمال **باب في معنى**
الانبساط والادلال الذي يغلب على الانس اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوبه قلق الشوق
ولم ينقصه خوف التغير والحجاب فانه ربما يخرج بعض اهله الى الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى
وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراة وقلة الهيبة محتملا ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام
تشبه في الفعل والكلام هلك واشرف على الكفر ومثال ذلك مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى عليه السلم
ان يسأله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين الفا
فاوحى الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون
مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلم فلم
يعرف فبينا موسى عليه السلم ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من
اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال
اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك
ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك
ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام
ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب
في نصف يوم حتى بلغ الركب ورجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رايت حين خاصمت
ربي كيف انصفني فهم به موسى عليه السلام فاوحى الله تعالى اليه ان برخ يضحكني في كل يوم ثلث مرات وعن
الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر
بذلك فبعث الى صاحب الخص فاتي بشيخ فقال له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي
تعالى الا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة
رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله تعالى لابرهم قيل ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل
يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم
عليها ان تطفي فعزم عليها فطفيت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له
ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة
ما لم ترده عليه قال فظهر الحمار في الوقت ومشى ابو حفص رحمة الله عليه فهذا واشباهه يجري لاهل
الانس وليس لغيرهم ان يتشبه قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر
عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق
بهم واليه اشار القائل قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه له
يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ولا يستبعد ان يرضى عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما وفي
القرآن تنبيهات على هذه المعاني ولو تطلعت وفهمت جميع قصص القرآن تنبيهات لاولي الابصار والبصائر
الذين ينظرون الى النهايات لا الى الاسباب انما هي عبرة ومعتبر لاهل الاعتبار فاولها في القصص قصة آدم عليه السلم
وابليس فانظر اليهما كيف اشتركا في اسم المعصية وافترقا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فلعن

وقيل انه من المبعدين واما آدم عليه السلم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
ثم عوتب نبينا صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان
لكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من
استغنى فانت له تصدى ولذلك امره بالقعود مع طايفة فقال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه وكذا الانبساط والادلال يحتمل ان يكون من بعض العباد دون البعض فمن انبساط
الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والابا
لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله
انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى عليه السلم من سوء الادب لان الذي اقيم في مقام
الانس لاطف وتحمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالحبس
في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم القيمة لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم قال الحسن العراء هو القيمة ونهى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان يقتدي به وقيل واصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال
والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد ولذلك قال الله تعالى و
لقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى عليه السلم
من المفضلين ولاجله سلم على نفسه فقال والسلم علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا فهذا الانبساط
منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا عليه السلام اقيم مقام الحياء والهيبة فلم ينطق
حتى سلم عليه خالقه جل وعز فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال
بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين
من اخبار الله تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطية بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث
والاربع فغفر لهم ولم يحتمل لعزير مسالة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل انه محي من ديوان النبوة و
هكذا بلعم بن باعورا فانه كان من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين
وكانت معصيته في الجوارح فعفي عنه وقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمان بن داود عليهما السلم
يا ابن محجة الزاهدين يا ابن راس العابدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي
وجلالي لئن اخذته عطفة من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان
عليه السلام اخبره سليمان بما اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو
السماء وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني فاوحى
الله تعالى اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل التوبة وقد تبت عليك وانا التواب الرحيم و
هذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر اليه به وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه ان
كان اسفي على الملك ما عبدكم من ذنب واجهتني به غفرته لك وقد اهلكت في كرة امة من الامم بذنب

في عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به مشيته الازلية وهذه القصص اوردت في القرآن
لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شي الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه
فتارة تعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتارة تعرف
اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم
بافعاله المخوفة والمرجوة فتتلوا عليهم سنته في انبيائه وفي اعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدوا القرآن هذه الاقسام الثلث وهي الارشاد الى معرفة ذات
الله تعالى وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص
على احد هذه الاقسام الثلث وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن وقال من
قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلثة امور لا يكون
حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل
عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له
كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القرآن
ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود
ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في احاد كلماته
فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة
البشر واكثر اسرار القرآن معناه في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك منها العجائب
ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرة
وبيان تفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين
وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التاويل وفقهه في الدين فقد انكر
منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شي لانه فعل الله تعالى فينبغي ان يرضى بالكفر
والمعاصي وانخدع بذلك قوم فراوا الرضا بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء
الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لابن عباس حيث قال صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان فضيلة الرضا
ثم بحكايات الاحوال عن الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه
من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضا

اما من الآيات فقوله
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضى الله
عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة
حيث قال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة
فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين
فيقول سلوني فيقولون رضاك يا ربنا فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما

رضوان الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته
اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر
اليه عز وجل وانما سالوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم راوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا
بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى
ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احديها
هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية
السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني
عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي
هم فيه فهذا افضل رضا الله وهو ثمرة رضا العبد **واما من الاخبار** فقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء
ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر
انه قال صلى الله عليه وآله وسلم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن
هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وآله وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من
الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان
صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطائفة من امتي
اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان فيسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رايتم الحساب
فيقولون ما راينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا فيقولون هل رايتم جهنم فيقولون
ما راينا شيئا فيقول الملائكة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون نشدناكم الله
تعالى حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل
رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة
يحق لكم هذا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعطوا الله تعالى الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا
فلا وفي اخبار موسى عليه السلام انه قيل له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام
الهي قد سمعت ما قالوا فقال تعالى يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله تعالى فلينظر ما لله تعالى عنده فان الله عز وجل
ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم
يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان
موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وانت
لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه
السلام اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه
ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيته له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد منه ان الله تعالى قال انا
الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله في الشدة

قوله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير
واحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط حتى يلقانى وفى الخبر المشهور يقول الله
تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على
يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفى الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله تعالى الجوع والفقر
والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندى فى ام الكتاب
قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان
اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد
فوق ما اريد وعزتى وجلالى لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروى ان آدم
عليه السلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وكان هو مطرق الى الارض
لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال
يا بنى انى رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا انى تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان
ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبنى ما لا اعلم وقال انس بن مالك خدمت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم افعله لم لا فعلته ولا قال
صلى الله عليه وآله وسلم فى شئ كان ليته لم يكن ولا لشئ لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمنى مخاصم من اهله يقول صلى
الله عليه وآله وسلم دعوه لو قضى شئ لكان ويروى ان الله اوحى الى داود عليه السلم انك تريد واريد وانما يكون
ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ٥
الاثار فقد قال ابن عباس رضى الله عنه اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله
عز وجل على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقى لى سرور الا فى مواقع القدر وقيل له ما تشتهى فقال ما يقضى
الله وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر
على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابى رواد ليس الشان فى اكل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف و
الشعر ولكن الشان فى الرضا عن الله تعالى وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت
ما ابقت احب الى من ان اقول لشئ كان ليته لم يكن او لشئ لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة فى رجل محمد بن
واسع فقال له انى لارحمك من هذه القرحة فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عينى وروى فى
الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فارى فى المنام فلانة الراعية رفيقتك فى الجنة فسال عنها الى ان
وجدها واستضافها ثلثا لينظر الى عملها وكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال اما لك
عمل غير هذا الذى رايت فقالت هو والله ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة
واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم اتمن ان اكون فى رخاء وان كنت فى مرض لم اتمن ان اكون فى صحة وان
كنت فى الشمس لم اتمن ان اكون فى الظل فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة
يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى فى السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه
وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضى الله عنه ما ابالى على اى حال اصبحت
وامسيت من شدة او رخاء وقال الثورى يوما عند رابعة العدوية اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيى من الله تعالى

ان تسأله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله واتوب اليه وقال جعفر بن سليمان الضبعى متى يكون العبد راضيا
عن الله تعالى فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع
والعطاء فقد رضى عن الله تعالى وقال احمد بن ابى الحوارى قال ابو سليمان الدارانى ان الله تعالى من كرمه
قد رضى من عبيده بما رضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه
مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عباده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم
من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى بحكمته
وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط **بيان حقيقة**
الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما
الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى
ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى
عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك المه ومثاله الرجل المحارب فانه فى حال غضبه او حال خوفه
قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذى يغدو فى شغل قد
يصيبه شوكة فى قدمه ولا يحس بالم ذلك لشغل قلبه بل الذى يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم به فان كان
مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين او الحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب مشغول اذا صار مستغرقا
بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه
ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط الاستيلاء من الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير
حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا فى الم يسير
بسبب حب خفيف تصور فى الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه فى القوة كما يتصور تضاعف
الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذلك يقوى حب الصورة الجميلة الباطنة المدركة
بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شئ منه فقد يبهره بحيث
يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه فقد روى ان امراة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل
لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبى مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره ولا يعالج
نفسه فقيل له فى ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه الثانى فهو ان يحس به ويدرك
المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها بطبعه كالذى يلتمس من الفصاد الفصد
والحجامة وانه يدرك الم ذلك ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له ومتقلدا من الفصاد به منة بفعله
فهذا حال الراضى بما يجرى عليه من الالم وكذلك كل من يسافر فى طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة
سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه
الذى ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه واحبه وشكر الله تعالى عليه ان كان يلاحظ الثواب
والاحسان الذى يجازى عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب فى مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر
وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود فى المشاهدات فى حب الخلق وقد
تواصفها المتواصفون فى نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال

بما هو جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والخبائث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما
بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك بالجمال الى العين الخسيسة التي يغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير
كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب
الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت
بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه وهذا امر واضح من حيث النظر بعين
الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب
الشدة لا يشتهي المخرج منها وقد قال الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء فقال لا قلت وان
ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء بحبه حتى
لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد
ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت قال لاني عاشق فقلت له لم سكت قال لان معشوقي بحذائي
ينظر الي فقلت فلو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا
نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمان مائة سنة لا ترجع اليهم
فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال
بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته
في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني الله
اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها وقال ابو عمرو
محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف عليه السلام
كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من هذا وهو
قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بالقطع وقال سعيد بن احمد رايت
بالبصرة في دار عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول
يوم الفراق من القيمة اطول والموت من الم التفرق اجمل قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسالت عن امره فقيل انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا
روي ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام
يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت وابقيت لي
فيك الامل يا بر يا وصول وروي عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم
خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في
ذلك فقال انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان لرجل بالبادية كلب وحمار
وديك فالديك يوقظهم للصلوة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ
الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا
عليه فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم
فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلب والديك والحمار

التفرق

ولما كانت الخيرة في ذلك كما قدره الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله بكل حال ويروى
ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو
يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام يا هذا اي شيء من البلاء
اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت
هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى
عليه السلام وتعبد وقيل ان عروة بن الزبير قطع رجله الى ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي
اخذ مني واحدة لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة
وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر كان فيه الصبر وان
كان الغنى كان فيه البذل فقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا
مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر
هل نلت غاية الرضا عن الله تعالى فقال الغاية فلا ولكن مقام من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر
عليه الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا
كلام من علم ان الحب اذا استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل
لذته في استشعار حصول رضا محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان
كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز
عنه عجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي
قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح
للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين
استسقى بطنه فبقي على ظهره ثلثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء
الحاجة فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة
العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله تعالى احبه الي ثم قال احدثك
شيئا لعل الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة لتزورني وآنس بهم وتسلم علي فاسمع تسليمها
فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا
يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف
فقالت له امراته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضوا
لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي
وقاص مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان
مجاب الدعوة فقال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة
قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك
بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي احسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلثة ايام لم
يعرف له خبر فقيل له لو سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي

وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل
التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض
لكان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله تعالى ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد
تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال
هل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلوة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان
معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه انك لم يفتح لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال
القلوب وانما انت تعد في طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم
ودخل جماعة من الناس على الشبلي في البيمارستان وقد حبس فيه وجمع بين يديه حجارة فقال من انتم قالوا
محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال لهم ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي ثم انشد
ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رايت محبا غير سكران وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله تعالى
ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك
ان الذهب مذموم عند الله عز وجل والناس يتفاخرون به والبلاء زينة اهلهم يستنكفون منه وقيل
وقع الحريق في السوق ببغداد فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف
قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من
قوله الحمد لله على هذا فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو
مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله تعالى
وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا
بالحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب
الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته
ولو في هلاك روحه كما قيل فما لجرح اذا ارضاكم الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب
بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه
لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما
وقد روي عن عمرو بن الحرث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية
مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت فقالت
راشدا فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه واغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد رايت رجلا
متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت الصبي اليه وقال الى متى هذا النفاق الذي تظهر
فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل و
غمض عينيه فوجدناه ميتا وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل له جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية
فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة
من يده وجعل يحرك باصابعه ما في القدر حتى تساقطت اصابعه فقالت له الجارية ما هذا قال هذا

موضع قولك آه وحكي محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على
الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم القى بنفسه الى الارض
فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق تعالى اولى لان البصيرة الباطنة
اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك
الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة والذي
فقد القلب لا بد ان ينكر هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب **بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا**
ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان
المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله تعالى وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار
الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام
على ما نقلناه في كتاب الدعوات يدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعلى مقامات الرضا
وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله عز وجل يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم
الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال تعالى رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال
تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله
وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه
قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل في المشرق ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكه
في قتله وقد امر الله بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله
تعالى مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار فيقول
الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد
فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقال تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق
على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال المرء مع من احب وقال من احب قوما
ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
وشواهد هذا قد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة في بيان الحب في الله تعالى والبغض في الله [illegible] تعالى
وفي كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيدها فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا
بقضاء الله وان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى
فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع
بين الرضا و[illegible] حسن خلق وهو جهل محض بل ليس الرضا والكراهة متضادين اذا لم يتواردا على شيء واحد
من جهة واحدة على وجه واحد وليس في التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت
عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه

من حيث انه صفات عدوك ولذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته
فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه
وعلامة كونه ممقوتا عند الله ومبغوضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر
ومذموم ولا ينكشف لك هذا الا بمثال فنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبه اني اريد ان اميز بين
من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى فلان فاضربه وادفعه
واضربه ليضطره ذلك الى الشتم حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم ايضا انه عدو
وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض
الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء
هذا الشخص وضربه وابعاده وتعرضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك
وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك
منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك
الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات
مرادك ولكنه من حيث انه وصف هذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه
جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانه كاره له من حيث نسبته اليه ومن
حيث هو وصفه لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له لانه
مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما
بغضه لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض
ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك البغيض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك و
بغضه لك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي واما التناقض ان
يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده
بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه
ونظاير ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب
الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب الشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت
الله لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره تشبه بغض المحبوب لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره
لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته
بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله تعالى ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من
ابعده الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة
وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتا بغيضا
الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع
ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع
الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه

وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال
ليس الشر من الله سبحانه فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو مقصر
وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالاولى السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم القدر
سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين
الرضا بقضاء الله سبحانه ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر وبهذا
ايضا يعرف ان الدعاء بالمغفرة والعصمة عن المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا
بقضاء الله تعالى فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة
التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب
الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه
مسبب الاسباب وكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله
تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل
ويتصل به نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهار البلاء على
سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض فيه وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى ان لا
يقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف واما في الشتاء فهو شكر فالشكوى تناقض
الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل
من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح
في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا
فاني لا ادري ايهما خير لي

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخروج من بلد ظهر فيه
الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى و
ذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه
الاصحاء وبقي فيه المرضى المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبهه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب
البلد في الانصراف عنها وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى بحكمه ظهر ان الفرار من البلاد
التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع
التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون
يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها قال ابن المبارك قد
طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد يزدرى فيه نعمة الله تعالى وتستصغر
فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد قال ما رايت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا
لهفان او قارئا حيران ولا ينبغي ان تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر بذلك
الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد يترصد القافلة

بشيء عشرين يوما وكان يتصدق فيه بستة عشر دينارا لكل يوم دينارا كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة
كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع
هناك بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق
فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة اجزاء فتسعة اعشاره بالشام
وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة اجزاء على العكس من ذلك وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل
بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال ياتينا
احدكم في زي الرهبان فاذا سالناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثل المتعبد
ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لولا تعلق هولاء الصبيان بي كان الخروج من هذا البلد اثر في نفسي
قيل واين تخرج قال الى الثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد وزهادهم فقال ناهيك زاهد
بمن يقيم بشر بلد فهذا يدل على انه من بلي ببلد يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان
يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وان منعه عن ذلك عيال وعلاقة فلا ينبغي
ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم البلاد نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين والعاصين
قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضا
مطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في انفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء
في الافضل من اهل المقامات الثلثة رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل
قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا
افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد والثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري
كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال
يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال الثوري لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب
ايش تقول انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست
محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة
وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد فقال لاني رايت اربعين بدلا
واخذت عن كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى
الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي
يوما قط انه لم يبق لله تعالى ولي الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي
مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك
لنفسك في الله تعالى فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك
فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة
فوفت لي بذلك ويحكى عن يحيى بن معاذ انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى الطلوع

[illegible] وكان احمد رضي الله عنه [illegible]

مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف
ثم سجد عند السحر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا و
عشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فراني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي فقال مذ متى انت ههنا فقلت
منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي
واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى
العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيئا استحسنه فاسالك اياه
فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت
منه فقلت يا سيدي لم لا سالته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك
غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه
والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب النخشبي يوما لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما
اكثر ابو تراب عليه قوله لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رايت الله تعالى فاغناني
عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من
ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذلك فقال له ويلك اما ترى الله تعالى
عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله تعالى وقد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر
قصة قال فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب
فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على
دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له
بوصفه فلما رانا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة
فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه
البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم
لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم
يقمها وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة
واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده
الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم عليهم السلام
فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم
ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رايتهن يتساعين في الهواء
عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت
بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر
اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات
لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها ولو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي

بجال الايمان بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات وقطع مقامات كثيرة اذ اولها الاخلاص واخراج حظوظ النفس
وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول
فهذه اوائل سلوكهم واول مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات
الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى
انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديد اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة فنظر
المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدى والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر
امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء
اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما تستشم
روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت كاتما
الله تعالى حالي معناه اسئله ان يكتم علي ويخفي امري وروى انه راى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله لي فقال
يسر الله عليك طاعته قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل معناها سترها عنك
حتى لا تلتفت اليها وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر عليه السلام فسالت الله تعالى ان يريني اياه
ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرايته فما غلب على همي ولا همي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا
اذا قلته حجبت في قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة قال قل اللهم اسبل علي
كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم
اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما برحت اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى
كان اهل الذمة يسخرون منه ويستسخرونه في الطريق بحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون
به فكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال اولياء الله تعالى ففي امثال هؤلاء
ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع
والرياسة وغيرة الله على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله
عليه وآله وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام
هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة
المستشعرة ذل انفسها استشعارا اذا ذل وامتهن واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه
مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع
انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى
له ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان يطرح الايمان
بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله تعالى فليكن محبا لاولياء الله تعالى مؤمنا بهم فعسى ان
يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب
فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلبها
باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روي ان استاذ الجنيد وهو ابن الكريني دعاه رجل الى الطعام اربع مرات
ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد

رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود
ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح
فتشتت علي قلبي فدخلت الحمام وعدلت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا
قليلا حتى راوا اذيال الثياب من تحت المرقعة فلحقوني ونزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني
واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم
الله تعالى من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه
حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد وبحائل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره او بنفسها
واعظم الحجب شغل النفس بها ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق
مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا
اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة
وقمت لياليها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي
حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمل به قال اذهب الساعة الى المزين واحلق راسك ولحيتك وانزع
هذا اللباس واتزر بعباء وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني
صفعة اعطيته جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك
فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا يا ابا يزيد فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال كيف قال لانك
عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت الله فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره قال ابتدي بهذا قبل كل شيء
فقال لا اطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض
بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان
الشفاء في حق من داوى نفسه بهذا الدواء بعد المرض ولو لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات الصحة
الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة
عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشيء
احب اليه من كثرة الشيء وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يكمل ايمان
العبد حتى يكون فيه ثلث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا
قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي آل داود من اذا غضب لم يخرجه غضبه
عن العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها
صلى الله عليه وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم
يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عليه عظيمة وراء الايمان وفي
الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر علي
شيئا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الى
ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء
الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال

صلى الله عليه وآله وسلم للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي و
اعطاني مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه
بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هل في خلق منها فقال صلى الله عليه و
آله وسلم كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله تعالى السخاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم رايت ميزانا ادلي من السماء
فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة فرجح
بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة
مع غيره فقال صلى الله عليه وآله وسلم لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله
يعني نفسه **خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها** قال سفيان المحبة اتباع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهة البقاء في
الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر
للقلوب يعجز القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تعالى حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة
وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان
تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت
هلك وقال الشبلي يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم يا رافع النوم عن جفوني انت بما حل
بي عليم آخر عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر من نسيت اموت اذا ذكرتك ثم احيا
ولولا حسن ظني ما حييت فاحيا بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت شربت الحب كاسا بعد كاس
فما نفد الشراب وما رويت فليت خياله نصب لعيني فان اقصرت في نظري عميت وقالت رابعة العدوية
يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء اوحى الله تعالى
الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملاته من حبي وتوليته
بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه
الدم فمات وقال ابراهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني
من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري من احب الله تعالى عاش ومن مال
الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شيء وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم
فقالت والله اني لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب
المخلوقين ولكن محبة الرسول على قدر محبة المرسل وسئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال
الرضا عن الله تعالى والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه
المحب ... قبل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى
وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق
جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم
للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربعة منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها المحبة
لان هاتين المنزلتين يبقيان مع اهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرها وقال هرم بن حيان المؤمن اذا

عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة
ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة فهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة
من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت
يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكن لحبي
اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف
انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه
ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي للمقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني و
ارحم ما اكون لعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي عندي اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار لقي
نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق و
قال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا
خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي
بفعله ومن اشتاق اليه جد في سيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا
اراه وقال الجنيد بكى يونس حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني
وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سنته فقال صلى الله عليه وآله وسلم المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب
اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد
خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية
قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله عز وجل وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين
هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رايت في جبل اللكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز
من حجر الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى وقيل الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه
حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة
والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه ان شاء الله تعالى تم كتاب المحبة ويتلوه كتاب النية والاخلاص والله اعلم

كتاب النية والاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته
اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس و
الملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله
الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة الشاركين والصلوة على نبيه سيد المرسلين وعلى جميع

النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين أما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان
وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون
كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية
عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق
هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية وكيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف
حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد
طاعة الله تعالى ان يتعلم النية اولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين
هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلثة ابواب

الباب الاول في حقيقة النية ومعناها الباب الثاني في الاخلاص و
حقايقه الباب الثالث في الصدق وحقيقته اما الباب الاول في الصدق وحقيقته في
النية وفيه بيان فضيلة النية بيان حقيقة النية بيان كون النية خيرا من العمل بيان تفصيل الاعمال
المتعلقة بالنفس بيان خروج النية عن الاختيار اما بيان فضيلة النية فقد قال الله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه و
آله وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله و
من كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر شهداء
امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم و
اعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد
بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول الله القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي
ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول عز وجل انه
نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وآله وسلم الناس اربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول
رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما
فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف
شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في غزاة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا
مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا فقال صلى الله عليه وآله وسلم
حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة
منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا
ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له

بتنا

فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له ويروى في
الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل والناس في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين
الناس فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان ان قل له ان الله قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك و
اعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة ان من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له
حسنة وفي حديث عبد الله بن عمر من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها
ومن كانت الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث
ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره
والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انما يقتتل
المقتتلون على النيات وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقى الجمعان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم
فلان يقاتل للدنيا وفلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث
كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة
من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال
صلى الله عليه وآله وسلم من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة
وريحه انتن من الجيفة واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله
تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز
اعلم ان عون الله للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف
رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت
جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون
النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وكان بعض
المريدين يطوف على العلماء ويقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان يأتي علي
ساعة من ليل ونهار الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا
فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله ولذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان
تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام
طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم و
كان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها
ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل و
قال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فان عمل
السنة فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذا الاعمال [illegible] فانها مفتقرة الى النية ليصير بها خيرا او [illegible]

في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق **بيان حقيقة النية** اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة
على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه
ثمرته وفرعه وذلك لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لا يريد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة
وانبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل ثم خلق الانسان بحيث يوافقه بعض
الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي
عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة والى ادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر
الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها
اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك
للتناول ما لم يكن له فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق له
ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الشهوة الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة
والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما هو راغب
فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا
يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد
وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن
معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك
الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة والنية عبارة عن الصفة المتوسطة
وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك
الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المنوي والانبعاث هو القصد والنية
وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد
وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان
مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنها الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن
الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما الاول ان
ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من
السبع فانه رأى السبع وعرفه ضاريا وانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى
الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها
اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته الثاني ان يجتمع
باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان
كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه
لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره
قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل
عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل

انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة البواعث الثالث
ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون
ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله في غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه و
يقصده الفقير الغريب فيطلبه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك
الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا
يبعثه مجرد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء
على العطاء ولما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة الرابع ان يكون احد
الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة
والتسهيل ومثاله في المحسوسات ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو
انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان
ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه
بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن
مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة والباعث الثاني اما ان يكون
رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع
للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم
للمتبوع **بيان سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم نية المؤمن خير من عمله** اعلم انه قد يظن ان سبب
هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليها الا الله والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد
لانه لو نوى ان يذكر الله تعالى بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نية
التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمر والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان
ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات
معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان يكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير
من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه
اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت
النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد
منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من
جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه
واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في
الايصال الى المقصد وقايس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود
فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك
الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس
بعضها بالبعض والطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها

بلقاء الله تعالى والمقصود الاقصى السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى الا من مات محبا
لله تعالى عارفا بالله سبحانه ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر
والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من
شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عن شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر
مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد
والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الايمان بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة
عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة
حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا
ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة لذلك تاكد ميله ورسخ
وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى
وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا ولو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة
والمحاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى
ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف و
ينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها التي يراد بها الآخرة
والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية
هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح
لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتاثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة
تالم بها القلب وترى القلب اذا تالم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت به الاعضاء وارتعدت
الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا و
الاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيه والقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية
واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن
هذا الوجه يجب لا محالة ان يكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان يكون النية
من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة
الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة
الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تالمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر
وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان
يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان يفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب
منها تغير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث
انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه
في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه ومن

وجد

وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا
لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم يسر من اعضائه اثر الى قلبه لتاكيد الرقة وكذلك
من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم يسر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتاكد به
التواضع فكان وجوده كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا
فيقال العبادة بغير نية باطلة هذا معناه وهذا اذا فعل عن غفلة فاما اذا قصد به رياء او تعظيم شخص آخر لم يكن
وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهي
صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى
الله عليه وآله وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى
وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا وليس المقصود من اراقة دم القربان اللحم
بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة
فان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا اعني القلب
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه فيما تقدم ذكره لان قلوبهم
في صدق ارادة الخير وبذل النفس والمال والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين في
الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلوب وذلك غير مطلوب الا لتاكيد
هذه الصفات وبهذه المعاني يفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك
اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما
كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي
ثلاثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي
ان يفهم الجاهل من ذلك عن عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة
بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مسجدا او مدرسة او رباطا
بمال الحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر
على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على
كل مسلم والخيرات انما تعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على
القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر
حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم
من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية
باب العلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله سبحانه به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس
الجهل الجهل بالجهل فان من لم يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي
هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير
معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت

عن علمه ويتقرب به من يتقرب الى السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام ويتقرب العلماء السوء بتعليم العلم
للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور والقاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة
وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع
طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى
ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة
ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد
نيته وقصده ومشاهدته انواع المعاصي من اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم
وتبقى آثاره منتشرة في العالم الف سنة مثلا والفي سنة واكثر وطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه ثم العجب من
جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر العلم علم الدين فان استعمله هو في الفساد
فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو
العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا
من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا يستعين به على مقصوده ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق
بالاخلاق الجميلة وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والقوة للغزاة
من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء
هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب اليه بواحد
منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال من هذا
الظالم فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده
والعلم نوع من السلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله سبحانه وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا للدنيا على
دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته
بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فان راوا منهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا
اكرامه واذا راوا منه فجورا او استحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من
يتعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ بالله جميع السلف من الفاجر العليم
بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل ويحكى عن بعض اصحاب احمد رضي الله عنه انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق
ان احمد رضي الله عنه اعرض عنه وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأل عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك
طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد اخذت سمك الطين من الطريق وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح
لنقل العلم فهكذا كان مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان
وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكبير اعني الفضل من
العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والارشاد اليها بل هي العلوم التي تتعلق
بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم
الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية
بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد

والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا ينقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه
اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة القسم
الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في الاصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها
عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة
الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة
عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله في القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي به نيات كثيرة حتى يصير من
فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله تعالى وان داخله زائر الله
تعالى فيقصد به زيارة مولاه عز وجل رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال من
قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون
من جملة المرابطين انتظار الصلاة لقوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب والاعتكاف بكف السمع والبصر
والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تعالى
ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او استماع
ذكره او التذكر به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل
وسادسها ان يقصد افادة علم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته او يتعاطى ما
لا يحل له فيامره بالمعروف ويعلمه ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلمه منه فتتضاعف خيراته
وسابعها ان يستفيد اخا في الله عز وجل فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين
لله تعالى وفي الله تعالى وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله عز وجل وخشية من ان يتعاطى في بيت الله
عز وجل ما يقتضي هتك الحرمة قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله تعالى
سبع خصال اخا مستفادا في الله عز وجل ورحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه
عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ
ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره
فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات القسم الثالث سائر المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل
نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها
تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك
يسأل عنها في القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهية ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل انه صلى الله عليه وآله وسلم قال
ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي
خبر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه
انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب
وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة او في سائر الاوقات

يتصور أن يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران أو يقصد
رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات إذا كان مستحلا
للنظر إليهن ولأمور أخر لا تحصى وهذا كله يجعل التطيب معصية فيه يكون أنتن من الجيفة في القيمة إلا
الأول وهو التلذذ والتنعم فإن ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن أوتي
شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى
وأما النيات الحسنة فأن ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة وأن ينوي به
أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى فلا يرى أن يدخله زائرا لله تعالى إلا طيب الرائحة وأن يقصد به
ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته برائحته وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي
تؤدي إلى إيذاء مخالطيه وأن يقصد حسم باب الغيبة على المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله
بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية وقد قيل
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا يفارقهم فالراحلون هم وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه
لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه
زاد عقله فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كان تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه وإن لم
يغلب على قلبه إلا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا
حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا
الواحد ما عداه ولهذا قال بعض العارفين من السلف إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي و
شربي ونومي ودخولي إلى الخلاء وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء
البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الأكل التقوي على العبادة ومن الوقاع
تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به إلى ولد يعبد الله بعده فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وآله و
سلم كان مطيعا بأكله ونكاحه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه
هم الآخرة وكذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال فيقول هو في سبيل الله وإذا بلغه اغتياب غيره
له فليطيب قلبه بأنه سيحمل سيئاته وستنقل إلى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر أن العبد
ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة
فيتعجب ويقول يا رب هذه أعمال ما عملتها قط فيقال هي أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر أن
العبد ليوافي يوم القيمة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا و
ضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ويبقى طالبون كثير فيقول الله عز وجل ألقوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له
صكا إلى النار فبالجملة إياك ثم إياك أن تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد
جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
عتيد وقد قال بعض السلف كتبت كتابا وأردت أن أتربه من حائط جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب
فأتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب

الثوب فعرفه فمد يده إليه ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال إني لبسته لله تعالى ولا أريد لغير
الله تعالى أن أسويه وقد قال الحسن إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله تعالى فيقول
والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطي وأخذت خيطا من ثوبي فهذا وأمثاله من الأخبار
قطع قلوب الخائفين فإن كنت من أولي العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق
الحساب عليها قبل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل أولا أنك لم تتحرك وماذا
تقصد به وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فإذا
علمت أنه لا باعث لك إلا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك وإلا فأمسك ثم راقب أيضا قلبك في
إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل فلا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي أن يكون لداعي هوى خفي لا يطلع عليه ولا
تغرنك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات وافطن للأغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاغترار فقد روي
عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل في حائط قوم بالطين وكان أجيرا لهم فقدموا له رغيفه إذ كان لا يأكل إلا
من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا أن
الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال إني أعمل لقوم بالأجرة وقدموا إلي الرغيف لأتقوى على عملهم فلو أكلتم
معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر إلى البواطن بنور الله تعالى فإن ضعفه عن العمل
نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل فلا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو
يأكل فما كلمني حتى لعق أصابعه ثم قال لولا أني أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه وقال سفيان من دعا رجلا إلى الطعام
وليس له رغبة في أن يأكل فإن أجابه فأكل فعليه وزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد وأراد بأحد الوزرين
النفاق وبالثاني تعريضه أخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا
يحجم إلا بنية فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله
صلى الله عليه وآله وسلم الأعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس
لله تعالى أو أتجر لله تعالى أو آكل لله لأتقوى على الطاعة ويظن أن ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس أو حديث
لسان أو فكر وانتقال من خاطر إلى خاطر والنية بمعزل من ذلك كله وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها و
ميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا وإما آجلا والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة
بل ذلك كقول الشبعان نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه و
أعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب
صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما يقدر عليه وإنما تنبعث
النفس للفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل
من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا
كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها
أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد
غرضا صحيحا في الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية

فهي اجابة للباعث ولا باعث له الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه
وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا الايمان بالشرع و
يقوي الايمان بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات
عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب
فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة
لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد
الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون
ليس تحضرني فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري رحمهما الله وقال ليس تحضرني نية ونادى
بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك
فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمن
وكان احد علماء الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا
من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلت وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسأل ان يحدث
فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت
وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل رضي الله عنه فطلبه فنظر فيه احمد صفحا ورده
فقال مالك فقال فيه اسانيد ضعاف فقال له ابن المحبر انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما
نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد رضي الله عنه فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث
عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في
طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي وقال عيسى بن كثير مشيت مع ابن ميمون بن مهران فلما انتهى
الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير
النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير
نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هي قول القائل بلسانه نويت
بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد يتيسر في بعض الاوقات وقد يتعذر في بعضها
نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى
اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض
الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له
داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة
والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا من يتعاطاها ونيات
الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث
الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله تعالى وتعظيمه لذاته ولجلاله
لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوفات في الدنيا و

بعض

اغلب

اغلب بواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه
كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب لا
تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وكماله وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهم ارفع
من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوا بها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة و
العشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون
ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصورة المصنوعة
من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا
من التفاوت بين جمال الحور العين والصورة المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية
لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها
لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله سبحانه وجلاله يضاهي عمى الخنفساء
عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكرت لها لاستحسنت عقل من
يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم وحكي عن احمد بن خضرويه انه
راى ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابو يزيد فانه يطلبني وراى ابو يزيد ربه عز وجل
في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال ورئي الشبلي في المنام فقيل له ما
فعل الله عز وجل بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم
من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن
غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا لا يستنكرها
الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت
الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار
في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الاكل و
والنوم والشرب ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال الى الصوم والصلوة
فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه
ساعة باللهو والحديث عاد نشاطه فاللهو افضل من الصلوة ههنا قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو
فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق
لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده
القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في لعب الشطرنج قد ينزل عن
الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير
بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويولي الخصم دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره وكذلك سلوك
طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها
الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند
حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الله تعالى الا لله الدين الخالص وقال تعالى
الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث لا يغل
عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من
دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما نصر الله
تعالى هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة
العمل واهتموا للقبول فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اول من يسأل يوم القيمة ثلثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله سبحانه ماذا صنعت
فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم آناء الليل واطراف النهار فيقول الله سبحانه كذبت وتقول الملائكة بل اردت
ان يقال فلان عالم الا وقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله عز وجل لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول
يا رب كنت اتصدق آناء الليل واطراف النهار فيقول الله سبحانه كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان جواد الا وقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول
يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل
اردت ان يقال فلان شجاع الا وقد قيل ذلك وقال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذي
وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة فدخل راوي الحديث على معوية وروى له
ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله عز وجل اذ قال عز من قائل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها الآية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان هاهنا قوما
يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك واخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس
في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة لاقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ
قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي
قال فاني لا اتركك ان تقطعها وقاتله فاخذه العابد وطرحه على الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني
حتى اكلمك فقام عنه فقال ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت
وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لي
من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس وقال له هل لك في امر فصل بيني
وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شيء
لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني
عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذ
تهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي

تنبت مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق
الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر
منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند
راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على عاتقه فاستقبله
ابليس في صورة الشيخ فقال الى اين فقال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا
سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليفعل كما فعل اول مرة فقال هيهات واخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور
بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا هو لا طاقة له
فقال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت اول مرة
لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه
الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص
ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص
من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا وجه الله تعالى
وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس وكتب بعض
الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفيك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات
على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه ورأى بعضهم في
المنام فقيل كيف وجدت اعمالك فقال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى
هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات وكان
قد نفق حمار لي قيمته مائة درهم فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها
فقيل لي انه قد وجه حيث بعثت به لما قيل لك قد مات قلت الى لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله
لوجدته في حسناتك وفي رواية قال وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدت
ذلك لا علي ولا لي فقال سفين لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ
الاخلاص يميز العمل عن العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل
موضع فيه عرس النساء او ماتم فيجتمع اليه فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه جمع النساء فسرقت درة فصاحوا
ان اغلقوا الباب حتى نفتش وكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امراة معه فدعا الله
تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة فصاحوا
ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد
العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب
عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك قال سألني ان احج معه فقلت لا قلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج
نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله تعرضت لمقت الله لاني ادخلت
في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة وروي عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض
بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت

بين المنية في النوم كان ملكين نزلا من السما فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه
متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله تعالى ثم نظر الي فقال اكتب فلان تاجرا فقلت الله الله
في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان
تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه فقال ما ترى فقال اكتب فلان خرج غازيا الا انه
اشترى في طريقه ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى بما يرى فيه وقال سري لان اصلي ركعتين في خلوة اخلص بهما احب الي من
ان اكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز و
يقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة
الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق
فيها وقال السوسي مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا
فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع
الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في
الدارين **بيان حقيقة الاخلاص** اعلم ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه
سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وانما
خلوص اللبن ان لا يكون [illegible] فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان [illegible] والاخلاص يضاده الاشراك
فمن ليس مخلصا فهو [illegible] ان الشرك درجات [illegible] يضاده التشريك في الالهية
والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون
ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا
على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان
غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى
عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء
فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل اموره ما ورد
في الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث
لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثاله
ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤونته وسوء خلقه او
يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده
او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر
وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب
ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وماله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس
والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء والصوفية لتكون حرمته وافرة
عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه او حج ماشيا ليخفف
عن نفسه الكراء او توضا ليتنظف ويتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في

المسجد ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشتغاله فلا يشغله
الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود مريضا ليعاد اذا مرض او يشيع
جنائز اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح و
الوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار
العمل اخف عليه بسبب هذه فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى
وتطرق الشرك اليه وقد قال تعالى انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح
اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط
في حظوظه ومنغمس في شهواته وقلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة
من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص
وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث له الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ
ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب
وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان يكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة
المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او
اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره فانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها
حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر به مستغرق
الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته
في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى و
يتمنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون
قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او
قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه ليتقوى على العبادة
بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال مسدود
عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله تعالى وحب الاخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه و
صارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله سبحانه فقد اكتسبت جميع حركاته
تلك الصفة فلم تسلم له عباداته من صوم وصلاة الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع
عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان
فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الافة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت
صلاة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة
من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وكان سبب استراحة قلبي
من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض قلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى و
الغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الاخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا

الصفحة

المجلد

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا [illegible] فان الباعث الاكثر على نشر
العلم الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم
نشر دين الله تعالى والنضال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة
الخلق ووعظه السلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة
الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان
باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك
لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب
واغتمامك لفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر الافضل اجزل ثوابا واعظم
واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر رضي الله عنه للامامة اكان
غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر
الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه
باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان
فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل
والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد
وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق
فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد
شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ رحمهم الله في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص
فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص
والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة و
قال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه
قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله سبحانه وقيل لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس
لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذه اشارة الى ان حظوظ
النفس آفة آجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا
وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق واما من يعمل لرجاء الجنة وخوف
النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق
لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة
الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ
وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو
الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا
حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة و

ملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا لاستحقروا نعيم الجنة ولم يلتفتوا اليها فحركتهم لحظ وطاعتهم
لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى
الخالق وهو اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده
ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا اجمع
للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الخواص من
شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال
فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه
اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل ترك
العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عز وجل عنهما وقيل الاخلاص دوام
المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل
بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم اذ سئل عن
الاخلاص فقال ان تقول ربي الله عز وجل ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم
في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلي و
بعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال
واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في
صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار و
الصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى
ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة واخذ منها حذره فصار لا
يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى
بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان
اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد
ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة
خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض
التلبيس بل المقتدي به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما
هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه
ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان
ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلاته في الخلوة مثل
صلاته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة
ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه
حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق

ان يكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكأن في نفس هذا ليس يستريح باسا تا فالصلوة
بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان يستوي صلوته في
الخلاء والملاء وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلاء والملاء جميعا
وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق في الخلاء والملاء جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة
وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز الشيطان ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف
انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من
ان ينظر الله تعالى الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه ويخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص
وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا
يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يألفه في الملاء كما
يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة
انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك اخفى
في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان
الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله
لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة
ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس
الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها
لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس
بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل
الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله
الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل
حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمتزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن
يسهل ادراكه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من
ذلك وادق ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال
حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته
وهو مغشوش زيف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا
يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها وتعدادها
فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان العمل المشوب في استحقاق الثواب اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج
بشوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا
اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص
لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار

عن تعارض

عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله تعالى ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الديني
مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس
بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتضي للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج
به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة
الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله
لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه
وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان
الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على
وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقه فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان دان
فاذا عمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية
هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما وكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر
قوته ويكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة
من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى وقد ونترا بجاوتي بذلك وكذلك
لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله تعالى
او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه
شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتبع السيئة الحسنة
تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد
لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس
نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك
طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان
غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة
بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط
بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما
الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى
الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء
محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من
التابعين ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمن يصطنع المعروف او يتصدق فيحب ان يحمد
ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وقد قصد الحمد والاجر جميعا وروى معاذ رضي الله عنه انه صلى الله عليه وآله قال ادنى الرياء شرك
وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة بن الصامت
ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروي

ابو موسى ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة
والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا
وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وآله وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فهذه الاخبار لا تدل على ما ذكرنا
بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو
الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين
حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي وقد بينا انه اذا
تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في
خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة
لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان
لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية والاخرى فقيرة فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة
الله تعالى وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين
ومدخل لليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تأثير
هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان اقوى البواعث
الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا
الاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا كامل
الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان
الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي
وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من
اعمال الله سبحانه الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي
ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منا اذ المقصود
ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم
ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة
ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج فاستضر الشيخ بذلك فسأله عن امره فاخبره بمطالبته نفسه
بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل اذ الاخلاص لا يقطع المعاملة
فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك اخلص العمل قال
الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق

قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى
يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب

عبدالله

عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الانبياء به في معرض
المدح والثناء فقال تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال تعالى واذكر في الكتاب اسماعيل
انه كان صادق الوعد وقال تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر
قال بشر الحافي من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رأيت منصور
الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم اؤمل فقلت له احسن ما توجه
العبد به الى الله تعالى ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق
سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين
وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق
على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين واوحى الله سبحانه
الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى
بنفسه في دجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما
غرق فرعون وقال بعضهم اجمع العلماء والفقهاء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض
الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت
على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها لا كنز انفع من
العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا
شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة
اخزى من الكبر ولا دواء انفع من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل
انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنأ من العفة
ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من الموت
وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله تعالى بالصدق اعطاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من
عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك
وبين خلق الله تعالى وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال قد بقينا من الذنوب حيارى
نطلب الصدق ما اليه سبيل فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل ما اصل هذا
الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال الحياء والتقى وطيب الغذاء وروى
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وقال الجنيد في
قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر
على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق
في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل
وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة
في الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما

فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر
اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا
بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق
ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم
مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة
وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة
وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه
لله تعالى فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق
ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل
الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا
ينتهي الى الاعداء خبره فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس
بكاذب من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق هاهنا يتحول الى
النية والارادة بالخير فيهما صح قصده وصدقت نيته وتجرد للخير ارادته كان صدوقا وصادقا كيفما كان لفظه
ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي
باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليه وقولي ليس هاهنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه
فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض
ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله
اياك نعبد واياك نستعين وقوله انا عبد الله عز وجل فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى
الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا
لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه
السلام تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة فسمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله تعالى
من اعتق اولا عن غير الله سبحانه فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية
لله تعالى فتشغله بالله سبحانه وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز
هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله عز وجل من حيث هو بل يقنع بما
يريد الله سبحانه له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله تعالى فصار
حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن
وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي
الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين
واما الحرية عن غير الله تعالى فدرجات الصادقين وبعدها تحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه
ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك

الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ
النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما رويناه في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين
سئل العالم ماذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم
فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك
قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم
لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا
بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فانه
كذب في ذلك وان لم يكن فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص وكل صادق
فلا بد وان يكون مخلصا الصدق الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول
في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت
وان اعطاني الله سبحانه ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها
من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة
وكان الصدق هاهنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة وقد يقال هذا المريض شهوته
كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى
فالصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا
تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي
احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة
بانه لا يتامر مع وجود ابي بكر رضي الله عنه واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف
فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه لم يقدم ولو ذكر له حديث
القتل لم ينقض عزمه بل من الصادقين المؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه
من حياة ابي بكر رضي الله عنه الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال
اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات
انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فشق ذلك على قلبه فقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غبت عنه اما والله لئن
اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا في العام القابل فاستقبله
سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني اجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع
وثمانون من رمية وضربة وطعنة فقالت اخته بنت النضر ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه
الآية قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهداء
اربعة رجل مؤمن جيد الايمان اذا لقي العدو فصدق الله عز وجل حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم
يوم القيامة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه
سهم غارب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله تعالى
حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملاء من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله
تعالى لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
قال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن الى قوله
بما اخلفوا الله ما وعدوه الى آخر الايات فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق
اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدة عليها لهيجان الشهوات عند
التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه وقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان
اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان يسول لي نفسي عند القتل شيا لا اجده الان لاني لا آمن ان يثقل عليها فتتغير
عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء
فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الصدق الخامس في الاعمال وهو
ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن
الى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرنا من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك فرب واقف على
هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن نظر اليه يراه قايما
بين يدي الله سبحانه وهو بالباطن قايم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال
عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون
والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم
ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك
اختار بعضهم تشويش الظاهر وليس ثبات الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص
وان كان من غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي
واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت
سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشد
اذا السر والاعلان في المومن استوى . فقد عز في الدارين واستوجب الثناء . وان خالف الاعلان سرا فما له
على سعيه فضل سوى الكد والعنا . كما خالص الدينار في السوق نافق . ومغشوشه المردود لا يقتضي المنا
وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهى الله به الملائكة يقول عز وجل هذا عبدي حقا
وقال معوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل
الناس به فاذا نهى عن شي كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد
الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي
ويقول ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية
احد انواع الصدق الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق
في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وساير هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي

مطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب على شي وتمت حقيقته
سمي صاحبها صادقا فيها كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة
وقال تعالى انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اوليك هم الصادقون وقال الله
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اوليك هم الصادقون وقال
تعالى وصدقوا وسيل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الآية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان فقرا هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يومن بالله الا وهو
خايف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف
سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه وتتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله و
نومه ويتشتت عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة
التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من
ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام
طالبها والتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ
بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك
قال بلى ارني قال فواعدني البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو قد سد الافق
يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى
فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل ان العرش
لعلى كاهله وان رجليه قد خرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع يعني
كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وساير الملائكة ليسوا كذلك
لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل
بالملاء الاعلى كالحلس البالي من خشية الله يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خايفين
وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال ابن عمر لن تبلغ حقيقة الايمان حتى
تنظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين الله
الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس
كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم
درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون العبد صادقا في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع
هو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت
فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من
دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قولا الا علمت انه حق وقال ابن المسيب ما ظننت ان
هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا صدق في الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلوة
واتبعوا الجنايز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ في

حقيقة الصدق فلو الاغلب لا يتعرض الا الاحاد وهذه المعاني فهم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثة صدق التوحيد
وصدق الطاعة وصدق المعرفة وصدق لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا
يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهذا ايضا غير محيط بجميع الاقسام
وقال جعفر الصادق رضي الله عنه الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله سواه كما لم يختر عليك
غيرك بهدايته فقال تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم اني اذا احببت عبدا ابتليته
ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني
الى خلقي خذلته ولا ابالي فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهية اطلاع الخلق
عليها والله اعلم هذا آخر كتاب النية والاخلاص والصدق ويتلوه كتاب المحاسبة والمراقبة والحمد لولي نعمته

كتاب المحاسبة من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت
المطلع على ضماير القلوب اذا هجست الحسيب على عباده بالخواطر اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل
بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت
وينظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت
وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله تعالى بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت
نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والآخرة وعمرت فبنفحات فضله اتسعت
القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت وبحسن هدايته انجلت
عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتاييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح
كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء
والاسعاد والاشقاء والصلوة على سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وقادة الاتقياء وسلم كثيرا
اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقال حبة من خردل الآية وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الآية وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله
ونسوه والله على كل شي شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة الآية
وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه الآية وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم

فاحذروه

فاحذروه فعرف ارباب البصاير من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون
بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة
ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب
في القيمة خف حسابه وحضر عند السوال جوابه وحسن منقلبه وماآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في
عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله
تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله فرابطوا
انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست
مقامات فلا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب
فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات المقام
الاول من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضايع عند المحاسبة
سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق
الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين
التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه
اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف
عليها الوظايف ويشترط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق
ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة او تضييع راس المال كالعبد الخاين اذا خلا له
الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس
الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا
مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم
بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دايما وقد انقضى الشر والخير
الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دايما وقد انقضى الخير ولذلك قيل اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها
في حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن
ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الآباد فانقضاء هذه الانفاس ضايعة او صرفها الى ما يجلب الهلاك خسران
عظيم لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان
التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني
فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه وانساني في اجلي
وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت
ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان
اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة

فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبناً وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة من كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا تطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصيته في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى عورة مسلم أو وجه من ليس بمحرم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله تعالى بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل عليها الأمر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن أما آفة اللسان فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء على الأعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله تعالى إلى طريق الله عز وجل وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول نهاره إلا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط عليها أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا يخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفتقر إليها كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد أو واقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل

بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة يحتاج إلى أن يقضي حق الله تعالى فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يعظ العبد الآبق المتمرد فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار ومعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة الآية وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ذكر ذلك تحذيراً وتنبيهاً للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل كان سأله أن يوصيه ويعظه إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان غياً فانته عنه وقال بعض الحكماء إذا أردت أن يكون العقل غالباً للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل دان نفسه أي حاسب نفسه ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله تعالى أئنا لمدينون أي لمحاسبون وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيؤوا للعرض الأكبر وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله فقال ويل لديان الأرض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال إلا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولاً وقدرها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها

المرابطة الثانية المراقبة

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها أما الفضيلة فقد سأل جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه وقال أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد قال الله تعالى إن الله كان عليكم رقيباً وقال تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال رجل لابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل وقال عبد الواحد بن زيد إذا كان سيدي رقيباً علي فما أبالي بغيره وقال أبو عثمان المغربي أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال الجريري أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائماً وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله تعالى رقيب على باطنك

ويحكى انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم
هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل منكم طيره في
موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له مثل ما قال لهم فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب
والطير حي في يده فقال ما لك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله تعالى
مطلع على كل مكان وموضع فاستحسنوا هذه المراقبة وقالوا حق لمثله ان يكرم ويحكى ان زليخا لما خلت بيوسف
قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف عليه السلام ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من
مراقبة الملك الجبار ويحكى عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحيي فقال ممن
استحيي وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال بعلمك ان
نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه
من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة
قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني
والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل
الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب
الرب عز وجل وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى في بعض الكتب
ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظواهر وانا رقيب على البواطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل
مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل
خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل من علم العبد بان الله شاهده حيث
كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه
تعالى وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان
واجتهاد ليس فيه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب له ومحاسبة نفسك قبل
ان تحاسب وقيل اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا ان ما يخفى عليه يغيب الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب وقال حميد الطويل لسليمان
بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه
لا يراك فقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء
وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما
يراقب الله عز وجل وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا
في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك
فقال قل لسيدك اكلها الذئب فقال فاين الله عز وجل فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا الى المملوك فاشتراه
من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الآخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من
الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة

وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله
والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو
العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت
وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه
المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب
وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب
الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون
الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من
وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا
تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه المراقبة لا يطول النظر في
تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات
فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير
وتثبت في حفظها على سنن السداد بل تسدد الرعية من تلك كفاية الراعي والقلب
الراعي فاذا صار مستوفى بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة
من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة
فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع
ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على الله مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري
عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد
نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملك قد لا يحسون بما يجري
عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات
الدنيا فيغوص من جهة الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل
الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل
بحاله عن الخلق فقال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى
دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة قال من موضع
كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا ويروى عن
يحيى بن زكريا عليهما السلام انه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم
فعلت هذا فقال ما ظننته الا جدارا وروي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة
يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال
ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك قال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من
هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومضى
وقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه

ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما
هو فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسنا
لا يتحرك من ظاهره شيء فقال ممن اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا
فكانت اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف
خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف
بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك
تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء
فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت
ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله تعالى الا رددتما علي السلام فرفع
الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ
الى لقائنا قال فاخذ قلبي ثم طأطأ راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر
والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه
الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلثة
ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث
قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال
يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك
بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين
غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثالثة درجة
الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله عز وجل على ظاهرهم
وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال
متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب
عليهم الحيا من الله عز وجل فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل
ماسوا يفتضحون به في القيمة فانهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون
الى انتظار القيمة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى
اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك
وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حيا فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك
ولا تستغرقك فانها تهيج الحيا منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك
التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في
مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى مراقبة جميع حركاته وسكناته
وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظرتان نظرة قبل العمل ونظرة
في العمل اما قبل العمل فلينظر ان ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة

اوهو

وهو هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق
فان كان لله تعالى امضاه وان كان لغير الله تعالى استحيى من الله تعالى وانكف عنه ثم لام
نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها
عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد
البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته
وان صغرت ثلثة دواوين الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت
هذا كان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه لشهوتك وهواك فان سلم عنه بان
كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله
في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت ابعلم
محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص
فيقال لمن عملت الوجه الله خالصا ام عملته لعاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك
من الدنيا ام عملت لسهو وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان
عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي
ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك اما
سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات
طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد
الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه
وقال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان
كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى
وان كان لغير الله تاخر وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك
اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متان يقف عند همه ليس كحاطب ليل
عند همك اذا هممت فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا بالعلم المتين
والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكائد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه
وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه
في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل
فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا تظنن ان الجاهل بما
يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان
من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكائد الشيطان
ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب

اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في
قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته
في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة
والندم والاقلاع والاشتغال بالتكفير والحياء وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة
وبالشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه وهو اما فعل
يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله عز وجل ويسابق به عباد الله او مباح
فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعة الله تعالى ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام
المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلثة
فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد
ربح وهو قادر عليه حركة فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته
كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يكون بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلث ساعة
مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة او رفاهية وساعة مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد
ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان
لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة فان اتته الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى
ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون في وقته كانه في آخر انفاسه فلعله
آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو
على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر رحمة الله عليه لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلث
تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وما رواه ايضا على العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة فيها يناجي
فيها ربه وساعة عونا له على الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي
ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله فيه من العجائب ما لو تفكر فيه
وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه على اقسام قسم ينظرون اليه بعين البصر و
الاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله تعالى الاسباب لها
وخلق الشهوات الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة منها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام
ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا
عنها ولكن يرون انفسهم مقهورين فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة
الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكيرهم وانفتاح ابواب الفكر عليهم بسببه وهي
اعلى المقامات وهو مقام العارفين وعلامة المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي
الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يرد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه الى الصانع مجال ان فتحت
له ابواب الملكوت وهذا عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على
ما فاتهم ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون
الطبيخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق

والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة
واساس كل خسران فحكم الله عز وجل على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل و
سعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى
فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه ويجلو القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة
الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم
القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة
الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك
واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان
بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر
من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله الى داود
عليه السلام لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع
الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور
الله عز وجل فان مستضاء انوار القلب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها
واقبل على عدوها وعشق بغيضها ومبغوضها وهي شهوات الدنيا فلتكن همة المريد اولا في
احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا وضعيف الرغبة فيها وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل
عند هجوم الشهوات فجمع بين الامرين وهما متلازمان حتى ان من ليس له عقل وازع عن
الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا
فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف حتى يهمد لمحوه ومحقه بمقارفة
الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا
هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات
وقالوا هذا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا
لفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان
فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه
المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة رضي الله عنهم
في القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم الامر كسعد بن ابي وقاص وعبد الله
بن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وغيرهم رضي الله عنهم فمن لم يتوقف عند
الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ قال فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك
بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك
به علم وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به الظن بغير دليل

الله عز وجل صغير انه ان الله تعالى نفد لهم الله تعالى وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو
الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بالمراقبة للاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه
على المنهاج لمن احكم الاصول المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم
حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه
اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توزنوا وفي الخبر انه صلى الله عليه وآله وسلم جاءه رجل فقال اوصني يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
امستوص انت فقال نعم قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان
كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه قال الله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون وروي ان عمر رضي الله عنه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه
ماذا عملت اليوم وقال ميمون بن مهران لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه
والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت
ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قالت فقال لا احد اعز علي
من عمر رضي الله عنهما فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة
حين شغله الطائر والنظر اليه في الصلوة فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض وفداء لشغله
لما فاته في الصلوة وحديث ابن سلام انه لما حمل الحزمة من الحطب قيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك
ما يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب قلبي هل ينكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله تعالى
انما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر من
غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن
هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت
بهذا والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله تعالى وقال انس بن مالك سمعت عمر رضي الله عنه وقد
خرجت معه يوما حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه الجدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب امير المؤمنين
بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن
الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت بشربتي ماذا اردت باكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه
وقال مالك بن دينار رحمة الله عليه رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم ذمها
ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله عز وجل فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي في موضعه وقال
ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في
الجنة آكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها واشرب من
صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفسي اي شيء تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل
صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول امرأ حاسب نفسه

قبل ان يصير الحساب الى غيره امرأ اخذ بعنان قلبه فعلم ما يريد به امرأ ينظر في مكياله امرأ ينظر في ميزانه فما
زال يقول ذلك حتى ابكاني وقال ابن حنيف انه كان يصحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلاته بالليل
الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا احنيف ما حملك على
ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا **بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل** اعلم ان العبد كما
يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة
يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة
على الدنيا حرصا منهم على ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلم يكن يبقى الا اياما
قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة
والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح
وفي الخسران ليتبين له الزيادة والنقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه
وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه
المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض اولا فان اداها
على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران
بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع
التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن
في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن
جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن كل نظرة بل
عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده ومؤاكلته وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا
عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي
على نفسه فليثبته عليها كما يثبت الباقي الذي على شريكه على قلبه ويكتبه على صحيفة قلبه ثم جريدته ثم انه
النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة
لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل
بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة
والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة
فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمس مائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى المليك باحد وعشرين الف
ذنب كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة
الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو
رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان
عليه ذلك قال الله تعالى احصاه الله ونسوه المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه
فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة
المعاصي وانست بها وعسر عليه فطامها عنها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة

لشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشفت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا فاشرف ذات يوم من صومعته فراى امراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله تعالى بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعالى تعود معي الى صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والشمس والثلج حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة احتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تاخرا وتقصيرا وحدثتني نفسي بالتاخير حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعنى على نفسي فقلت واعجباه وانا اعامل الله في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد المسارعة واجد الوقوف والتاخير اليت ان لا اغتسل الا في مرقعتي هذه واليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت قال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته وكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال لمن بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم عني شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت وقت نوم هذه الساعة او كان هذا عليك ينام الرجل اي شيء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله علي عهدا لا انقضه ابدا ان لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة لك اما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميم الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله تعالى بك الملائكة ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي وآخر يقول ادع لي يا فلان فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على وجه الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو على بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبتها قبل ان تعذب واليوم ترى ثواب ما كنت له تعمل عن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة

ثم سال

ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله تعالى حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت هكذا يقول لم تهن اولئك ثم قال والله لاعرضنك اليوم على الله تعالى اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم وكان في اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايت صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث ابي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلوة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وان عمر رضي الله عنه كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا كذا وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فراها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا فاتته صلوة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفاتت ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذتها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت لا تطاوعني نفسي على الاجتهاد والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول سبيلك في ذلك ان تسمعها ما ورد من الاخبار في فضل المجتهدين ومن انفع الاسباب العلاج ان يطلب صحبة عبد من عباد الله تعالى مجتهد في العبادة فيلاحظ احواله ويقتدي به كان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا علاج قد عز اذ قد فقد في عباد الله عز وجل من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى

تم بهم ويبقى ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع ولا ينقطع لكثرتهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمنع نفسه ما
تلذ به شهوات بمكروه ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله تعالى من كل ذلك
ونحن نوصي من اوصاف المجتهدين وبعضها مما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد بالاقتداء بهم وقد قال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم اعملوا الله ولو لم يحتبهم الناس وهم حين مرضى بل وهم صحاح قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون
ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله
ويروى ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى
شيء فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو راوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما
وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم
من هذا التراب الذي يطؤونه بارجلهم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام
قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم اذا
جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم
اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودابوا في شكرها وسالوا الله ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوا الله تعالى
ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ويحكى ان قوما
دخلوا على عمر رضي الله عنه يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك
ما ارى فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي حلاوتها وزهرتها واستوى
عندي ذهبها ومدرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري
واسهرت له ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله تعالى وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائي
يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل اليه رجل
يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي ان لي في البيت عشرين سنة ما نظرت الى
السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد
ابن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى خلق العينين لينظر
بهما العبد الى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امراة مسروق ما كان يوجد مسروق
الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء
لولا ثلاث ما احببت العيش يوما الظما لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب
الكلام كما ينتقى اطايب التمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر وكان
علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط
فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يامرك بهذا كله فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من
الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه وكان
يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك عجبت للخليقة
كيف انست بسواك عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبب اليه الصلاة
وكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري وقال الجنيد ما رايت اعبد

من السري اتت عليه ثمان وتسعين سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحارث بن سعد مر قوم براهب
فراوه ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عندما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال
وهم غافلون قد عكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن ابي
محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا حائط ولا مد رجليه
فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه فقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني
على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرايته قد مد كفيه يبكي حتى
رايت الدموع تتخلل من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم
فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي
عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لي الدموع فرايته في النوم بعد موته فقلت ما
ذا صنع الله بك فقال غفر لي فقلت ما صنع في دموعك فقال قربني ربي تعالى وقال لي يا فتح الدموع على ماذا
قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال
عز وجل يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان
قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا
يا راهب انا قد اخطانا الطريق فاين الطريق فاومى براسه الى السماء فعلم القوم ما اراد فقالوا يا راهب انا
سائلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم
من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على قدر نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا
على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ المحل ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته وقال عبد الواحد
بن زيد مررت بصومعة فيها راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني
فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه
وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته
وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسالة الجبار فذلك
الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما
الذي قطع الخلق عن الله تعالى بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله تعالى الا حب الدنيا وزينتها
لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله تعالى من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه
وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال اني اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل
كله في ركعة واذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام
كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا وانعم
كثيرا وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى
فراشه اي كان لا ينام وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى
قال عمر بن اخت بشر بن الحارث سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لامي جوفي وجع وخاصرتي تضرب علي فقالت
له امي يا اخي بالله لو اذن لي حتى اصلح لك قليل حسا بكف دقيق عندي تحساه ليرم جوفك فقال لها ويحك يا اختي

[illegible]

قال عمر وكانت امي تكره له الليل والنهار وكان ... يصلي كل يوم الف ركعة ثم ...

[illegible]

... وقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه

... حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه

[illegible]

ويجزيكم الله سنة قال فجلست خلفه اسمع كلامه فردد الآية ثم صاح صيحة وخر مغشيا عليه فقلت واشقاه
هذا الشقاء ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من
اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال
المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا ما لي وللدنيا وما لي عليك يا دنيا
ابناء جنسك والاف نعيمك الى محبيك فاذهبي الى ابنائك واخدعيهم ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور
السالفة في التراب يبلون وعلى مر الزمان تفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك
فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره ويخاف ان يسبقه بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه
وبقيت آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لها عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو
يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا وما خطري هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم
وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجو لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من
ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع مذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد
عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت لساني وميلت الى حديثك شعبة من قلبي
فانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته فقلت هذا ولي الله اخاف ان
اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته. وقال بعض الصالحين بينا انا اسير في مسيري اذ ملت الى
شجرة لاستريح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف علي فقال يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته
يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر
الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملأ قلبي من المحبة
لك واجرني من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال
لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني وقد انشد في هذا المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقنة او بطن واد
ينوح على معاص فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته اغثني يا عمادي
فانت بما الاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد

ولآخر في معناه

الذ من التلذذ بالغواني ... اذا اقبلن في حلل حسان
منيب فر من اهل ومال ... يسيح الى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظفر بالعبادة بالاماني
تلذذه التلاوة اين ولى ... وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات
ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة
فقال وكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال كيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك
اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين
الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت
سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على

العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو
انجع في القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوالهم فان
لم يكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر
في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى بان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه
بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان جذبتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال
النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراة في امر دينها و
دنياها **فلنذكر الآن نبذة من احوال المجتهدات** فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت
العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت
الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت
الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي هذه فاهنأ ام رددتها علي فاعزى
وعزتك ان هذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك
وكرمك وروي عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كان السحر نادت بصوت لها محزون
اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسألك لا بغيرك ان تجعلني في
اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت
ارحم الرحماء واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجيب ثم لا تزال تبكي وتدعو الى الفجر
وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو
اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها فقال انت وذاك قال فاتيناها فقلنا لها لو رفقت بنفسك و
اقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان ذلك اقوى لك على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني ابكي
حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا يبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء ثم لم تزل تردد واني
لي بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في المنام كاني ادخلت الجنة
فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه الامراة التي
زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هي هذه المراة قالوا امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة فقلت
اختي والله فبينا انا كذلك اذا بها على نجيبة تطير بها في الهواء فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني
من مكانك فلو دعوت لي ربك فالحقني بك قال فتبسمت الي وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظي عني
اثنين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسين كانت
لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها
فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك
فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم
القرشي قدمت علينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض دورنا فكنت اسمع لها من الليل انينا و
شهيقا فقلت يوما لخادمي اشرف على هذه المراة ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها تصنع شيئا
الا انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل احوالي

لما خبته وكل ذلك عندها جميل وهي مع ذلك مسترضية تخطئ في البحر على من اصيب قلبه بعد قلبه ابطن الك
لا ترى بين ضلعها وانت عليم خبير وانت على كل شيء قدير قال ذو النون خرجت ليلة من وادي كنعان فلما
علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني اذا السواد
امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فزعة مني قلت رجل غريب قالت يا هذا
وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع
في نجحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت رحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك
قالت لان البكاء راحة للقلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا
الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا الباب فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن
ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم
قالت لنا كان عطاء السليمي اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في
بطنه فيا ليت عفيرة اذا رفعت راسها لم تعص ويا ليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى
السوق ومعي جارية حبشية فاجلستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي
حتى انصرف اليك فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما رأتني
عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت
ان يخسف بذلك الموضع فعجبت من قولها وقلت لها انت حرة لوجه الله تعالى فقالت بئسما صنعت كنت
اخدمك فيكون لي اجران فاما الآن فقد ذهب عني احدهما وقال ابن العلاء السعدي
كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف فكلما اتت على آية فيها ذكر النار
لم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها في كثرة البكاء
فدخلنا عليها وقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا
كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا
وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا واعرضت فقال القوم قوموا بنا فهي والله في غير ما نحن
فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل
تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت
انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه
ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك وانت الكريم
الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد
جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك
الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام
حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يسعفني عند مماتي بغفرانه
الهي كيف آيس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حال حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان
محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني

ولو اردت

ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني ودم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها
عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال
الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت
تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح قلبي
وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فهذه احوال
المرابطين المراقبين لانفسهم فينبغي ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك
واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله تعالى وحكايات المجتهدين
غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء
فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل
عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما تيسر الخير في ذلك الزمان
لكثرة الاعوان والآن فان خالفت اهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا
يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع بغرورها وتخدع بتزويرها
وقل لها ارأيت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال
وقدرت انت على ان تفارقهم وتركب سفينة تتخلص بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت
طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم وتأخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تترك موافقتهم خوفا من
الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد وانت متعرض له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا
عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم
حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد
فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها ان تنزجر عن
طغيانها المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى
عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد
ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى
بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله تعالى راضية مرضية فلا تغفلن ساعة
عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى عليه
السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال الله تعالى وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها
ويشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت
اشد الناس غباوة وحماقة اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احديهما على القرب فما
لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او
غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله تعالى قريبا اما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن

غير مواعدة ومن غير مواطاة وانه لا ياتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا
في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان
يكون فيه الموت فجاة وان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت
وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
ويحك يا نفس ان كانت جراتك على معصية الله تعالى لاعتقادك ان الله تعالى لا يراك فما اعظم كفرك وان
كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل
اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان مقتك له وغضبك عليه فباي جسارة تتعرضين لمقت الله تعالى
وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه
فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله
تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك
اذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا ارهقتك حاجة الى شهوة
من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فلم تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل
فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز او يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من
غير سعي منك وطلب افتحسبين ان الله تعالى كريم في الاخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها
وان رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك
الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا
خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل
امر الاخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان ولو كان الايمان باللسان
فلم كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين
انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تك نطفة من مني يمنى ثم كانت
علقة فخلقك الله تعالى فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا اضمارك فما اكفرك
واجهلك اما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك
افتكذبينه في قوله تعالى ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا
اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء
المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل تاثيرا عندك من قول اليهودي الذي يخبرك عن حدس
وظن مع نقصان عقله وقصور علمه والعجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال
من غير مطالبة له ببرهان ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي
من جملة الاغبياء ام صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها
احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكت
منك وسخروا من عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وامنت به فلم تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد

ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهب انك قد وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين
ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت
لو سافر رجل ليتفقه في الغربة واقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة عند
رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقه النفس من غير تفقه ودرس مما يطمع
فيه لمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله تعالى ثم هبي ان
الجهد في اخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغلين به فان اوحى اليك
بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك
لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله تعالى
قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال
اما تتاملين كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدتيه وما علمت ان الغد
الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة
الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي
فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر
عليه في الشباب لا يقدر عليه في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب
والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك ولا يصح تقويم المعوج الا بالنار
فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما بالك تدعين الحكمة واي
حماقة تزيد على هذه الحماقة والجهل ولعلك تقولين ما يمنعني من الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات
وقلة صبري على الالام والمشقات فما اشد غباوتك وما اقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي
التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك
فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل المريض اذا اشار عليه الطبيب بترك الماء
البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ان يصبر ثلاثة ايام
ليتنعم طول العمر او يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلاثمائة يوم
وثلاثة الاف يوم او اكثر وجميع عمرك بالاضافة الى [illegible] الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل
الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم
الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة
كيف يطيق الم عذاب الله تعالى [illegible] فكيف
وقودها الناس والحجارة ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لجهل جلي اما الكفر الخفي فضعف
ايمانك بيوم الحساب وعظم قدر الثواب والعقاب واما الجهل الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه
من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة
من المال او كلمة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة

من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله
الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى نفس فقد
ذهب منك بعضك واغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحيوة قبل الممات واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين
له القوت والكسوة والحطب والنمد والجبة ولا تتكلين على فضل الله تعالى وكرمه في ذلك حتى يدفع عنك
البرد من غير جبة ونمد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ايتها النفس ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر
مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين بان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة
والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله
تعالى في ان عرفك طريق التحصين ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله
تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفع بها برد الشتاء
عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلقه
سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه
ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا اول خلق نعيده وكما بدأكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا
تحويلا ويحك يا نفس ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها
وتؤكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله تعالى وثوابه وعن اهوال القيمة احوال
الآخرة فما بصرك الى وجه ولحاظها فانت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترى ان من دخل دار
رقته ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح علم انه يستغرق في ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته
اهو معدود من العقلاء ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك منها الا مجاز وكل ما فيها
لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث
في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به
ويحك يا نفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر
من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري اوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا
وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تريهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ويبنون
ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض
فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو
صائر اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبي انك لست ذات بصيرة تهتدين
الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هؤلاء المكبين
على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء يا نفس
ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الجلية الواضحة ولعلك يا نفس

اسكرك حب الدنيا الجاه وادهشك عن فهمها اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب بعض الناس
اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعوك افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين
انت ولا من على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا من ذكرك كما اتى على الملوك
الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الآباد بما
لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت
لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب فكيف ويأتي ادبارك وشقاقك ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك
عن عقلك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن
خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك
ذكر صح كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا يخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها و
يزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك واسقط
رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من النبيين والصديقين في جوار رب العالمين ابد الآبدين
لتكوني في صف النعال من غمار الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري
ويحك يا نفس فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا
يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت
فيها ربحت فيما ابقي وقد ضيعت اكثرها فلو بقيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك
فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين يا نفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب
فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك
قد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم الى ما هم فيه اما تعلمين
يا نفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرطوا وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع
منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروها لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك ويحك يا نفس اما تستحيين تزينين
ظاهرك للخلق وتبارزين الله تعالى في السر بالعظائم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الله تعالى الخالق
ويحك اهو عز وجل اهون الناظرين عليك اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله تعالى
وانت عنه فارة وتذكرين بالله تعالى وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس ان المذنب انتن من العذرة وان
العذرة لا يطهر غيرها فلم تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك
حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم بلاء الا بشؤمك ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس
يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس وابعده
بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله تعالى مائتي الف سنة واخرج اباك آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه
وصفيه ويحك يا نفس كم تعقدين وتنقضين كم تعهدين فتغدرين ويحك يا نفس اتشتغلين مع هذه
الخطايا بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا
واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وآمالهم غرورا ويحك يا نفس اما لك بهم عبرة اما لك اليهم
نظر اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تظنين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن

أما لك ابن على ظهر الأرض قصر [illegible] تكون تحت التراب [illegible] إذا بلغت النفس منك التراقي أو
عند ما [illegible] اليك بجزيه بسواد الألوان وكلح الوجوه وتسرى العذاب فهل تنفعك حينئذ البنيان أو
تنفعك آمالك أو يرحم [illegible] البكا والعجب كل العجب منك أنك يا نفس مع هذه البصيرة والفطنة
[illegible] كل يوم بزيادة [illegible] بنقصان عمرك وما ينفع مال لا يزيد عمرا ويحك يا نفس
[illegible] عن الآخرة وهي مقبلة إليك ومقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله وكم
من مؤمل لغد لم يبلغه وأنت تشاهدين ذلك في اخوانك وأقاربك وجيرانك وترين تحسرهم عند الموت
ثم لا ترجعين من جهالتك فاحذري أيتها النفس المسكينة يوما آلى فيه ربك عز وجل على نفسه أن لا يترك عبدا
أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري يا نفس بأي بدن تقفين
بين يديه وبأي لسان تجيبين وأعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي فيه بقية عمرك في أيام قصار
لأيام طوال وفي دار زوال لدار مقامة في دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي قبل أن لا تعملي اخرجي
من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات
الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويلعب ويفرح ويأكل و
يشرب وقد حق له في كتاب الله أنه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا
ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي و
ينهى الناس ولا ينتهي واعلمي أنه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل و
النهار فانه يسار به وإن لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من أعرض عن الموعظة
فقد رضي بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية وإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة
فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام
فان لم تزل فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام فان لم تزل فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه وأنه قد
تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله تعالى الجنة وخلق لها أهلا
وخلق النار وخلق لها أهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط
كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير
عليك فانه اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل
تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع
[illegible] الرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستعيني بأرحم الراحمين واشتكي إلى أكرم الأكرمين وادمني الاستغاثة
ولا تملي طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد
تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث
ولا مهرب ولا ملجأ إلا إلى مولاك فافزعي إليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة
ذنوبك لأنه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب الملهوف ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد أصبحت إليه
مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع
فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به رؤوف والرحمة واسعة

والكرم

والكرم فائض والعفو شامل فقولي يا أرحم الراحمين يا حليم يا عظيم يا كريم أنا المذنب المصر أنا الجريء الذي لا
أقلع أنا المتمادي الذي لا أستحي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك
الغريق فعجل يا مولاي إغاثتي وفرجي وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك
يا أرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام قال وهب بن منبه لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام من
الجنة مكث لا يرقى له دمعة فاطلع الله تعالى عليه في اليوم السابع وهو كئيب حزين منكس رأسه فأوحى
الله تعالى إليه يا آدم ما هذا الجهد الذي أرى بك قال يا رب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي و
أخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب
بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلد
والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري وخصصتك
بكرامتي وحذرتك سخطي ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري
ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني
ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام إلى أن تاب
الله تعالى عليه وكان عبد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه في طول ليله أنا الذي كلما طال عمري زادت
ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى واعبيداه خطيئة تبلى وصاحبها في طلب
أخرى واعبيداه إن كانت النار لك مقيلا ومأوى واعبيداه إن كانت مع الكرام مسكنك شقيا واعبيداه
قضيت حاجة الطالبين وحاجتك لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي عابدا
بالكوفة يناجي ربه ويقول يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك إذ عصيتك و
أنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي وأعانتني على ذلك شقوتي و
غرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من
أعتصم إن قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين
حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي وكلما طال عمري كثرت
معاصي فإلى متى أتوب وإلى متى أعود أما آن لي أن أستحي من ربي فهذه طريقة القوم في مناجاتهم
لمولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء
فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله سبحانه وتعالى عنه راضيا والله أعلم

كتاب التفكر من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقى أقدام
الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة
حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من

سرادقات الجمال صبرًا صبرًا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية فكرًا لانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرًا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك امرًا فانظري في نعم الله تعالى واياديه كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرًا وشكرًا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرًا وشرًا ونفعًا وضرًا وعسرًا ويسرًا وجبرًا وكسرًا وطيًا ونشرًا وايمانًا وكفرًا وعرفانًا ونكرًا وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرًا امرًا وخاطرت بنفسك مجاوزًا حد طاقة البشر ظلمًا وجورًا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارًا وقهرًا والصلوة على سيد ولد آدم وان كان لم يعد سيادته فخرًا صلوة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرًا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرًا ولطوائف المسلمين صدرًا وسلم كثيرًا

اما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد لعينه ام لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعًا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة الفكر ثم حقيقة التفكر ثم مجاري التفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

فضيلة التفكر قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ابن عباس ان قومًا تفكروا في الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في الله سبحانه فانكم لن تقدروا قدره وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضًا بيضاء نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يومًا بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد آدم قال ما يدرون خلق آدم عليه السلام ام لا وعن عطا قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي سبحانه وتعالى فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يؤذنه بصلوة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله عز وجل لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله سبحانه في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب العشر الآيات ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقراهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ابي ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك

خلق من خلق

وقيل لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرًا ما يتمثل ويقول اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى عليه السلام يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك قال نعم من كان منطقه ذكرًا وصمته فكرًا ونظره عبرًا فانه مثلي قال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرًا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارًا فهو لهو وفي قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبًا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمن يطيل الجلوس وحده وكان يمر به مولاه فيقول يا لقمن انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمن ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يومًا لسهل بن علي ورآه ساكتًا متفكرًا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ايضًا الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه وروي ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرًا وكلامه حمدًا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانًا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمة الله عليه استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال ايضًا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضًا الفضائل اربعة اشياء احدها الحكمة وقوامها الفكر والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة الفكر وثمرته اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة

العقول

ان من مال الى العاجلة وكره العاجلة وآثر الحيوة واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان
احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار
الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار
ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق
المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين واحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل
الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا اما التأمل والتدبر والتفكر فعبارات
مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معاني مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان
اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن بعبارات مختلفة فالصارم
يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة
من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار
واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا
فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت و
لا ينمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر
والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة
نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى
النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوائق
هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلم
لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد
يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح شيئا وكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس
مال العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق
الاستعمال والاستثمار تارة يكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء عليهم السلام وذلك
عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف ويحصل له الثمرة وهو
لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة
اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم يحصل له معرفته
الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو
ان الآخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة التفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة واما ثمرة
الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرتها الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال
القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر
فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر
والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر
افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى

ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر
فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في
قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب
قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير
حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال
الآخرة فههنا خمس درجات اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة
المقصودة منهما والثالث حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان
بسبب حصول نور المعرفة والخامس خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد
فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فيصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد
نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب
الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور
حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب
كما تنتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم
والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي تتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان
يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية
نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات
السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح
لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف
على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما
غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الله سبحانه فجميع افكار العبد
اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج عن هذين
القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب عز وجل او فيما هو مكروه ولا حاجة الى
الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب سبحانه وتعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما
ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار
الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق
فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا لنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه
او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته
واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته
ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه منها او في
الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسام فذلك خارج
عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك

فيه متسعا فيرم فبحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا بعد والنظر في تفكره محبوبه وبهما كان تفكره محصورا
في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فاذا اما القسم الاول وهو تفكره في صفات
نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو
مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب
ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا
تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي ينقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما
ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام
ويجب في كل واحد من هذه المكاره التفكر في ثلثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله
ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه اذا كان مكروها فما طريق
الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او متعرض له في الاستقبال
فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه
الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى
التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح احاد هذه الاقسام يطول ولكن نحصر هذا القسم في اربعة انواع
الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له
باب التفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع
اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس
فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان
ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني
الى غير ذلك من المكاره فيقرر في نفسه اولا انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة
على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر في انه كيف يحترز منها
ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكره
الله او يضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز و
يتفكر في سمعه ايضا وانه يصغي به الى الغيبة والكذب والفضول من الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك
انما يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك
ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله
تعالى ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله تعالى واما باكل الحرام او الشبهة فينظر من اين مطعمه و
ملبسه ومسكنه ومكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ويتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه
والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات
كلها وان الله تعالى لا يقبل صلوة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به وهكذا يتفكر في اعضائه
ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول
النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه

انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو
عضو ثم يتفكر في الافعال الصادرة عنه التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت
للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله سبحانه وينظر في كتاب الله وسنة
رسوله وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان
المطيع بعين التعظيم وادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء وازجره بذلك عن
ع معصية فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع
قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى به علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه و
تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد
الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة
طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني
فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا اليه الآن فانا الى ثواب الايثار
احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان
كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها
ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق
حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات واما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها
القلب فيعرفها بما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء
والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه
منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف
فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون
به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربه في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات فاذا
تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولذلك علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا
دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل
والغفلة وخبث الدخلة كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي
وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي
بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من
هو عند الله تعالى كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه
عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله
الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه
تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله سبحانه و
صفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه و
عن الملائكة المقربين ابعد ولذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في

ذلك بينهم وبين الالتفات الى الدنيا بالكلية فهذا انموذج من الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد التي هي
محبوبة عند الله سبحانه وتعالى او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه
بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات
فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله
واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب
كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتسع للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل
عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو فكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع
جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور
وقال فيم انت قال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال قد افنيت عمرك في عمارة باطنك فاين الفناء في
التوحيد والفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات
المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات
فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت
جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق
الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك
واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من
اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه
فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك ووردك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة عن
الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جميع الصفات المهلكات
وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها في كل يوم ويكفيه من المهلكات
النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره
الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء
والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن
الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما
كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها
وتنزيه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل
عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف
بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد
المشمر واما اكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة
واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة
مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن
جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره

تحذره ويكتسبه فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب واما النوع الرابع وهو المنجيات
من التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا
والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع
والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابها وعلاماتها فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما
الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي القربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها
الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه
اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ولينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه
وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى اليه واياديه عليه وفي ارسال الجميل ستره عليه حتى ينبعث له حال
الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله تعالى اليه واياديه عليه وفي ارساله جميل
ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك فاذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال
الله تعالى وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعته كما سنشير منه الى طرف في
القسم الثاني من التفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته
ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور
ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير
ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين
فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها
واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانهم كلما نضجت جلود
اهلها بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها
وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر
اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا
يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات
والاحوال وفيه شفاء للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال
وفيه ما يزجر عن الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة
بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة
واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة
وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه قد اوتي صلى الله عليه وآله وسلم جوامع الكلم
وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تاملها العالم حق التامل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات
والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك
مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين
وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال

كل فريق من الناس تغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص عصموا عنها
بمعزل مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت
اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه
مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات
وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من يرده هو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان
عليه ويقول ان غيظك لله عز وجل من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او
يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة الشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من
الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله تعالى لا يحب
المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق و
يحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله تعالى وان كان فرحه بحسن الالفاظ وثناء الناس عليه اكثر من فرحه
بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما
اختلج ضميره بهذه الصفات المذمومة ظهر على ظاهره حتى يكون الموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه
اشد فرحا واستبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم
ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره
ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب الذي قد يظن العالم
النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك
ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب
الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي زمن الصحابة رضي الله عنهم جماعة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند
هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين
الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم تنهدم
اركان الاسلام والدين مستغن عني وانا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال
يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلوم
والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم الحيطان والحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا
يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة بل ينتهض لنشره اقوام
لا نصيب لهم في الآخرة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله
يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يترسخ في قلبه حب
الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حب الجاه والمال ينبتان
النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم
باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقطع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن
الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات

من قلبه واستنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا
فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب
فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب
من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات
ونحن مقتصرون في الفرائض منها فلم يحصل للناس من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها
ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما
اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه
الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العاملين والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع
التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله تعالى وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا
يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك
كان مدخولا معلولا مكدرا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه
ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم الا باخراج
العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد
المها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة
والمكروهة عند ربه القسم الثاني التفكر في جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه وفيه مقامات
المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قال تفكروا في خلق الله تعالى ولا
تفكروا في ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون
ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة
الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال
الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو ادام النظر
ونظره المختلف اليها يورث العمش وتفريق البصر وكذلك النظر الى ذات الله سبحانه وتعالى يورث الحيرة
والدهش واضطراب العقل فالصواب اذا ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول
لا تحتمل بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار
والجهات وانه سبحانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام
حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه تعالى عن ان يكون
له راس ورجل ويد وعين وعضو وغض وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك
قدح في عظمة الله تعالى وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله
لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه
فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه
غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل
وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا آلة الطيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني

أو يكون مقصوص الجناح أو يكون مما لا يقدر على الطيران أن يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي
ومصوري وعقول أكثر الخلق قريبة من هذا العقل وإن الإنسان لجهول ظلوم كفار ولذلك أوحى الله تعالى
إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن أخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى
وصفاته محظورا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه فلنعدل إلى المقام
الثاني وهو النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه
وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته فننظر إلى صفاته من آثار صفاته فإنا لا نطيق النظر إلى الصفات
كما أنا لا نطيق النظر إلى الشمس ونطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور
القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا
يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله عز وجل وهو نور من أنوار
ذاته تعالى إذ لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذات الله تعالى وتقدس
إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الأجسام المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس
فقد جرت العادة بأن يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليه وكذلك الأفعال واسطة نشاهد
بها صفات الفاعل ولا نبهر بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم
تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في ذات الله عز وجل **بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى** اعلم أن
كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة و
موصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو
كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد عشر عشيره ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما
عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا نعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا
نعلمها كما قال الله سبحانه سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وقال
تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون وإلى ما نعرف أصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي
منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين
والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام
وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها و
قمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها
وحيواناتها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها
وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الأجناس المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم إلى
أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام ويتشعب كل قسم إلى أصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف
صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من
جماد ونبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله عز وجل محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف
حكمة أو عشر ألف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودالة على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد
ورد بالحث على التفكر في هذه الآيات القرآن كما قال تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل

والنهار لآيات وكما قال تعالى ومن آياته من أول القرآن إلى آخره فلنذكر كيفية التفكر في بعض الآيات
فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله
ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في
معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون و
ذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون و
وقال تعالى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فسوى الآيات وقال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين و
قال تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وقال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج
نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وقال سبحانه لقد خلقنا الإنسان
من سلالة من طين الآيات فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه
فانظر الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها
رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفة والمحبة في قلوبهم وكيف
قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض
من أعماق العروق وجمعها في الأرحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا
وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي
متساوية إلى العظام والأعصاب والعروق والأعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع والبصر والأنف و
الفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأنامل ثم كيف ركب الأعضاء
الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار
مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل
طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن
الإبصار فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الأعمار فانظر الآن إلى
العظام وهي أجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها
بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما
كان الإنسان محتاجا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما
كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها و
ربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وألصقه بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم
زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد إن
أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها
وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى
كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف وأربعة عشر للحي الأعلى واثنان للحي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها
عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس و

وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لتنطبق بعضها على بعض
ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من
اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزا مختلفة ويتصل به من اسفله عظم العصعص وهو ايضا
مؤلف من ثلثة اجزا ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة والعجز و
عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مايتا
عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغار التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة
سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطبا والمشرحون
وانما المقصود ان ينظر منها في مدبرها وخالقها وانه سبحانه وتعالى كيف قدرها ودبرها وخالف
بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان
يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج
في جبرها واهل البصاير ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلال خالقها ومدبرها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف
خلق الله تعالى الآلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمس مائة وتسع وعشرين عضلة
والعضلة هي مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها
وحاجاتها فاربعة وعشرين عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل
العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة و
الشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول والتفكر مجال في احاد هذه الاجزا ثم
في احاد الاعضا ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجايب اجسام البدن وعجايب المعاني والصفات
التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته فترى به من العجايب والصنعة
ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ما قذرة فترى من هذا صنعه في ملكوت السموات وكواكبها
وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت
مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا
واجمع للعجايب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجايب السموات ولذلك قال الله تعالى أأنتم
اشد خلقا ام السما بناها فارجع الآن الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل لو اجتمع الجن و
الانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او
جلدا او شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك
لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حايط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب
من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام
فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم والحايط واليد وبالقدرة
وبالعلم والارادة وشي من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين
الصبغ والحايط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة
فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها

وتصويرها

وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزا مختلفة فاحكم العظام في ارجايها وحسن اشكال اعضايها و
زين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذايها ليكون ذلك سبب بقايها و
جعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذايها والراس جامعا
لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها
وتصقلها وتدفع الاقذا عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها
فهو ينظر اليها وشق اذنيه واودعهما ما مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن
لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة
ما يدب فيها ويطول طريقها فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الانف في وسط
الوجه فاحسن شكله وفتح منخريه واودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه و
اغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهوا غذا لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه
اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع فاحكم
اصولها وحدد روسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الروس متناسقة الترتيب كانها الدر
المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم
خلق الحنجرة وهياها لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطيع الصوت
في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحنجرة مختلفة الاشكال في الضيق
والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات
فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة
ثم زين الراس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس
الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضا الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج
الغذا والكبد لاحالة الغذا الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد والطحال يخدمها بجذب السودا
عنه والمرارة تخدمها بجذب الصفرا عنها والكلية تخدمها بجذب المايية عنها والمثانة تخدم الكلية بقبول
الما عنها ثم يخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى ساير اطراف البدن ثم خلق اليدين
وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلث انامل ووضع الاربعة
في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق
الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول
وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطا فان بسطها كانت له طبقا
يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها
كانت مجرفة ثم خلق الاظفار على روسها زينة للانامل وعمادا لها من ورايها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشيا
الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضا
لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع
الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا

بيد قصب طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلث ولو كشف الغطاء والغشاء و
امتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا
او فاعلا لا يمس آلته ولا مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر
مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج
من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى
الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث
والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما الحلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي
ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل
ثم كيف هداه الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر

الى عطفه ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى الطعام الغليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة اليها لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف

رزقه الله القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا واما
شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
الى قوله اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم والى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربوبية
والعجب ممن يرى خطا حسنا او نقشا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وعظم
وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته
ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته
فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها وهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة
خالقك وانت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتأكل وتشبع فتنام
وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل وتشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها وانما خاصية الانسان
التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس
اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين
وليس هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة
للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق الله عز وجل له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام
بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها و
اشجارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء اما الارض فمن آياته ان خلق الارض فراشا و
مهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قرارا لا تتحرك وارسى فيها الجبال
اوتادا لها يمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت
اعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا وقد اكثر في كتابه العزيز من ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء
وبطنها وطن الاموات ولذلك قال الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا
انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجائب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم
انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات والشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها فتفجر العيون و

واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا
وجعل به كل شيء حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه
كثيرة مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى جميعها
بماء واحد وتخرج من الارض الواحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة
نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى اراضي البوادي
وتفتيش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج
الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف
اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها كيف اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذا
النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في
المعدة قمع الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل الى الدم وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم و
هذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا
يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربيته الى عمل مخصوص
فالنخيل تؤبر والكرم يكسح ويقطع والزرع ينقى منه الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث البذر
في الارض وبعضه بغرس الاغصان وبعضه يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف النبات وانواعه و
منافعه واحواله وعجائبه لانقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يدلك على الطريق في الفكر
فهذه عجائب النبات ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع
متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج وغيرها
بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والنحاس والرصاص وبعضها لا ينطبع كالفيروزج وكيف هدى الله
تعالى الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض
من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر
الى رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا
محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد ولا حيوان
ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيئا منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه
الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن آياته اصناف الحيوانات وانقسامها
الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد
في بعض الحشرات والديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور
الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة
مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن استقصاء ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحلة
او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر على ذلك ترى العنكبوت
تبني بيتها على طرف نهر فتطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنها ان يصل بالخيط

من طرفيه ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر فيحكم الطرف
الاخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم
معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد
على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق
والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله وان عجز
عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط
وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طار ذباب رمى بنفسه اليه واخذه ولف الخيط على رجليه واحكمه
ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجايب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون
بنفسه او كونه ادمي وعلمه او لا هادي له ولا معلم افتشك ذو بصيرة في انه عاجز مسكين ضعيف بل الفيل العظيم
شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا تشهد هو بشكله وصورته وحركته
هدايته وعجايب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق
المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما يتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن ساير الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له
فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة
نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودة تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من
نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها من جلودها واصوافها و
اوبارها واشعارها التي جعلها لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وانية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم و
صوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة
للبوادي والمفازات البعيدة لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها
سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تامل وتدبر ومن غير استعانة
بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القوي القدير ولقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من
قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن
معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن
معرفته فنسال الله ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته ومن اياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي
قطعة من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البراري والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء
كالجزيرة الصغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال صلى الله عليه واله وسلم الارض في البحر كالاصطبل
في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله فقد شاهدت عجايب الارض
وما فيها فتامل الان عجايب البحر فان عجايب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف ما تشاهده على وجه الارض
كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن
انها جزيرة فينزل عليها الركاب فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتتحرك فيعلم انها حيوان وما من صنف من اصناف
حيوان البر من فرس او طير او بقر او انسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيه اجناس لا يعهد لها نظير في
البر وقد ذكرت في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبه ثم انظر كيف خلق اللولو ودوره في

صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان في صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من
الحجر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجايب
السفن كيف امسكها الله سبحانه على وجه الماء وسيرها وسير فيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك
ليحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصي
على الجملة صنع الله تعالى في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة
الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع
كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات
فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزاين الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ولو ملك الدنيا ثم اذا
شربها لو منع من اخراجها لبذل جميع خزاين الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الادمي كيف
يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله تعالى في شربة ماء اذا احتاج الى شربها
والاستفراغ منها بذل جميع الدنيا وما فيها فتامل في عجايب المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع
للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها
معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قايلة اما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي
ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي اوما تستحي ان تنظر
في كلمة مرقومة من ثلثة احرف فتقطع بانه صنعة ادمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط
الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط
ثم ينقل قليل عن جلال صانعه ويقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني
في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش
حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش يظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل
النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم اما
هذا النقاش باعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم
هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزايها من غير ملابسة للنطفة ومن غير اتصال
بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم بها ان الذي صور ونقش لا نظير له
ولا يدانيه نقاش ومصور كما ان نقشه وصنعه لا يدانيه نقش وصنع وبين الفعلين من المباينة والتباعد
ما بين الفاعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجيب فان الذي اعمى
بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل
واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزايه واعمى قلوب
اعدايه واحتجب عنهم بعزته وعلايه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه
ولا معقب لقضايه ومن اياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب
الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الراكد والطيور محلقة في جو الهواء ومستبحة
سابحة فيه باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء فتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب

امواج البحر فاذا شاء الله حرك الهواء وجعله ريحا طيبة وان شاء جعله نشرا بين يدى رحمته كما قال تعالى وجعلنا الرياح
لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات فيستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته
كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف
الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه و
الحديد الصلب يضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه
الحكمة امسك الله السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص
في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فيبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء اللطيف
فالذي يقع في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء القوي
حتى تمتنع عن الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل من هواء لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة
تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق
فهي عجائب ما بين السماء والارض وقد اشار القرآن الى جملة ذلك في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى والسحاب المسخر بين
السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان
ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة في هذه المعرفة تشاركك فارتفع من حضيض عالم البهائم
الى عالم الملأ الاعلى فقد فتحت عينك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى
عجائب باطنها وغرائب اسرارها وهذا باب يطول الفكر فيه ايضا فلا مطمع في استقصائه فتامل السحاب الكثيف
المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته
حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء الى ان ياذن الله تعالى في ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة
بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات
متفاصلة لا تدرك قطرة منها ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا
تعدل عنه ولا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون
على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية لعجز حساب الجن
والانس عنه فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها
من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب والدود مكتوب على تلك القطرة بالخط الالهي الذي لا يدرك
بالبصر الظاهر انه رزق للدود الفلاني او الحيوان الفلاني الذي هو في ناحية الجبل الفلاني يصل اليه عند
عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف
من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد فيه شرك ولا مدخل
بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته سبحانه ولا للكفار ولا للعميان
الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل
بطبعه وانما هذا سبب نزوله فظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي
خلقه ومن خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب من اسفل الاشجار الى اعالي الاغصان وهي ثقيلة

بطبعه

بطبعه فكيف هوت الى اسفل ثم ارتفعت الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد
حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة ويجري اليها في تجاويف عروق شعرية صغار
ترى منه العرق الذي هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة عروق صغار
فكان الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية
دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في عرض جميع الورق فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورق
ليغذيها وينميها ويزينها ويبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى
اسفل فكيف يتحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهي بالاخرة الى
خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل من
آيات ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل
تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر وانظر كيف
عظم الله تعالى امر السموات والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن
بها كقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وقوله تعالى والسماء ذات البروج وقوله تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجائب
النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والاخرون وما اقسم الله بها فكيف ظنك بما اقسم الله تعالى به واحال
الارزاق عليه واضافها اليه فقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال تعالى
ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم
مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن
آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد
محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله محفوظا فقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وقال سبحانه وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت
لترى عجائب العزة والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت ان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب
وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابرهيم عليه السلام بقوله
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة
وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك
والملكوت ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فاطل ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك
بين يدي الرحمن عز وجل فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر رضي الله عنه حيث قال رأى
قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى فادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك
ثم الهواء المكتنف بك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض
ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى
النظر الى رب العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة و

المفاوز والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تعرف بعض العقبة القريبة النازلة وهي
معرفة ظاهر نفسك ثم تضرب بطبول تسائل براعتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه
ففيماذا أتفكر والى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وفي
طلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في
حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى أن يطويها
الله تعالى كطي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى
البياض وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل و
الثور وما من صورة في الأرض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل
يوم وتغرب بسير آخر سخرها لها خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت و
أطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل
الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة و
النقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف و
الشتاء والربيع والخريف واذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت
في وسط السماء اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير
جزء من أجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى
حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده
وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة
بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت
الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فانك تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر
آدمي أن يدركها ويدور بجوانبها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة وفي الأخبار
ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها أصغرها مثل الأرض ثمانية مرات وأكبرها ينتهي الى قريب من مائة
وعشرين مرة مثل الأرض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ البعد صار يرى صغارا ولذلك أشار تعالى الى بعدها
فقال تعالى رفع سمكها فسواها وفي الأخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان بين كل سماء الى سماء
مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الأرض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء
التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا من أن تدرك سرعتها
لكن لا تشك في أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب الى تمامه يسير
وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا لا يزال
على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبرئيل عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل
زالت الشمس فقال لا نعم فقال عليه السلام كيف تقول لا نعم قال من حيث قلت لا الى أن قلت نعم سارت الشمس خمس
مائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع
أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها

وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر اليها الى باريها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة
يتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه مزوقا
بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر الى
هذا البيت العظيم والى أرضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه
ثم لا تتحدث به ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا
جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت بيوت البيت الدنيء ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا
أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهواتك وحشمتك و
غاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر أن تأكل عشر ما تأكله بهيمة فيكون البهيمة فوقك بعشر درجات و
غاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث
الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا
حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت
بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك
الملك والملكوت وما مثلك ومثل عقلك الا مثل نملة تخرج من جحرها الذي هو في قصر مشيد من قصور
الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت
من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فأما حال القصر
والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة عن نفسها وغذائها وبيتها
الى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه
فكذلك أنت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرف
النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرف النملة من سكان بيتك نعم ليس للنملة
طريق الى أن تعرف نفسها وتعرفك ولا طريق لها الى أن تعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه
أما أنت فلك قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان
الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى
علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه الأولياء والعلماء وما عرفوه نزر يسير بالاضافة
الى ما عرفه الأنبياء وما عرفه الأنبياء قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وما عرفه
الأنبياء قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبرائيل وغيرهما ثم جميع علم الملائكة
والجن والانس اذا أضيف الى علم الله سبحانه لم يستحق أن يسمى علما بل هو الى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا
أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان مجامع
الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله عز وجل ولكن يستفاد
من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب
صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا
تزال تطلع على غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان

ان كل كلمة من كلماته او بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا تأمل
في خلق الله تعالى وتصنيفه وتاليفه فكل ما في الوجود من خلق الله تعالى وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى
ابدا وانما لكل عبد منه ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف هذا الى ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في
ذلك الكتاب في فعل الله من حيث انه احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه
فعل الله فقط فكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه فيكون ذلك سبب ضلالته وشقاوته والموفق
ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله تعالى يضل بها من يشاء و
يهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله
وعظمته واهتدى ومن نظر فيها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد
شقي وارتدى نعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله وجوده والحمد لله

كتاب الموت وهو آخر ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور
الاكاسرة وقصر به امال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق
فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري
والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى
وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا او اتخذوا من دونه
حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر
باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في
حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله
الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلوة على محمد ذي
المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه
والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده
والجنة والنار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه
ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار ولا تربص الا له وحقيق ان
يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله
عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على
القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر
من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على

التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا للاستعداد فقد قرب الرحيل فما بقي من العمر
الا القليل والخلق غافلون واقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت
في شطرين **الشطر الاول** في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب
الباب الاول في فضل الموت والترغيب فيه **الباب الثاني** في طول الامل وفضيلة
قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته **الباب الثالث** في سكرات الموت وشدته وما
يستحب من الاحوال عند الموت **الباب الرابع** في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم **الباب الخامس** في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين
الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور **الباب السابع**
في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور **الباب الثامن** فيما عرف من احوال
الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا
ذكر به كرهه ونفر منه اولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم
تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او
عارف منته اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده
ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام
التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة
الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت
ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد
للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها وعلامته هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق
بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء
الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين
كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب
الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التائب معذور
في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه
موتا ولا حياة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم و
الرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد
بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات
والشهوات فهو من اسباب النجاة **بيان فضل ذكر الموت كيفما كان** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اكثروا ذكر هادم اللذات معناه اي نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال
صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول
الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة

كان الان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للاخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم تحفة المومن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المومن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المومن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وتحقق فيه اخلاق المومنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفرها بعد اجتنابه الكباير واقامته الفرايض وقال عطاء الخراساني مر صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالموت مفرقا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك وقال ابن عمر رضي الله عنهما اتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة

الاثار قال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غايب ينتظره المومن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والاخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابرهيم التيمي شيان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله تعالى وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصايب الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخايفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن البصري فانما هو النار ومن امر الاخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة شكت الى عايشة رضي الله عنها قساوة في قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عايشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال انت اول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آبايك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمان الداراني قلت لام

هرون

هرون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت ادميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ قلبه عن كل شي الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يوثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محا التراب الان حسن صورهم وكيف تبددت اجزاوهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقاء ونسيانه الموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والان قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق والان قد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك واكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت ولم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا او رايحا الى الله تعالى وتضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشي من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني في فضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيف معالجته

فضيلة قصر الامل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله ما تدري ما اسمك غدا وروى علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب الله تعالى عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت

ام المؤمنين اطلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من
الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون
وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده
ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه
حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا
انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني
لعلي لا ابلغه وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم اخذ ثلثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما
الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك
الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل ابن آدم والى جنبه تسع
وتسعون منية ان اخطأته المنايا وقع في الهرم وقال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه
والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يامل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطأته
الحتوف قتله الهرم وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطا مربعا
وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله
اعلم قال هذا الانسان الخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض الخطوط التي حوله تنهشه
ان اخطأه هذا نهشه هذا وذلك الامل الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهرم ابن
آدم ويبقى معه خصلتان الحرص والامل وقيل بينا عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض
فقال عيسى اللهم انزع عنه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام اللهم اردد
عليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك فقال بينا انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ
كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله ما بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال
الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من
الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه اللهم
اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل
الآثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة
عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا تفاخروا بينهم بالاسواق وقال الحسن البصري رحمة الله عليه السهو والامل
نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا
ذلك لم يهنه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي ثلث
اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لا يدري اساخط
رب العالمين عليه ام راض عنه وثلث احزنتني حتى ابكتني فراق الاحبة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه وهول
المطلع والوقوف بين يدي ربي [?] ولا ادري الى الجنة يؤمر بي او الى النار وقال بعضهم رايت زرارة بن ابي اوفى [?]

بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل وقال الثوري الزهد في الدنيا
قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهب عنه الطعام
والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال
الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد
عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت
عظيما وكيف اؤمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي انه جاء شقيق البلخي
الى استاذ له فقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك فقال
لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك بذلك انك تبقى الى
الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق الباب في وجهي ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر زادا لا
محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد من ثوابه وعقابه ترغبوا و
ترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح
بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا فكم رايت ورايتم من كان بالدنيا مغترا
وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن اهوال يوم القيمة فاما من لا يداوي كلما الا
اصابه جرح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان امركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي
وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت
ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارضون لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم
صائرون الى احداهما وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في
اضغاث احلام والسلام وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في
كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان ينادى بالرحيل وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل ان
يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال
عبد الله بن شميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة
اما رايت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام
بطول العافية تمرحون ام الموت تامنون ام على ملك الموت تجترؤن ان ملك الموت اذا جاءكم لا يمنعه ثروة
مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله
عبدا عمل لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو بكر المروزي [?] بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر
منقوش فطلب من يقراه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في
طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت
بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وبان عنك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى
دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم
رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو
اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد

لظاهرها فاتاك منكر ونكير فتبدراك وانتهراك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان
يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار
لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النار ووضعت
الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور
وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات
واسلا عن الشهوات وقصر الامل وايقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم
واوقع الدنيا والاخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن عبد
العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وانما لكم معاد يجمعكم الله فيه
للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات
والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون
انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون الا ترون انكم تشيعون في كل يوم غاديا ورائحا الى الله قد
قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسلاب وفارق الاحباب
وواجه الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها
سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت
لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت
تاخير شيء عن شيء وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنة انتظر الموت
ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله
ابن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة
وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف
الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن
ربك فهو عليك مشؤم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون
فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروي ان
معروفا الكرخي اقام الصلوة فقال لمحمد بن ابي توبة تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلوة
لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه
يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب
على اهلها الظعن فكم عامر موثق عما قليل يخرب وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة
باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن ادم
في الدنيا ينافس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه اثاره ودنياه وصير لقوم
آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن
وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات

القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا **بيان السبب في طول الامل وعلاجه** اعلم ان الامل له سببان احدهما
الجهل والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها
فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف
بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره
في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وسائر اسباب الدنيا
فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال
امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا
كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع
من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ عن قهر هذا العدو الذي
يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا
على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغله الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول
عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري
ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان
يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته
ولا انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه و
آله وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت
مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت
في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت
فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة و
اذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص ومدة معلومة
من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد
له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعاه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا
يظن ان يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت
نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لا يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الاخر و
سبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره فلعل اللبن الذي يغطى به لحده
قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه
دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما
حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيا الاولين والاخرين علاجه
ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك
ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة
الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف و

لم يكابد عيشه من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص وكيف يفرح بها او يتربح في القلب جهامع الايمان بالاخرة
فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقريب الموت من القلب مثل
النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانه كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا
فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه
واعضائه وليتدبر انها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبدأ بحدقته
اليمنى اولا او باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله
وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع
النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل
البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم
هو اقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشيخ شاب في حب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل الى سنة
فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي
الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف او الشتاء فلا يدخر في
الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره
واما للغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتي فيه ارزاقكم مع آجالكم
وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم يا عبد
الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء
ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه
ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع
وفيه ما ورد فيما نقل عن معاذ رضي الله عنه انه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حقيقة ايمانه قال
ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا
وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انظر ملك الموت من اي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات
عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله تعالى فان الله لا
يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير
الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول امله
وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت
فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم
يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ قلبه عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا
مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحيوة له مزيد فليكن الموت
على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة

ولا يكون

ولا يكون ذلك الا بالمبادرة الى العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الاخر بعد شهر او سنة فلا
يستعد للذي يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر
مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص
منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل
كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل
سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وآله وسلم نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وآله
وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت بما فيه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا
هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا
بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذكر الساعة
رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومستكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين
اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي الذي
خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا و
حذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله
تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر في الموت وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى
عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلوته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال
ملك الموت يرحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلوته ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال
دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة وقال المنذر
سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان يأتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه
لا يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي
تتقربون بها الى الله تعالى رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس
آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل

مرتبة لحقتها دانشتها فقيل له لو سكنت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس
مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول
لاخوانه تبادروا رحلك فليس على جسر جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا
قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا
فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يجدده الجديدان الليل
والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فتقي عبد ربه ونصح نفسه وقدم
توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه واملة خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له
المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان
ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان ترديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن
لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال
لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم
قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال الشيطان وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل
وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن
مسعود ما منكم من احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو عبيدة الناجي
دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه
علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكون حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن و
تخرجوه من هذه الاذن فان من راى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة
ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون اتيتم ورب الكعبة كانكم والامر
معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على
الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي
وانا سائل له يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا
وههنا فينقطع عنك النهار بلا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة
حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات
الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا
بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك
لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان
لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته
وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بكرب النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب
الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها
اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه واما القياس

الذي يشهد

الذي يشهد له هو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما
اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمؤلم يتفرق على اللحم
والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره
فما اعظم ذلك الالم فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشرة في اعماق البدن الا وقد
حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته
الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق
ظاهرا وباطنا الا ويصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب
الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون الم النار والم النزع يهجم على نفس الروح
ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من
الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا
ان الموت اشد من ضرب السيف انما يولمه لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح
انما يستغيث المضروب لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه
لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد الى قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له
قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود
لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت منه قوة سمعت له
عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب
الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في خارجه وداخله حتى ترتفع الحدقتان
الى اعالي جفونه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر
الانامل فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف
والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد
اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك
ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك يبدو له صفحة وجه
ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم
وان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى
عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة
اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم
الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد
خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت

حتى تلقى بو قالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا اهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى انه كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول انك تاخذ الروح من بين العصب
والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلثماية ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الموت وشدته
فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل يخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى
الله عليه وآله وسلم على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم بالموت على حدته وكان علي رضي الله
عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة اهون من موت على فراش
وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره قال شداد بن اوس الموت افظع هول في
الدنيا والآخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت
نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن
شيء من درجاته لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وان كان
للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه
كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده قال كان السموات مطبقة
على الارض وكان نفسي تخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم موت الفجاءة راحة المؤمن واسف
على الفاجر وروى عن مكحول عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت
على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو ان قطرة
من الموت وضعت على جبال الارض كلها لذابت وروى ان ابرهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له
كيف وجدت طعم الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال تعالى اما انا قد هونا
عليك يا ابرهيم وروى عن موسى عليه السلام انه لما صار روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى
كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير
وروى عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان
عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت
وفاطمة تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله
عنه لكعب الاحبار حدثنا عن الموت قال نعم يا امير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف
رجل واخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول
عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيمة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما حال الذين
هم منهمكون في المعاصي [illegible] سكرات الموت بغتة [illegible] دواعي الموت الثلاثة الاولى شدة النزع
كما ذكرناه الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي
هو عليها يقبض روح المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته وروي عن الخليل عليه السلام انه قال لملك
الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني

فاعرض

فاعرض عنه ثم التفت واذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار
والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق
الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان
داود كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلق ذات يوم وخرج واشرفت امراته فاذا هي
برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود ورآه فقال من انت
قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام
مكانه وروى ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله
انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك
الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت
ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد
الم النزع دون الروعة التي يدركها من شاهد صورة ملك الموت لذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص
عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة
عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات
يوم واذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها
من هو املك بها مني ومنك فقال فمن انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال تستطيع ان تريني الصورة
التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن
وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك لكان حسبه
ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يترايا له ملكاه الكاتبين عمله
فان كان مطيعا قالا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وكلام طيب قد
اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس [illegible] فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية
الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وعرض مقاعدهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت
قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم فلن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشارتين اما
ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هنا كان خوف ارباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه و
آله وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وآله و
سلم من احب لقاء الله تعالى احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك
ان المؤمن اذا فرج له عما هو عليه قادم احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود
وهو لما به آخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله
من صباح الى النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى
ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشارتين من ربي بجنة او نار
وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى
فلان فأتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة

الملائكة صفين لخروج روحه معهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى
بشارة صاحبه ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه
ثم صرخ فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا
قالوا قد جهدنا به فكان معصوماً وقال الحسن لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله
تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن عبد الله أو ابن زيد عند الموت ما
تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخوتاه الساعة
والله أودعكم إلى النار أو إلى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوتاه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله
وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع أبداً ولا يبعث لثواب ولا لعقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب
العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه
في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره وإعادته **بيان ما يستحب من**
أحوال المحتضر عند الموت اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر أن يكون هو الهدوء والسكون ومن
لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي
من رحمة الله قد نزلت به فإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به وأما
انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وفي رواية حذيفة فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة قال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر
الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة وقال عمر رضي الله عنه
احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون فلقنوهم لا إله إلا الله قال أبو هريرة سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حضر ملك الموت رجلاً يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً ففك لحييه
فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين
بل يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك فيؤدي إلى استثقاله التلقين وكراهية الكلمة ويخشى
أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه غير الله تعالى فإذا لم يبق
له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان مشغوفاً بالدنيا
متلفتاً إليها متأسفاً على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقه وقع الأمر في
خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول وأما حسن الظن فهو مستحب
في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن
الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله فقال أغرقتني ذنوب لي وأشفيت على هلكة ولكني أرجو رحمة
الله فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقول الله
تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وآله وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف
تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن

إلا أعطاه الذي يرجو وآمنه مما يخافه وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت أمه تعظه كثيراً تقول
كثيراً يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه فجعلت تقول يا بني قد كنت
أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوماً قال يا أماه إن لي رباً كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني
اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله تعالى بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق
فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله
يرحمني فلما دفن رئي في المنام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني فإن الله قد غفر لي ومرض أعرابي فقيل
له إنك تموت قال أين يذهب بي قالوا إلى الله تعالى قال فما كراهتي أن أذهب إلى من لم أر الخير إلا منه وقال
المعتمر بن سليمان قال أبي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى حسن الظن به
وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه **بيان الحسرة عند لقاء**
ملك الموت بحكايات يعرب عنها لسان الحال عنها قال الأشعث بن أسلم سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت
واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق
ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين إصبعي
هاتين قال ودحيت له الأرض فتركت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله
وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا فقال
ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي صحف أو كتب يلقى إلي فيها أسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد
أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة
فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبراً ثم سار وسارت معه الخيول وهو
لا ينظر إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد السلام فأخذ بلجامه فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت
أمراً عظيماً فقال إن لي إليك حاجة فقال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها
قال هو سر فأدنى إليه رأسه فساره فقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني
حتى أرجع إلى أهلي فأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً فقبض روحه فخر كأنه
خشبة ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره
فقال أنا ملك الموت فقال أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه
منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى
قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم إني أمرت بذلك قال فدعني
حتى أتوضأ وأصلي ثم اقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع
رجل من بني إسرائيل مالاً فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل
والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما أنا
بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة
فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه وروي أن رجلاً جمع مالاً فأوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا
اتخذه وابتنى قصراً وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرساً من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقعد على

سريع ووضع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس اغتمي قد جمعت لك ما يكفيك فلم
تفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة تشبه بالمساكين
فقرع الباب قرعا افزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شانك فقال ادعوا لي مولاكم فقالوا
مثلك يخرج مولانا اليه قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به فقرع قرعة اشد من الاولى فوثب اليه الحرس
فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوا القى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له
قولا لينا وقولوا له هل تاخذ احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما شئت فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك
فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين راه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني عن ان
اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل بي على السلطان ويرد المتقون عن ابوابهم
كنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك وترد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو
انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه
فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج
الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض روح امراة في فلاة من الارض
فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها فقالت الملائكة
الجبار الذي قبضت الان روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء
قال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فقيل اقبض في هذه السنة من في هذه
الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري
قال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله
قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما
اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال
الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من
الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا
مغضبا فقال من انت ومن ادخلك علي في داري فقال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنعني
الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال
فسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط مكبا لوجهه ثم رفع اليه راسه مستهينا متذللا فقال له انت اذا ملك
الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك
ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك
الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط
بين اهله فمن بين صارخ وباكي قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش
عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه
فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال
اريد ان تخلصني منه فتامر الريح ان تحملني الى اقصى الهند ففعل الريح ذلك ففعلت ثم قال سليمان لملك الموت

بعدان

بعد ان اتاه ثانيا رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبضه
باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسوة حسنة
حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه اذ
كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل
اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية
الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جثته الطاهرة الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد
صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزاع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه
وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله
من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا وهل اخر
اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل الملك ما كان مامورا واتبع ما وجده في اللوح
مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو
صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء
المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا
نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار
واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا
ان كنا لذلك بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى انه الى الظالمين اقرب ام
الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين
ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان
كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة الماوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في بيت امنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله
عليه وآله وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين
الا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة الماوى والكاس
الاوفى فاقروا على انفسكم السلام وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في
امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى
يدخلها امته فقال الان قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان نغسله بسبع قرب من سبع آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم
واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها
اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير

بن ابي قحافة ويرى ان ظعن الى الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر [illegible] ثم قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم على رسلك يا ابا بكر [illegible] هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم احدا افضل
عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عايشة فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري
ونحري وان الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت فدخل على اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه
فقلت [illegible] فاومأ برأسه اي نعم فتناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومى
اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة فجعل يدخل يديه فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يديه يقول
الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان
[illegible] صلى الله عليه وآله وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه
[illegible] فقال [illegible] تقولون فقالوا نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيا رسول الله فخرج متكيا على علي والفضل والعباس ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس انه بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وتنعى
اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين
الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخرها وان الامور
تجري باذن الله تعالى فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن
خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان يحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يوثروكم على انفسهم
[illegible] الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط
لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى والشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب
الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه
[illegible] من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده على غدا فليكفف لسانه ويده الا ما ينبغي فقال
العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال صلى الله عليه وآله وسلم انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم
لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا الى قريش بالناس خيرا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا
بر الناس برهم ائمتهم وان فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
وروى ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا ابا بكر فقال يا رسول
الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله
والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنى
فقال يا نبي الله من يلي غسلك فقال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى فقال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه
[illegible] او في بياض مصر قال كيف الصلوة عليك منا وبكينا فبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا
اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من

على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلوة علي فاول من يصلي علي من خلق الله
ويصلي علي جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة باجمعهم عليهم السلام ثم
انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة
[illegible] منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال اهل
بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال عبد الله بن زمعة
جاء بلال في اول ربيع الاول فاذن بالصلوة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مروا ابا بكر [illegible]
الناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر
فلما كبر رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوته بالتكبير قال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون
قالها ثلث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس [illegible] صلى ابو بكر بعد الصلوة التي صلى عمر وكان عمر يقول لعبد الله
ابن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرك
ما فعلت فيقول عبد الله بن زمعة اني لم اجد احدا اولى بذلك منك قالت عايشة وما قلت ذلك ولا صرفته
عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما [illegible] في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون
الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله [illegible]
ويتاثمون به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت من امر الدنيا والدين قالت عايشة
كان اليوم الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم راوا منه في اول النهار خفة فتفرق عنه الرجال الى منازلهم
وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينا نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في
الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج
من في البيت غيري وراسه في حجري فجلس وتنحيت في ناحية من البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه
في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبرئيل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اجل يا عايشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله تعالى ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن
فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف حتى
ياتيني جبرئيل عليه السلام فهذه ساعة جبرئيل عليه السلام قالت عايشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب
ولا راي وكانما ضربنا بصاعقة ما نحير اليه شيئا وما تكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات
اجوافنا قالت وجاء جبرئيل عليه السلام فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت ودخل فقال ان الله تعالى يقرا
عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك
وشرفك على الخلق وان يكون سنة في امتك فقال اجدني وجعا فقال ابشر فان الله اراد ان يبلغك ما اعد
لك فقال يا جبرئيل ان ملك الموت استاذن واخبره الخبر فقال جبرئيل ان ربك اليك مشتاق الم يعلمك الذي
يريد بك لم يقبض روحك حتى تاذن له [illegible] قال [illegible] اذا حتى يجي فاذن للنساء فقال يا فاطمة فاكبت
عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام وكان الذي رابنا منها عجبا فما لناها [illegible]
فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي
فاضحكني وادنت ابنيها فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال ما تامرنا يا محمد فقال

ربي الا انت فقال لي من بريدك هذا امان وبك اليك مشتاق ولم يرد ذلك عن احد تردده عنك ولم ينهني عن
الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج ملك الموت وخرج جبريل وقال عليك السلام يا رسول
الله هذا آخر ما انزل كاتبه الى الارض انما طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك
وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزم موقفه لا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه
في ذلك كلمة ولا يبعث الواحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفقنا قالت فقمت الى
النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اضع راسه بين يدي وامسكت بصدره وجعل يغشى عليه حتى يغلب على جبهته
من رشح ما رايته قط من انسان فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه وكنت
اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما لقي جبينك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن يخرج بالرشح
ونفس الكافر يخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل جاء ولم
تشهده اخي بعثه الى ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يجيء احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه
جبرئيل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الحزن يعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلوة
الصلوة فانكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة وكان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلوة
الصلوة قالت عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين
قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب
علي رضي الله عنه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه قتل
عمر وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين ثم قالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتحب الناس حتى ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس
بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي معهم عقولهم واقعد آخرون وكان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ممن كذب بموته وعلي ممن اقعد وعثمان ممن اخرس فخرج عمر على الناس فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن ايدي وارجل من رجال المنافقين
يتمنون لرسول الله الموت انما واعده ربه كما واعد موسى وهو آتيكم وفي رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قد مات الا [illegible] بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان فانه لم يكلم احدا يؤخذ بيده فيجاء
ثم يذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز وجل عزم لهما على التوفيق و
السداد وان كان لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
وبلغ ابا بكر رضي الله عنه الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فنظر اليه فاكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب
محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الى
الشاكرين فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصيص الجرة وهو في ذلك جلد الفعل
والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخده ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي و
اهلي طبت حيا وميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت
عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا
لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد
وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا
ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر لما دخل
ابو بكر البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم
على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية ان في الله خلفا من كل احد و
دركا من كل فائت ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع
البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا تعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا
الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فاطيعوا
وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر واليا[س] حضرا النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستوفى القعقاع بن
عمرو خطبة ابي بكر فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حتى قضى عمر ثم خطبة جلها الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله
وسلم وحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع
وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك
وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة
اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا
بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من
كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه
جزعا فان الله تعالى قد اختار لنبيه عليه السلام ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه
وسنة نبيه عليه السلام فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه
فيلحق بكم ويفتنكم قال ابن عباس رضي الله عنه لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول
ما مات نبي الله اما ترى ان نبي الله عليه السلام قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت
وانهم ميتون فقال والله لكأني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث
كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم جلس الى ابي بكر قالت عائشة لما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله
تعالى عليهم النوم حتى ما منهم الا واضع لحيته في صدره نائما ثم قال قائل لا يدرى من هو اغسلوا رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا فغسل صلى الله عليه وآله وسلم في قميصه حتى اذا فرغ
من غسله كفن وقال علي رضي الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما يغسل موتانا فما استقبلنا منه شيئا الا ان يقلب لنا منه عضو لما نبالغ فيه
الا قلب فما نحسبه نعرفه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح والرحاة وصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فانكم ستكفون فهذا كان وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يترك سيدا ولا لبدا الا دفن
معه قال ابو جعفر قريش نحن بعمرته وقطيفته ورثت ثيابه عليها التي كان يلبس نقطا نا على القطيفة والمفرش
ثم وضع عليها في اكفانه ولم يترك بعده وفاته مالا ولا بنا في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته
عبرة بالغة للمسلمين به اسوة حسنة والحمد لله وحده

وفاة امير المؤمنين ابي بكر الصديق رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق
ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت
وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل فقال ابو بكر
رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخلوا عليه وقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد
نظر الي طبيبي وقال اني فعال لما اريد ودخل سلمان الفارسي عليه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله فاتح
عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته
فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد الناس ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس له استخلفت
علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاء
فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله بالليل وان لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لا
يقبل النافلة حتى يؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا
وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباع الهوى وخفته
عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم
فيقول القائل انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله ذكر اهل النار باسوأ اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا
فيقول القائل انا افضل من هؤلاء وان الله تعالى ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي
بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكونن غائب احب اليك من الموت
ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله
زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر رضي الله عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق
المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا
القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم
وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم

شقيا او سعيدا او غويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص
لهم مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك ان اشاء ما يقربني
اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت
الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت
لكل واحد منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح
صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة
طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك فانك انت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة
الا بالله قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله تعالى

وفاة امير المؤمنين عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن
ميمون كنت قائما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما
فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في
الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار
العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي
رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر
عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر
غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا
قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد
امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة
وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم
وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال
فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس عليه فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب
منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر
يا امير المؤمنين ببشرى من الله تعالى قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدم في الاسلام ما
قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا
ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال
يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به
مال آل عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم
الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المؤمنين عائشة فقل لها عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل امير المؤمنين
فاني لست اليوم امير المؤمنين وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم
استاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال عمر بن الخطاب يقرأ عليك السلام ويستاذن ان يدفن مع
صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه به اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال
ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك فقال الذي تحب يا امير المؤمنين اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم

عن بعد الله الى فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني
الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء تسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده
ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها من داخل البيت فقالوا اوص يا امير المؤمنين استخلف
قال ما ارى احق بهذا الامر من هولاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض
فسمى عثمان وعليا والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شي
كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذلك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا
خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم
واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم واوصيه
باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضا منهم
واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه
بذمة الله وذمة رسوله عليه السلام ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال
فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل
فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال جبريل عليه السلام ليبك الاسلام
على موت عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يصلون عليه ويدعون قبل ان يرفع
وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال
ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وحسبي
اني كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر
وعمر وان كنت لارجو واظن ان يجعلك الله معهما **وفاة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه**
الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال
مرحبا يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك
قلت نعم قال اعطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي
وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عندهم فقتل ذلك
اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو
يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد عليه السلام ثلثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا
يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان
رضي الله عنه فقال ايتوني بصاحبيكم اللذين البكم علي قال فجي بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان فقال
انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وليس بها ما يستعذب
غير بير رومة فقال من يشتري بير رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم
اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد
ضاق باهله فقال النبي من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي
فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش

العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان
على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال
اسكن يا ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد
وروي عن شيخ من ضبة قال شهدت عثمان حين ضرب والدماء يسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على
ما ابتليتني **وفاة امير المؤمنين علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه** قال الاصبغ بن نباتة لما كانت
الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يوذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل
فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي رضي الله عنه يمشي وهو يقول
اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك فلما بلغ الباب الصغير
شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنته فجعلت تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي امير المؤمنين
صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت
ورب الكعبة وعن محمد بن علي ان عليا اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض وعن ابي
الحسن بن علي دخل عليه الحسين رضي الله عنهما فقال له يا اخي لاي شي تحزن تقدم على رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وعلى علي وعلى حمزة وجعفر وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا اخي
وعلى حمزة وجعفر عمينا فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسن قال لما ثقل الحسن
قال اخرجوا فراشي الى صحن الدار فاخرج فقال اللهم اني احتسب نفسي عندك فانها اعز الانفس علي
الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى فاني لا ارى الموت الا سعادة والحيوة
مع الظالمين الا برما **الباب الثامن في كلام معاوية ... عند الموت**
لما حضرت معوية بن ابي سفيان الوفاة قال اقعدوني فاقعد فجلس يسبح الله ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا
معوية بعد الهرم والانحطاط الا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم
الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك
ولم يثق باحد سواك وروي عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فرأوا في تجاعيد عنقه فحمد الله
واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا واستلذذنا
بعيشنا فما لبثت الدنيا ان نقضت علينا ذلك حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا
واخلقتنا ولامنت الينا فان الدنيا من دار فاف لها من دار وروي ان آخر خطبة خطبها معوية ان قال
ايها الناس اني من زرع قد استحصد اني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا
مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد
الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع
القراضة فمي وانفي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله
في الوالدين فاذا ادرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة

لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيا ولما حضرت
عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد
الملك يا ليتني كنت غسالا اكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيا فبلغ ذلك ابا حازم فقال
الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك
بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المومنين قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الاية وقالت فاطمة بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز كنت
اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي
قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت اخر بيني وبينه باب وهو في قبة فسمعته يقول تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع له حركة ولا
كلاما فقلت لوصيف له انظر انايم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد
يا امير المومنين قال احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب
فلما نظر اليه قال ارى الرجل قد سقي السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تامن الموت ايضا على
من لم يسق السم قال الطبيب هل احسست بذلك يا امير المومنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني
قال فتعالج يا امير المومنين فاني اخاف ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان
شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا اياما حتى
مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المومنين ابشر فقد احيى الله بك سننا واظهر بك
عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسال عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها
بين يدي الله الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا ودمعت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب
وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلث مرات ولكن
لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض
وحكي عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك
عني سلطانيه وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه
كان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه
فقيل له لا باس عليك يا امير المومنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والاخرة وقال عمرو بن العاص عند
الوفاة وقد نظر الى صناديق فقال من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان
الناس يقولون انك لا تغفر لي وكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما
حكي ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف رحمهم الله يقال انه لما حضرت معاذ الوفاة قال اللهم اني كنت
اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار
ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع نزع
من عالم نزعه احد وكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم ان قلبي

يحبك ولما حضر سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته
بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه
وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر ابرهيم النخعي
الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال انتظر من الله بشيرا يبشرني بالجنة او بالنار ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى
فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكني اخاف ان اتيت شيا حسبته هينا وهو عند
الله عظيم ولما حضرت عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على
الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظما الهواجر وقيام الليل بالشتاء ولما حضر فضيل الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه فقال
وابعد سفراه وقلة زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصير مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصير فقال له
ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت غريبا فقيرا فقال اسكت فاني سالت الله
ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان وقال عطا بن يسار
تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال
اية في كتاب الله تعالى قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن على رجل وهو يجود بنفسه فقال ان امرا
هذا اوله لينبغي ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره لينبغي ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال
نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القران فختم فقلت له في هذه الحالة يا ابا القسم فقال ومن اولى
بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول
حنين قلوب العارفين الى الذكر   وتذكارهم وقت المناجاة للسر   اديرت كوس للمنايا عليهم
فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر   همومهم جوالة بمعسكر به   اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه   وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري   فما عرسوا الا بقرب حبيبهم
وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر   وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب
ان تطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو
في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير
وقال السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء
فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري
يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت
قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب اجل اخي ابي علي الروذباري وكان
راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زخرفت وزينت وهذا
قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول   وحقك لا نظرت الى سواكا
بعين مودة حتى اراكا   اراك معذبي بفتور لحظ   وبالخد المورد من جناكا   وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال
ما نسيته فاذكره وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قال علي
درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضيني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل

يحيى وقد امسك على لسانه فقبض على يدي واخذ طرف لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما يقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث لما احتضرته الوفاة وكان يشق عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسب على الصغير ويعاقب على الكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت ابكي عليك فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على السري السقطي اعوده في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فانشأ يقول

كيف اشكو الى طبيبي ما بي والذي اصابني من طبيبي

فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق من داخل ثم انشأ يقول

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان يك شيء فيه لي فرج فامنن علي به ما دام بي رمق

وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشأ يقول

ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج
لا اتاح الله لي فرجا يوم ادعو منك بالفرج

وحكي ان ابا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجب ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي لما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان وذكرت محاسنه فافاق وقال من المتكلم قلت انا فقال ان ملك الموت صلى الله عليه يقول لي بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله تعالى في شيء من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول امكنك ان تفعل ما تريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضرت الثوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال ليس الى ثم امر ودخل المزني على الشافعي في مرض موته فقال كيف اصبحت فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بابليس عابد وكيف وقد اغوى صفيك آدما

ولما حضرت احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لا ادري يفتح لي بالسعادة او

الشقاوة فكيف لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بهم بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد بمقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرونه ولا يتفكرون في ان المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد او بعد غد ويروى عن ابي هريرة انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت ولا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز ولا ندري لمن نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت فقد رأى ومرارة الموت فقد ذاق وخوف الخاتمة فقد امن وقال ابو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطر لا تدري حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملوها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملته الى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأوه كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليه وانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلوة الزاهد عليه

شيئا عن ذلك فقالت قيل لي في المنام ائت الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليها
فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما
عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت
نعم ثلثة اشياء كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود الى
الماخور ويشتغل بالشراب والفسق والثاني انه كان ابدا لا يخلو بيته عن يتيم ويتيمين وكان احسانه اليهم
اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد بهم والثالث انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل
فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث ويعني به نفسه فانصرف الزاهد
وقد ارتفع اشكاله عن امره وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخ له فقال على قبره فان تنج منها تنج من ذي عظيمة
والا فاني لا اخالك ناجيا **بيان حال القبر واقاويلهم على القبور** قال الضحاك قال رجل يا رسول الله
من ازهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من
ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي عليه السلام ما شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران
اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما رايت
منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الى المقابر فجلس الى قبر فكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال
هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي
فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته
عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد
قيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل
القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول
انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر
الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس
الى قوم يذكروني معادي فان قمت لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل
القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني بي اكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة
الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة اتفكر في القبر وساكنه انك
لو رايت الميت بعد ثلاث في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام ويجري
فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب
قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته
المستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى
يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى
وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان

نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد
ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ الرازي ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته
من دنياك فاشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على
المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطا السلمي اذا جنه الليل خرج الى المقابر ثم
يقول يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه غدا عطا في القبر غدا عطا في القبر فلا يزال ذلك دابه حتى
يصبح وقال سفيان من اكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من
حفر النيران وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه واضطجع
ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا ثم يردها على نفسه ثم يرد على نفسه يا
ربيع قد ارجعناك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول
يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى
المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم
وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلاء واصاب الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال
والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر
فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها
وروي ان فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين رضي الله عنهم فغطت
وجهها وقالت   وكانوا رجاء ثم امسوا رزية   لقد عظمت تلك الرزايا وجلت   وقيل انها ضربت على
قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ورجعت الى المدينة فسمعوا صوتا من جانب
البقيع هل وجدوا ما فقدوا وسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التيمي توفيت امراة
الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه اهل البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ما اعددت لهذا اليوم
فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال
اخاف وراء القبر ان لم تعافني   اشد من القبر التهابا واضيقا   اذا جاءني يوم القيامة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا   لقد خاب من اولاد آدم من مشى   الى النار مغلول القلادة ازرقا
وقد انشدوا في اهل القبور   قف بالقبور وقل على ساحاتها   من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها   قد ذاق برد الامن من روعاتها   اما السكون لذي العيون فواحد
لا يستبين الفضل في درجاتها   لو جاوبوك لاخبروك بالسن   تصف الحقائق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة   يفضي الى ما شاء من دوحاتها   والمجرم الطاغي بها متقلب
في حفرة ياوي الى حياتها   وعقارب تسعى اليه فروحه   في شدة التعذيب من لدغاتها
ومر داود الطائي على امراة تبكي على قبر وهي تقول   عدمت الحياة ولا نلتها   اذا كنت في القبر قد الحدوكا
فكيف اذوق لطعم الكرى   وانت بيمناك قد وسدوكا   ثم قالت يا ابتاه ليت شعري باي خديك بدا الدود
فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار رحمه الله عليه مررت بالمقابر فانشات اقول
اتيت القبور فناديتهن   اين المعظم والمحتقر   واين المدل بسلطانه   واين المزكى اذا ما افتخر   قال فنوديت

من بينهن اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور فيا سائلي عن اناس مضوا اما لك فيما مضى معتبر
قال فرجعت وانا باكي حزين من ذلك. ابيات وجدت مكتوبة على القبور وجد على قبر مكتوب
تناجيك اجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت. ايا جامع الدنيا لغير بلاغه
لمن تجمع الدنيا وانت تموت. وعلى قبر آخر مكتوب ايا غانم اما ذراك فواسع
وقبرك معمور الجوانب محكم وما ينفع المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم
وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا قبر عليه مكتوب يمر اقاربي جنبات قبري كأن اقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يالون ان جحدوا ديوني وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله اسرع ما نسوني
ووجد على قبر آخر مكتوب ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا
وانت دهرك في اللذات منغمس لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس قد كان قصرك معمورا له شرف
فقبرك اليوم في الاجداث مندرس. ووجد على قبر آخر مكتوب وقفت على الاحبة حين صفت
قبورهم كافراس الرهان فلما ان بكيت وفاض دمعي رات عيناي بينهم مكاني. ووجد
على قبر طبيب مكتوب قد قلت لما قال لي قائل قد صار لقمان الى رمسه فاين ما يوصف من طبه
وحذقه في الماء مع جسه هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه. ووجد على قبر آخر مكتوب
يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل. فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن
الاعتبار قبل الموت والبصير الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم
لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان
احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم الاعطية وحقائق الامور فانما حسرتهم
يوم من العمر ليتدارك به المقصر تقصيره فيتخلص من العذاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب
فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحيوة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر
على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر عن الاختيار اذ لم تاخذ نصيبك
منها ما انك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين على قولها رايت اخا لي في الله تعالى فيما يرى النائم
فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان اقدر على قولها اعني الحمد لله احب الي من الدنيا بما فيها ثم قال
الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام وصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا
وما فيها. **بيان اقاويلهم عند موت الولد** حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه
عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه اسفه
لعلمه انه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم او تأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان
يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل
في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن
اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل
له فان لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد
فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او اثنان قال
او اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه اقرب دعاء الى الاجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر
ولده فقال اللهم اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وامن خوفي ووقف ابو سنان على قبر ابنه
فقال اللهم قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابي
على قبر ابنه فقال اللهم اني وهبت له ما قصر فيه من بري فهب لي ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن
عمر بن ذر قام ابو عمر بن ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك
فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله
اجله ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد
وهبت لك ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر
وما بنا الى انسان مع الله حاجة ولقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال
ما رايت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد قال
وكيف ذلك قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان فقال الاكبر منهما
للاصغر اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع
الصراخ هرب الغلام فلجأ الى الجبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه في طلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت
فافردني الدهر كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغي ان يتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما
من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكبر. **بيان زيارة القبور
والدعاء للميت وما يتعلق به** زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين
مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك
بعده فقد روى على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها فان في زيارتها تذكرة الآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبر امه في الف
مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفيه قال اذنت في الزيارة والاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن ابي
مليكة اقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام المؤمنين من اين اقبلت قالت من قبر اخي
عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغي ان
يتسامح فيه للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرهن ولا
يخلون في الطريق عن تكشف وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المرأة
في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رؤس القبور
قال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد

خاوي موعظة بليغة وصل على الجنائز ولعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى وقال ابن ابي مليكة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع ان
ابن عمر كان لا يمر بقبر احد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة رضوان الله عليه في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي صلى
الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب بارا وعن ابن سيرين قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله تعالى
من البارين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال من زار قبري بالمدينة
محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى
يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم
فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور
ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة
النصارى قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
على ابي بكر السلام على ابي وينصرف وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم انصرف وقالت عائشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس
به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت يا رسول
الله هؤلاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة رحمه الله اذا مر
الرجل بقبر اخيه يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وقال
رجل من آل عاصم الجحدري رايت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت
فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى
بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما يلتقي
الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى
طلوع الشمس قلت فكيف ذلك دون سائر الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع
يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى يوم الاثنين قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة
ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل له
فكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة
فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر وقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم
وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت
الى اهلي ولم ات المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا انا نائم اذا انا بخلق كثير قد جاءوني فقلت من انتم وما حاجتكم
قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت
وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني

رايت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت يا بشار بن غالب هداياك ياتينا
على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا
للمؤمنين الموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الى الميت فقيل
هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المغوث
ينتظر دعوة تلحقه من ابنه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا
الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حين
وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا لي دعا لرايت انه سيضربني به وعن هذا
يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي و
هو في النزع فقال لي يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم
عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة
الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول
اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند
هذا وقد لقن حجته ويكون الله تعالى حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال
فلينسبه الى حواء ولا باس بقراءة القرآن على القبر روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل
رحمة الله عليه في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له
احمد رحمه الله يا هذا ان القراءة عند القبور بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل
عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة القرآن وخاتمتها
وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد رضي الله عنه فارجع الى الرجل فقل له يقرا وقال محمد بن
احمد المروزي سمعت احمد رحمة الله عليه يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين
وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى
البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا
صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان
اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم
نور امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل
الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف
تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال
كانت عجوز في عبد القيس متعبدة وكان اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت
الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى
واني لاتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك

المستنيرة والى تلك الاكفان الدرنة فيا حسرتا لو اشرفوا عليها العباد ما اكل مراد منها الا تنغص واشد ما يجب ان يحضر من صورة الميت ما ذكر عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان على الخدين وتقلصت الشفتان على الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما رايته الآن

ويستحب ايضا الثناء على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تأثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك رحمة الله عليه مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاثنوا عليها خيرا فقال عليه السلام وجبت ومر باخرى فاثنوا عليها شرا فقال وجبت فسأله عمر رضي الله عنه عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهداء الله في ارضه وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطأوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لا ينعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب هاهنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الروح الى الجسد في القبر ولا يبعد ان يؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العاقلة العالمة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها

الافراح والغموم ولا بطل قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن ان يكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان روحه ونفسه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احديهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه ولا فرق بين ان يسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والملك والالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحيوة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحيوة كما قد ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المنزل فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه غير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة فانظر الى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيره فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولو الابصار بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحيوة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ان يتكلم فيها ولم يزد على ان الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة **ذكر الآيات لما ورد في الشهداء** قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولما قتل صناديد العرب من قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم القبر حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هو ام من اهل النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب القبر وقال يعلى بن الوليد كنت امشي مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق للمؤمن من السجن وانما احب قلة الولد والمال لانه فتنة وسبب الانس بالدنيا والانس بما لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله تعالى وذكره والانس به لا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن دار الغرور وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا تلتفت نفسه الى المبيع ولكن ان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوف اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريد قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما

قال تعالى

قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه يوم احد فقال بلى يا رسول الله بشرك الله بالجنة فقال ان الله تعالى احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فقيل له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي اني لم اقتل في سبيل الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل في سبيل الله قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والضيق لا يبلغ طرفه اقصاه وفيه انواع الاشجار والانهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلا فقال لرجل مات اصبح هنا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايضا ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ورضع لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه فاشار بالمستريح المؤمن والمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسال عبد الله بن عمر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طيور بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن محمد عن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله

ولده كما يستقبل الغايب وقال مجاهد ان الرجل يبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان نفس المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما تلقى
البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسئلونه ماذا فعل فلان وما
فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله فقال ايمات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب
به الى امه الهاوية بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى ٥ كلام القبر للميت اما بلسان المقال او بلسان
الحال التي هي افصح في تفهيم الاموات قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول القبر للميت حين يوضع
فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما
غرك بي اذ كنت تمر بي فذادا فان كان مصلحا اجاب عنه القبر مجيب فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا ويصاعد روحه الى الله والفذاد الذي
يقدم رجلا ويوخر اخرى كذلك فسره الراوي قال عبيد الله بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته
التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة
وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا
قال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه بعض الذي يكره ناداه جيرانه من الموتى
ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما
رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض
ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق
به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي
بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع
عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب الاحبار اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته
اعماله الصالحة الصلوة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول
الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بي القيام فيه عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام
لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظماه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه قال فياتونه من جسده فيقول الحج والجهاد اليكم
عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد في سبيل الله لا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فتقول
الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه
فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وياتيه ملائكة الرحمة فيفرش له فراشا من
الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويوتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم القيمة
ويبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول ويحك يا ابن آدم اليس قد حذرتني
وحذرت ضيقي ونتني وهولي فهذا ما اعددت لي بيان عذاب القبر وسوال منكر ونكير ٥
قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلثا ثم قال ان المومن

اذا كان

اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره
فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وفتحت ابواب السماء فليس فيها باب الا يحب ان
يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل يا رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة
فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالكم اذا وليتم مدبرين حتى يقال يا
هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال
فينتهره انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهي معنى
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الآية ثم ياتيه آت حسن الوجه طيب الريح
حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت
فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا في معصية الله فجزاك الله خيرا قال
ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فراش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب
الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الاخرة
وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا
خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس فيها باب الا يكره ان يدخل روحه
فاذا صعد بروحه نبذ وقيل رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له
من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال
له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري ثم ياتيه آت قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح
فيقول ابشر بسخط من الله وعذاب اليم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله
بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد
لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير
ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادي مناد ان
افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار قال محمد بن
علي ما من ميت الا مثلت له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق
عن سيئاته قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان المومن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة
فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة ارجعي
راضية مرضية عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت
عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمر فتنزع روحه انتزاعا
شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه
وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي
انه قرا قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا قال اي شيء
تريد في اي شيء ترغب اترغب ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار قال

لا يعني اعمالها الحائمات تركت قال فيقول اشقياء ربنا الى كلا انها كلمة هو قايلها اى يقول انها عند الموت قال
ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعين ذراعا
وينضي حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال
عذاب الكافر في قبره يسلط الله عليه تسعة وتسعين تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعين
حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب
من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بعدد اعداد الاخلاق المذمومة من
الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وساير الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة
ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات
فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية فارباب القلوب
والبصاير يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف
عليه الا بنور النبوة وامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصاير واضحة
فمن لم تنكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التسليم والتصديق
فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق
على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر وهو
الاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا
تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون
بنزول جبرئيل عليه السلام وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه صلى الله عليه وآله وسلم كان يراه فان كنت
لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك وان امنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما
لا يشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات و
العقارب التي تلدغ في القبر ليس من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة اخرى المقام الثاني
ان تتذكر امر النايم فانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه
وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتاذى به كما يتاذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى
ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد
اذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها
لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل
مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان
يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة
صورة الوقاع لم يمكن تعريفه الا بالاضافة اليه ليكون الاضافة للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة
وان لم يحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومولمات
في النفس عند الموت فيكون الامها كالام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية
يضاهي انقلاب العشق موذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرت حالة صار اللذيذ بعينه مولما

حتى يرد على القلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد
انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده
واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك في حيوة من لا يرجو استرجاعها منه فما ترى ذلك يكون حالها
اليس يعظم شقاوته ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه ولا كان تاذى بمفارقته فالموت
عبارة عن مفارقة المحبوبات في الدنيا وزهادة دفعة واحدة وما حال من كان له واحد حبيب غيبه ذلك
الواحد فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فيوخذ منه الدنيا ويسلم الى اعدايه ثم يضاف الى هذه العذاب تحسره
على ما فاته من نعيم الاخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله يحجب عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه
الم فراق جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الاخرة ابد الاباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وهو الذي
يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا
الجحيم واما من لا يانس بالدنيا ولم يحب الا الله وكان مشتاقا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة
الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوايق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال
الى ابد الاباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون به والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان
يوخذ منه وبين ان يلدغه عقرب اثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم الفراق للفرس عنده اعظم من لدغ العقرب
وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه
وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاءه
وياس من رجوع جميع ذلك اليه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ الفرس منه وهو
حي فعظم عقابه عليه وكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى هو المدرك للالام واللذات لم يمت بل عذابه بعد
الموت اشد لانه في الحيوة يتسلى باسباب يشتغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه وتخلى
برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل الياس فاذا كل قميص له دق
منديل قد لحبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا لم
يعذب وهو المسيي وهم نجا المخفون فان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال
من يسرق منه عشرة دنانير وكذلك حال صاحب الدرهم اخف من حال صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا
يخلفه بعدك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شيت فاستكثر وان شيت فاستقلل فان
استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست مستقلا الا من الحسرة ولست مخففا الا عن
ظهرك وانما كثرت الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وفرحوا بها واطمأنوا
اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وفي ساير انواع عذابه راى ابو سعيد الخدري رضي الله
عنه ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف الله فيما يريد قال يا بني زدني فقال يا ابت لا تطيق
قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات
فاعلم ان من الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا
الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك
فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجايب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يانس به

بالغه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد
يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه هذه الانواع الثلثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله و
كثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك
به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في رفع العذاب كيف ما كان
فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده و
يجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه يقطعه بسكين او بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في رفع
اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب و
عذاب او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول و
تضييع زمان **بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر**
قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان
يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي صلى الله فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعين
ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم
كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا
قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال
للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك
عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف
بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك
وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا
القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر
بانيابهما فيتلتلانك ويترترانك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الان قال نعم
قال فاذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت
عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له
طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا
الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء
لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء
في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب البعير تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه
وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل رأسه جاءت قراءة
القرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة
والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحية فيقول اما اني
لو رأيت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يحاج عنه اعماله الصالحة كما يحاج الرجل عن اخيه واهله وولده ثم

تعالى بعد ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن
في هذا القبر ضغطة ترد منها حمائله وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
للقبر ضغطة لو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر
فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمم ذلك فقال ذكرت
ضغطة القبر وشدة عذابه لابنتي فاتيت فاخبرت ان الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها
ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج
الاعتبار عرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال شخص معين زيد وعمرو بعينه فلا
ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه
الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح
دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته و
مشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى
بالعين الظاهرة وانما يدرك بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها
غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيوية فصارت لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت
ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء عليهم السلام فلا جرم
نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا ولذلك رأى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي
جابر لما استشهد اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدات لا مطمع فيها
لغير الانبياء عليهم السلام والاولياء الذين تقرب درجاتهم منهم وانما الممكن في حقنا مشاهدة اخرى ضعيفة
الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح
الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر معاصيه وفساده اظلم قلبه وكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك
امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن
ايضا وهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب
ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقل ما يخلو الانسان عن منامات دلت
على امور وجد صحتها والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو
من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم و

وفي حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيه الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور مثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا يشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حيث يقرؤه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم يشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان يفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب والقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيه واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الاغلب وما دام مستيقظا فهو مشغول بما يورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب واذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما يقع الصورة من مرآة في مرآة اخرى اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا الخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ حكاية اي معنى من المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الصبح فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما يكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالختم فمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو عجيب من العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف انه في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فما ذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير اما محفوفا بالانكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما محفوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد كشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم

تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واحكم الحكماء يكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر في خطر تلك الحالة ان الحجاب عما يرتفع وما الذي يكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا ودورنا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فقيل له ما قال لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه لم يكن من حبه قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل العاجلة ثم تطمع في ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من رآني فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فرأيته لا ينظر الي فقلت يا رسول الله ما شأني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صائم فقال عمر والذي نفسي بيده لا اقبل امرأة وانا صائم ابدا وقال العباس رضي الله عنه كنت ودا لعمر رضي الله عنه فاشتهيت ان اراه في المنام فما رأيته الا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي قال لي علي عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب رضوان الله عليه قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله تعالى عنه

بما اخبرت عليه وهي امرضيا لت الله تعالى ان يريني اياه في المنام فرأيته يتلهب نارا فسألته عن
حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين من كل الليالي والايام قلت
وكيف ذلك تعالى ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه
ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله تعالى بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين
وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول خرجة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا
نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذا اتاني آت فقال لي قم قد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا
فكشفت عن وجهه الثوب فاذا هو ميت اسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ
غلبتني عيني فنمت فاذا على رأس ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين
اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال لي قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي
انت وامي فقال انا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض
فما تركت الصلوة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ
اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع من ان خرج علي عليه السلام وهو يقول
قضي لي ورب الكعبة فما كان باسرع من ان خرج معوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وقال ابن
عباس رضي الله عنه ما ... فاسترجع وقال قتل الحسين والله ما كان ... فقيل له وانكر عليه اصحابه
فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ... الا تعلم ما صنعت امتي بعدي
قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم
الذي رآه ورأى الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول ابدا لسانك هذا اوردني الموارد فما
فعل الله بك فقال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم

قال بعض المشايخ رأيت ... في المنام فقال يا سيدي ما فعل الله بك فقال ... في ... فقيل له
... استحسنت فيها شيئا ... يا سيدي فقال ... استحسنت ... كنت ...
ورأى يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل
وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزاز في المنام قلت ما فعل الله بك قال وقفني بين يديه فغفر لي
كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما
كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني
رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك اذا انشقت السماء
ونزل منها ملكان احدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فغسل يديه ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للآخر لا تصب على يديه فانه ليس
منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني
احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وآله وسلم اصبب على يديه فانه منهم وقال الجنيد رأيت في النوم

كأني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما يتقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي
بميزان وفي فولى الملك وقال كلام موفق والله ورأى مجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الامر فقال رأيت
الامر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد
رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه فقال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاتيح
له رجلا يقتلني وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السليمي في النوم
فقلت رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا
دائما فقلت له في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الآية وسئل زرارة بن
ابي اوفى في المنام فقيل اي الاعمال افضل عندكم قال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي
في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة ارفع من درجة
العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت اخي
في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي
وقال علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك
قالت اخطبني الى مولاي وسيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابرهيم بن
اسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي قلت لها بماذا فقالت بما انفقت
في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفيان
الثوري رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة
وقال احمد بن ابي الحواري رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت قط احسن منها وكان وجهها يتلألأ نورا
فقلت لها ممن ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت
به وجهي فمن ثم صار ضوء وجهي كما ترى قال الكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت
الاشارات وذهبت العبارات وما نفعنا الا ركيعات كنا نصليها في الليل ورأيت زبيدة في المنام فقيل
لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله
اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي ورأى بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي تعالى وقال
اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورأى ابو سليمان في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني
وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رأيت في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت
من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء فقلت من
انت قالت انا السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا
اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع
مني فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت
ابليس في المنام عريانا يمشي فقلت الا تستحيي من الناس فقال ما هؤلاء بناس لو كانوا من الناس ما كنت العب
بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس غير هؤلاء وقد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا
الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءني متكئا على ابي بكر وعمر

رضي الله عنهما انجا ان وقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري وقال شر هذا اكثر من خيره وعن
ابن عيينة قال رايت سفين الثوري كانه طير في الجنة من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له
اوصني فقال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت سفين الثوري
في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيا رضاي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت تقوم اذا اظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اى قصر اردته
وزرني فاني منك غير بعيد ورأى الشبلي بعد موته بثلثة ايام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني حتى
ايست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته ورأى مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي و
جعلني حجة على المحبين ورأى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن
المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ورأى بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا
فاعتقوا ورأى مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي
الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ورأى في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان
ابواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ورأى الجاحظ
في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال ولا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة ان تراه ورأى الجنيد رحمه
الله عليه ابليس في المنام فقال له الا تستحيي من الناس فقال هولاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية قد
اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى مسجد الشونيزية فرأيت جماعة قد وضعوا
رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورأى النصراباذي بمكة بعد وفاته في
المنام فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال انفصال فقلت لا
يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ورأى عتبة الغلام حورا في المنام على صورة حسنة فقالت
يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيئا يحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلثا لا
رجعة لي عليها حتى القاك ورأى ايوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فرأى بعضهم الميت
في المنام فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي وقال قل لايوب قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم
خشية الانفاق وقال بعضهم رأيت في المنام في الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة
صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال
ابو سعيد الشحام رايت سهلا الصعلوكي في المنام فقلت ايها الشيخ فقال دع الشيخ قلت تلك الاحوال
التي شاهدتها فقال لم تغن عنا شيئا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كان تسأل عنها العجز وقال ابو بكر
الرشيدي رايت محمد الطوسي المعلم في المنام فقال قل لابي سعيد الصفار المؤدب شعر
وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت
ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس
قد مت قال بلى قلت فما فعل الله بك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفين الثوري قال بخ بخ
ذلك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وقال الربيع بن سليمان رايت الشافعي رحمه الله
بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ

الرطب ورأى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كان مناديا ينادي ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن ابي الحسن البصري على اهل زمانه وقال ابو يعقوب
القاري الدقيقي رايت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا اويس القرني فاتبعته
فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشدا فارشدني ارشدك الله فاقبل علي وقال ابتغ رحمة
ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن
ابي مريم رايت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعل الله بك يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فاي
الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون فرآها
ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الآخرة فقالت يا ابه قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون
ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض
اصحاب عتبة الغلام رايت عتبة الغلام في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة
في بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتي واذا خط عتبة على حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين
ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين
الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين وقال موسى بن حماد
رايت سفين الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا قال
بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب الدري في افق السماء ورأى رجل من
التابعين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو
في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رضي الله عنه دهمني في هذه الايام امر امضني
وآلمني ولم يطلع عليه غير الله تعالى فلما كان البارحة اتاني آت في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم
فوفقني لما تحب وترضاه من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار اعطاني الله طلبتي
وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على احوال
الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله تعالى زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر
القرار اما في الجنة او النار

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار في الجنة والنار

ونفصل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه بيان نفخة الصور
وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة وصفة يوم القيمة ودواهيها واساميها
وصفة المسألة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة
وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان
وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور
العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى نختم به الكتاب ان شاء الله

صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطر في خاتمة
العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه

واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد او الاشقاء فهذه احوال واهوال لا بد من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل التصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنها قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت ثم مد اليد اليه ليتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بقلبه وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الله سبحانه شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وانما قصرت البواطن عن تفهم اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور فلو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تربي على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من حكمة الله تعالى وقدرته من شاهد ذلك في صنعه وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع اسماع سكان القبور من نفخة الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الخوف والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والارض يعني يموتون الا من شاء الله وهم بعض الملائكة وكذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش فينتظر متى يؤمر

فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت بان يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره بان ينفخ الثانية فذلك قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وآله وسلم حين بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم من اذل الخلق واصغرهم واحقرهم يوطؤون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المتمردة المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة الى ارض المحشر وهي ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء قال الراوي ليس فيها معلم لاحد والعفرة بياض ليس بالناصع وهو النقي عن القشر والنخالة ولا تعرضن النقي ولا معلم اي لا علامة ولا بناء يستر البصر فلا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس رضي الله عنه يزاد فيها وينقص منها وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض بخمود سراجها فبينا انت كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وارجائها فيا هول ذلك اليوم ويا صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة اليوم الذي تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك

لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه واعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك من النظر والالتفات
الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف ركبانا
ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال الذي امشاهم على اقدامهم قادر
على ان يمشيهم على وجوههم وفي جبلة الآدمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على
بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك
فاياك ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيمة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا
ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف عريانا
مكشوفا ذليلا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة او بالشقاوة واعظم بهذه الحالة
فانها عظيمة **صفة العرق** ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حين ازدحم على الموقف اهل
السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس
وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤوس الخلائق كقاب قوسين
ولم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل
بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم
بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض
على جبار السموات والارض فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض
العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله تعالى فبعضهم
بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم يكاد يغيب فيه قال ابن عمر يوم يقوم الناس
لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله و
سلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه
البخاري ومسلم في الصحيحين وفي حديث آخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة
الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق
الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم
من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فانت
من جملتهم لا تعرق عرق اهل المحشر لكربهم وشدته وان فيهم من ينادي ويقول يا رب ارحمني من هذا الكرب والانتظار
ولو الى النار فكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق
واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل
مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم
ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل المصاعب في الطاعات اهون امرا واقصر زمانا
من عرق يعقب فيه الخلائق شاخصة ابصارهم منقطع الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيم شديدة
مدته **صفة طول يوم القيمة** يوم يقف فيه الخلائق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون
ولا ينظر في امرهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يبلغ وجوههم روح

نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام قال عبد الله
بن عمرو تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف
سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف
بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد نفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا
في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في خلاصهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري
عن امر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا
لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار
الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته الصبر عن الشهوات
فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال
والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد
ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيديك فاعمل
اياما قصارا لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الف سنة
فانك لو صبرت سبعة الف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا
وتعبك يسيرا **صفة يوم القيمة ودواهيه واساميه** فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد
زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه انفطرت والكواكب من هوله انتثرت والنجوم
الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت
والنفوس الى الابدان قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض مدت
يوم زلزلت فيه الارض زلزالها واخرجت اثقالها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت فيه
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يوم وقعت فيه الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك
على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير فيه الجبال
وترى فيه الارض بارزة يوم رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا
لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسأل عن
ذنبه انس ولا جان يوم يمنع العاصي فيه من الكلام ولا يسأل فيه عن الاجرام بل يؤخذ بالنواصي والاقدام
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تجد فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم
تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق قد شبت فقال شيبتني
هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارئ العاجز حظك من قراءتك ان
تجمجم القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرأه لكنت جديرا بان تشيب مما شاب منه

بيك سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم واذا اهتممت بحركة اللسان تحققت بترنم القراءة فالقيامة احد ما
ذكر فيها وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها واكثر اساميها على كثرة معانيها وليس المقصود بتكثير الاسامي و
الالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى
فاحرص على درك معانيها ونحن الآن نجمع لك اساميها وهي يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم
المحاسبة ويوم المسايلة ويوم المسابقة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم المناقشة ويوم
الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة
ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة
ويوم الفراق ويوم المساق ويوم التلاق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب
ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم اللقاء ويوم القرار ويوم البقاء
ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم البعث ويوم الحشر ويوم
الوعد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع
ويوم النشور ويوم المصير ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير
ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة
ويوم الزجر ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى
ويوم الميقات ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم
الانكدار ويوم انتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود
ويوم الوعيد ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود
ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيا ويوم تشخص فيه الابصار
ويوم لا يغني مولى عن مولى شيا ويوم لا تملك نفس لنفس شيا ويوم يدعون الى نار جهنم دعا
ويوم يسحبون في النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزي والد عن ولده شيا
ويوم يفر المرء من اخيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله ويوم
هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وظهرت الضمائر وكشفت فيه
الاستار وخشعت فيه الابصار وسكنت الاصوات وقل الالتفات وبرزت الخفيات و
ظهرت الخطيات وسيق العباد ومعهم الاشهاد وشاب الصغير وسكر الكبير وفيه وضعت الموازين
ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النيران ويئس الكفار وسعرت
النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق وقارفت الفجور فماذا
تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين
وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس
حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا

قرب القيمة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة هذا القرآن عملا ولا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف
هذا اليوم واساميه ولا نستعد للفرار من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة

صفة المسايلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان
فتسال عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ
نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى
موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لله ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة
مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض و
رايتهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على العباد وعند نزولهم لا
يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا ماخوذين فهذا حال المقربين فما
ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر قوم من شدة الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لعظم مو
كبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فينادون باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه
اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق
من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله
فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك لنسالنهم اجمعين
عما كانوا يعملون فيبدا بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فما اشد يوما يذهل فيه
عقول الانبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا
فدهشت عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك علام الغيوب وهم
في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه العقول وانمحقت الى ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح فيقال له
هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويؤتى بعيسى بن مريم فيقول الله تعالى
انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هذا السؤال سنين فيا لعظم يوم
تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف
العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول وتمنى اقوام ان يذهب بهم الى
النار ولا يعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم علام الغيوب على ملا الخلائق وقبل الابتداء
بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمحاسبة العباد وظن كل واحد
انه ما يراد احد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار
فيأتيها جبريل ويقول لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد النداء
ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمعت الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهض خزنتها
متوثبين الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف امره فخطر ببالك واحضر في قلبك حاله قلوب العباد
وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه
منكبين وينادي الظالمون بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذ زفرت النار

من تحت الشاخصة فيما عرضت عليهم وتحاذرت فرائصهم وظنوا انهم ماخوذون ثم يعرضون بين يدي الله فتساقط
الجاثون على وجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفق قلوبهم وضعفت عندها قلوب الظالمين
فتلفت لدى الحناجر كاظمين قد طارت القلوب من السيما ... الاحمين وبعد ذلك يحضر الله عز وجل
يجثون حول جهنم فاذا دنوا من القيامة من الشياطين على الخيانة ... على العبر ... فغرق الوالدين والولد
الى ... الموقف ... وبقي كل واحد منتظر لامره ثم يحضر واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها
عن قليل اعماله وكثيرها وعن سره وعلانيته عن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة
ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحابة قالوا لا قال
فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية الله تعالى فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك
وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول اظننت انك ملاقي فيقول
لا فيقول اني انساك كما نسيتني ... يا مسكين ... الملائكة ... واقف
بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهلك في العمر
ففيماذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما
علمت فكيف ترى حالك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت
شهدت عليك جوارحك قال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم
اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال
فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول تعالى كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فينطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول للاعضاء بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله وعد المؤمن
بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
في النجوى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا
وكذا فيقول نعم يا رب فيقول وعملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة فهذا
انما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم
ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستر عليك غيرك
اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الهيبة والحياء عن ذنوبك التي فعلتها بيتك فيعادلها
في الهول مضطرب وبين اضلاعك تردد من شدة وجل حلقك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من خوف
الحول العظيم تتصور نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب ويخرق بك الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب
وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش
الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله عز وجل العظيم بجلاله وكلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت منه بقلب
محزون وطرف خاشع ذليل وقراك كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة

نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل
وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب
تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني تبارزني
بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من سائر عبادي استخففت
بنظري اليك واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك بي اظننت اني لا اراك وانا لا القاك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب يحجبه
ثم ليقولن له الم انعم عليك الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه
فلا يرى الا النار ثم ينظر الى شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم
يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا وسيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر
ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم
الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى
عد سائر الاعضاء وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى
يسأله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل به وعن جسده فيما ابلاه وعن
ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك
بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك
وفرحك ويغبطك الاولون والآخرون واما ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه
ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك اهل السموات والارض لكان ذلك جديرا بعظم
مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت به آخرتك من دنياك
ولم يبق معك

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الايمان
والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق
اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار
وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم
الحمادون لله على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم
تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها
ويبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى
على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن يأبى الله الا ان يعرفهم ذلك ليبين
فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات
والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين ام في الشمال ثم
الى لسان الميزان ايميل الى جانب السيئات او الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها
عقول الخلائق روي عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة

رضي الله عنها فنعس فتذكرت الاخرة فبكت حتى سال دمعها فسقط على خد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الاخرة هل تذكرون اهليكم يوم
القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت
الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم اتخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر
بيمينه يأخذ كتابه ام بشماله وعند الصراط وعن انس رضي الله عنه قال يؤتى بابن ادم
يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت
يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع
الخلائق شقي فلان شقاوة لا سعادة بعدها ابدا وعند خفة الميزان تقبل الزبانية وبايديهم
مقامع من حديد عليهم ثياب من النار فيأخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة انه يوم ينادي الله تعالى من فيه ادم عليه السلام فيقول
يا ادم ابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة
وتسعين فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي صلى الله
عليه وسلم الذي عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا
مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال
يأجوج ومأجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم
في الناس يوم القيمة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة صفة الخصماء
ورد المظالم فقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان
فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما
ادراك ماهيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه
ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان
يتوب من كل معصية توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله ويرد
المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه
ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب
وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض
على ناصيته وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي
وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري
وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك
وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني
وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما
راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم

وانت

وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس
الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او جناية او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم
ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله ان يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار و
تتذكر ما انذرك الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا
يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك
اموالهم وما اشد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت
بخطاياك وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند
ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن
حقوقهم قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس
قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام
وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا
فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته من قبل ان يقضي ما عليه
اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس
يسلم لك حسنة من افات الرياء ومكائد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل
مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب
على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من
غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك وكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات
والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم يوم يقتص للجماء من القرناء فقد روى
ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى شاتين ينتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيم ينتطحان
قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال ابو هريرة رضي الله عنه في قوله
عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق يوم القيمة
البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول
كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك
خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك
وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك وبسبب الكف عنها
عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين
اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة
والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك

فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون والثقيل بعد هذه الاهوال بما اقرب الى الصراط وهو جسر ممدود
على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط
الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى
فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم
من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب
قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك من المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط
فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانية
والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون
فتسفل الى جهة النار رؤوسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما
اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا
الى الخلق وهم يتهافتون والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت
اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك
وقلت وا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني لم اتخذ
فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم تلدني امي فعند ذلك تختطفك النيران
وينادي مناد اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة
فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار
في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك
وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن
بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامته من الرسل ولا
يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر
عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو قال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف
الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر
كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا
ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب
وخطايا فيحترقون ويكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وآله وسلم
قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون
فصل القضاء وذكر الحديث الى ان ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم
نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك
ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام

ب
اقطعه

بالجمرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بامثال الجبال
من الطاعات فيرى انهن ستنجيه فما زال عبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمني بمظلمة
فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل
سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا
نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم
انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا
مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله
ان الامر لشديد ما اعظم بشأن يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن
كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد
كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا لاحد من
اهل النار ان يدخل النار حتى اقتصه منه حتى اللطمة قلت وكيف وانما ناتي الله عراة
غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد باخذ اموالهم
والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فانما بين العبد وبين الله خاصة
فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمع عليه مظالم وقد تاب عنها وقد عسر عليه استحلال ارباب
المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليستر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص
بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه
المؤمنين في دفع مظالم العباد كما روي عن انس رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك بابي انت وامي
يا رسول الله قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي
من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله
للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب يحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك اليوم ليوم عظيم يحتاج الناس الى ان يحمل
عنهم من اوزارهم فقال الله عز وجل للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال
يا رب ارى مدائن وقصورا من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا
او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه
قال انت تملكه قال ما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال
الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك
اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على انه انما
ينال ذلك بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في
نفسك ان خلت صحيفتك من المظالم وتلطف لك بالعفو حتى عفا عنك وايقنت بسعادة الابد كيف

قدميه فيمضي مرة ويطفى مرة كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر على الصراط كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض النجوم ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبو على يديه ووجهه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويعلق رجلا ويجر اخرى وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيه وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبرئيل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء لان من خاف من شيء هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبقت السنتهم الى الاستعاذة وقالوا استعنا بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضاري في صحراء ووراءه حصن فاذا راى انياب السبع وصولته من بعيد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام ابوابه واركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فاني يغني ذلك من السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه وان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم انه اذا حقت النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم الشفاعة شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحتقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر انت طاعة اصلا فان الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضى الله تعالى فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة الطيبة او النية الحسنة وما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبرئيل اذهب

الى محمد فسله ما يبكيك فأتاه فسأله فاخبره والله اعلم به فقال يا جبرئيل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وآله وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للانبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة ويبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله تعالى يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش منه نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتوني فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله تعالى علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه

والشفيع مشفع فارفع رأسي فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين
من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا
ابرهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فهذه شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي احاديث [illegible] وانما [illegible] شفاعة [illegible] الرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقال للرجل
قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على اهل النار فيقول له يا فلان
هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك فمن انت فيقول انا الذي مررت بي يوما في الدنيا فاستسقيتني شربة
فسقيتك قال قد عرفتك قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ويقول اني اشرفت على
اهل النار فقام الي رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت من انت فقال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع
لي بها فشفعني فيه فيشفعه الله تعالى فيؤمر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي يومئذ وانا اكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ
من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة
الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله تعالى فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم وقال
قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه
وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها
ومعي فقراء المؤمنين وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر **صفة الحوض** اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة
خص الله تعالى بها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا
الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ ابدا قال انس اغفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال آية نزلت علي
آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله
ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيمة
آنيته عدد نجوم السماء وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه
قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك وضرب الملك بيده فاذا طينه
مسك اذفر [illegible] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ما بين لابتي حوضي مثل ما بين صنعاء والمدينة او مثل
ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو

في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وابرد من الثلج [illegible] مجراه على الدر
والياقوت والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل اكوابه عدد نجوم السماء
من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب من هم يا رسول
الله قال هم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد
العزيز والله لقد نكحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم
اني لا ادهن رأسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض
قال والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ آخر
ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة
واني ارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين
وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها
الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك الحرث او زرع ولم ينق
الارض ولم يسقها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين
في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من
الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور **القول في صفة**
جهنم واهوالها وانكالها نعوذ بالله منها يا ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الد
نيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت بان النار مورد
للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فانت من الورود على يقين
ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد
قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة انبائها وتشفيع شفعائها
اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا
وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء
من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره
في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد
وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك
مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية
تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة
المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا
الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من
دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا

في جنب الله تعالى يشقون ولا ينجيهم الندم ولا ينفعهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين من فوقهم
النار ومن تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار
ومهادهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون فيها في
مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون
بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع
من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من افواههم فينقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم
ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف رها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا
غيرها وقد عريت من اللحم عظامهم فتبقى الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك
النيران وهم يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من
الحميم واعميت ابصارهم واخرست السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت
جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم واقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون
حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر
اعضائهم هذه جملة احوالهم وانظر الآن في تفصيل اهوالهم وتفكر ايضا في اودية جهنم وشعابها فقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون
الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعوذوا من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن
وما وادي الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة اعده للقراء المرائين فهذه
سعة جهنم وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة
التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم
ثم الهاوية فانظر الآن الى عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب
من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعنا وجبة فقال صلى الله عليه وآله وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله
اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات
فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمنهم من هو منهمك مستكثر
كالغريق فيه ومن خائض فيه الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة
فلا تترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا
ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من
خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس
ذلك به ثم اعلم انك اخطات في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا
عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هاربا مما هم فيه

عن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل
صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفة جهنم فقال امر الله تعالى ان يوقد على النار الف سنة حتى
احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها في نفسين نفس
في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدون في الصيف من حرها واشد ما تجدون في الشتاء من زمهريرها
وقال انس بن مالك يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت
نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول
لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقد قال بعض
العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار انه لفحتهم لفحة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر
بعد هذا الى نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الدنيا ثم ان شرابهم اذا استغاثوا من
العطش فيسقى احدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى
ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون
شرب الهيم وقال ايضا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون
منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا
انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ان قطرة من
الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه
ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم
في دنياكم التي انتم فيها خبثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلقى على اهل النار
الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع
ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون
بالشراب فيدفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع
ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون
ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان
بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال
فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك ياخذون في الزفير والحسرة والويل قال ابو امامة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوى

نفسك على الأمن فقد عرفت مستقرك في الدارين والله أعلم

القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى واستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف

عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم غلمان وولدان كأمثال
اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند
مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة
عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون
وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويتمتعون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا
وعسلا في انهار اراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطر من
سحاب فيها من ماء التسنيم على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة
بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق ممزوج به السلسبيل كوب يشرق من نوره
من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم تصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين
صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن
اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن انه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن
نزل بفنائها ولا ينظر الاحداث بعين التغير الى اهلها كيف يأنس بدار قد اذن الله في خرابها او يتهنأ بعيش
دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان
جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغيص من ضرورته كيف واهلها ملوك آمنون
وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله
الكريم ينظرون وينالون بالنظر الى الله تعالى من اللذة ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون
وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا
فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل
صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتأمل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة
فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي
من باب الصلاة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من
اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر رضي الله عنه والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها
فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه
ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت
ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احديهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او

عمدوا

او بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير اشعارهم
بعدها ابدا ولا تشعث رؤوسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم
يقدم عليهم يقولون له ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من اولئك
الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في
الدنيا فتقول انت رأيته فيقول انا رأيته وهو باثري فيستخفها الفرح حتى تقوم الى اسكفة
بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر
من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله عز وجل قدره لالم
ان يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا ازواجه والولدان والاكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكؤوا فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون
فلا تمرضون ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم تأمل الان
في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان
الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة متفاوتون ظاهر فكذلك فيما يجازون
به ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد
امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال وسابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو
بناء ثقل ذلك عليك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك
ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا
بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق
والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى
والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات
العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما
وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك
بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام
واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله
ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه

اورد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى اشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك كله اجمع صفة حائط الجنة وارضها واشجارها وانهارها تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها بها وفي من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درة بيضاء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او من تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله به في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة رضي الله عنه كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله تعالى ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فان لها شوكا فقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تتفتق الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الآخر قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ فاذا هو سلمان فاتيته فسلمت عليه فقال يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر صفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة وانما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة

رضي الله

رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من دخل الجنة لا تبلى ثيابه ولا يفنى وفي الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشقق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراهم الآخرون رواه البخاري في الصحيح وقال ابن عباس رضي الله عنهما الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض صفة طعام اهل الجنة بيان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر سؤاله الى ان قال فمن اول الناس اجازة على الصراط قال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون فقال لاصحابه ان اقر بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة

طيرًا اشتاد النجاتي قال ابو بكر رضي الله عنه انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها من
وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه في قوله عز وجل يطاف
عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة
فيها لون ليس في الاخرى وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ومزاجه من تسنيم
قال يمزج لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء رضي الله عنه
في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم
لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها
صفة الحور العين والولدان قد ذكر في القرآن اوصافهم وقد وردت الاخبار بزيادة
شرح فيه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غدوة في سبيل الله او روحة خير
من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها
ولو ان امرأة من نساء اهل الجنة طلعت الى اهل الدنيا لاضاءت ما بين المشرق والمغرب
ولملأت ما بينهما رائحة وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدها اصفى
من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها
سبعون ثوبا ينفذ بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة الى موضع يسمى البيذخ
عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله
فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في
السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات
فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حور مقصورات في الخيام وقال
مجاهد في قوله تعالى وازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة
والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون قال افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله
اتباضع في الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم
وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل على عمل ليس
عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة يتزوج خمسمائة حوراء وار[بعة]
الاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا لا بياع فيه ولا يشترى الا الصور من الرجال والنساء [ما فيها بيع ولا شرى]
فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن باصوات لم تسمعها
الخلائق بمثلها نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات ونحن الراضيات فلا نسخط وطوبى
لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في
الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الحور

حينا

حينا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه
باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه
بيان جملة مفرقة من اوصاف اهل الجنة وردت بها الاخبار روى اسامة بن زيد رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب
الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة
حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا
نحن المشمرون يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني فقال ان احببت
ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل آخر ان
الابل تعجبني فهل في الجنة ابل فقال يا عبد الله ان دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك
وقرت عيناك وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان
فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول
يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام
طولهم ستون ذراعا عرضهم سبعة اذرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل
الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ
وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها
لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة
من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت لمن انت فقالت
لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقال كعب رضي الله عنه خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم
قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها
تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها
لمن ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من
عسل مصفى لم تصفه الرجال ولا تسفه الاحلام ولا تصدع منه الرؤوس وان فيها
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون ابناء ثلاث وثلاثين
في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمأنت
بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروق نخلها وكرمها

بشارات لا يعلم عددها الا الله عز وجل وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة وان
فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم
الحور العين كانهن بيض مكنون وان المرأة لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها
فيرى مخ ساقها من وراء ذلك السبعين حلة قد طهر الله اخلاقهم من السوء واجسادهم
من الموت لا يتمخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو رشح مسك لهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وان آخر من يدخل الجنة واداناهم منزلة ليتمهد له في بصره وملكه
مائة في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه
كما ينظر الى ادناه يغدو عليه سبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليه بمثلها في كل
صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها
سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس بها صدع ولا ثقب قال مجاهد
ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاها كما يرى ادناها
وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل
الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن
يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا
مهر الاخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا
لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى صفة الرؤية والنظر
الى الله عز وجل قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر
الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها
الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه
كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم
كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه
قالوا ما هذا الموعد الم تثقل موازيننا وتبيض وجوهنا وادخلنا الجنة واخرجنا من النار
قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا شيئا احب من النظر
اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى
ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند

انها

٧٥٥

اللقاء منتهى بل لا نسبة شيئا من لذات الجنة وقد اوجزنا الكلام هاهنا لما
فصلنا في كتاب المحبة والرضا فلا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة شيء سوى لقاء
المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى في مختم الكتاب

كتاب خاتمة رحمة الله

وهو بشرح سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من
الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجوا ان يختم بخاتمة
عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن
نستغفر الله مما زلت به القدم وطغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من
اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين
الله تعالى مع التقصير ونستغفره من علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره و
نستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم
بها علينا استعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص
وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس
في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار
من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالمغفرة والرحمة و
التجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف
الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا الا فضله وكرمه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام
فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة اخرجه
وقال ان الله كتب كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار
مثلي اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا
فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او
نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة
الف الف وعشرة آلاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة
للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك و
مغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل يوم القيامة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال

قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولوا ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا
في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيامر باخراج
من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا
مسلمين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة على ولدها
وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي يدخل
الجنة وان شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان
الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي
لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعيد بن بلال يؤمر يوم القيمة باخراج
رجلين من النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويأمر
بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكا الاخر فيؤمر بردهما
ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد خبرت من وبال المعصية ما لم اكن
لاتعرض لسخطك ثانية والذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها
بعد ما اخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
منادٍ من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم
وبقيت التبعات فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس
رضي الله عنهما يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله
ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوها من
غير فقيه قال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت
فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه
الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا حرم الله عليه النار وقال عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من امتي
على رؤوس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد
البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك
عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم
فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب
ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة و
البطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل يصف فيه القيمة والصراط ان
الله تعالى يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار

فيخرجون

فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه
الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها انها
تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل ابيض
قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى في البادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم
يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا
خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط
احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي
شيء افضل من هذا فيقول رضائي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم
في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج الينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر النبي معه الرجل
والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا قد
سد الافق فقيل هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب
فتفرقوا ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن
فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله هؤلاء ابناؤهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله ابناؤنا
عليه وسلم فقال [هم الذين] لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام
عكاشة رضي الله عنه فقال ادع الله ان يجعلني منهم يا رسول الله قال انت منهم ثم قام
اخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وعن عمرو
ابن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا
المكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى
ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل
من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الثلاثة ايام المزيد
فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا
قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال
ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال
بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنى
وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق

وان شرب الخمر قال ابو الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان
فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله قال ولمن خاف مقام ربه جنتان
قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله قال ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى
وان سرق فقال وان رغم انف ابي الدرداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيمة دفع الى كل مؤمن رجلا من اهل الملل فقال له هذا فداؤك من النار
وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابي موسى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله تعالى مكانه النار
يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث
مرات ان اباه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له وروى انه وقف
صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في ثمنه في يوم صائف شديد الحر
فنظرت به امرأة في خباء القوم فاقبلت بشدة واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت
الصبي والصقته الى صدرها ثم القت ظهرها الى البطحاء وجعلته تحت بطنها
تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم وقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها
قالوا نعم قال فان الله ارحم بكم جميعا من هذه لابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور
واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله
فنرجو من الله عز وجل ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده
وهذا اخر كتاب احياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

م م م م م